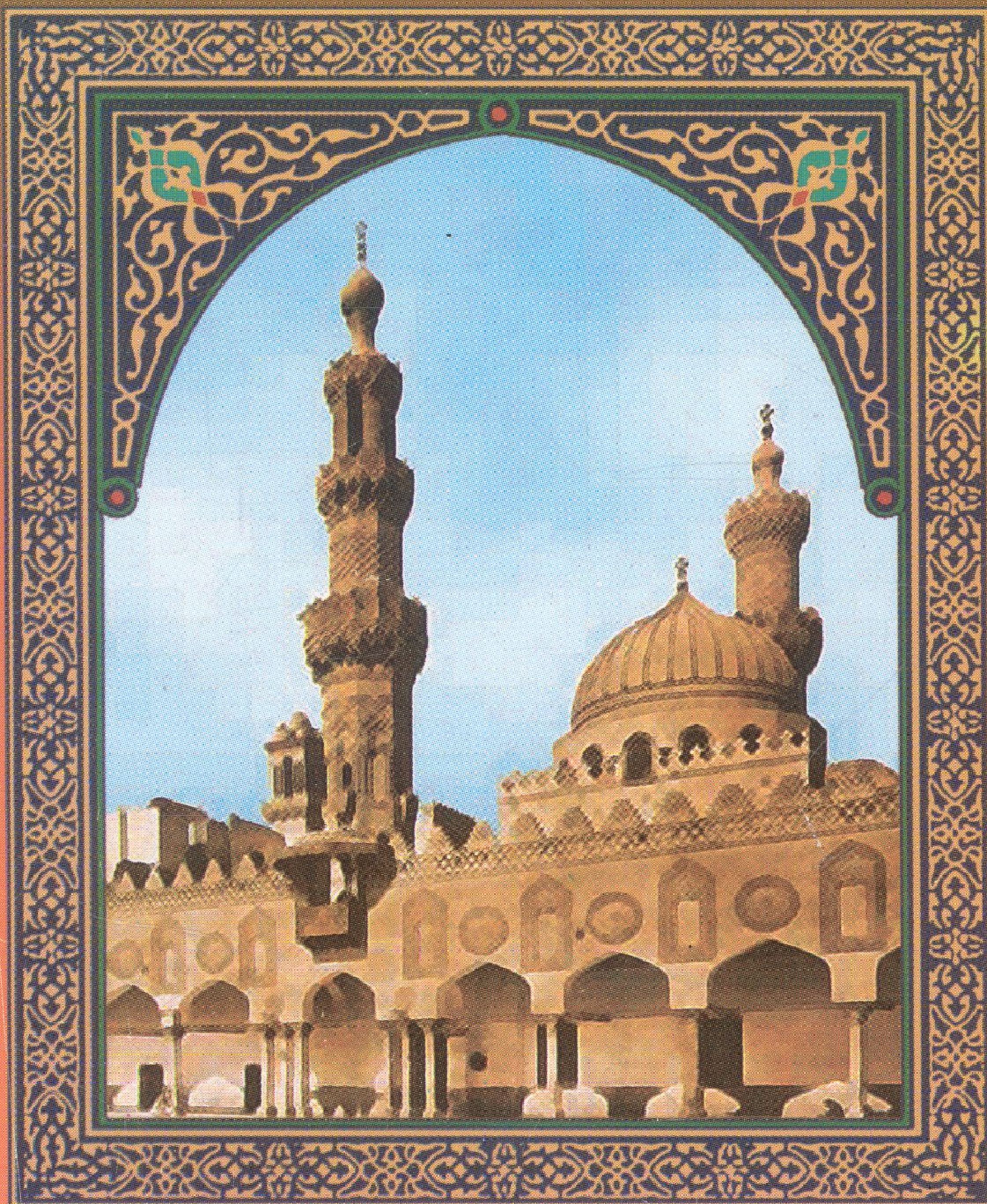


الدكتور أحمد فكري

مساجد القاهرة ومعمارها

الجزء الأول
العصر الفاطمي



مساجد القاهرة ومدارسها

تأليف

الدكتور أحمد فكرى

الجزء الأول

العصر الفاطمى

وضع الفهارس والكشافات

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

(الطبعة الثانية)



دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فكرى أحمد.
مساجد القاهرة ومدارسها / تأليف أحمد فكرى - ط ٢ - القاهرة:
دار المعارف، [٢٠٠٨].
مج ٢٤، ١ سم.
المحتويات: العصر الفاطمى
تلك ١ ٧٢٥٩ ٠٣ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - المساجد - عمارة
(١) العنوان

ديوى ٧٢٦.٢

١ / ٢٠٠٥ / ٦٢

رقم الإيداع ٢٤١٨٩ / ٢٠٠٨

تصميم الغلاف:

منال بدران

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

تصدير

تحتفل القاهرة بعد أربع سنوات بمرور ألف سنة ميلادية على إنشائها، وما زالت هذه العاصمة العربية تحتفظ من عهد نشوئها بآثار جلية. ومع ذلك فإنها لم تحظ حتى الآن بظهور كتاب باللغة العربية يسجل آثار ذلك العصر الفاطمي، ويخصها بالفحص والرعاية والتحليل والإطراء، إذا استثنينا كتب الخطط القديمة والجديدة. أما باللغات الأوربية فقد ظهرت عدة كتب أشرت إليها في صفحات هذا الكتاب، وسجلت أسماءها في مراجعه، وأهمها كتاب (كريسويل)، «العمارة الإسلامية في مصر في العصورين الإخشيدى والفاطمي»، الذي ظهر في سنة ١٩٥٢. وهو كتاب ضخم مفصل، موضح بالرسوم التخطيطية والزخرفية والصور الفوتوغرافية. ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً رئيسياً لآثار العصر الفاطمي المعمارية، وأعترف أنني قد أفدت منه، ولكنني لم أنقل عنه أو أقتبس منه، ولم أتبع طريقته أو أنح منحاه، بل إنني عارضت بعض الآراء التي أبداهها مؤلفه.

وقد تابعت في هذا الجزء الأول البحث الذي أوضحت منهجه منذ أكثر من سنتين في «المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها». وقد تناول هنا «المدخل» بحوثاً عن دراسات الآثار العربية الإسلامية، والمبادئ الرئيسية لهذه الدراسات، واستعراضاً لآثار عواصم الديار المصرية العربية قبل إنشاء القاهرة. واقتضت هذه البحوث أن يمتد نطاق «المدخل» فيشمل عرضاً للمساجد الجامعة المعروفة في العصور الإسلامية الأولى، ودراسة لتاريخها ونظم تخطيطها، وتحليلاً لحكمة هذا التخطيط ومصادره ومراحلها.

ويتناول هذا الجزء الأول من «مساجد القاهرة ومدارسها»، دراسات عن تطور نظم المساجد في العصر الفاطمي، من حيث التخطيط والعمارة والزخرفة. واقتضت هذه الدراسات - بعد استعراض الآثار المتخلفة من تلك الفترة التي امتدت قرنين من الزمان - أن تحلل العناصر لاستخراج أحكامها، وأن تراجع المصادر للكشف عن الخصائص التي تمتاز بها عمارة ذلك العصر وزخارفها، وأن تناقش آراء العلماء والمستشرقين لتحديد أوجه الحق أو الباطل فيها، وأن يرد الفضل إلى أصحابه من رجال الهندسة والفنون.

وسنرى أن آثار القاهرة التي تبقّت من العصر الفاطمي - بالرغم من قلتها عدداً بالنسبة لمنشآت ذلك العصر - ترسم صورة واضحة لازدهار حضارته، وانطباع الحياة فيه بالترف والثراء.

دكتور أحمد فكري

أستاذ تاريخ الحضارة الإسلامية

بجامعة الإسكندرية (سابقاً)

وأستاذ الآثار الإسلامية بجامعة بغداد

أول المحرم سنة ١٣٨٥ هـ

٣ مايو ١٩٦٥ م

بغداد في

الفصل الأول

القاهرة الفاطمية

- ١ — إنشاء القاهرة وبنائها.
- ٢ — ازدهار القاهرة في العصر الفاطمي.

الفصل الأول

القاهرة الفاطمية^(١)

١

إنشاء القاهرة وبنائها

تم لجوهر الصقلي عبور نهر النيل مع جيوشه المغربية في اليوم الثامن عشر من شهر شعبان سنة ٣٥٨هـ (٦ يوليو ٩٦٩م)، ونزل بموقع اسمه «المناخ»، شمالي العسكر والقطائع. وكان الخليفة المعز لدين الله قد أوفد قائده جوهر هذا إلى مصر ليفتحها ويضمها إلى ملكه بالمغرب، كما كان قد أوصاه ببناء مدينة جديدة يجعل منها مقراً للخلافة، وزوده بتوجيهاته من حيث موقعها وتخطيطها، واختار جوهر هذا الموقع لإقامة العاصمة الجديدة شكل (١).

وقيل: إن جوهر جمع في ذلك اليوم «المنجمين»، وأمرهم أن يختاروا طالعاً لحفر الأساس وطالعا لرمي حجارته، فجعلوا قوائم من خشب، وبين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس، وأفهموا البنائين ساعة تحريك الأجراس أن يرموا ما في أيديهم من اللبن والحجارة، ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع. فاتفق وقوف غراب على خشبة من تلك الخشب، فتحركت الأجراس وظن الموكلون بالبناء أن المنجمين حركوها. فآلقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة في الأساس، فصاح المنجمون، لا! لا! القاهرة في الطالع! ومضى ذلك، وفاتهم ما قصدوه^(٢) وكان

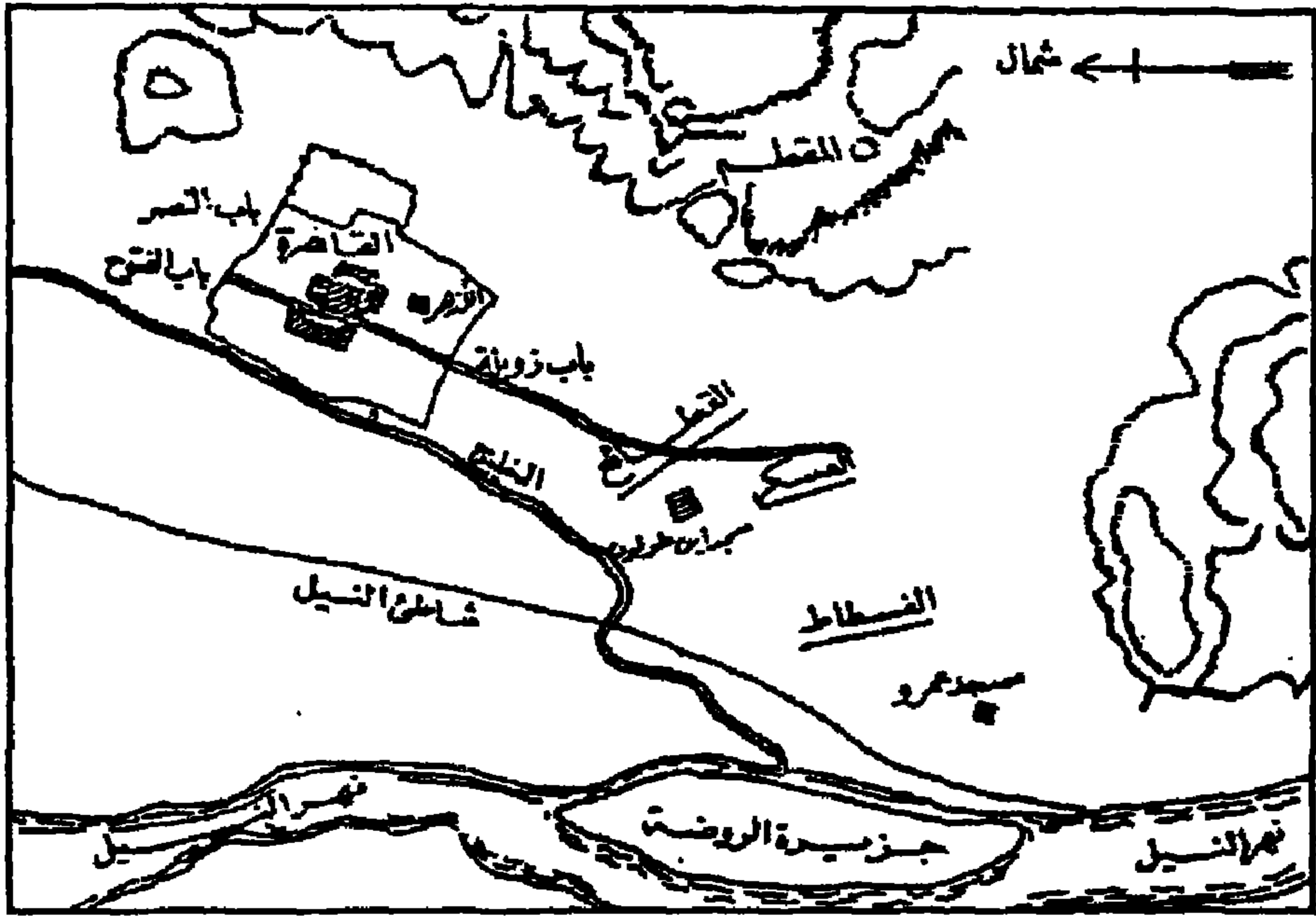
(١) مراجع تاريخ القاهرة عديدة. وأهمها بالنسبة للعصر الفاطمي كتاب المقرئى: «الخطط والآثار»، وعنه نقل الكتاب الذين أرخوا للقاهرة في ذلك العصر. وسنشير في حواشى هذا الكتاب إلى معظم المراجع الهامة. ويوجد بحث مفصل عن تخطيط القاهرة في كتاب (رافيس)، «بحث عن تاريخ القاهرة»:

Ravaisse (Paul), *Essai sur l' Histoire et sur la Topographie du Caire*, Mémoires de la Mission Archéologique Française du Caire, Tomes I et III, 1887, et 1890.

أما عن مراجع تاريخ مصر في العصر الفاطمي فقد أورد الدكتور (محمد جمال الدين سرون) أهمها في صفحات ٢٢٧ وما يليها من كتابه «مصر في عصر الدولة الفاطمية»، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٠م. وفي هذا الكتاب عرض واسع شامل، بالرغم من إيجازه، عن تاريخ ذلك العصر.

(٢) المقرئى (الشيخ تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر، المعروف بالمقرئى، والمتوفى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م، «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار»، في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من الأخبار المشهورة — =

القاهر هذا اسماً للمريخ عند هؤلاء المنجمين. وقيل: لما قدم المعز وأخبر بما حدث غير اسم المدينة، وسماها القاهرة. وكانت هذه القصة شائعة فيما مضى وتناقلها الكتاب والرواة^(١).



شكل (١) - موقع القاهرة من مصر الفسطاط والعسكر والقطائع

وقيل غير ذلك، إن جوهر كان قد أطلق على المدينة الجديدة اسم المنصورية. فغير المعز عند قدومه اسمها وسماها القاهرة، وفي رواية ثالثة أنه كان بقصور المدينة الجديدة قبة تسمى القاهرة فسميت المدينة كلها على اسمها.

وما كاد يخطط أساس القاهرة، ويلقى فيه الطين والحجارة، حتى نشط البناءون وأخذت الأسوار والقصور والمساجد ترتفع فيها وتنتصب. فلم تمض سنة واحدة حتى كان العمل في

= والخطط، جزآن، طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة، سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م. انظر الجزء الأول، صفحة ٣٥٣. وانظر كذلك صفحة ٤١ من الجزء الرابع من كتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، لمؤلفه أبي المحاسن (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي، المتوفى سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م، صدر منه ١٢ جزءاً، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٩م - ١٩٥٦م. وانظر صفحة ٣٤٩ من الجزء الثالث من كتاب «صبح الأمل» في صناعة الإنشاء تأليف القلقشندي (الشيخ أبو العباس أحمد، المتوفى سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م، ١٤ جزءاً طبع دار الكتب المصرية القاهرة ١٩١٣م - ١٩١٩م.

(١) كثيراً ما أحاطت القصص بإنشاء المدن القديمة، وقد رويت قصة شبيهة بقصة المنجمين والغراب عند إنشاء مدينة الإسكندرية.

الأسوار قد تم، وبعد ذلك بسنتين، فرغ من بناء مسجد الأزهر، في شهر رمضان سنة ٣٦١هـ / (يونيه ٩٧٢م). وكانت كل قبيلة من القبائل التي قدمت مع جوهر تسكن منازلها في الخطة التي حددها القائد لها من العاصمة الجديدة. وفي شهر رمضان من السنة التالية (يونيه ٩٧٣م)، دخل المعز لدين الله عاصمة ملكه لأول مرة، وكانت القاهرة معدة أبهى عدة لاستقباله، ونزل بالقصر الفخم الكبير الذي بنى خصيصاً ليكون مقاماً له، ومقرّاً للخلافة^(١).

وأشرقت القاهرة منذ ذلك اليوم على العالم العربي والعالم الإسلامي كله، إشراقاً أخذت أضواؤه تزداد بريقاً وإشعاعاً عاماً بعد عام. ولم تنقطع أعمال التعمير والإصلاح منذ ذلك التاريخ، وطيلة الخمسمائة والخمسين سنة التي ازدهرت فيها بعده وقبل الغزو العثماني لها.

وبالقاهرة آثار خالدة من تلك العصور، ولكنها لا تفي وحدها بإقرار حق ما كان لها من العظمة والجلال. وقد أشاد المؤرخون والرحالة والكتاب والأدباء بذكر أخبارها وأوصافها ومحاسنها وعجائبها وتحفها وكنوزها مما قد يبدو موسوماً بطابع المغالاة، أو ممتزجاً بنزوة الخيال، لولا الإجماع الذي صاحب هذه الروايات، والتحقيق الذي أجراه المؤرخون، والآثار التي شهدت بصحتها.

(١) تعاقب على كرسى الخلافة الفاطمية منذ إنشاء القاهرة أحد عشر خليفة: أولهم المعز لدين الله الذي مات في سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م)، وولى بعده ابنه العزيز بالله الذي مات في سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م)، فخلفه ابنه الحاكم بأمر الله وظل في الخلافة إلى أن قتل أو اختفى في سنة ٤١١هـ / ١٠٢١م)، فولى الخلافة من بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله ومات في سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م)، فتولى الخلافة من بعده ابنه المستنصر بالله، وبقي فيها ستين سنة، وبويع بالخلافة بعد موته ابنه المستعلي بالله سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، ودامت خلافته سبع سنوات وتولاها بعده ابنه الأمر بأحكام الله في سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م). وقد أصبحت الخلافة مظهرًا، والخليفة صورة فحسب، منذ عهد الظاهر الذي ولى الخلافة وكان عمره ست عشرة سنة. وصار الوزير هو الحاكم الفعلي للدولة أو على حد قول المؤرخين، هو المتصرف فيها. وبدأ ذلك واضحاً منذ سنة ٤٦٧هـ، في أيام المستنصر بالله، حين عهد بشئون الدولة إلى أمير جيوشه بالجمام، بدر الجمالي، الذي برزت منزلته حينئذ، وتولى الوزارة والسلطة سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م). ومات بدر الجمالي بعد أن عهد بالوزارة إلى ابنه الأفضل. ومات الخليفة بعد ذلك بأشهر، وظل الأفضل في الوزارة إلى أن قتل بعد ثمان وعشرين سنة، في سنة ٥١٥هـ / ١٠٢١م). فتولى الوزارة من بعده مأمون البطائحي ولبث بها أربع سنوات، وأراد الخليفة الأمر أن يستقل بالحكم، فقتل في سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م)، بعد أن تمكن من قتل ابن البطائحي وأبى نجاح الراهب النصراني، الذي كان مستشاراً له. وظلت الخلافة شاغرة سنة وشهرين، كان يتولى الحكم فيها الأكمل كتيقات بن الأفضل، وحفيد بدر الجمالي. وتولى الخلافة بعد مقتل الأمر أربعة خلفاء، هم الحافظ لدين الله في سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م)، والظاهر بأمر الله في سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)، والفائز بنصر الله في سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م) والعاقد لدين الله في سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م)، وهو الذي انتهت بموته الدولة الفاطمية في المحرم سنة ٥٦٧هـ / (سبتمبر ١١٧١م). وتبوأ كرسى الوزارة في عهد هؤلاء الخلفاء الأربعة خمسة عشر وزيراً، قتل منهم ثمانية، وفر أربعة ومات اثنان، أحدهما أسد الدين شيركوه، وكان آخر هؤلاء الوزراء، الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.

ومن المشاهدات التى نقلها الرحالة إلينا ما ذكره (ناصر خسرو) من أن بيوت القاهرة كانت فى سنة ٤٤٠ هـ / (١٠٤٨ م) «من النظافة والبهاء بحيث تقول: إنها بنيت من الجواهر الثمينة لا من الجص والآجر والحجارة. وهى بعيدة عن بعضها، فلا تنمو أشجار بيت على سوربيت آخر» وكانت أبنية هذه البيوت قوية مرتفعة، وكانت «معظم العمارات تتألف من خمس أو ست طبقات». وكان بالقاهرة حينذاك «ما لا يقل عن عشرين ألف دكان.. وكانت الأربطة والحمامات والأبنية الأخرى كثيرة لا يحدها الحصر، وكلها ملك للسلطان (ال خليفة)، إذ ليس لأحد أن يملك عقاراً أو بيتاً غير المنازل، وما يكون قد بناه الفرد لنفسه...» وكانت القاهرة تحوى أيضاً البساتين والأشجار بين القصور، تسقى من ماء الآبار، وفى قصر السلطان بساتين لا نظير لها وقد نصبت السواقي لريها. وغرست الأشجار فوق الأسطح فصارت منقزها^(١).

وقد خطت القاهرة بحيث يتوسطها قصر الخلافة، ويكون مركزها ومحورها، وبحيث تقتصر على مقر الخليفة ومقام حاشيته وعسكره، شكل (٢). ولم يقصد المعز أن يجعل منها عاصمة للحكم، أو أن ينتقل إليها سكان مصر فى الفسطاط والعسكر، فإن مساحة القاهرة فى عهده لم تكن تتعدى أربعمائه فدان. لقد أراد المعز أن يجعل من القاهرة مدينة الخاصة، على أن تبقى الفسطاط مدينة العامة. وكان القصر الكبير الشرقى الذى أقامه جوهر يقع أمام ميدان فسيح، وكان يشغل مساحة تقرب من أربعين فداناً، ولم يكن موقعه بعيداً عن موقع الجامع الأزهر. فلما قدم المعز أمر بالزيادة فى هذا القصر بحيث شمل الدواوين والخزائن، فأصبح به مجموعة من القصور، منها القصر اليافعى، وقصر الذهب، وقصر الظفر، وقصر الزمرد، وقصر الحرير. ثم إن الخليفة العزيز بالله بن المعز، أمر ببناء قصر آخر مقابل لقصر أبيه. وقيل: إن الخليفة المستنصر هو الذى أتمه فى سنة ٤٥٩ هـ / (١٠٦٦ م)، وكان يسمى «القصر الغربى الصغير»، أو قصر البحر، وأصبح قصر المعز يعرف «بالقصر الشرقى الكبير». ولم يكن قصر العزيز صغيراً، أو أقل شأنًا من القصر الكبير، فإنه كان يشغل مساحة قدرت بثلاثين فداناً، ولم يكن يدخل فيها البستان الكافورى الذى كان يطل على النيل، غربى ذلك القصر. وكانت جملة هذه القصور تسمى القصور الزاهرة. أما خارج القاهرة فقد شيد على رأس الخليج قصران، أولهما قصر اللؤلؤ، وثانيهما قصر الجوهرة^(٢).

(١) خسرو (ناصر)، «سفرنامه»، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، صفحات ٤٦ إلى ٥١ وخاصة صفحة ٤٨. من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٥ م.

(٢) انظر المقرئى، «الخطط»، جزء أول، صفحات ٣٨٣ إلى ٣٨٨ و ٤٠٨ إلى ٤٣٥. وقد وصف المقرئى فى هذه الصفحات قصور الخلافة وخزائنها بتفصيل وإسهاب.

وقد اندثرت تلك القصور ولم يتبق منها غير بضع لوحات خشبية منحوتة غاية في الإبداع، يحتفظ بها المتحف الإسلامى بالقاهرة، لوحة رقم (١). ولكن أحد كتاب الفرنج رسم صورة صادقة لقصر الخلافة رأيت أن أقتطف فقرات منها. وكان هذا الكاتب، وهو (وليم الصورى)، يصاحب سفارة الملك الصليبي (مرى) إلى الخليفة العاضد ووزيره شاور فى سنة ٥٦٢هـ / (١١٦٧م). ذكر (وليم الصورى) أن هذه القصور كانت فخيمة، وبها أروقة مرصوفة رصفاً ثميناً، ومسقوفة بزخارف ذهبية بديعة، تحيط بها بوائك على أعمدة قدت من رخام فاخر متعدد الألوان. وروى الكاتب «أن المرء كان يقف مدهوشاً عندما يسير فى أنحاء القصر، وكان يحار عجباً أينما جال نظره فى أرجائه. وكان بالقصر نافورة يجرى الماء فيها رائقاً صافياً، ويصل إليها فى أنابيب من الذهب والفضة. وكان السفراء يتنقلون فى القصور من ممر إلى ممر، ومن قاعة إلى قاعة، ومن فناء إلى فناء، ومن حديقة إلى حديقة، وهم يشاهدون فى كل خطوة يخطونها أكثر مما شاهدوا عجباً وأبداعاً جماًلاً. حتى وصلوا إلى القصر الكبير، قصر الخلافة، وفاق ما رأوا فى هذا القصر كل ما شاهدوه من قبل. وتطلعوا فى قاعة من قاعاته، إلى ستارة كبيرة حيكت من خيوط الذهب والحرير وطرزت برسوم الحيوان والطيور والإنسان، ورصعت بفصوص من الياقوت والزمرد والجواهر الكريمة»^(١).

ازدهار القاهرة فى العصر الفاطمى

وصف الكاتب (وليم الصورى) لقصر الخلافة يدل على البذخ والترف فى ذلك العصر ويؤيده فى ذلك مشاهدات الرحالة الفارسى (ناصر خسرو) وروايات المؤرخين العرب عن هذه القصور وعن الحياة الاجتماعية فى القاهرة. وهذا كله يؤكد ازدهار العاصمة الفاطمية وعظمتها. وقد جمع المقرئى فى «الخطط» معظم ما كتبه المؤرخون العرب من قبله فى ذلك. ومن واجبتنا

(١) انظر صفحة ١١٨ إلى صفحة ١٢٦ من كتاب (شلومبرجر)، «مغازى الملك مرى»:

Schlumberger, Gustave, *Campagnes du roi Amuryer de Jtusalem en Egypte au XIIIe siecle*, Paris, 1906.

وانظر صفتا ١٨٠ و ١٨١ من كتاب (لين بول)، «تاريخ مصر فى العصور الوسطى».

Lane-Poole, Stanley; *A History of Egypt in the Middle Ages*, London, 1936.

أن نثق برواية المقرئى، إذ إن جميع المصادر التاريخية والأثرية تنهض دليلاً على صحة هذه الرواية، إذا استثنينا المبالغة أحياناً فى الأرقام الواردة فيها.

وقد سجل المقرئى وصفاً مسهباً لخزائن القصور الفاطمية ومحتوياتها، وأولها خزانة الكتب التى كانت مكتبة عظيمة جمعت من الكتب النفيسة «ما يزيد على مائة ألف مجلد»^(١). وكان بالخزانة أقسام كثيرة، قسم لكل نوع من أنواع العلوم، وكان محفوظاً بها كتب ودروج مكتوبة بأقلام مشاهير الخطاطين، وأخرى محلاة بالذهب والفضة والصور والنقوش. ومن تلك الخزائن خزانة الكسوة التى حوت أنواع الأقمشة الفاخرة، والثياب الحريرية، والديباج المذهب، والمنسوجات النفيسة. ومنها خزانة الشراب وخزانة الطعام وكان فيهما من الأواني النفيسة والأدوات الثمينة والجواهر الغالية ما لم يكن يحصى أو يقدر بثمن. ومنها خزانات السروج والفرش والخيم والسلاح والتجميل وغيرها مما يدل، كما قال القلقشندى، «على عظم المملكة».

وتتجلى هذه العظمة من وصف موكب من الموكب التى كانت تجرى فى المواسم والأعياد، مثل رأس السنة الهجرية وأول شهر رمضان وأيام الجمع فيه^(٢)، وعيدى القطر والأضحى وتخليق المقياس وفتح الخليج. وكان الاحتفال يعد قبل الموعد المحدد له، «فيخرج من خزائن السلاح ما يحمله الركابية وغيرهم حول الخليفة كالصمام والدبابيس والسيوف والرماح والألوية والأعلام وغيرها، ومن خزانة التجميل برسم الوزير والأمراء وأرباب الخدم، الألوية والقضب والعماريات وغير ذلك. ومن الإصطبلات مائة فرس مسومة برسم ركوب الخليفة ومن بجنبه. ويخرج من خزانة السروج مائة سرج بالذهب والفضة مرصع بعضها بالجواهر بمراكب

(١) الذى ذكره المقرئى فى صفحة ٤٠٩ من الجزء الأول من «الخطط» أنه يقال إن بها «ألف ألف وستمائة ألف كتاب» وأضاف إلى ذلك قوله «ومما يؤيد ذلك أن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة (فى سنة ٥٨٠هـ) جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد، وباع ابن ضرورة دلال الكتب منها جملة فى مدة أعوام، فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضى الفاضل منها شىء». وجاء وصف لبيع مكتبة القصر فى عهد صلاح الدين الأيوبي فى صفحة ٦٨٦ من الجزء الأول - القسم الثانى - من «كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية»، لمؤلفه أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى، المتوفى سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م)، تحقيق الدكتور محمد حلمى محمد أحمد ومراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٦٢م.

والذى أنقله هنا مقصور على (الكتب النفيسة)، كما جاء فى صفحة ٤٧٥ من الجزء الثالث من كتاب «صبح الأعشى» لمؤلفه القلقشندى.

(٢) كان من عادة الخلفاء أن يؤدوا صلاة الجمعة الثانية من شهر رمضان فى مسجد الأنور الجامع، وصلاة الجمعة الثالثة منه فى الأزهر، وصلاة الجمعة الرابعة منه فى الجامع العتيق، «جامع عمرو»..

من ذهب، وفى أعناق الخيل أطواق الذهب وقلائد العنبر، وفى أرجل أكثرها خلاخل الذهب والفضة مسطحة»^(١). وفى يوم الموسم أو العيد تجرى مراسم عديدة فى الصباح الباكر لترتيب الموكب. ويخرج الخليفة فى ثيابه المختصة بذلك اليوم (وهى مذهب مزركشة مطرزة مقصبة ديبقية) وعلى رأسه التاج الشريف والدرة اليتيمة على جبهته، وهو محنك، مرخى الذؤابة ممايلى جانبه الأيسر، متقلد بالسيف العربى وقضيب الملك بيده.. ثم يخرج الأمراء وبعدهم الوزير فيركب ويقف قبالة باب القصر، ويخرج الخليفة راكباً وفرسه ماشية على بسط، خشية أن تزلق على الرخام، والأستاذون حوله.. ويترتب الموكب من أجناد الأمراء وأولادهم وأخلاق العسكر أمام الموكب، وأدوان الأمراء يلونهم، وبعدهم أرباب القضب الفضة من الأمراء، ثم أرباب الأطواق منهم، ثم الأستاذون المحنكون ثم أهل الوزير، ثم الحاملان للواءى الحمد من الجانبين، ثم حامل الدواة وحامل السيف بعده، وهما من الجانب الأيسر، وكل واحد ممن تقدم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه، ثم الخليفة بين الركابية (عن يمينه وشماله نحو ألف رجل مقلدى السيوف مشدودى الأوساط بالمناديل والسلاح، وهم من جانبي الخليفة كالجناحين الماديين).. ويسير الخليفة فى الموكب على تؤدة ورفق وصاحب المظلة على يساره، وهو يحرص ألا يزول ظلها عنه.. وخلفه جماعة من الركابية لحفظ أعقابه، ثم عشرة يحملون عشرة سيوف فى خرائط ديباج أحمر وأصفر.. وبعدهم الحاملون للسلاح الصغير.. ووراءه الوزير فى هيئة عظيمة، وفى ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختاره لنفسه من أصحابه، وقوم يقال لهم صبيان الزرد.. مجتهداً ألا يغيب الخليفة عن نظره، وخلفه الطبول والصنوج والصفافير فى عدة كثيرة تدوى من أصواتها الدنيا.. ووراء كل هؤلاء آلاف من المشاة والفرسان من مختلف الطبقات. والجميع يزهون بثيابهم البراقة وسيوفهم المتلألئة وألويتهم زاهية الألوان.

وكان أهل القاهرة كما كان أهل مصر القسماط يبتهجون عظيم الابتهاج بهذه الموكب والمواسم والأعياد. وكانوا يقيمون الزينة فى الشوارع والطرقات، وتزدحم جماعاتهم فيها، حتى إن الولاة كانوا يندبون «من يحفظ الناس والزينة».

وحديث المؤرخين عن ازدهار القاهرة، وانطباع الحياة فيها بالترف والثراء، حديث طويل. وكذلك تحدثوا عن ازدهار العلوم والآداب فى ذلك العهد، وسأشير إلى ذلك فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، فى الحديث عن المدارس. والذى يعنينا بصفة خاصة فى هذا الفصل هو

(١) انظر صفحة ٥٠٤ من الجزء الثالث من «صبح الأعشى» للقلقشندي.

الإشارة إلى ازدهار الفنون في العصر الفاطمي، متخذين من التحف المختلفة منه، أدلة على مبلغ السمو والآرتقاء الذي أحاط بحياة الترف والرخاء في القاهرة الفاطمية.

وأول ما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه الحياة المترفة لم تكن مقصورة على قصور الخلفاء والأمراء والوزراء، بل كانت آثارها تمتد إلى غيرهم من الطبقات. وكانت وسائل العيش والترفيه ميسرة لخاصة القوم، وإلى حد ملحوظ لعامةهم. لم يكن رجال الفن مسخرين فحسب لخدمة الخلفاء والأمراء وخاصة القوم، بل كانوا ينتجون من الأعمال ما يرضى العامة والخاصة على السواء. وليس أدل على ذلك من «شبابيك القل» المصنوعة من الفخار، والتي كانت تتداول بكثرة في الأسواق بأثمان زهيدة جعلتها في متناول الجميع. ومع ذلك فقد كان الصانع يعنون بجمال أشكالها، وكانوا يحرصون على تنسيق «شبابيكها»، أي مصفاتها، حرصاً يدل على تشبع الناس في ذلك العهد، خاصتهم وعامةهم، بروح الفن وفكرة الجمال.

لقد تخلقت من هذه الشبابيك التي ترجع إلى العصر الفاطمي آلاف من القطع غير المتكاملة، ومع ذلك فإنها تنطق بدقة الصناعة ورقة التنسيق، مظهرها شبيه بتطريز النسيج، نقشت المجموعات الزخرفية عليه برسوم مخرمة مقرّعة متنوعة، فيها الزخارف الهندسية المتشابكة، والزخارف المقتبسة من الأزهار والنباتات، وفيها أشكال مرسومة للطيور والحيوانات. ومن أجمل مخلفات ذلك العصر شباك نقشت عليه صورة طاووس يتيه عجباً بنفسه، لوحة رقم (٢) (١).

وتخلقت كذلك آلاف من القطع من الأواني الخزفية التي كانت صناعتها رائجة حينذاك، وكان إنتاجها وفيراً، إلى حد أن التجار، كما شهد بذلك (ناصر خسرو)، كانوا يبيعون أصناف البقالة في أوان من الخزف، وكانوا يقدمونها بالمجان. وذكر الرحالة الفارسي أن هذه الأواني كانت مختلفة الأشكال والألوان وأنها كانت رقيقة شفافة. وقد بلغ فن الخزف في العصر الفاطمي درجة عالية من الإتقان، وخاصة الخزف ذا البريق المعدني، الذي كان يمتاز

(١) تاريخ هذا الشباك غير محدد تماماً، وهو ينتمي إلى أواخر العصر الفاطمي عني الأرجح، أو أوائل العصر الأيوبي على الأكثر. وهو عني كل حال أنموذج لما كان متبعاً في منتجات هذا النوع من الفخار في العصر الفاطمي. وأهم مرجع عن «شبابيك القل» هو الكتالوج الذي أصدره متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (دار الآثار العربية سابقاً) في سنة ١٩٣٢م مؤلفه (أولس) وعنوانه «شبابيك القل»:

Oimer. Pierre, *Les Filtres de Gargoulettes*, (Catalogue Général du Musée Arabe du Caire). Le Caire: 1932.

برقة جداره وطلائه البراق ذي اللون الذهبي أو البنى، وزخارفه الحافلة بأشكال الطيور والحيوان والأشخاص، القائمة على أرضية من زخارف نباتية.

وكانت التحف تشكل أولاً من الطينة النيلية وتحرق فتظهر حمراء، وتكسى ببطانة من عجينة بيضاء، وبعد أن تجف ترسم عليها الأشكال بمواد معدنية مختلفة الألوان، ثم تطهى فى الأفران، فتخرج منها براقاً لمعاً.

واشتهر فى ذلك العهد صناع مهرة فى ذلك الفن، وصل إلى علمنا منهم اثنان: سعد ومسلم. وبالرغم من أن التحف الخزفية التى تبقت من ذلك العصر عبارة عن قطع مكسورة من الأوانى: إلا أن الرسوم والأشكال المطبوعة عليها تكوّن مجموعة شاملة من الزخارف الإسلامية، تنطق بالحياة والحركة، والجمال والروعة^(١).

وكذلك بلغت صناعة الزجاج فى ذلك العصر درجة عظيمة من الإتقان والرقى. وأنتجت أوانى امتازت بالركة والجمال، وكانت مراكزها الهامة فى الفسطاط والإسكندرية والفيوم. وإذا كان (ناصر خسرو) قد أشار فى مشاهداته بالقاهرة إلى أنواع الزجاج الذى كان يصنع بمصر والذى شبيهه بالزمرد لنقاوته العظيمة، فإن البقايا التى وصلت إلينا منها، واحتفظت بها بعض المتاحف العالمية تؤيد ما ذكره الرحالة الفارسى، بل وتضيف إليه أدلة على الرقة والإتقان. وبالمتحف الإسلامى بالقاهرة بعض من القناني والزجاجات والكؤوس والقماقم المختلفة الأشكال والألوان. وكانت صناعة الزجاج فى ذلك العهد على أنواع، منها الزجاج المصنوع من جزئين، كان كل منها يتفخ على حدة بلون مخالف، قبل لصقه وضعه إلى الجزء الآخر. ومنها الزجاج الذى

(١) فى كتاب «كنوز الفاطميين» للمرحوم الدكتور (زكى محمد حسن)، عرض مفصل للفنون فى العصر الفاطمى، من صفحة ٨٥ إلى ٢٥٦، مطبوعات «دار الآثار العربية»، القاهرة سنة ١٩٣٧م. وفى كتاب (ديماند)، «الفنون الإسلامية»، عرض موجز لهذه الفنون، صفحات ١٠٦، ١١٨، ١٢٢، ١٥٣، ٢١٦، ٢٣٤، ٢٥٣، من النسخة العربية ترجمة (أحمد محمد) عيسى ومراجعة المؤلف. دار المعارف بمصر الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨م. وفى نهاية هذا الكتاب بيانات مستفيضة عن المراجع.

Dimand, M.S., *A Handbook of Muhammadan Art*, Metropolitan Museum of Art, New York, 1947.

وأهم مرجع عن الخزف فى مصر هو الكتاب الذى ألفه (على بهجت) و (ماسول) وعنوانه «الخزف الإسلامى فى مصر» وهو من مطبوعات دار الآثار العربية:

Bahgat, Aly et Massoul, Félix, *La Ceramique Musulmane de L'Egypte* (Publications du Musee Arabe du Caire), 1930.

كانت تصاغ عليه الزخرفة من خيوط زجاجية رفيعة مختلفة الألوان تضغط على سطحه. وكان أهم هذه الأنواع ذلك النوع المذهب المحلى بزخرفة نقشت عليه بمواد تؤدي، بعد طبخها، ألوان البريق المعدنى. وكانت تلك الزخرفة غاية فى الإبداع، رسمًا وألوانًا، فيها الأخضر والأحمر والأزرق الفيروزى والبني والبرتقالى، وفيها المذهب والفضى والنحاسى، وفيها الأشكال النجمية والهندسية والنباتية والكوفية ورسوم الحيوان.

وازدهرت كذلك صناعة الزجاج البلورى، التى كان الخلفاء مولعين بها، والتى كانوا يسجلون أسماءهم على أوانيها. وقد ذكر المقرئى فيما ذكره عن كنوز الخليفة المستنصر، مبلغ الأوانى البلورية النفيسة التى يددت أيام الشدة العظمى^(١)، كما أشار المؤرخون غيره إلى ما كانت تحويه قصور الفاطميين من تلك الكنوز^(٢). وكانت منها الأباريق والقناني والكؤوس الرائعة صناعة وزخرفا، المتنوعة ألوانًا وأشكالًا وزينة، البالغة منتهى النقاوة والشفافية^(٣).

وصنعت الأوانى من المعادن. وإذا كانت القطع المتخلفة منها قليلة نادرة، فإنه يستدل على أهميتها وازدهار صناعتها من تماثيل الحيوانات البرونزية أو النحاسية صغيرة الحجم التى كانت تستخدم للزينة، ومن غيرها الأكبر حجمًا، مما كان يستعمل فى النافورات أو فى حمل الماء. ومن أجمل هذه التحف عقاب محفوظ فى مدينة (بيزا) بإيطاليا. ويجسم هذا التمثال جسد أسد مجنح ينتهى برأس نسر أو عقاب، ومع أن الشكل خيالى غير طبيعى فإنه يعبر عن الحركة والحياة، وتدل نقوشه على الدقة والجمال التى يزيدها إبداعًا نقوش تجرى عليه من الخط الكوفى^(٤).

أما صناعة النسيج فقد كان لها فى العصر الفاطمى شأن عالى. وانتجت مصانع النسيج و«دور الطراز» و«الديباج» أنواعًا فاخرة من الأقمشة والمنسوجات. وكانت تصنع للخلفاء

(١) انظر صفحة ٢٧٦ من الجزء الأول من الخطط.

(٢) انظر صفتًا ١٣٧، ١٣٨ من الجزء الثانى من كتاب «مطالع البدر فى منازل السرور» لمؤلفه الغزولى، عن (زكى محمد حسن)، «كنوز الفاطميين»، صفحة ١٨٧.

(٣) انظر كتاب «الشكاوات والقناني الزجاجية» تأليف (فييت)، من مطبوعات دار الآثار العربية فى سنة ١٩٢٩م:

Wiet, Gaston, *Lamps et Bouteilles en Verre Emaillé*, (Catalogue Général du Musée Arabe du Caire), Le Caire 1929.

(٤) انظر كتاب «الأوانى النحاسية» تأليف (فييت)، من مطبوعات دار الآثار العربية كذلك فى سنة ١٩٣٢م:

Wiet, Gaston, *Les Objets en Cuivre*, (Catalogue Général du Musée Arabe d, Caire), Le Caire 1932.

أصناف منها نفيسة غالية ، تنسج عليها أسماؤهم بخيوط من الذهب وتكتب عليها بالخيوط الملونة تعبيرات لتمجيدهم ورفع ذكراهم. كما كانت تصنع للخلفاء فى دور الطراز أقمشة أخرى زاهية فاخرة لخلعها على الأمراء والوزراء وكبار أصحاب الوظائف.

وقد بلغت تلك الصناعة من الرقة حدًا كبيرًا، حتى إن بعض الكتاب القدامى أدهشه أن يرى عباءة بأكملها تسحب من «خلال حلقة خاتم»^(١). وكانت للمنسوجات الحريرية والكتانية المنقوشة بالأشرطة الزخرفية شهرة فى بلاد الشرق والغرب معًا اكتسبتها من دقة الصناعة، ورقة الزخارف، وإبداع الألوان. وفى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة فائقة من قطع عثر عليها من هذه المنسوجات، منها قطع باسم الخليفة المعز لدين الله، وأخرى باسم العزيز بالله، وغيرها باسم الحاكم بأمر الله وباسم المستنصر بالله. غير أن أهم التحف المتخلفة من العصر الفاطمى فى المنسوجات محفوظة فى المتاحف العالمية أو فى مجموعات أوروبية وأمريكية، مثل متحف (الوفر) و (كلونى) فى باريس، ومتاحف (برلين) و (أثينا) و (بروكسل) و (المتروبوليتان) فى (نيويورك)، ومثل كاتدرائية (باريس) وكنيسة (سانت آن) فى (آلت) جنوبى فرنسا. وفى هذه الكنيسة الأخيرة ملاءة من الكتان تعتبر من أكثر الأقمشة الفاطمية شهرة ورقة، ورشاقة وإبداعا، فيها أشرطة نسجت من خيوط زاهية مختلفة الألوان، مذهبة، وبيضاء وسوداء وزرقاء وأحمرًا، وفيها زخارف بديعة من رسوم الحيوان وأشكال الدوائر والنجوم والجامات والسيقان النباتية ووريقاتها، وفيها كتابات كوفية يظهر عليها اسم الخليفة المستعلى بالله^(٢).

ولعل أكثر أنواع الفنون إيضاحًا لارتقاء الصناعات فى العصر الفاطمى وسمو الروح الفنية فيه هى منحوتاته الخشبية والعاجية. ولا يرجع هذا وحده إلى وفرة التحف التى وصلت إلى وقتنا هذا من منتجات هذه الصناعة، بالنسبة لغيرها من الأنواع الأخرى التى أشرت إليها، بل إن هذه المنتجات تشهد بتفوق رجال الفن فى صناعة النحت على الخشب والعاج، وإبداعهم فى تنسيق مجموعات الزخرفية^(٣).

(١) انظر صفحة ٢٥٣ من الترجمة العربية لكتاب (ديماند)، «الفنون الإسلامية».

(٢) ليس للمنسوجات الفاطمية مرجع قائم بذاته. انظر الصفحات ١١٠ إلى ١٣٦ من كتاب «كنوز الفاطميين» تأليف (المرحوم زكى محمد حسن)

(٣) أهم المراجع عن المنحوتات الخشبية والعاجية هى: مقال (لام) عن «الأخشاب الفاطمية» وكتابا (بوتى) و (فيل) عن مجموعات متحف الفن الإسلامى وعنوانهما «الأخشاب المنحوتة» و «الأخشاب المنقوشة بالكتابات»: =

كانت السقف والجدران والأبواب والنوافذ في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء، تكسى بألواح خشبية دقيقة الصناعة بديعة الزخرف، وكذلك كانت المحاريب والأبواب والمنابر والأوتار الخشبية في المساجد، والتواييت في الأضرحة. وكان الصناع يعنون عناية خاصة بصناعة الخشب وزخرفته ويعتبرونه نوعا من المواد النادرة، أو كأنه من المعادن النفيسة.

وفي متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وفي متاحف العالم الأوربي والأمريكي مجموعات ثمينة من هذه التحف الخشبية والعاجية المتخلقة من العصر الفاطمي. ولعل أكثرها شهرة تلك اللوحات التي عثر عليها في موضع القصر الغربي الصغير الذي بناه الخليفة العزيز بالله، وأتمه ابنه المستنصر بالله في سنة ٤٥٩هـ / (١٠٦٦م). وهي تحف رائعة لا نظائر لها^(١). واتبعت في صناعة هاتين اللوحتين ومن هذه اللوحات لوحتان تخلقتا من إحدى الأبواب، وقد امتلأت إحداهما بأشكال متسقة من فروع الأزهار ورسم على اللوحة الثانية رأسا حصانين يتفرعان من أغصان النبات وتخرج من رؤوسهما حلقات نباتية لوحة رقم (١).

طريقة النحت الغائر فبدت مسطحتهما. كأنها مفرغة يتخللها الهواء، وبدت دقة الرسم ورقة النحت وخصب الخيال في مظهر خلاب. وطريقة النحت هذه هي خاصية من خصائص الأسلوب الفاطمي^(٢).

وتتجلى هذه الخصائص في لوحات أخرى كانت تكسو جدران إحدى قاعات ذلك القصر الغربي، لوحة رقم (٣). وقد صورت عليها مناظر الطرب والرقص والصيد

= Lamm. Carl Johan. *Fatimid Woodwork, Its style and Chronology*, Bulletin de l'Institut d'Egypte, Vol. XVIII, 1935-1936, pp. 59-91.

Pauty, Edmond, *Les Bois Sculptés jusqu'à l'Epoque Ayyoubide*, (Catalogue Général du Musée Arabe du Caire), Le Caire, 1931.

Weill, Jean David, *Les Bois et Epigraphes jusqu'à l'Epoque Mamlouke*, (Catalogue Général du Musée Arabe du Caire) Le Caire 1931.

(١) أنظر صفحة ١٣٢ من الترجمة العربية نكتاب ديماندا، «الفنون الإسلامية».

(٢) يحتفظ المتحف الإسلامي بآثار من المنحوتات الخشبية نقلت من المساجد. منها باب صنع في عهد الحاكم بأمر الله لتجاع الأزهر، ومنها محراب كتب عليه اسم الخليفة الأمر، ومنها محراب السيدة نفيسة (حوالي ٥٣٥هـ / ١١٤٤م). وأهمها محراب السيدة رقية من منتصف القرن السادس (القرن الثاني عشر الميلادي). وقد قيل عن هذا المحراب الأخير إنه آية في إتقان الصناعة ودقة الزخارف. وهو مصنوع من حشوات مختلفة الأشكال نحتت عليها خطوط رقيقة متشابكة تتخللها أشكال وريقات العنب وعناقيد وحباته.

والقنص، والقوافل فى مواكب الحرب والتجارة والحج. وبدأ كل من هذه المناظر فى منطقة تتكوّن من زخارفها مجموعة إنشائية كاملة، جمعت بين رسوم الطيور والحيوان والإنسان، مجتمعة أو منفردة، وبين الأشجار والأزهار والنباتات، فى أشكال واقعية طبيعية، تنوعت فيها الحركة، وتدفقت منها الحياة، انبثقت فيها الأزهار والسيقان، وتشابكت خلالها الطيور مع الأغصان. واتضحت شدة العناية بالتفاصيل فى الرسم، ووفرة التعبيرات الزخرفية، مع الرقة فى الحساسية الفنية، والسمو فى تذوق فكرة الجمال^(١).

وتنطبق هذه الصفات جميعاً على التحف العاجية المتخلقة من العصر الفاطمى والتي يحتفظ المتحف الإسلامى بالقاهرة، والمتاحف العالمية، بنماذج بديعة منها، معظمها حشوات حفرت عليها «أشكال الموسيقيين والراقصين والصيادين والعقبان المنتثرة بين تفريعات العنب.. بعناية وإتقان، حفرًا مفرغًا به كثير من التفاصيل»^(٢).

كتب المؤرخون والرحالة عن مشاهداتهم فى القاهرة الفاطمية، ووصفوا قصورها فى أسلوب يخيل إلى القارئ أن فى وصفهم نوعًا من الخيال، وأنه يتسم بالمبالغة والمغالة. ولكن استعراض التحف الباقية من ذلك العصر يؤكد صدق أقوال المؤرخين والرحالة، ويشهد بازدهار القاهرة فى ذلك العصر، وانطباع الحياة فيها بمظاهر العز والفخامة.

(١) كثيرًا ما أثير موضوع تحريم الصور فى الإسلام وأثره على تطور الفنون الإسلامية، ولم يدرس هذا الموضوع من الناحية الدينية دراسة مستوفاة بالأسانيد الصحيحة. ويبدو لى أن الاستنكار كان ينصب على التجسيم بالحجم الطبيعى، لما قد تعبر مظاهره عن تقليد للحياة. وإنى أعتقد أن رجال الفن قد أباحوا لأنفسهم تصوير الطبيعة الحية، من أشخاص وحيوان ونبات، ولم يروا حرجًا فى ذلك، مادام التصوير أو النحت كان مصغر الحجم مسطحًا أو مبسط التجسيم. وقد يكون السبب فى كراهية تمثيل الحياة بالتصوير والرسم أن ذلك كان علامة للبخ والإسراف. ولاشك فى أن النهى عن تقليد الطبيعة كان سببًا من أسباب خصب الخيال عند الفنان المسلم.

(٢) كثيرًا ما أثير موضوع تحريم الصور فى الإسلام وأثره على تطور الفنون الإسلامية. ولم يدرس هذا الموضوع من الناحية الدينية دراسة مستوفاة بالأسانيد الصحيحة. ويبدو لى أن الاستنكار كان ينصب على التجسيم بالحجم الطبيعى، لما قد تعبر مظاهره عن تقليد للحياة. وإنى أعتقد أن رجال الفن قد أباحوا لأنفسهم تصوير الطبيعة الحية، من أشخاص وحيوان ونبات، أو لم يروا حرجًا فى ذلك، مادام التصوير أو النحت كان مصغر الحجم مسطحًا أو مبسط التجسيم. وقد يكون السبب فى كراهية تمثيل الحياة بالتصوير والرسم أن ذلك كان علامة للبخ والإسراف. ولاشك فى أن النهى عن تقليد الطبيعة كان سببًا من أسباب خصب الخيال عند الفنان المسلم.

الفصل الثانى

آثار القاهرة الفاطمية

١ — الأسوار والبوابات.

٢ — المشاهد.

الفصل الثانى

آثار القاهرة الفاطمية

١

الأسوار والبوابات

زخرت القاهرة فى العصر الفاطمى بالمبانى، وامتدت حدودها إلى القرب من موضع العسكر والفسطاط، شكل (١). وقد تخلف من هذا كله أجزاء من أسوارها وبواباتها وبعض من مساجدها ومشاهدها.

أما الأسوار التى أقامها جوهر، فكانت ترسم مستطيلاً غير منتظم الأضلاع طوله حوالى ألف ومائة متر من الشرق إلى الغرب، وألف ومائتى متر من الشمال إلى الجنوب، شكل (٢). وكانت تلك الأسوار مبنية من كتل ضخمة من اللبن، وكان عرض الجدار فيها يزيد قليلاً عن مترين. وكان بها ثمانى بوابات: بابان شمالاً، وهما باب الفتوح وباب النصر، وبابان شرقاً، هما باب البرقية وباب القراطين، وبابان غرباً، هما باب الفرج وباب سعادة، وبابان جنوباً، هما بابا زويلة^(١).

(١) أضيف إلى هذه الأسوار فى عهد بدر الجمالى باب فى الشرق، هو الباب الجديد الذى أطلق عليه فيما بعد باب المحروق، وبابان فى الغرب، هما باب القنطرة وباب الخوخة. ويظن (كريسويل) أن باب الفرج كان مفتوحاً فى الأسوار الجنوبية لا فى الأسوار الغربية، (صفحة ٣١ من الجزء الأول من كتابه «العمارة الإسلامية فى مصر»)، وذلك استناداً إلى نص وقفية خاصة بحدود جامع المؤيد، كان على مبارك قد نشرها فى كتاب «الخطط الجديدة»، جزء خامس، صفحة ١٢٦، وفسر (كريسويل) هذا النص على أنه يشير إلى باب الفرج، والواضح من النص أنه يشير إلى الطريق الذى كان يمتد من شرق القاهرة إلى غربها ويؤدى إلى باب الفرج، ماراً بجامع المؤيد. وقد أشار القريزى فى صفحة ٣٨٠ من الجزء الأول من «الخطط» إلى أن موقع باب الفرج كان فى الأسوار الغربية. يراجع نص الوقفية فى صفحة ١٢٦ من الجزء الخامس من كتاب «الخطط الجديدة التوفيقية لصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة»، تأليف (على) مبارك، ٢٠ جزءاً، المطبعة الأميرية بالقاهرة، سنة ١٣٠٥هـ - ١٣٠٦هـ / (١٨٨٨م - ١٨٨٩م).

وكانت أهم البوابات فى عهد جوهر بوابة الفتوح فى منتصف الأسوار الشمالية، وبوابة زويلة فى منتصف الأسوار الجنوبية، وكان يصل بين هاتين البوابتين الطريق الرئيسى الذى أطلق عليه «ما بين القصرين». وكان هذا الطريق يقسم القاهرة قسمين متساويين تقريبًا. وكان بها طريق رئيسى آخر يجتاز المدينة من الشرق إلى الغرب، شمالى المسجد الأزهر، ويصل بين أسوارها الشرقية من باب البرقية، وبين أسوارها الغربية أمام باب سعادة.

وكان بالقاهرة أحياء متسعة عامرة، كانت تسمى حارات أو أخطاط^(١). أكثرها شهرة حارات زويلة والجوثرية والوزيرية والباطلية والمحمودية والبرقية وحارتا الروم وكتامة، وكانت كلها مختطة من وقت تخطيط القاهرة ومنسوبة إلى قوم أو قبائل كانوا فى صحبة جوهر الصقل^(٢). ومنها حارة برجوان التى كانت بها دار المظفر ابن أمير الجيوش، وحارة الديلم التى كانت بها دار الصالح طلائع بن رزيك، وحارة الأمراء التى كانت بها دار الوزير عباس فى عهد الخليفة الظافر، ومنها خط الخرنفش، أو الخرفنش، الذى كان ميدانًا للخلفاء، ومنها رحبة باب العيد.

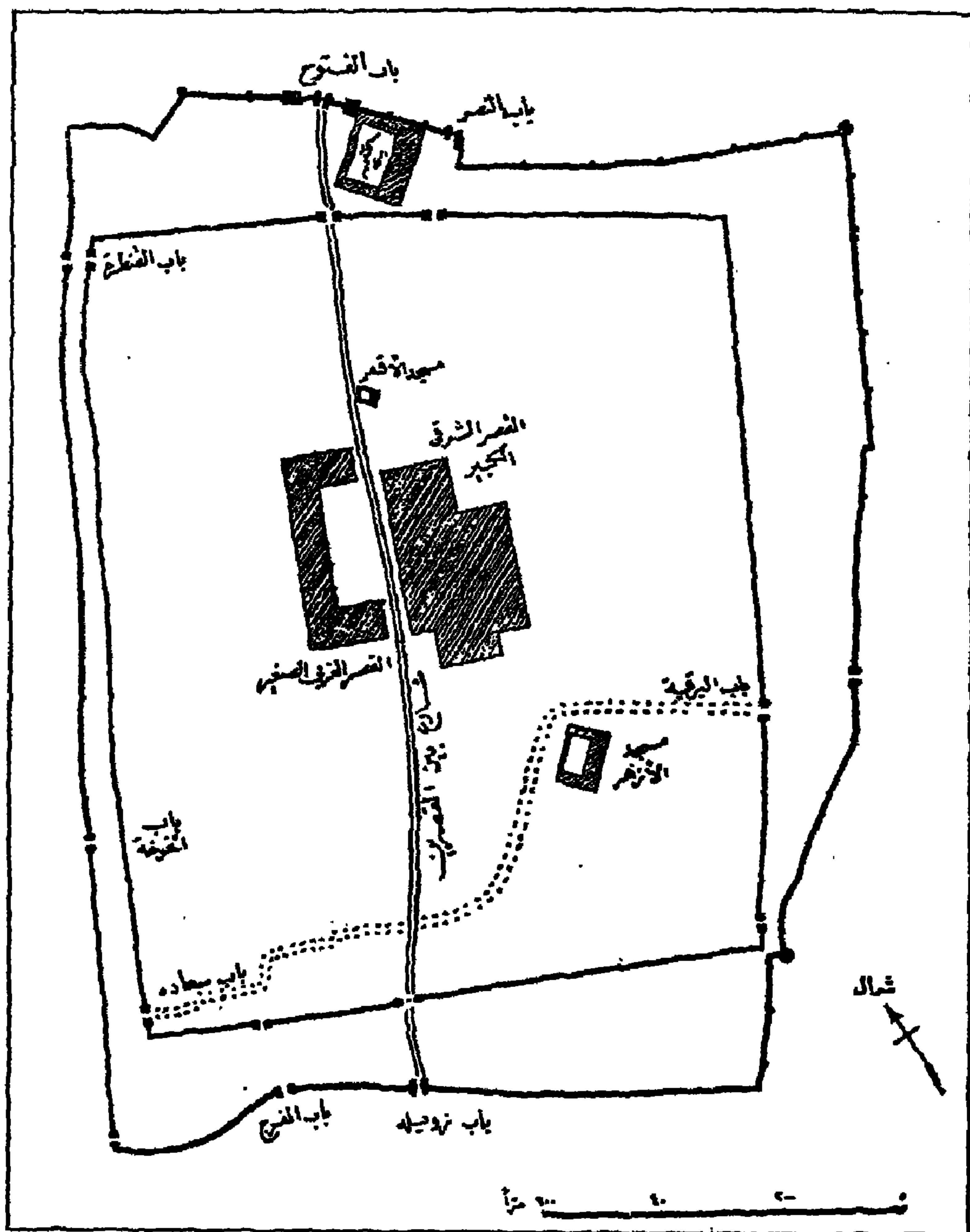
كانت هذه الأحياء منحصرة داخل أسوار القاهرة، وكانت هناك أحياء زاهرة أخرى خارج هذه الأسوار، منها خط الحسينية خارج باب الفتوح، وكان يتكون من ثمانى حارات، ومنها أرض الطبالة المنسوبة لامرأة كانت تغنى للخليفة المستنصر، ومنها المقسى والتبانة واليانسية واللوق وغيرها.

وكان للخلفاء الفاطميين مناظر ومنتزهات كثيرة داخل القاهرة وخارجها، منها منظره الأزهر ومنظره اللؤلؤة ومنظره التاج ومنازل العز ومنظره الأندلس وقصر الورد، وكانت المناظر شبيهة بالاستراحات يجلس فيها الخلفاء أو ينزلون للراحة أو لاستعراض الجيوش أو للنزهة وغير ذلك.

ومن ذلك ما قيل فى قبة الهواء «وهى مستشرف بهيج بديع يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم، ولهذه القبة فرش معدة فى الشتاء والصيف» و«كانت من أحسن منتزهات الخلفاء الفاطميين».

(١) وصف المقرئى بالتفصيل هذه الحارات والأخطاط فى صفحات ٢ إلى ٣٧ من الجزء الثانى من «الخطط».

(٢) انظر صفحات ٣٥٦ إلى ٣٦٣ من الجزء الثالث من «صبح الأعشى» تأليف القلقشندى بيان مختصر بهذه الأحياء.



شكل (٢) - حدود القاهرة على عهدى «المعز» و «بدر الجمال» (من رسم المؤلف)

اندثرت هذه الأحياء والمنتزهات أو تغيرت معالمها، وتبقت بعض أسوار القاهرة وبواباتها. وكانت الأسوار التي بناها جوهر الصقلي قد تهدمت، فجددها وعمرها أمير الجيوش بدر الجمالي، في أيام الخليفة المستنصر بالله. بدأ العمل فيها سنة ٤٨٠ هـ / (١٠٨٧ م) وتم بناؤها سنة ٤٨٥ هـ / (١٠٩٢ م). ونقل بدر الجمالي جزءاً من الأسوار الشمالية مسافة مائة وخمسين متراً تقريباً إلى الشمال، كما نقل جزءاً من الأسوار الجنوبية مثل تلك المسافة إلى الجنوب، كما يتضح من شكل (٢). وقد بنيت الأسوار الجديدة. جزء منها بالآجر، ومعظمها من الحجارة. وأقام بدر الجمالي ثلاث بوابات جديدة عظيمة من الحجارة، هي باب النصر وباب الفتوح شمالاً، وباب زويلة جنوباً. وما تزال هذه البوابات قائمة إلى اليوم، اللوحات أرقام (٤ إلى ٧). وكذلك تخلف من أسوار بدر الجمالي الجزء الذي يصل بين بوابتي الفتوح والنصر وجزء يمتد حوالى خمسين متراً إلى الجنوب من هذه البوابة الأخيرة، وجزء آخر يمتد حوالى مائة متر إلى غرب بوابة الفتوح، لوحة رقم (٧). ويصل هذه الأسوار جميعاً بالبوابات ممر فسيح يجرى على سطح الطابق الثانى الذى فتحت فيه نوافذ ضيقة لرمى السهام. والطابق الثالث مكشوف، أقيمت على جانبه شرفات، لوحة رقم (٨).

وبوابات بدر الجمالي أبنية ضخمة، سواء من حيث المساحة التى تشغلها كل بوابة، وهى حوالى ٢٥ متراً مربعاً، أم من حيث ارتفاعها الذى يزيد عن عشرين متراً، أم من حيث الكتل الحجرية التى استخدمت فى بنائها^(١).

ويمتاز بنيان هذه البوابات بكتله الحجرية المصقولة مسطحاتها، المنتظمة صفوفها، والتى يبلغ عددها من أسفل الجدار إلى قمته حوالى أربعين صفاً، رصت فيها الحجارة الضخمة بصورة تثير الإعجاب، وتفصح عن دقة الحرفة. كما تمتاز باستخدام عمد من الحجارة، دفنت أفقياً فى باطن الجدران، فى الصف السادس أو السابع فوق سطح الأرض، فتزيد البناء ثباتاً، وتضيف إلى منظره رونقاً.

(١) تتفاوت أحجام هذه الكتل الحجرية بين متر ومائة وخمسة وسبعين سنتيمتراً طولاً، وبين أربعين وستين سنتيمتراً عرضاً وارتفاعاً.

وكانت بوابة النصر، لوحة رقم (٧)، أول بوابة أقامها بدر الجمالي في الأسوار الجديدة. بدأ البناء فيها سنة ٤٨٠هـ / (١٠٨٧م)، وعليها نقش كتابي منحوت على الحجارة يسجل تلك السنة^(١). ويتعدى مقاس فتحة البوابة من الجهة الجنوبية ثمانية أمتار، وبعد أن يجتاز العابر منها إلى خارج الأسوار عشرة أمتار يتراجع جدار البوابة نحو الداخل متراً من كل ناحية، ثم يتراجع مرة ثانية، بعد ثلاثة أمتار ونصف المتر، من كل ناحية كذلك، حتى تضيق فتحتها، فتبلغ خمسة أمتار، أو أقل من ذلك. وهذا هو موضع مصراعى الباب الخشبي. ثم يتراجع الجدار نحو الخارج مرتين، في الجهة الشمالية، وتتسع فتحة البوابة من جديد حتى تقرب من مقاسها عند بدايتها جنوباً.

ويبلغ طول ممر البوابة واحداً وعشرين متراً، وهو مسقوف في جزء منه بقيوة من الحجارة، أسطوانية نصف دائرية، وفي جزء آخر بقيوة متعارضة.

وتحف بالبوابة بدنتان ضخمتان، في الواجهة الرئيسية، من ناحية الشمال، أي في الجهة الخارجة عن سمت الأسوار، وهاتان البدنتان مستطيلتا القاعدة، طول كل ضلع منها ثمانية أمتار وربع المتر، وهما بارزتان خارج البوابة وخارج الأسوار ويبلغ ارتفاع كل منهما إلى القمة اثنين وعشرين متراً تقريباً. وينقسم هذا الارتفاع إلى ثلاثة طوابق، يتراجع كل منها تراجعاً خفيفاً عن الطابق الذي يدنوه.

وتتوسط واجهة الطابق الثاني سرر وجامات زخرفية بارزة منحوتة. أما البوابة نفسها فيعلوها عقد مغلق منفوخ^(٢)، محصور في إطار زخرفي مستطيل.

وتتوسط حلق هذا العقد لوحة حجرية نُقِشت عليها ثلاثة أسطر من كتابة دينية بالخط الكوفي، يقرأ فيها شعار الشيعة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد رسول الله، على ولي

(١) «بدي، بعمله في محرم سنة ثمانين وأربعمائة»، والنص منشور بأكمله في صفحة ٥٧ من الجزء الأول من كتاب (برشم)، «موسوعة النقوش العربية»:

Van-Berchem, Max, *Corpus Inscriptionum Arabicorum*, 1ère Partie, Egypte, Mémoires publiés par les Membres de la Mission Archéologique Française au Caire, Tome XIX, Paris 1894..

(٢) العقد المغلق هو العقد الذي سدت فتحته بالبناء، والعقد المنفوخ، هو الذي جاوزت أطرافه حدود نصف الدائرة.

الله^(١). وقد وضعت هذه اللوحة فوق عقد منبطح^(٢) يخفف الضغط على عتبتين مستطيلتين من الحجارة مدتا أفقيا من تحته فوق الباب.

وتتكون هاتان العتبتان من صنج مقصوفة ممشقة فى شكل زخرفى. وكان لنظام تكوين هاتين العتبتين، وخاصة العتبة العليا منهما، شأن كبير فى العمارة الإسلامية بالقاهرة، فى العصر الفاطمى وفى العصور التالية. وهما أقدم أمثلة معروفة لتجميع الصنج المشقة فى عمارة القاهرة، إن لم يكن فى تاريخ العمارة كلها.

وأقيمت بوابة الفتوح، لوحة رقم (٥)، فى نفس السنة التى أقيمت فيها بوابة النصر، ولكن برجيها، أو بدنيتها، مقوساً القاعدة، فهما يختلفان شكلاً عن بوابة النصر، كما يختلفان من حيث النظام الداخلى. ويبلغ طول أطراف الواجهة فى بوابة الفتوح ثلاثة وعشرين متراً، ويقرب ارتفاعها من ذلك. وطول مرها من الطرف الخارجى فى الواجهة الشمالية إلى الطرف الداخلى فى الواجهة الجنوبية خمسة وعشرون متراً.

وتبلغ مساحة الفضاء بين البرجين فى كلا الطرفين الشمالى والجنوبى سبعة أمتار ونصف المتر. وتتقارب الجدران أمام العابر من جهة الشمال حتى تضيق فتحة البوابة كما هو الحال فى بوابة النصر، وتتراجع هذه الجدران أربع مرات أخرى، ويتسع الممر حتى يبلغ أربعة عشر متراً، ثم تتقارب من جديد ويعود الممر إلى السعة التى كان عليها فى الطرف الآخر، وهى سبعة أمتار ونصف المتر. ولهذا التدرج من تراجع وتقارب أغراض عملية فى تنظيم حركة المرور من البوابة، وفى إمكان التحكم فيها. ومن الملاحظ أنه خطط فى شكل بديع من حيث التنسيق والتوازن.

وقد حليت جوانب البرجين بعقدين مغلقين، قصت حجارتها على شكل وسائد صغيرة متلاصقة، ويظهر هذا الشكل لأول مرة فى تاريخ العمارة على هذا الباب وهو يصور على الحجارة طريقة البناء بالآجر؛ لوحة رقم (٦). وتظهر على بوابة الفتوح كذلك عتبة من صنج ممشقة تعشيقاً مبسطاً. يعلوها عقد منبطح. وقد تعددت العقود على هذه البوابة وتعددت أشكالها الزخرفية، فيها معينات وأزهار ونجوم ومحارات وفصوص، وهى أشكال كان معظمها

(١) نقش سطر رابع على العقد المنبطح يقرأ فيه «صلوات الله عليهما، وعلى الأئمة من ذريتهما أجمعين». انظر (برشم)، «موسوعة النقوش العربية»، صفحة ٥٨.

(٢) العقد المنبطح هو العقد الذى لا يرتفع حلقه أو خوصره كثيراً عن مستوى أطرافه، ويتكون من قطاع أفقى مقوس.

جاريا فى الزخارف المغربية التونسية. وممر البوابة مسقوف بقبة حجرية أقيمت على مقرنصات مثلثة، وبالأبراج سقف من قبوات متعارضة، جعل مركزها مستديراً.

أما بوابة زويلة، لوحة رقم (٤)، فهى آخر البوابات تاريخياً، إذ تم بناؤها فى سنة ٤٨٥هـ / (١٠٩٢م). وكانت أمامها زلاقة كبيرة. وقد تغيرت بعض مظاهرها أيام السلطان الأيوبي الملك الكامل، وذكر المقرئى أن بدنتى هذه البوابة كانتا «أكثر علواً مما هما، هدم أعلاهما الملك المؤيد شيخ» عند بنائه مسجده فى سنة ٨١٩هـ / (١٤١٧م)، وأقام عليهما مئذنتين^(١). وهاتان البدنتان مقوستا القاعدة، شبیهتان ببندتى بوابة الفتوح، ولكنهما أكثر استدارة. وبوابة زويلة تشغل مساحة مربعة تقريباً، طول كل ضلع من أضلاعها ٢٥ متراً. وتتخرج جدران ممرها، تقارباً وتراجعاً على صورة مشابهة لجدران ممر بوابة الفتوح، كما أن ممر زويلة مسقوف كله بقبة، ولكنها قائمة على مقرنصات مثلثة. وقد اختفت معظم المعالم الزخرفية لواجهة بوابة زويلة، ولكن أهميتها المعمارية مازالت واضحة من بنيانها الراسخ.

وذكر المقرئى أنه قد أخبره من «طاف البلاد، ورأى مدن المشرق أنه لم يشاهد فى مدينة من المدائن عظم باب زويلة، ولا رأى مثل بدنتيه اللتين على جانبيه»^(٢). ولم يخطئ الراوى الذى نقل المقرئى عنه، فمازالت هذه البوابة، وبوابتا النصر والفتوح، من أروع الآثار المتخلفة من العمارة الحربية الإسلامية، بل إن كتابا ورحالة أوروبيين من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أشادوا بذكر هذه البوابات، وأقروا أنهم لم يروا نظائر لها فى أى مكان، ولم يشاهدوا أكثر منها إبداعاً وتكاملاً ورسوخاً، ولا أقدم منها عمراً. وأكد (كريسويل) الذى درس أسوار القاهرة وبواباتها دراسة وافية، أنه ليس لها نظائر، وأنه لا تنافسها بوابة أخرى فى العمارة الإسلامية^(٣).

وقد امتد أثر هذه البوابات إلى بلاد الغرب، فإنه توجد على بوابة كنيسة (واسط) فى شمال فرنسا عقود نقلت أشكالها نقلا عن عقود بوابة الفتوح، وذكر الأستاذ (أنلان) الذى نشر بحثاً عن هذه الكنيسة أنه لا يستبعد أن يكون أحد رجال الحاشية فى السفارة الصليبية التى قدمت

(١) انظر المقرئى، «الخطط»، الجزء الأول، صفحة ٣٨١.

(٢) شرحه.

(٣) انظر كتاب (كريسويل)، «العمارة الإسلامية فى مصر»، الجزء الأول، من صفحة ١٦١ إلى صفحة ٢١٦، وخاصة صفتا ١٦٥ و ١٦٦.

إلى القاهرة لمقابلة الخليفة العاضد ووزيره شاور، وهى السفارة التى أشرت إليها من قبل، قد نقل هذه الأشكال وسجلها على باب تلك الكنيسة تذكارة لإعجابه^(١).

٢

المشاهد

لا تقتصر آثار القاهرة الفاطمية على أسوارها وبواباتها، وأسستعرض فى الفصول الثلاثة التالية المساجد الرائعة التى تخلفت عنها، وهى مساجد الأزهر والحاكم والجيوشى والأقمر والصالح طلائح ومشهد السيدة رقية^(٢). وقد أنشئت على التوالى فى سنوات ٣٥٩هـ / (٩٧٠م) و ٣٨٠هـ / (٩٩٠م) و ٤٧٨هـ / (١٠٨٥م) و ٥١٩هـ / (١١٢٥م) و ٥٥٥هـ / (١١٦٠م) و ٥٢٧هـ / (١١٣٣م).

وقد أقيمت بمصر وبالقاهرة فى العصر الفاطمى مساجد عديدة أخرى، ولكنها اندثرت. ومن بينها، مسجد راشدة (٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) ومسجد المقس الذى أنشأه الحاكم بأمر الله، ومسجد القيلة، بناه الأفضل شاهنشاه سنة ٤٧٨هـ / (١٠٨٥م)، ومسجد المقياس، أقيم بعد ذلك بسبع سنوات، ومسجد الفاكهيين الذى أنشئ فى عهد الظافر بأمر الله سنة ٥٤٤هـ / (١١٤٩م)، والمشهد الحسينى الذى بناه الفائز بنصر الله فى سنة ٥٤٩هـ / (١١٥٤م)^(٣). وقد ذكر ناصر

(١) انظر (أتلان)، «الباب العربى لكنيسة واسط»:

Enlart, Camille; *L'Eglise du Wast en Boulonais et son Portail Arabe*, Gazette des Beaux Arts, Tome II, pp. 9, 10; Paris 1927..

(٢) كان مشهد السيدة رقية محسوبا فى عداد المساجد لا فى عداد الأضرحة كما جاء فى المقرئى، ولهذا أفردت له قسما فى الفصول الخاصة بالمساجد.

(٣) بنى الحاكم بأمر الله مسجد راشدة جنوبى القسطنطينية بالقرب من مسجد قديم كان يحمل هذا الاسم، وهو اسم قبيلة من قبائل العرب التى قدمت مع عمرو بن العاص عند الفتح الإسلامى. ومسجد المقس الذى بناه الحاكم كذلك كان موضعه خارج أسوار القاهرة بالقرب من باب البحر الذى استحدثه فيها صلاح الدين الأيوبي، وكان هذا المسجد معروفا فى العصر الفاطمى باسم الجامع الأثور، وكان من عادة الخلفاء الفاطميين أن يؤدوا به صلاة الجمعة الثانية من شهر رمضان. ولم يكن مسجدا القيلة والمقياس معدودين من المساجد الجامعة. أما مسجد الفاكهيين أو الفكهانيين، فكان يسمى الجامع الظافرى، وموقعه بالقرب من باب زويلة داخل أسوار القاهرة، وهو المعروف اليوم بجامع الفكهانيين، ولكنه لم يتبق شيء من عمارته الفاطمية، فيما عدا مصراعى بابه المحفوظين بالمتحف الإسلامى.

خسرو) أنه كان بالقاهرة ومصر عند زيارته لهما فى سنة ٤٤٠هـ / (١٠٤٨م) خمسة عشر مسجداً جامعاً، وقال «أما المساجد التى لا تلقى فيها خطبة الجمعة فلم يكن لعدددها حصراً»^(١). وذكر المقرئى أنه كان بجنوبى القاهرة «جبانة» تسمى القرافة الكبرى، وأنها كانت مليئة بالأضرحة والمشاهد المنشأة فى العصر الفاطمى^(٢).

ولعل ما ذكره المقرئى عن مسجد القرافة الذى أنشأته امرأة المعز، أم العزيز، فى سنة ٣٦٦هـ / (٩٧٦م)، يرسم صورة واضحة لما كانت عليه مشاهد القرافة الكبرى وأضرحتها. فقد نقل المقرئى عن القضاء^(٣)، أنه كان بمسجد القرافة هذا «بستان لطيف فى غربيه وصهريج، وبابه الذى يدخل منه ذو المصاطب، الكبير الأوسط تحت المنار العالى الذى عليه، مصفح بالحديد إلى حضرة المحراب. والمقصورة من عدة أبواب، وعدتها أربعة عشر باباً مربعة مطوية الأبواب، قدام كل باب قنطرة قوس على عمودى رخام ثلاثة صفوف، (أى إنه كان لهذا المسجد بيت للصلاة فيه ثلاثة أساكيب بكل أسكوب بائة من أربعة عشر عقداً)، وهو مكندج، مزوق باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الأصباغ، وفيه مواضع مدهونة، والسقوف مزوقة ملونة كلها، والحنايا والعقود التى على العمد مزوقة بأنواع الأصباغ من صنعة البصريين وبنى العلم المزوقين، شيوخ الكتامى والنازوك».

وكانت القرافة متصلة بالقاهرة، وهى «مدفن موتاه»، «وقد بنى الناس بها الأبنية الرائقة، والمنابر البهجة، والقصور البديعة، يسرح الناظر فى أرجائها، ويبتهج خاطر برؤيتها وبها الجوامع والمساجد والزوايا والربط والخوانق، وهى فى الحقيقة مدينة عظيمة إلا أنها قليلة المساكن»^(٤).

وقد تخلفت بعض آثار من المشاهد والأضرحة الفاطمية التى أقيمت فى مصر والقاهرة، سأستعرضها بإيجاز فى الصفحات التالية. ويلاحظ أن معظم هذه الآثار غير ثابت التاريخ وأن ترجيح انتماؤها إلى العصر الفاطمى قائم على دراسة عناصرها المعمارية والزخرفية، وهى التى سأشير إليها فى الفصلين السابع والثامن من هذا الكتاب.

(١) انظر (سفرنامه)، صفحة ٤٩.

(٢) انظر «الخطط»، جزء ثان، صفحة ٣١٨.

(٣) شرحه.

(٤) انظر القلقشندي، «صبح الأعشى»، الجزء الثالث: صفحتا ٣٧٨ و ٣٧٩.

وأقدم هذه الأضرحة تاريخاً، فى رأبى، هو مسجد اللؤلؤة، الذى ذكر المقرئزى أنه كان مسجداً قديماً متداعياً فجدده الحاكم بأمر الله وعمره وسماه «اللؤلؤة»، وكان ذلك فى سنة ٤٠٦ هـ / (١٠١٥ م)، ويقول المقرئزى إن بناءه حسن^(١). وهو بناء صغير، تهدمت أجزاء كثيرة منه. والقاعة المتبقية عبارة عن مستطيل طول جدار القبلة فيه خمسة أمتار تقريباً، وعرض القاعة ثلاثة أمتار تقريباً. وبجدار القبلة محراب مجوف، وقد فتح فى الجدار المقابل ثلاثة أبواب، الأوسط منها مرتفع. وسقفت القاعة بقبوة أسطوانية. وقد بنيت الجدران من الحجارة غير المنتظمة، أما القبوة فهى من الآجر، ويبلغ ارتفاعها ستة أمتار تقريباً.

والغريب فى هذا المسجد أو الضريح، أنه كان يعلو هذه القاعة قاعتان شبيهتان بها، وبكل منهما محراب. وهى ظاهرة لم تتبع فى بناء المساجد من قبل أو من بعد^(٢).

أشار القلقشندى إلى أنه كان بجانب المسجد الحاكم زيادة بناها ابنه الظاهر «ولم يكملها» وأنها أضيفت إلى المسجد فى عهد الصالح نجم الدين أيوب ثم «بنى بها ما هو موجود الآن فى الأيام المعز أيبك التركمانى، ولم تسقف»^(٣) واتخذ هذا البناء فيما بعد ضريحاً أطلق عليه «زاوية أبو الخير الكليباتى».

وقد نسبت هذه الزيادة إلى العصر الفاطمى، بالرغم من نص القلقشندى على أن بناءه قد تم فى منتصف القرن السابع (الثالث عشر الميلادى)، وذلك لأن العقود الحجرية المبنية فيها مدببة شبه مفرجة على هيئة العقود الفاطمية.. والبناء عبارة عن قاعة صغيرة مربعة طول كل ضلع فيها خمسة أمتار تقريباً، ولها سقف من قبوة متعارضة. وأهمية هذه الزيادة ترجع إلى بروزها خارج جدار المسجد^(٤).

(١) انظر «الخطوط»، جزء ثان، صفحة ٤٥٦.

(٢) انظر صفحات ١١٣ إلى ١١٥ من الجزء الأول من كتاب (كريسويل) «العمارة الإسلامية. فى مصر». هذا ولا يعتبر المؤلف ضريح (اللؤلؤة) من بين المساجد، وموضوع هذا البناء يتطلب بحثاً لا يتسع له المجال فى هذا الكتاب.

والتداول أنه لا يقام بناء فوق سقف مسجد، ومن المحتمل أنه يجوز بناؤه فوق سقف الأضرحة. وقد ورد فى هذا أنه جاء فى «المستوعب وابن نعيم، ومن جعل بيته مسجداً فليس له الانتفاع بسطحه، ولو جعل السطح مسجداً كان له أن ينتفع بسفله»، انظر صفحة ١٨١ من كتاب «تعار المقاصد فى ذكر المساجد» لمؤلفه يوسف بن عبد الهادى، المتوفى سنة ٩٠٩ هـ / (١٥٠٥ م)، نشره محمد أسعد أطلس، الجزء الثالث من «مجموعة النصوص الشرقية»، مطبوعات المعهد الفرنسى بدمشق، بيروت ١٩٤٣ م.

(٣) انظر صفتاً ٣٦٤ و ٣٦٥ من الجزء الثالث من «صبح الأعشى».

(٤) انظر صفحات ١١٥ إلى ١١٧ من الجزء الأول من كتاب (كريسويل) المشار إليه.

وتنسب إلى العصر الفاطمي كذلك مجموعة من المباني معروفة باسم القباب السبع أو السبع بنات^(١)، ويعتقد بعض علماء الآثار أن هذه القباب هي أقدم الأضرحة والمشاهد بمصر^(٢). وقد تبقت آثار أربعة من هذه الأضرحة وكشف حديثاً عن أسس الجدران في اثنين آخرين. وقد ظهر أنها جميعاً متجاورة، بنيت في صف واحد غير مستقيم. وقيل إن هذه الأضرحة أقيمت لضم رفات سبعة أفراد من أسرة الوزير أبي القاسم الحسين بن المغربي، الذي كان وزيراً للحاكم ثم فر إلى مكة. وقد روى المقرئ أن الخليفة الحاكم أمر بالقبض على هؤلاء الأفراد ثم قتلهم، وكان ذلك في شهر ذي القعدة من سنة ٤١٠ هـ / (يونيو ١٠١٠ م)^(٣). وتخطيط هذه الأضرحة متشابه. وهو يرسم مربعاً داخلياً محاطاً بفناء مكشوف أقيمت حوله جدران على مربع آخر خارجي. وأبنية هذه الأضرحة صغيرة، إذ إن المربع الداخلي في كل منها يتراوح ضلعه بين ٦ و ٧ أمتار. وجدرانها سميكة يبلغ عرضها متراً، وفتح فيها باب في منتصف كل ضلع من أضلاعها.

أما مباني هذه الأضرحة فهي متشابهة كذلك بالرغم من اختلاف أحجامها اختلافاً يسيراً، لوحة رقم (٩). وقد تهدمت قبابها، وأجزاء من جدرانها. ويتكون كل منها من ثلاثة طوابق متدرجة، بنى الطابق الأول من الحجارة غير المنتظمة، ويتراوح ارتفاعه بين ثلاثة أمتار ونصف وأربعة أمتار ونصف. وفتح في منتصف كل واجهة من واجهاته الأربعة باب معقود بعقد مدبب، يكاد يكون منفرجاً. وبنى الطابق الثاني من الآجر، ويتراجع سمت جدرانه من الخارج قليلاً عن سمت جدران الطابق الأول، ويتراوح ارتفاعه بين متر ونصف ومترين. وقد فتحت في منتصف كل واجهة من واجهاته، فوق أبواب الطابق الأول، نافذة معقودة بعقد شبيه بعقود هذه الأبواب. ويلمس رأس هذا العقد الحد الأعلى لجدار الطابق الثاني ويمتد

(١) تقع القباب السبع في الصحراء الواقعة إلى الجنوب من موقع الفسطاط وهي غير قبة السبع بنات التي تقع بالقرب من خانقاه الناصر فرج بن برقوق، شرقي القاهرة.

(٢) انظر (كريسويل)، صفحة ١٠٧ وما يليهما من الجزء الأول من «العصارة الإسلامية في مصر» و (هوتكور)، صفحة ٢٢٥ وما يليها من الجزء الأول من «مساجد القاهرة» و (مارسيه)، صفحة ٧٢ من «الفن الإسلامي».

Wiet, Gaston et Hautecur, Louis, *Les Mosquées du Caire*, 2 vols, Paris, Leroux, 1932. Marçais George, *L'Art de l'Islam*, Paris. 1947.

(٣) انظر «الخطط»، صفحة ٤٥٩ من الجزء الثاني؛ وكانت هذه الرواية سبباً من أسباب نسبة هذه القباب لهؤلاء الأفراد السبعة وترجيح بناء أضرحتهم في تلك السنة. وإن صح أن هذه الأضرحة بنيت لتضم رفات هؤلاء الضحايا، فليس من المحتمل أن يكون بناؤها قد تم في نفس الشهر الذي يتم فيه قتلهم، والأرجح في تلك الحالة أن يكون قد شرع في بنائها بعد انتهاء عهد الحاكم، قاتلهم لا أثناء حكمه، أي بعد سنة ٤١١ هـ / (١٠٢١ م).

طرفاه إلى قمة جدار الطابق الأول. ويمتطى أركان جدران هذا الطابق فى داخل البناء، أى فى كل ركن من أركان الطابق الثانى، مقرنص معقود بعقد شبيه بالنوافذ، ويبلغ ارتفاعه مثل ارتفاعها. وعلى رؤوس هذه المقرنصات الأربعة والنوافذ الأربع أقيم الطابق الثالث، وهو مئمن الأضلاع، ومبنى كذلك من الآجر، تتراجع جدرانه الأربعة القائمة فى واجهات البناء عن جدران الطابق الثانى، مثل تراجع هذه عن جدران الطابق الأول. وهو أقل هذه الطوابق ارتفاعا. وقد فتحت فى منتصف كل ضلع من أضلاعه الثمانية نافذة شبيهة بنوافذ الطابق الثانى، ولكنها أصغر حجماً وأقل ارتفاعاً. وكان يعلو هذا الطابق قبة كروية. ويستدل على ذلك من وجود المقرنصات فى أركان الطابق الثانى^(١).

يحوم الشك حول تاريخ هذه الآثار وإذا كنت قد وضعتها فى مقدمة هذا القسم، فذلك لأن المشتغلين بالآثار اتفقوا على نسبتها إلى أوائل القرن الخامس (الحادى عشر الميلادى). ولم يعثر على مشاهد أو آثار يمكن نسبتها إلى بقية ذلك القرن. أما القرن السادس فقد تخلفت منه، فيما يبدو، جملة مشاهد جديرة بالعناية والدراسة، سألخص المعروف عنها فيما يلى^(٢).

ذكر ابن دقماق أنه كانت بين القرافة والجبل جملة مشاهد، وأنها كانت قد تهدمت، فأمر المأمون البطائحي بتجديدها فى شهر ربيع الأول سنة ٥١٦ هـ / مايو ١١٢٢، «وأولها مشهد السيدة زينب وآخرها مشهد السيدة أم كلثوم»^(٣). وقد تبقى من هذا المشهد الأخير ثلاثة محاريب فى جدار القبلة يزدان أوسطها بزخارف جصية بديعة ويتوجه نصف قبة مضلعة ترسم تجاويف ضلوعها على التتابع زاوية فنصف دائرة^(٤).

(١) آثار (موتكون) أولاً و (كريسويل) ثانياً، فى المرجعين المشار إليهما فى صفحة سابقة موضوع نشأة المشاهد والأضرحة فى العمارة الإسلامية واتخاذها للقباب عنواناً لها، واشتقاق تخطيطها وأنظمتها من العمارة فى العصور السابقة. وهو موضوع لا تتسع مناقشته فى مثل هذا العرض السريع. أما موضوع المقرنصات التى أقيمت عليها القباب، والتى كانت العنصر الرئيسى لاتخاذها هذا النظام، فسيتناوله البحث فى القسم الرابع من الفصل السابع من هذا الكتاب.

(٢) سنبحث عناصر هذه الآثار، معمارية وزخرفية، فى الفصلين السابع والثامن من هذا الكتاب.

(٣) انظر صفحة ١٢١ من الجزء الرابع من «كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار»، لمؤلفه ابن دقماق (إبراهيم بن محمد أيدمر العلاني الشهير بابن دقماق والمتوفى حوالى سنة ٧٩٧ هـ / ١٣٩٩ م)، طبع الجزء الرابع والخامس بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م.

(٤) انظر (كريسويل)، «العمارة الإسلامية فى مصر»، صفحة ٢٣٩ من الجزء الأول.

يقع بالقرب من المسجد الطولوني بناءان متلاصقان ينسب أحدهما إلى محمد ابن الإمام جعفر الصادق والثاني إلى السيدة عاتكة، عمّة الرسول صلى الله عليه وسلم، واسمهما المتداول هو مشهد الجعفرى وعاتكة^(١).

وقد بنى مشهد الجعفرى أولاً، ثم ألصق به مشهد عاتكة، ويبدو أن تاريخهما متقارب، وتدل عناصرهما المعمارية وبقية من الكتابة الكوفية على أن البناءين قد أقيما فى الربع الأول من القرن السادس (الثانى عشر الميلادى).

وكل منهما مقصور على ضريح محصور فى مربع طول كل ضلع منه أربعة أمتار تقريباً، داخل ضريح الجعفرى، وثلاثة أمتار ونصف داخل ضريح عاتكة، ولكل منهما محراب. وقد بنيت أجزاءهما جميعاً من الآجر الذى كانت تكسوه طبقة من الجص. وترتفع جدران المربعين ثلاثة أمتار ثم يعلو كلا منهما طابق مثنى الأضلاع، ينتصب مقرنص مركب من حطتين فى كل ركن من أركانه، وتنفتح نافذة ثلاثية الفتحات فى وسط كل من جدرانه الأربعة. وارتفاع هذا الطابق ضئيل لا يبلغ مترين. وتعلوه قبة مبنية من الآجر مثل بقية البناء، وهى كروية مسطحة فى مشهد الجعفرى، ومضلعة من ستة عشر ضلعا فى مشهد عاتكة، وضلوعها بارزة خارج البناء، مقورة فى داخله. وقد تخلفت من محراب مشهد عاتكة زخارف جصية، لها أهمية مثل أهمية القبة والنوافذ والمقرنصات، مما سأشير إليه فيما بعد.

ويقع خارج بوابة النصر، وعلى بعد ٣٥٠ متراً شمالاً منها، ضريح صغير معروف بقبة الشيخ يونس. وادعى بعض الكتاب أن هذا الضريح هو الذى قصده المقرئى بقوله «حدث فيما خرج من باب النصر تربة أمير الجيوش بدر الجمالى»^(٢). وهو ضريح صغير كذلك قائم على مربع طول كل ضلع من أضلاعه الداخلية أربعة أمتار ونصف المتر، وجدرانه سميكه يزيد عرضها عن المتر، وبنائوه من الآجر المكسو بالجص، وفيه محراب مجوف بقيت من زخارفه كتابة كوفية، فى إطار ممتد على جانبى المحراب ومحيط بعقده المنفرج.

وترتفع جدران هذا المربع أربعة أمتار ثم يعلوها طابق ثان مثنى متراجع ارتفاعه يزيد قليلاً عن ثلاثة أمتار. واحتل مقرنص مركب من حطتين كل ركن من أركانه الأربعة، وحدوده ترسم صورة عقد ثلاثى الفتحات. وفتحت فوق المقرنص نافذة على هيئة مشكاة، وكذلك فتح فى

(١) انظر شرحه، صفحات ٢٢٨ إلى ٢٣١.

(٢) انظر صفحة ٣٦٤ من الجزء الأول من «الخطط»، وانظر صفحة ٢٣٤ من الجزء الأول من كتاب (كريسويل)، «العمارة الإسلامية فى مصر».

منتصف كل من الأضلاع الأربعة الأخرى من المثلثين نافذتان، واحدة فى مستوى المقرنصات، وعلى هيئتها من عقد ثلاثى الفتحات، والثانية تعلوها، فى مستوى نوافذ الأركان وعلى هيئتها كذلك، أى فى شكل مشكاة. وتعلو القبة هذا الطابق، وهى كروية مدببة مسطحة من الداخل والخارج، ترتفع ثلاثة أمتار ونصف المتر فوق نهاية الطابق الثانى، وهى مبنية مثل بقية المشهد من الآجر.

ويقع بالقرب من مسجد اللؤلؤة مشهد معروف باسم إخوة يوسف. وفيه لوحة مكتوب عليها بالخط الكوفى «هذا قبر إبراهيم بن اليسع بن العيص من سلالة إبراهيم».

وقد اختلفت آراء الكتاب فى تحديد تاريخ هذا المشهد، إذ بينما يؤرخه (فييت) فى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م، يحدد (كريسويل) تاريخه بعد ذلك بقرن على الأقل ويضعه ضمن آثار الربع الأول من القرن السادس (الثانى عشر الميلادى)^(١).

والمشهد صغير فى حجمه وشبيه إلى حد كبير فى بنائه وتكوينه ونظامه بالمشهد السابق، قبة الشيخ يونس، فيما عدّا عقود نوافذه ومقرنصاته فجميعها مدببة مطولة، غير أن هذا المشهد يمتاز بوجود محاريب ثلاثة فى جدار قبلته، تجمعها وتحيط بها إطارات زخرفية منقوشة بالكتابة الكوفية، كما يحيط إطار كوفى آخر بعقد محرابه الوسط. ويتوج هذه المحاريب الثلاثة عقود متفرجة.

ومن المشاهد المتخلفة من العصر الفاطمى مشهد الحصواتى الذى لا يعرف شىء عن تاريخه. وهو كذلك مشهد صغير مربع القاعدة، مبني من الآجر، يتكون من طوابق ثلاثة، الطابق الأرضى، فطابق المقرنصات فالقبة الكروية، الشبيهة هى ومقرنصاتها بقبة إخوة يوسف، غير أنها لا تحوى طابقاً مئتماً بين المقرنصات والقبة. ويمتاز هذا المشهد بوجود طاقات محارية حول الواجهات الخارجية لطابق المقرنصات، كما يمتاز بمحرابه البديع الذى يتكون من طاقة محارية من ثلاثة حطات، يحيط بها إطار عريض مستطيل، تمتد عليه كتابة كوفية بديعة على أرضية من الزخارف النباتية^(٢).

(١) انظر (كوسب)، «مرجع الكتابات العربية»، الجزء السادس، صفحة ٧٣؛ و (كريسويل)، الجزء الأول، صفحة ٢٣٦، من «العمارة الإسلامية فى مصر».

Combe, Sauvaget et Wiet, Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, 12 vols., Le Caire, 1931 - PP. 950.

(٢) انظر صفتاً ٢٥٩ و ٢٦٠ من كتاب (كريسويل) المشار إليه.

ولعل أكبر هذه المشاهد حجماً، وأكثرها تطوراً هو مشهد يحيى الشبيه الذى لا يعرف تاريخه مثل غيره من المشاهد^(١).. وحدود هذا المشهد الخارجية تمتد من ناحية جدارى القبلة والمؤخر ٢٦ متراً تقريباً ومن ناحيتى الشرق والغرب نصف هذا المقدار، فهو يكون مستطيلاً. وينقسم هذا المستطيل إلى جزئين، الجزء الأول يتوسطه الضريح بقبته، ويتقدمه من ناحية القبلة قاعة ممتدة على هيئة بيت للصلاة من أسكوب واحد، فتحت فيه ثلاثة محاريب. وإلى يمين الضريح ويساره ممر مكشوف يتصل بكل منهما بباب معقود بعقد منفرج، متكئ على عمودين عن اليمين وعلى أربعة أعمدة عن اليسار. وكذلك يتصل الضريح ببيت الصلاة أمام المحراب الوسيط بعقد منفرج متكئ على عمودين من كل جانب.

أما القسم الثانى فيتكون من قاعة مقابلة لبيت الصلاة فى القسم الأول، وصحن يقابل الضريح والممرين الحافين به. وفى هذا الصحن محرابان مجوفان فى الجدار الفاصل بينه وبين القاعة، عن اليمين وعن اليسار. وقد حول هذا الصحن المكشوف فيما بعد إلى بيت للصلاة من ثلاثة أساكيب وثلاث بلاطات.

ويمتاز هذا المشهد بقبته ومحاريبه. أما القبة فهي تشبه إلى حد كبير قبة عاتكة، أى إنها مضلعة مثلها. وتتكون من طابقين، طابق المقرنصات والطابق الكروى، وهما يمتطيان جداراً مربع القاعدة. ومقرنصاتها مركبة كذلك من طابقين فى كل مقرنص أربع طاقات.

ووجه الخلاف فى القبتين ينحصر فى النوافذ الوسطى بين المقرنصات، فإنها فى مشهد يحيى الشبيه، تتكون من ثلاثة عقود منفرجة يمتطى أعلاهما اثنين من تحته. أما المحاريب فهي متوجة برؤوس محارية ومعقودة بعقود مقرنصة من حطتين أو أربع. وسنرى فيما بعد أن هناك كذلك أوجهاً كثيرة للشبه بين قبة هذا المشهد ومحاريبه وبين قبة مسجد السيدة رقية ومحاريبها.

وأخيراً يتبقى من العصر الفاطمى مشهد سيدى معاذ، الذى تظهر فوق بابه لوحة كتبت عليها بالخط الكوفى تاريخ بناء المشهد فى سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م، واسم منشئه الأمير

(١) بداخل الضريح ٥ توابيت، على اثنين منها لوحات جنائزية، كتب على تابوت منها اسم يحيى بن القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب وتاريخ وفاته فى ٢٨ رجب سنة ٢٦٣هـ / أبريل ٨٧٧م، وكتب على التابوت الثانى اسم أخيه عبد الله بن قاسم وتاريخ وفاته فى ١٨ رمضان سنة ٢٦١هـ / يونية ٨٧٥م. وكان يحيى مشهوراً بأنه كان شبيهاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا أصبح معروفاً باسم يحيى الشبيه. ومن الواضح أن بناء المشهد لا يرجع إلى هذا التاريخ، وإنما من الجائز أن يكون هذا البناء قد أنشئ فى منتصف القرن السادس (الثانى عشر الميلادى).

أبو الغضنفر الفائزى الصالحى، ولهذا عرف هذا المشهد باسم منشئه هذا واشتهر به. غير أنه توجد داخل الضريح لوحة أخرى كتبت عليها بالخط النسخى أن قبة سيدى معاذ بنيت فى سنة ٨٦٦هـ / ١٤٦٢م. ولهذا اختلف علماء الآثار فى تحديد تاريخ البناء، فأخذ البعض بالتاريخ الأول^(١)، ولم يأخذ البعض بهذا التاريخ للبناء كله، بل بجزء منه هو مؤذنته^(٢). والواقع أن عناصر البناء كله توافق تاريخ إنشائه، وأن النص الذى يشير إلى بناء القبة فى سنة ٨٦٦هـ، إنما يقصد به ترميمها وتجديدها، مما يظهر بوضوح فى بنائها.

وأهمية هذا المشهد الصغير تتركز فى قبته ومؤذنته معا. أما القبة فهى تمثل نهاية التطور للقباب فى العصر الفاطمى، وأما المؤذنة فهى تشبه مؤذنة مسجد الجيوشى. وسأشير فيما بعد إلى هذين الجزئين الهامين من مشهد سيدى معاذ.

لم ترع العصور التالية آثار الفاطميين، وانتهبت خزائنهم، وهدمت قصورهم، وتركت معظم مساجدهم ومشاهدهم عرضة لعاديات الزمان والإنسان، ولم يتبق من هذه الآثار إلا نماذج قليلة مما كانت تزدهو به القاهرة فى القرنين الأولين من حياتها.

وكان الفضل فى الاحتفاظ بأسوارها يرجع إلى أنها استخدمت فيما بعد لحماية العاصمة وحكامها. وكما كان الفضل فى احتفاظ القاهرة بالمساجد التى سيتناولها البحث فى الفصول التالية يرجع إلى أنها كانت مساجد جامعة، أو أنها اتخذت فيما بعد لهذا الغرض^(٣).



(١) انظر (هوتكور) فى «مساجد القاهرة»، الجزء الأول صفحات ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٥١ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٨٦.

(٢) انظر (كريويل) فى «العمارة الإسلامية فى مصر»، الجزء الأول، صفحة ٢٧٤.

(٣) فيما عدا مسجد السيدة رقية الذى يرجع الفضل فى بقائه إلى شهرة هذه السيدة والاعتقاد فى بركتها.

الفصل الثالث

مسجد الأزهر الجامع

- ١- تاريخ مسجد الأزهر.
- ٢- تخطيط المسجد الفاطمي.
- ٣- عناصر المسجد الفاطمي المعمارية.
- ٤- العناصر الزخرفية العتيقة.

الفصل الثالث

مسجد الأزهر الجامع



تاريخ مسجد الأزهر^(١)

بدئ العمل فى المسجد الجامع الأزهر يوم السبت ٢٤ جمادى الأولى من سنة ٣٥٩هـ / ٤ أبريل ٩٧٠م وتم البناء فى شهر رمضان من سنة ٣٦١هـ، وأقيمت به أول صلاة للجمعة فى اليوم السابع من ذلك الشهر ٢٢ يونية ٩٧٢م. وكان بالمسجد نقش من الخط الكوفى «بدائرة القبة التى فى الرواق الأول، وهى على يمنة المحراب والمنبر، ما نصه بعد البسطة: معا أمر بينائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه (الطاهرين) وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلاثمائة»^(٢). وكان هذا المسجد عظيم الشأن منذ إنشائه، وارتبط تاريخه بتاريخ القاهرة، ولم تزل العناية به وبعمارته مستمرة حتى وقتنا هذا.

لم تمض أربع سنوات على إنشاء المسجد الأزهر حتى أمر الخليفة العزيز بالله بن المعز لدين الله بإصلاح ما كان من عمارته يتطلب الإصلاح والتجديد. ثم جدد الخليفة الحاكم بأمر الله مؤذنته، فى سنة أربعمائة / ١٠٠٩م، أو حوالى تلك السنة. وتخلف من ذلك العهد باب خشبى من مصراعين محفوظ بالمتحف الإسلامى، نقشت عليهما كتابة كوفية على كل مصراع سطران منها، ونصها «مولانا أمير المؤمنين، الإمام الحاكم بأمر

(١) نخص (على) مبارك تاريخ المسجد الأزهر فى صفحات ١٠ إلى ٣٦ وما بعدها من الجزء الرابع من كتاب «الخطط التوفيقية»، وذلك نقلاً عن المقرئى وأبى المحاسن والسيوطى وابن إياس والجبرتى. كما ذكر أطرافاً من هذا التاريخ فى فقرات متفرقة من أجزاء كتابه الأخرى.

(٢) انظر المقرئى، «الخطط»، جزء ثان، صفحة ٢٧٣، وصفحة ٩٥ من الجزء الخامس من «مرجع الكتابات العربية» لمؤلفيه (كوب) و (سوقاجيه) و (فييت).

الله، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه». وكذلك جدد المستنصر بالله المسجد أثناء خلافته ٤٢٧هـ إلى ٤٨٧هـ / ١٠٣٦م إلى ١٠٩٤م، وذلك في سنة لم يحددها المؤرخون. وأغلب الظن أن عمارة المسجد وزخرفته ظلت حتى ذلك التاريخ محتفظة بحال إنشائها، لم يطرأ عليها تغيير بالإضافة أو الهدم، وأن الأعمال التي أجريت في المسجد، طيلة المائتي سنة الأولى من حياته، اقتصرَت على تدعيم مبانيه وترميمها وتجديد زخارفها.

وقد أسفرت بحوث علماء الآثار عن التأكد من أن الخليفة الحافظ لدين الله أجرى في المسجد أعمالاً هامة أضافت إليه عناصر جديدة في التخطيط والعمارة والزخرفة. كما أن المقرئ ذكر أن هذا الخليفة، الذي ولي الخلافة، في المدة من سنة ٥٢٦هـ إلى سنة ٥٤٤هـ / ١١٣١م - ١١٤٩م، «أنشأ فيه مقصورة لطيفة بجوار الباب الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات»^(١). وكان الأمر بأحكام الله قد أضاف إلى المسجد محراباً خشبياً ترك عليه نقشاً بالخط الكوفي، سجل عليه تاريخه، سنة ٥١٩هـ / ١١٢٤م^(٢)، وهذا المحراب محفوظ بالمتحف الإسلامي.

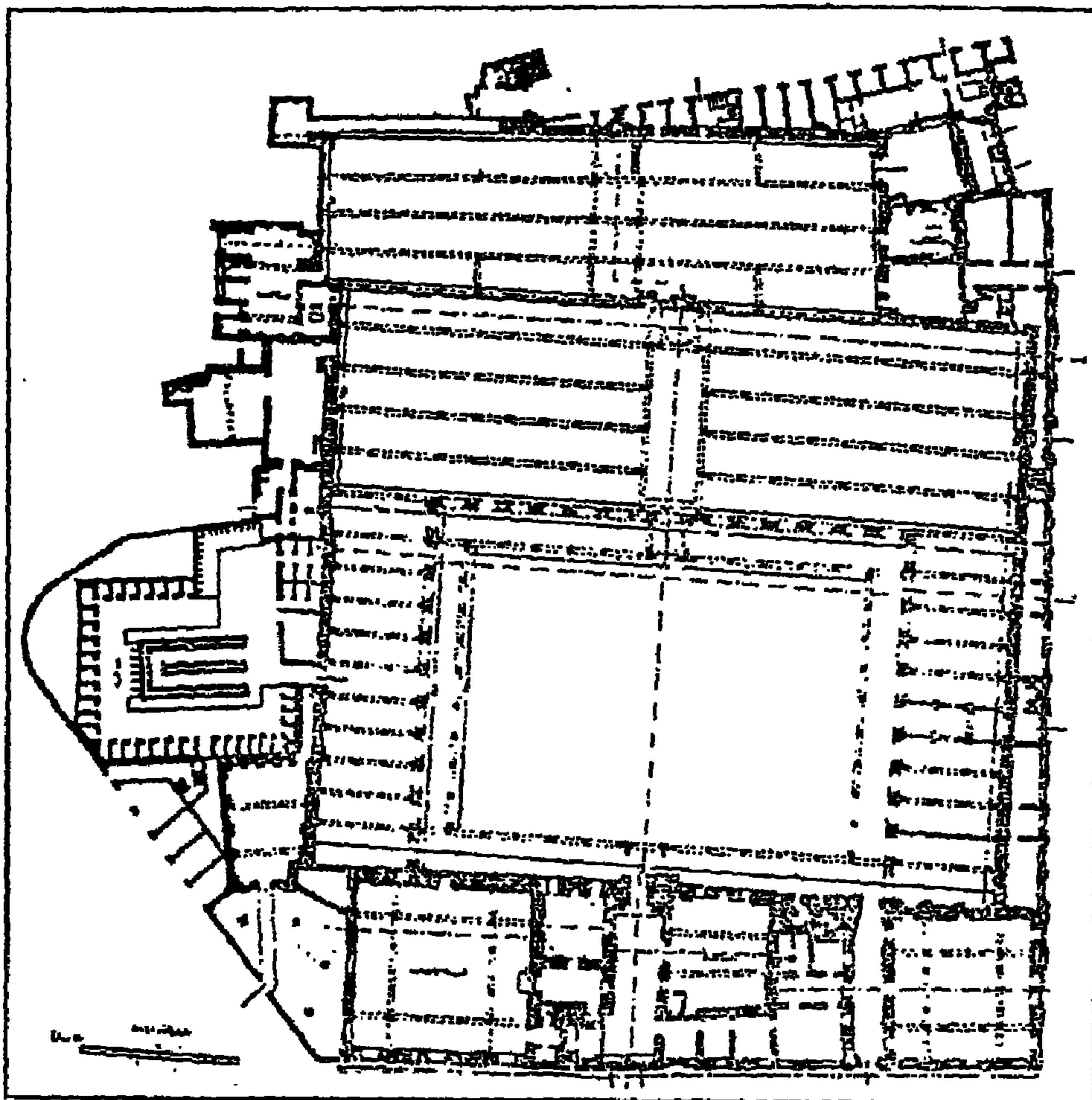
ثم مرت بالأزهر بعد ذلك فترة انطوت فيها ذكراه. ذلك أن السلطان صلاح الدين الأيوبي أمر بأن تبطل فيه صلاة الجمعة، اكتفاء بإقامتها في «الجامع الحاكمي»^(٣)، واستمر الأزهر في ظل النسيان منذ سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م، وحتى سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م. وكان السلطان الظاهر بيبرس قد تولى الحكم، فعاون على تجديد المسجد، وشرع في عمارته، فعمر الواهى من أركانه، وبيضه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه..

(١) انظر المقرئ، «الخطط»، جزء ثان، صفحة ٢٧٥. وهو باب كان مفتوحاً في الجدار الغربي لبيت الصلاة. تراجع الآراء الخاصة بتعريف اتجاهات جدران المساجد وواجهاتها في الحاشية رقم ٤ من كتاب المؤلف «مساجد القاهرة ومدارسها - المدخل».

(٢) جاء في الكتابة الكوفية التي على هذا المحراب، بعد البسلة وآيتين من القرآن الكريم، النص التالي: «ما أمر بعمل هذا المحراب المبارك (صحه المبارك) برسم الجامع الأزهر الشريف بالعزية القاهرة مولانا وسيدنا المنصور أبى (صحته أبى) على الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ابن الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين وعلى آبائهم الأئمة الطاهرين بنى الهداة الراشدين وسلم تسليمًا إلى يوم الدين في شهر سنة تسع عشرة وخمس مائة الحمد لله وحده». انظر صفحة ١٤٩ من الجزء الثامن من كتاب (كومب) و (سوفاجيه) و (فييت)، «مرجع الكتابات العربية».

(٣) انظر المقرئ، «الخطط» جزء ثان. صفتا ٢٧٥ و ٢٧٦.

واستجد به مقصورة حسنة، وأعاد إلى الأزهر خطبة الجمعة، وأخذ المسجد منذ ذلك التاريخ «يتزايد أمره حتى صار أرفع الجوامع بالقاهرة قدرا»^(١).



شكل (٣) - رسم تخطيطي لمسجد الأزهر الجامع في منتصف القرن العشرين (عن مصلحة الآثار)

(١) انظر القلقشندي، «صبح الأعشى»، جزء ثالث، صفحة ٣٦٤. وسأشير إلى اتخاذ الأزهر داراً للعلم والتدريس في الفصل الخاص بنشأة المدارس في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

وأصاب المسجد زلزال فى سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م، فى عهد السلطان الناصر محمد ابن قلاوون، فتولى الأمير سار عمارته، وجدد مبانيه وأعاد ما تهدم منها^(١). وذكر المقرئى أن عمارة المسجد جددت بعد ذلك مرتين مرة فى سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م ومرة فى سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م، وأصلحت جدران المسجد وسقفه «حتى عادت كأنها جديدة»^(٢).

وقد أضيفت إلى مباني المسجد وعمارته الفاطمية مدرستان، تقع إحداهما إلى يمين الداخل من الباب الشمالى للأزهر، وهى المدرسة الطيبرسية التى أنشئت فى سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م^(٣)، وتقع الثانية إلى يسار الداخل من هذا الباب، وهى المدرسة الأقبغاوية، وقد أنشئت فى سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م^(٤)، شكل (٣).

وهدمت مئذنة الأزهر فى سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م. «وكانت قصيرة، وعمرت أطول منها»^(٥)، فكان المئذنة الجديدة بنيت على أساس المئذنة القديمة، ولكنها مالبثت أن هدمت هى الأخرى بعد ذلك بسبع عشرة سنة، وأقيمت بدلاً منها مئذنة جديدة بنيت من الحجارة، «على باب الجامع البحرى بعد ما هدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر، وركبت المنارة فوق عقده»^(٦)، ولكنها مالبثت أن هدمت كذلك، فأعيد بناؤها فى سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٠م^(٧).

وأضيفت إلى عمارة الأزهر كذلك مدرسة ثالثة هى المدرسة الجوهريّة، وهى التى أنشأها الأمير جوهرة القنقباى قبيل وفاته فى سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م^(٨). وأقام السلطان قايتباى فى سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م مئذنة ثانية للمسجد، بجوار الباب البحرى أى الباب الشمالى، الذى أمر كذلك بتجديده^(٩). ويبدو أن اهتمام السلطان قايتباى بالأزهر كان متصلاً، فقد ذكر

(١) انظر المقرئى، «الخطوط»، جزء ثان، صفحة ٢٧٦.

(٢) شرحه.

(٣) شرحه، صفحة ٢٨٣.

(٤) انظر شرح صفحة ٢٨٤. وقد هدمت هذه المدرسة وأعيد بناؤها فى نهاية القرن التاسع عشر.

(٥) شرحه، صفحة ٢٧٦.

(٦) شرحه.

(٧) شرحه.

(٨) انظر (على) مبارك، «الخطط التوفيقية»، جزء ثان، صفحة ٩١، وجزء رابع وصفحتا ١٩ و ٢٠.

(٩) صفحة ٤٤ من الجزء الأول من كتاب (برشم)، «موسوعة النقوش العربية».

المؤرخون أنه أمر بإجراء أعمال تجديد وإصلاح فيه فى سنتى ٨٨١هـ و ٩٠٠هـ / ١٤٧٧م و ١٤٩٤م^(١). وأنشأ السلطان قانصوه الغورى مئذنته المشهورة باسمه والتي يتوجها طابق من قبة مزدوجة، ولم تحدد سنة بناء هذه المئذنة. ولكن حكم السلطان الغورى امتد من سنة ٩٠٦هـ إلى سنة ٩٢٢هـ / ١٥٠١م - ١٥١٧م^(٢).

وقد عُمر المسجد وجرّد بعد ذلك مرات، مرة فى سنة ١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م، ومرة فى سنة ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م ومرة ثالثة قبيل سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٤م^(٣).

ولعل أهم عمارة أجريت بالمسجد الجامع الأزهر منذ إنشائه هى تلك التى أجراها الأمير عبد الرحمن كتحدا فى سنة ١١٦٧هـ / ١٧٥٣م، والتى أضافت أقساما هامة إلى بنيانه وتخطيطه. إذ إن هذا الأمير أمر بهدم جدار القبلة، فيما عدّا المحراب، وجزء من الجدار على يسرته، وأضاف إلى بيت الصلاة من تلك الجهة المهذومة، بيتاً آخر متصلاً بالبيت الأول ويشمل أربعة أساكيب تنقسم إلى أربع عشرة بلاطة، شكل (٣). وبني جداراً آخر للقبلة يتوسطه محراب تعلوه قبة، وتبلغ مساحة بيت الصلاة الجديد نصف مساحة البيت القديم، وهو «يشتمل على خمسين عموداً من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقصورة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت»^(٤). وكذلك أنشأ الأمير كتحدا لبيت الصلاة الجديد من ناحيته الغربية «باباً عظيماً من جهة حارة كتامة، وبني بأعلاه مكتبا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن، وجعل بداخله رحبة متسعة وصهريجاً عظيماً وسقاية لشرب العطاشى المارين، وعمل لنفسه مدفناً بتلك الرحبة، وجعل عليه قبة معقودة وتركيبية من رخام بديعة الصنعة، وجعل بها أيضاً رواقاً مخصوصاً بمجاورى الصعايدة المنقطعين لطلب العلم.. وبه مرافق ومنافع ومطابخ ومخادع وخزائن كتب، وبني بجانب ذلك الباب منارة، وأنشأ باباً آخر جهة مطبخ الجامع، وجعل عليه منارة أيضاً»^(٥).

(١) انظر صفحتا ١٦٩ و ٢٨٥ من الجزء الثانى من كتاب «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» لمؤلفه ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى المتوفى سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٢م، ثلاثة أجزاء، مطبعة بولاق، القاهرة سنة ١٣١١هـ / ١٨٨٩م).

(٢) انظر شرحه، جزء ثالث، صفحة ٦٢؛ و (على مبارك، «الخطط التوفيقية»، جزء رابع، صفحة ١٢).

(٣) انظر (على مبارك، «الخطط التوفيقية»، جزء رابع، صفحة ١٢، عن ابن إياس، «بدائع الزهور».

(٤) انظر المرجع السابق صفحة ١٣، نقلاً عن صفحة ٥ من الجزء الثانى من كتاب «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» لمؤلفه الشيخ عبد الرحمن بن حسين الجبرتى المتوفى سنة ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م، والمعروف بـ (الجبرتى)، أربعة أجزاء، مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٧٥م.

(٥) انظر المرجع السابق، صفحة ١٣.

ولم تقتصر أعمال كتحدا على هذه الإضافات العديدة التي جعلت من الأزهر مسجدين، بل إنه أنشأ باباً كبيراً جديداً، فى الجهة الشمالية من المسجد، مقابلاً للباب العتيق، «وهذا الباب الكبير عبارة عن بابين عظيمين، كل باب بمصراعين وجعل على يمينهما منارة، وجعل فوقه مكتبا أيضاً»^(١)، وهذا هو الباب الرئيسى للمسجد، المسمى باب المزينين. والظاهر أن كتحدا جدد بناء المدرستين الطيبرسية والأقبغاوية، كما جدد أروقة الصحن، إذ إن الجبرتي يضيف إلى ما ذكره عن الباب الكبير، أن هذا الباب جاء «وما بداخله من الطيبرسية والأقبغاوية والأروقة، من أحسن المبانى فى العظم والوجاهة والفخامة»^(٢).

وهكذا أضاف الأمير كتحدا فيما أضاف إلى المسجد الجامع الأزهر ثلاث مآذن، فأصبح به ست مآذن. وكانت به من قبل ثلاث، واحدة أقامها الأمير علاء الدين أقبغا، فى عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، والثانية أقيمت فى عهد السلطان الأشرف قايتباى، والثالثة ترجع إلى عهد السلطان قانصوه الغورى. وقد هدمت مصلحة الآثار إحدى المآذن التى أقامها كتحدا، وهى المئذنة التى كانت عن يمين البابين الكبيرين، باب المزينين، وذلك إرضاء لرغبة الخديوى عباس فى بناء الرواق العباسى^(٣). وقد تبقى اليوم من هذه المآذن كلها أربع، مئذنتا قايتباى والغورى ومئذنتا كتحدا على بابى الشربة والصعايدة.

وأقيم رواق الشرقاوية، شمالى المدرسة الجوهريّة، وملاصقاً لها، وتم بناؤه فى عهد الأمير إبراهيم بك، فيما بين سنتى ١١٩٢هـ و ١٢١٣هـ / ١٧٧٨م - ١٧٩٨م، وكان ذلك تحقيقاً لرغبة الشيخ الشرقاوى^(٤).

وبعد ذلك بسنوات قليلة، فى سنة ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م، أضيف إلى الأزهر رواق السنارية، شمالى رواق الشرقاوية. ثم أصاب الجامع الأزهر زلزال خفيف فى سنة ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م، سقطت على إثره شرفة منه^(٥).

(١) شرحه.

(٢) شرحه.

(٣) انظر صفحات ٤٧ و ٤٨ و ١٣٠ و ١٣١ من سنة ١٨٩٤م من «محاضر لجنة حفظ الآثار العربية» التى ظهر منها ٤١ جزءاً من سنة ١٨٨٢م إلى سنة ١٩٦٣م، بعضها باللغة العربية ومعظمها باللغة الفرنسية. كما ظهر منها فهرس عام باللغة الفرنسية للأعداد الـ ٢٧ الأولى من سنة ١٨٨٢م إلى سنة ١٩١٠م.

(٤) انظر الجبرتي، «عجائب الآثار»، جزء رابع، صفحة ١٦١.

(٥) انظر شرحه - صفحة ٢١١.

ورغب ولاية مصر من أسرة محمد على أن يجددوا مباني الأزهر، ولكنهم لم يحترموا أثناء أعمال التجديد معالمه القديمة، فطمسوا معظمها^(١). وجددت أجزاء هامة من بيت الصلاة العتيق في سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م، في عهد توفيق، وخاصة النصف الشرقي منه، كما جدد جميع بيت الصلاة الذي أنشأه الأمير كتخدا، وجددت كذلك المدرسة الأقبغاوية ورواق السنارية، وأضيفت عمد إلى أروقة المجنبتين الشرقية والغربية، فأصبحت العمدة بها مزدوجة، بعد أن كانت منفردة عند إنشاء المسجد الجامع الأزهر على يدى جوهر الصقلي.

أما الأعمال التى أجرتها مصلحة الآثار، (لجنة حفظ الآثار العربية سابقاً)، منذ سنة ١٨٩١م، لإصلاح المسجد وتدعيم عقود الصحن المختلة، وإرضاء لرغبة الخديوى عباس فى بناء رواق يسمى باسمه، فقد بدأت بتجديد العقود المحيطة بالصحن جميعاً، وهى التى كان الخليفة الحافظ لدين الله قد أنشأها، ومن حسن الحظ أن هذه الأعمال أبقت على القبة التى تتوسط الرواق الجنوبى من الصحن المتصل ببيت الصلاة ولم تغير معالم زخارفها. وشملت هذه الأعمال هدم المباني التى كانت قائمة فى واجهة المسجد الغربية، وفى النصف الغربى من واجهته الشمالية وإقامة واجهتين جديدتين بدلا منهما، تضمنان مباني جديدة، منها الرواق العباسى الذى يقع فى الركن الغربى الشمالى من المسجد.

وهكذا توالى أعمال التجديد، والإصلاح والترميم والإضافة إلى المسجد الجامع الأزهر منذ إتمام بنائه فى العصر الفاطمى، حتى كادت تتوارى مظاهر عمارته الأولى. وسفرى فيما يلى أننا نستطيع، بالرغم من كل تلك الإضافات، تحديد تخطيط المسجد الأول، وإظهار عناصره الفاطمية، معمارية وزخرفية، ورسم صورة واضحة لمعالمه فى العصر الفاطمى.

٢

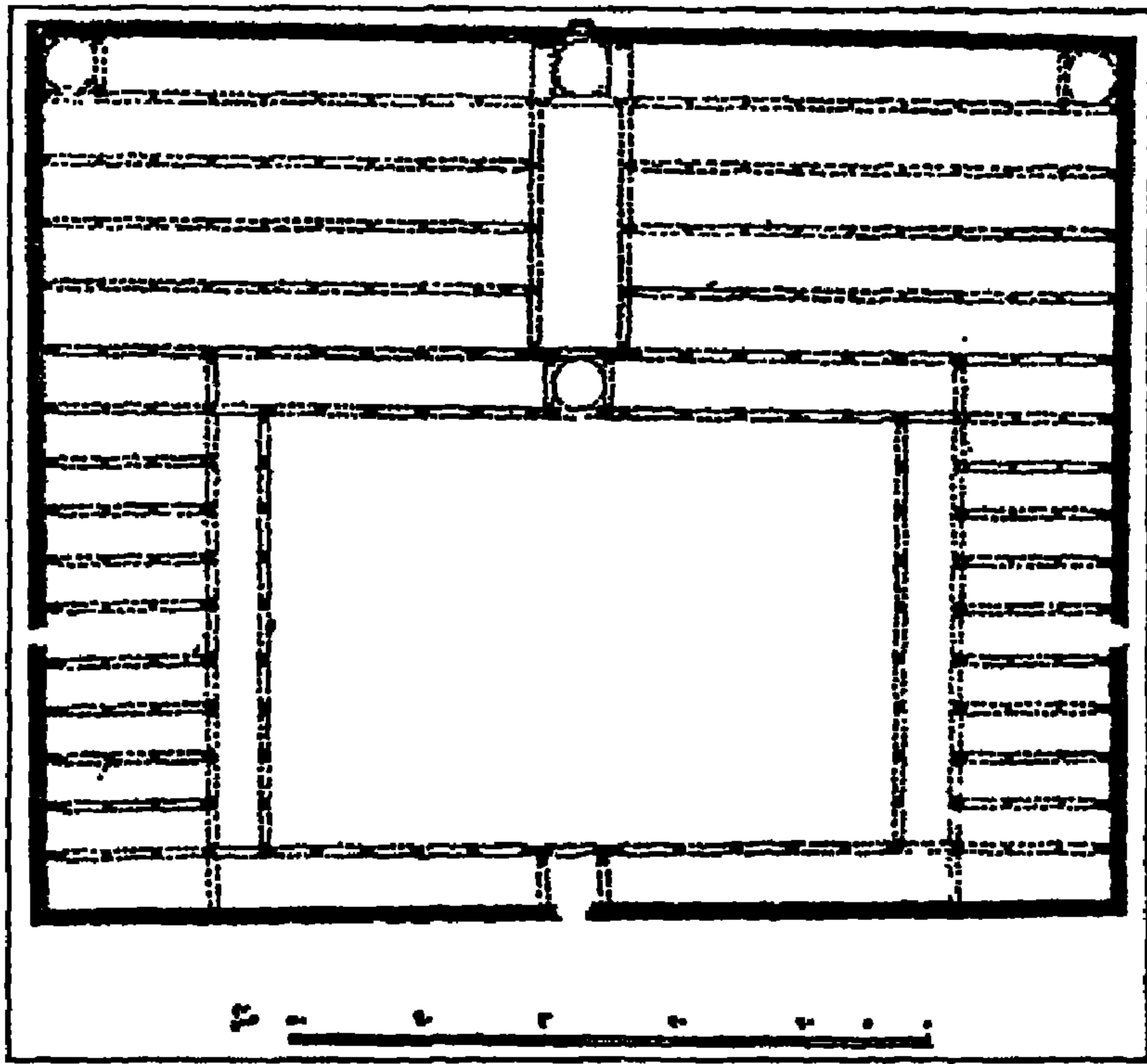
تخطيط المسجد الفاطمى

كان مسجد الأزهر عند إتمام إنشائه فى سنة ٣٦١هـ / ٩٧٢م يحتل مساحة مستطيلة، مقاساتها الخارجية ٨٨ متراً طولاً و ٧٠ متراً عرضاً. وكان بيت الصلاة فيه يمتد ٨٥ متراً فى موازاة جدار القبلة، و ٢٥ متراً من هذا الجدار إلى الصحن^(٢)، شكل (٤). وكان هذا البيت يشمل خمسة أساكيب عرض

(١) وصف بعض الكتاب هذه الأعمال بأنها «مآثر»، وذلك تملقاً للحكام حينذاك.

(٢) هذه المقاسات بالأمتار التقريبية.

كل منها أربعة أمتار وربع ، وكان يعلو أسكوب المحراب ثلاث قباب ، واحدة أمام المحراب ، وواحدة على كل طرف من طرفي الأسكوب^(١) . وتنقسم الأساكيب إلى تسع عشرة بلاطة . وكان بيت الصلاة يطل على الصحن ببائكة من ثلاثة عشر عقدًا . وعرض البلاطات فيما بين الأعمدة أربعة أمتار تقريبًا ، فيما عدا بلاطة المحراب ، فهي أكثر سعة ، ويبلغ عرضها سبعة أمتار . وتقوم على أعمدة بيت الصلاة ، على جوانب الأساكيب ، صفوف من العقود ، موازية لجدار القبلة كما يقوم على أعمدة البلاطة الوسطى صفان من العقود ، يحقان بها ، عموديين على جدار القبلة ، يبدأ كل منهما من جدار القبلة على جانب من جانبي المحراب ، وينتهيان بنهاية البلاطة ، عند حدود الأسكوب الخامس . ولا تخترق صفوف العقود الفاصلة بين الأساكيب بلاطة المحراب ، وإنما تنتهي عند جانبيها ، فيما عدا الصفيين الفاصلين للأسكوبين الأول والخامس ، فهما يمتدان من الجدار الغربي لبيت الصلاة إلى جداره الشرقي .



شكل (٤) - رسم تخطيطي لمسجد الأزهر الجامع في العصر الفاطمي (من رسم المؤلف)

(١) انظر أشار المقرئى إلى هذه القباب فى صفحة ٢٧٤ من الجزء الثانى من «الخطط»، وجاء فى وقفية الخليفة الحاكم بأمر الله على «جامع الأزهر وجامع المنقس والجامع الحاكمى ودار العلم بالقاهرة»، وهى المنشورة فى الصفحة المشار إليها من «خطط المقرئى»، وفى صفحة ١٠ من الجزء الرابع من «الخطط القوفيقية» (لعلى مبارك، أن الخليفة الحاكم أوقف أربعة وعشرين دينارًا لمؤنة النحاس والسلاسل والتنانير والقباب التى فوق سطح «الجامع الأزهر».

وكان صحن المسجد مستطيلاً، طوله الملاصق لبيت الصلاة تسعة وخمسون متراً، وعرضه ثلاثة وأربعون. وكانت تحف به مجنبتان، واحدة في شرقيه، والأخرى في غربيه، وكان بكل منهما ثلاثة أروقة، تطل على الصحن بائكة من كل منها تتكون من أحد عشر عقداً. وكان بكل مجنبه عشرة صفوف من العقود، موازية لصفوف بيت الصلاة، بكل منها ثلاثة عقود تخترق الأروقة. ولم يكن للمسجد أول الأمر مؤخر.

ثم أضاف الحافظ لدين الله إلى الصحن، كما ذكرنا من قبل، رواقاً يدور حوله من جهاته الأربع. وجعل في منتصف الرواق الملاصق لبيت الصلاة مدخلاً لهذا البيت تعلوه قبة، ويحف به محراب عن يمينه وآخر عن يساره، يقع تجويفهما في الجدار الخارجى لهذا المدخل^(١). وجعل الحافظ هذا الرواق يطل على الصحن بعقود قائمة على أعمدة منفردة، وكانت البوائك المطة على الصحن، في عهد جوهر، قائمة على أعمدة مزدوجة. وأغلب الظن أنه كان للمسجد ثلاثة أبواب، واحد في منتصف الجدار الشمالى، مقابلاً للمحراب، وواحد في كل من جداريه الشرقي والغربي.

ولم يكن للمسجد العتيق زيادة، أو على الأصح، لم يشر أحد من المؤرخين القدامى إلى مثل هذه الزيادة، ولم يستدل على أثر لها بالمسجد، بخلاف ما تخيله أحد الكتاب^(٢).

ويمتاز تخطيط المسجد الفاطمى بوضوح أساكيبه وخاصة بسعة بلاطة المحراب فيه وإقامة ثلاث قباب على أسكوب المحراب، وقبة رابعة على نهاية بلاطته، هي قبة البهو. كما يمتاز هذا التخطيط بامتداد عقود الأروقة جميعاً موازية لعقود الأساكيب، وهي عناصر يظهر بعضها لأول مرة في تخطيط المساجد بمصر. وسنوضحها ونشير إلى غيرها من العناصر التى يمتاز بها تخطيط المسجد الفاطمى، فى الفصل الخامس من هذا الكتاب، ونحاول أن نبحث عن مصادرها وأحكامها.

(١) يعتقد المؤلف أن تجويف هذين المحرابين قد تم فى عهد الحافظ، نظراً لفتحات عقديهما المنفرجين، وكان البعض يظن أن بوائك الصحن وقبته أصيلة فى المسجد من عهد جوهر، وظن البعض الآخر مثل (هوتكور) أنها من عهد العزيز بالله بن المعز، ولكن المؤلف مقتنع بالرأى الذى أبداه (فلورى) فى سنة ١٩١٢م والذى أوضح فيه أن زخارف قبة البهو فى المسجد الأزهر ونقوشها الخطية الكوفية تنتمى إلى بداية القرن السادس الهجرى، أى إلى العهد الذى أجرى فيه الخليفة الحافظ لدين الله إصلاحات وتجديدات بالمسجد. انظر صفحة ٢١٨ من الجزء الأول من كتاب «مساجد القاهرة»، لمؤلفيه (فييت) و (هوتكور) : وانظر صفحة ٤١ من كتاب «زخارف مسجدى الحاكم والأزهر»، لمؤلفه (فلورى).

Flury (Samuel): *Die Ornamente des Hakim und Azhar Moschee*, Heidelberg, 1912.

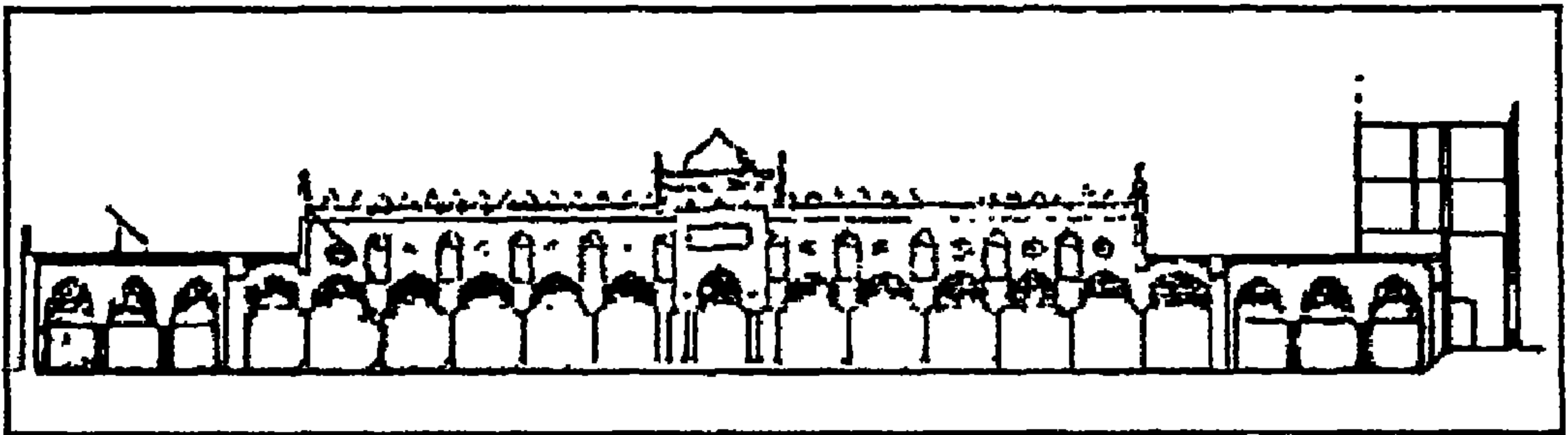
(٢) انظر صفحة ٦٠ من الجزء الأول من كتاب (كريسويل)، «العمارة الإسلامية فى مصر».

عناصر المسجد الفاطمي المعمارية

يحتفظ الأزهر بأجزاء هامة من عناصره المعمارية الأصلية، بالرغم من أعمال التجديد والإضافات والتعمير وإعادة البناء التي أجريت فيه منذ إنشائه، والتي أضفت عليه طابعاً مجدياً.

وقد بنيت جدران المسجد الفاطمي الأول من الآجر، وكذلك بنيت عقود وقبابه ودعاماته. والمعروف أن عمده جميعاً وتيجانها، على عادة البناء في المساجد الأولى، جلبت من آثار قديمة سابقة، وأنه ليس لبنائيه الأوائل فضل في صياغتها، واقتصر فضلهم على تنسيق هذه الأعمدة القصيرة فوق الأسس، وإعدادها لحمل العقود، ورفعها إلى أقصى علو استطاعت أن تحتمله.

وقد تبقت من المسجد الفاطمي بضعة عقود ودعامات أمكن الاستدلال منها على أشكالها ونظم تكوينها. وإذا كانت قباب أسكوب المحراب الثلاث قد اندثرت، وأقيمت قبة جديدة عوضاً عن قبة المحراب العتيقة، فإنه قد تبقت قبة البهو، التي أقيمت في عهد الحافظ لدين الله، وهي عنصر هام من عناصر عمارة المسجد.



(شكل ٥) - قطاع رأسى لمسجد الأزهر عند حدود واجهة المقدم على الصحن. (عن مصلحة الآثار)

والعقد هو أول هذه العناصر شيوعاً وأهمية. وعقود المسجد فى بيت الصلاة وفى أروقة المجنبتات صفت فى اتجاه مواز لجدار القبلة، لوحة رقم (١٠)، فيما عدداً أربعة صفوف، منها صفان يحقان ببلاطة المحراب، والصفان الآخران كانا يطلان على الصحن من مجنبتيه الشرقية والغربية. وكانت هذه العقود جميعاً، فيما عدداً الصفوف التى كانت تحف بجانبى الصحن، ترتكز على أعمدة منفردة. وكانت صفوفها فى بيت الصلاة تبدأ، كما تنتهى، مرتكزة على عمود منفرد، ملتصق من جهة بجدار المسجد، فى شرقيه أو غربيه، ومن جهة أخرى على عمود مجاور لأحد الأعمدة التى ترتكز عليها عقود بلاطة المحراب، شكل (٥)، ولوحة رقم (١١). وكذلك كانت صفوف عقود المجنبتات، ترتكز من ناحية على عمود ملتصق بالجدار، ومن ناحية أخرى على عمودين مزدوجين من أعمدة بائكتى الصحن.

هذا من حيث اتجاه العقود، أما من حيث نظام بنائها، فأول ما كان يسترعى النظر فيها أن أطرافها لم تكن ترتكز مباشرة على تيجان الأعمدة، بل كانت ترتكز على مجموعة تعلو هذه التيجان. وكانت تتكون هذه المجموعة، لوحة رقم (١٢)، من جدارة تعلوها طنفة وتدونها قرمة^(١). والحدارة مكعب من البناء، ارتفاعها نصف متر تقريباً، أى إن منبت العقود يرتفع عن أرضية المسجد بما يقرب من أربعة أمتار، وتصل رؤوسها إلى ما يزيد عن ستة أمتار، وهو ضعف ارتفاع الأعمدة تقريباً. ويبلغ ارتفاع الجدار فوق رؤوس العقود ثلاثة أرباع متر، وتمتد سقف المسجد على ارتفاع سبعة أمتار تقريباً من أرضية المسجد. وقد رفعت سقف بلاطة المحراب، فى تاريخ لاحق، فوق هذا المستوى، متراً ونصف المتر تقريباً.

وقد توصل البناء إلى رفع سقف المسجد إلى علو يزيد عن ضعف ارتفاع الأعمدة مع تيجانها وقواعدها، وذلك بإضافة هذه الحدارات من جهة، ومن جهة أخرى باتخاذ العقود المدببة، ذات المركزين، وهى عقود يظهر الدبب فيها أكثر وضوحاً منه فى عقود المسجد الطولونى. وتصل أوتار خشبية بين أطراف العقود وتربطها عند مستوى الحدارات.

أما العقود التى تحف ببلاطة المحراب، فقد اتسعت فتحاتها، لأن عرض الأساكيب التى تمتطيها هذه العقود أكثر اتساعاً من عرض البلاطات التى تمتطيها بقية عقود بيت الصلاة. ولهذا بدت عقود بلاطة المحراب هذه عريضة الأكتاف وبدت فتحاتها شبه منفرجة، لوحة

(١) يسمى بعض الكتاب القرمة «طبلية»، وخاصة إذا كانت مصنوعة من الخشب. وقد اختلفت معالم هذه الحدارات تحت اليباض الجصى الذى صاحب تجديد المسجد. وتبقى البعض منها فى الجزء الغربى من بيت الصلاة، إلى يمين المتجه إلى المحراب.

رقم (١١). وقد كسيت مسطحات عقود بلاطة المحراب بزخارف جصية، وامتدت حول فتحات العقود إطارات منقوشة بالخط الكوفى. وكذلك كانت الأجزاء العليا الداخلية من الجدران المحيطة ببيت الصلاة من جهاته الأربع مكسوة بلوحات ونقوش زخرفية. وفتحت فى أعلى جدار القبلة نوافذ مكسوة بستائر جصية مشبكة، يحيط بها إزار نقشت عليه بالخط الكوفى آيات قرآنية، لوحة رقم (١٣ ب).

ويلاحظ أن عقود هذه النوافذ، لوحة رقم (١٣)، قد شكلت من أنصاف دوائر، على خلاف العقود البنائية فى بقية أجزاء المسجد، وهى كما رأينا عقوداً مدببة.

أما واجهة بيت الصلاة على الصحن فقد رأينا أنها جددت. جميعاً فى مستهل القرن العشرين. ولكنه يستدل من الرسوم المحفوظة بمصلحة الآثار أن الواجهة القديمة لم تكن تختلف نظاماً عن الواجهة المجددة، لوحة رقم (١٥)، وكذلك كانت الواجهة المقابلة لها المطلة على الصحن من مؤخر المسجد، لوحة رقم (١٦). وقد أقيمت عقود واجهات الصحن، على كل حال، على غير نظام عقود بيت الصلاة وأروقة المجنبتات، فهى لا ترتقى على حدارات، ولكنها كانت ترتقى على طبال، أو قرم خشبية، أقيمت فوق تيجان الأعمدة. ثم إن ديبها وحدها ازدادا وضوحاً، وانبطحت أكتافها، واتخذت أطرافها شكل الخطوط المستقيمة، فلم تعد أطرافاً مقوسة، وهذه هى العقود المنفرجة التى سميت خطأ، كما سنرى، بالعقود الفارسية، شكل (٥). ولكن فتحات هذه العقود لا تختلف كثيراً عن فتحات عقود بيت الصلاة من حيث محيطها وارتفاعها. وقد زينت الجدران التى تعلو بوائك الصحن فيما بين أكتاف العقود، بطاقات صماء على هيئة المحاريب، محاطة كل منها بإزار من الخط الكوفى، ونسقت فوق قمم العقود، وبين هذه المحاريب، سرر وردية ضخمة. وأخيراً امتطت شرفات هرمية واجهتى الصحن، جنوبية وشمالية، من ناحيتى بيت الصلاة والمؤخر.

وبالأزهر محراب من عهد المعز، كان يتوسط جدار القبلة قبل هدمها فى عهد كتحدا سنة ١١٥٣ م، لوحة رقم (١٤). وهو محراب مجوف يتكون من طاقة تتوجها نصف قبة محلاة بالزخارف الجصية، يتصدرها عقد مدبب ديباً خفيفاً تطول أطرافه ويكسو واجهته إزار من كتابة كوفية من آى الذكر الحكيم^(١). ويتقدم هذا العقد ويحيط به عقد ثان أكبر

(١) العقدان المتتابعان فى هذا المحراب مطولان كذلك وكلاهما شبه منقوخ. وقد كانت تكسو رأس هذا المحراب وعقديه كسوة خشبية (تركيبية) رفعت حديثاً عنه ونقلت إلى محراب آخر يقع فى غربى جدار القبلة من بيت الصلاة الذى أضافه كتحدا إلى البيت العتيق. وهكذا ظهرت زخارف محراب المعز بعد أن ظلت مخفية ردها طويلاً من الزمان تحت تلك (التركيبية) الخشبية. وسأتحدث فيما بعد عن زخرفة هذا المحراب..

وأوسع منه، يرتكز طرفاه على عمودين يتصدران المحراب، لكل منهما تاج ناقوسي، ويكسو واجهة هذا العقد كذلك إزار من آيات قرآنية نقشت بالخط الكوفي. أما الزخارف الرخامية التي تكسو طاقة المحراب وجانيبه فقد أضيفت إليه في عصر المماليك.

واحتفظ المسجد الفاطمي بقبة الحافظ التي أقيمت في منتصف الرواق المثل على الصحن من بيت الصلاة. وقاعدة هذه القبة مربعة، طول كل ضلع منها ثلاثة أمتار ونصف، وهي ترتقى على أربعة عقود، ثلاثة منها ترتكز على أعمدة، ويمتد على العقد الرابع الدعامتين اللتين تحفان بمدخل بلاطة المحراب. وإلى جانبي هذا المدخل جوفت الدعامتان على هيئة محرابين أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار، على هيئة المحراب العتيق، ولكنهما خاليان من الزخرف. والعقود الأربعة التي ترتكز عليها القبة عقود منفرجة، لوحة رقم (١٨)، تتكون أطرافها وأكتافها من خطوط مستقيمة، واقتصر التقويس في العقد على المنطقة التي يلتقي الطرف فيها بالكتف في كل من جانبي العقد. وأصبح كتفا العقد خطين مستقيمين يلتقيان في نقطة هي قمة العقد، ويكونان منها زاوية منفرجة. وتربط منبت هذه العقود أوتار خشبية، كما هي الحال في جميع عقود المسجد. ويعلو العقود جزء من جدار يبلغ ارتفاعه متراً، يتكون منه طابق مربع لقاعدة القبة.

وتمتد على أركان هذا الجدار مقرنصات معقودة أربعة، لوحة رقم (١٧)، واحدة في كل ركن، ويبلغ ارتفاع الواحدة منها مترين. وقد طالت أطراف المقرنصات وانبطحت عقودها. وفتحت في وسط كل ضلع من أضلاع الجدار المربع، بين المقرنصات، نافذة مكسوة بستارة جصية مخرمة. وأخيراً ترتقى القبة عقود المقرنصات والنوافذ. وهي قبة كروية صغيرة، لوحة رقم (١٨)، مدببة دبباً خفيفاً، ومبنية من الآجر، مثل بقية عناصر البناء في المسجد. ويبلغ ارتفاع قمة هذه القبة ثلاثة عشر متراً عن سطح الأرض، وستة أمتار عن قاعدة المقرنصات.

هذه هي العناصر المعمارية الهامة في المسجد الأزهر، وسنعود إلى التحدث عنها من حيث خصائصها ومميزاتها وأوجه الاشتقاق والابتكار فيها، ومن حيث أهميتها في تطور العمارة الإسلامية في القاهرة.

٤

العناصر الزخرفية العتيقة

تخلفت أجزاء كثيرة من زخرفة مسجد الأزهر العتيقة. وتدل مظاهر هذه الأجزاء على أن جوهر الصقلي كان قد حرص على أن يكسو جدران بيت الصلاة وعقوده بطبقات ممتدة من الزخارف، محفورة على الجص، بحيث كان هذا البيت يبدو حينذاك كأنه مرتد عباءة ناصعة

البياض، محلاة أطرافها وحوافها بديباج زاهى الألوان، إذ كانت الزخارف تتهادى فوق بساط متنوعة نقوشه وألوانه.

ونلقى الزخارف العتيقة فى خمسة مواضع من مسجد الأزهر: أولاً، فى الأجزاء الغربية من جدار القبلة القديم. وفى الجدار الشرقى وجزء من الجدار الغربى داخل بيت الصلاة. ثانياً. فى الأجزاء القابلة لجدار القبلة. داخل هذا البيت، من عقود الأسكوب الخامس الذى كان يطل على الصحن قبل زيادة الحافظ لدين الله. ثالثاً فى المحراب العتيق. رابعاً فى عقود بلاطة المحراب. وأخيراً فى قبة البهو. أما زخارف واجهات الصحن، فقد أزيلت فى نهاية القرن التاسع عشر وجددت تجديداً أفقدها صفتها العتيقة، فهى ليست فى رأى فاطمية^(١).

وكان القسم العلوى جميعه فى جدار القبلة وفى الجدارين الشرقى والغربى من بيت الصلاة محلى بزخارف جصية، منها لوحات معقودة تحف بالنوافذ التى كانت مفتوحة فى هذه الجدار، وتشبهها حجماً وشكلاً. وكانت النوافذ محشوة بستائر جصية مخرمة، قوام بعضها حلقات هندسية متشابكة، وقوام البعض الآخر أوراق نباتية متجانسة شبيهة بأنصاف المراوح النخيلية. أما تلك اللوحات فكانت صماء، وهى تستمد زخرفتها من سيقان ملتفة متقابلة حول مركز رأسى، وهى حين ترتقى فى التوائها، تخرج منها وريقات مدببة تملأ الدوائر التى تكونت من هذا الالتواء. وكان يدور حول هذه اللوحات وتلك النوافذ إطار متصل ممتد يربط بينهما جميعاً، نقشت عليه كتابة كوفية من آيات القرآن الكريم، مزهرة تزهيلاً مبسطاً. كما ملئت التواشيح والفراغات المستطيلة الكائنة بين اللوحات والنوافذ بزخارف نباتية أخرى. وكان يجرى فوق هذه اللوحات والنوافذ، وتحتها، إزاران مستقيمان محشوان بعناصر زخرفية متنوعة، فيها أشكال فاكهة الكمثرى وأشكال وريقات نباتية أو نخيلية ثلاثية الأطراف. كما كان يمتد تحت هذه المجموعات الزخرفية شريط أفقى نقشت عليه الآيات القرآنية بالخط الكوفى المزهر، شبيها بالإطار الممتد حول اللوحات والنوافذ. ولم يتبق من هذا القسم العلوى من جدار القبلة العتيق غير أجزاء قليلة فى غربيه وفى أعلى الجدار الشرقى وجزء فى الجدار الغربى فى بداية الأسكوب الرابع لوحة رقم (١٣ ب).

(١) أجرى الأستاذ (فلورى) دراسات مستفيضة عن زخارف مسجد الأزهر، وهى أكثر الدراسات الموضوعية أهمية من بين البحوث التى ظهرت حتى اليوم عن هذه الزخارف. انظر كتاب (فلورى)، «زخارف مسجدى الحاكم والأزهر» المشار إليه فى حاشية سابقة، وانظر كذلك بحثه عن «الزخارف الكتابية فى آثار القاهرة الفاطمية».

Flury (Samuel): *Le Décor Epigraphique des monuments Fatimides du Caire*. Syrie, XVII, 1936, pp. 36-76..

وكان القسم العلوى الممتد داخل بيت الصلاة فوق العقود المتطرفة للأسكوب الخامس الذى كان يطل على الصحن قبل زيادة الحافظ محلى بزخارف جصية منسقة فى لوحات صماء تحيط بها إطارات وكذلك كانت العقود وتواشيح أجزاء فى العقود الثلاثة المتطرفة فى كل من بداية هذا الأسكوب الخامس ونهايته، شمالا وجنوبا، لوحة رقم (١٩) كما تبقت زخارف العقد الذى يقع فى نهاية بلاطة المحراب، لوحة رقم (١٣ أ). أما بقية زخارف عقود هذا الأسكوب فهى مجددة. وقد صيغت الزخارف، فى العقود العتيقة، من السيقان النباتية الملتفة، وروعى أن يكون التماثل فيها فى وضع رأسى، وأن تكون الورقات فيها مديبة ذات شحمتين أو ثلاث أو خمس شحمت، وأن تتدلى من بعضها أشكال فواكه مجسمة.

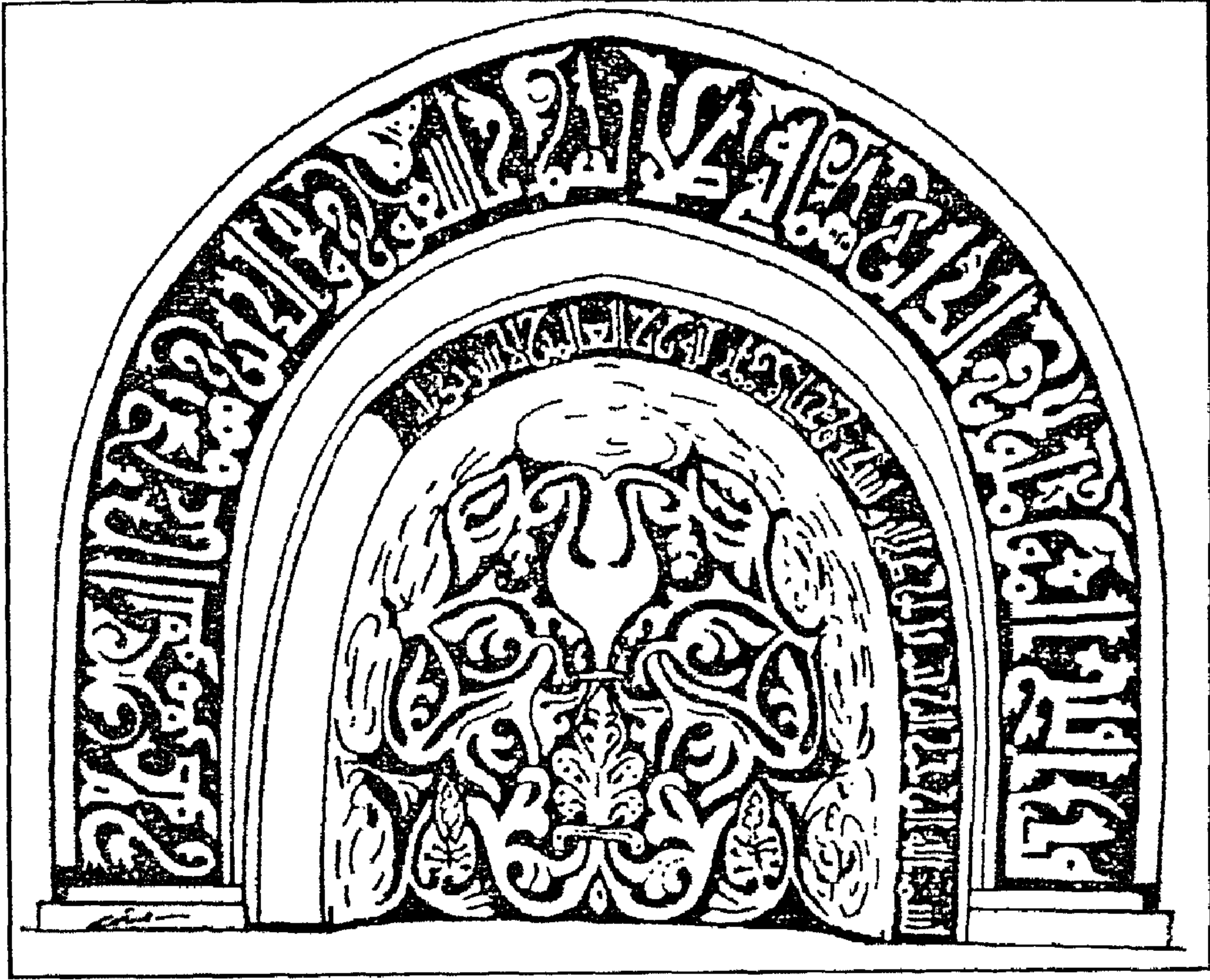
وقد ذكرنا أن المحراب العتيق من المسجد لوحة رقم (١٤)، كان مكسواً جميعه بالزخارف، تاجه، أو رأسه، والعقد المحيط به، والعقد الخارجى، وباطن هذا العقد. أما رأس المحراب فإن تجويفه محشو بالزخارف النباتية المستمدة من نظيرتها فى بقية أجزاء المسجد، وهى الوريقات النباتية المديبة الشبيهة بأنصاف المراوح النخيلية، المتعددة الشحمت، المنبثقة من سيقان متعرجة متقابلة. غير أن المجموعة الإنشائية التى يتكون منها رأس المحراب تتوسطها ورقة نباتية كبرى، على هيئة مروحة نخيلية، أو زهرة الزنبق، تعلوها ورقة كبرى أخرى مقلوبة. على هيئة قنديل أو مشكاة. ويكسو العقد المحيط بهذه المجموعة الإنشائية إطار من الخط الكوفى الزهر البسط: كتب عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

وأما العقد الخارجى للمحراب، فتمتد عليه حلية بديعة من الخط الكوفى الزهر كتب عليها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) ﴿ (٢)

ويلاحظ فى تزهير هذا الخط أن الفرع الممتد من حرف العين فى كلمة «خاشعون» ينبثق فى شكل ورقة نباتية رشيقة، شكل (٦). وغطت باطن العقد نفسه زخارف جصية كذلك، عناصرها نباتية، وتمتاز بسيقانها المزدوجة التى تتعرج فى شكل إطار من ورقتين قائمتين متقابلتين، تتكون كل منهما من ثلاث شحمت، لوحة رقم (١٤) وتملأهما وتحيط بهما وريقات نباتية وعسف نخيلية.

(١) قرآن كريم — سورة ٦ (الأنعام)، الآية ١٦٢ .

(٢) قرآن كريم — سورة ٢٣ (المؤمنون)، الآيات ١ و ٢ و ٣.



شكل (٦) - زخرفة رأس المحراب العتيق في مسجد الأزهر (من رسم المؤلف)

وكانت العقود الممتدة على جانبي بلاطة المحراب، لوحة رقم (٢٠) مكسوة بالزخارف هي وتواشيحها حتى عوارض السقف. وقد اندثر بعض هذه الزخارف، وجدد البعض الآخر، وتبقى معظمها على حاله القديمة. وكان يكسو العقد نفسه إطار نقشت عليه آيات قرآنية بالخط الكوفي المزهر تزهيراً خفيفاً. أما أكتاف العقد وتواشيحه فقد امتلأت بذلك النوع من الزخارف النباتية التي صيغت على هيئة السيقان المتعرجة والتي تنبثق منها وريقات منحنية، منفردة أحياناً، ومزدوجة أحياناً أخرى، متعددة الشحمات، محصورة في الحلقات والدوائر التي رسمتها تعرجات السيقان على هيئة أنصاف المراوح النخيلية. وهذا هو النوع السائد في مسجد الأزهر والذي تمتاز به زخارفه العتيقة.

وتحتفظ قبة البهو بالزخارف البديعة التي نقشت عليها من الداخل عند إنشائها في عهد الحافظ لدين الله، وهي زخارف وصفها أحد الكتاب بأنها «فريدة» في نوعها^(١)، اللوحتان رقما (١٧ و ١٨). وتغطي الزخارف الكتابية على مسطحات هذه القبة الداخلية. ويبدو التزهير في الخط الكوفي أكثر وضوحاً مما كان عليه في زخرفة عقود بلاطة المحراب، ويمتاز بأن الأرضية التي امتدت عليها هذه الخطوط الكوفية انتشرت عليها زخارف نباتية مستقلة، وإن كانت في نواح كثيرة تتصل بزخارف أطراف الحروف اتصالاً يجمع بين النوعين من الزخرف ويبدو نقشه أو أسلوبه طبيعياً. ونلقى الكتابة الكوفية ممتدة على شرائط تحيط بالعقود الرافعة للقبة، وبالمربع القائم تحت قاعدتها فوق هذه العقود، وبالعقود المحيطة بالمقرنصات في أركان القبة، وتلك المحيطة بالنوافذ في منتصف أضلاعها الأربعة، بين المقرنصات. وفوق هذا كله، يجرى إزار آخر مستدير، أو على الأصح مئمن الأضلاع، يحيط بباطن القبة، فوق رؤوس عقود المقرنصات والنوافذ.

أما تواشيح العقود فقد امتلأت بزخارف نباتية من سيقان وأوراق متطورة، تنبثق منها أشكال الفواكه والأزهار. وكانت تتدلى على نوافذ القبة ستائر مخرمة، تبقت منها اثنتان واندثرت الباقيتان، وكانت الزخارف تتكون من مجموعات هندسية. ومن هذه المجموعات الهندسية تبقت زخارف أخرى، فيما بين بعض تواشيح عقود النوافذ والمقرنصات.

وأخيراً يمتد فوق الإزار الكوفي في باطن القبة الكروي، إزار مستدير آخر، يتكون من زخارف من أوراق أزهار ثلاثية الشحمات تنحصر في تشكيلات من السيقان ثلاثية الدوائر، وتمتلى هذا الإزار مجموعات زخرفية غريبة المظهر، تتكون من ستة عقود منفوخة متجاورة، تتوسطها دائرة نجمية. وامتدت على العقود وأطرافها شرائط من الخط الكوفي.



(١) انظر (كريسويل)، «العمارة الإسلامية في مصر» جزء أول، صفحة ٢٥٥.

الفصل الرابع

مسجد الحاكم الجامع

- ١- تاريخ مسجد الحاكم وتخطيطه.
- ٢- عمارة المسجد الفاطمية.
- ٣- زخرفة المسجد العتيقة.

الفصل الرابع

مسجد الحاكم الجامع

١

تاريخ مسجد الحاكم وتخطيطه

رغب الخليفة العزيز بالله بن المعز فى إنشاء مسجد خارج أسوار القاهرة التى أقامها جوهر وملاصقا لها. وبدأ البناء فى هذا المسجد سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م، ولكنه لم يتم فى عهد هذا الخليفة، بالرغم من أنه أدى صلاة الجمعة به فى شهر رمضان من سنة ٣٨١هـ / نوفمبر ٩٩١م. وشرع «ولده، الحاكم بأمر الله» فى سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م فى إتمام البناء، وأكمّله فى سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م ولهذا سُمى هذا المسجد باسمه^(١).

وذكر المقرئى أنه «تم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح، وعلق على ستائر أبوابه ستور ديبقية عملت له، وعلق فيه تنانير فضة عدتها أربع، وكثير من قناديل فضة، وفرش جميعه بالحصر التى عملت له، ونصب فيه المنبر، وتكامل فرشُه وتعليقه... وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة «سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة / ٢١ مارس ١٠١٣م»، وهى أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه^(٢). وبالمسجد نص منقوش بالخط الكوفى فيه «معا أمر بعمله عبد الله و (وليه المنصور) أبو على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله وعلى آبائه المهديين فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة»^(٣).

ولما أقام بدر الجمالى الأسوار الجديدة للقاهرة، فى سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، أصبح مسجد الحاكم داخل تلك الأسوار، والتصق الجدار الشرقى منه بها، فيما بين بابى الفتوح والنصر.

(١) انظر المقرئى، «الخطط»، جزء ثان، من صفحة ٢٢٧ إلى صفحة ٢٨٢.

(٢) انظر شرحه، صفحة ٢٧٧.

(٣) انظر صفحة ٤٥ من الجزء السادس من كتاب (كومب)، «مرجع الكتابات العربية».

والظاهر أن المسجد كان محتفظاً بمظهره القديم، ثابت الأركان والعناصر، فى عهد صلاح الدين الأيوبي، حين أبطل هذا السلطان صلاة الجمعة من مسجد الأزهر، وقصرها داخل حدود القاهرة الفاطمية على مسجد الحاكم. ولم يشر أحد من المؤرخين إلى أعمال أجريت بهذا المسجد منذ إتمام بنائه وحتى سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م^(١).

وقد تأثر المسجد من الزلزال الذى أصاب القاهرة فى سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م، «فإنه سقط كثير من البدنات التى فيه، وخرب أعالي المئذنتين وتشعثت سقوفه وجدرائه»^(٢)، فانتدب السلطان الملك الناصر محمد «الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير»، فنزل إلى المسجد «وكشف بنفسه، وأمر برم ما تهدم منه، وإعادة ما سقط من البدنات، فأعيدت وفى كل بدنة منها طاق، و أقام سقوف الجامع وبيضه حتى عاد جديداً»^(٣). وبالمسجد نقش كتابى جاء فيه «وكان الفراغ فى شهر ذى الحجة سنة ثلاث وسبعمائة».

وجدد المسجد مرة ثانية فى عهد الملك الناصر حسن، فى سنة ٨٦٠هـ / ١٣٥٨م «وببيض مئذنتيه» شخص من الباعة يعرف بابن كرسون.. فى أعوام بضعة وثمانين وسبعمائة (حوالى ١٣٨٠م)^(٤). واستجد شخص آخر من الباعة مئذنة ثالثة، «وأكملت فى سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٠م»^(٥). وذكر أن نقيب الأشراف، السيد عمر مكرم جدد فى سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م أربع بوائك من مؤخر مسجد الحاكم، وجعلها بيتاً للصلاة، إذ إن بيت صلاة المسجد ومجنباته كانت حينذاك متهدمة، وكانت سقفه وأهية^(٦). وظل المسجد معظمه على هذه الحال حتى وقتنا هذا.

وقد استخدم مسجد الحاكم فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لغير الغرض الذى شيد له، فاتخذ حامية إبان الحملة الفرنسية، ثم بعد ذلك مقراً لقوم من الشام، أقاموا فيه مغازل ومعامل لصناعة الزجاج ونسج الحرير. واستخدم فى سنة ١٨٨٠م متحفاً لدار الآثار العربية.

(١) وذلك فيما عدا الإشارة إلى فسقية بناها صاحب عبد الله بن على بن شكر فى وسط صحن المسجد، ثم أزالها القاضى تاج الدين ابن شكر فى سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م، وفيما عدا زيادة خارج حدود المسجد، كان قد أنشأها، فيما يقال، الظاهر على ابن الخليفة الحاكم. انظر المقرئى «الخطط»، جزء ثان، صفحة ٢٧٨.

(٢) انظر شرحه.

(٣) انظر شرحه.

(٤) انظر (على) مبارك، «الخطط التوفيقية»، جزء رابع، صفحة ٨٠.

(٥) انظر شرحه، صفحة ٨١.

(٦) انظر المرجع السابق، صفحة ٨١.

ثم أقيمت فيه مبان تضم مدرسة السلحدار الابتدائية. وأجرت مصلحة الآثار أخيراً إصلاحات في المسجد تناولت بعض جدرانه الخارجية وعدداً من دعائم بيت الصلاة وعقوده.

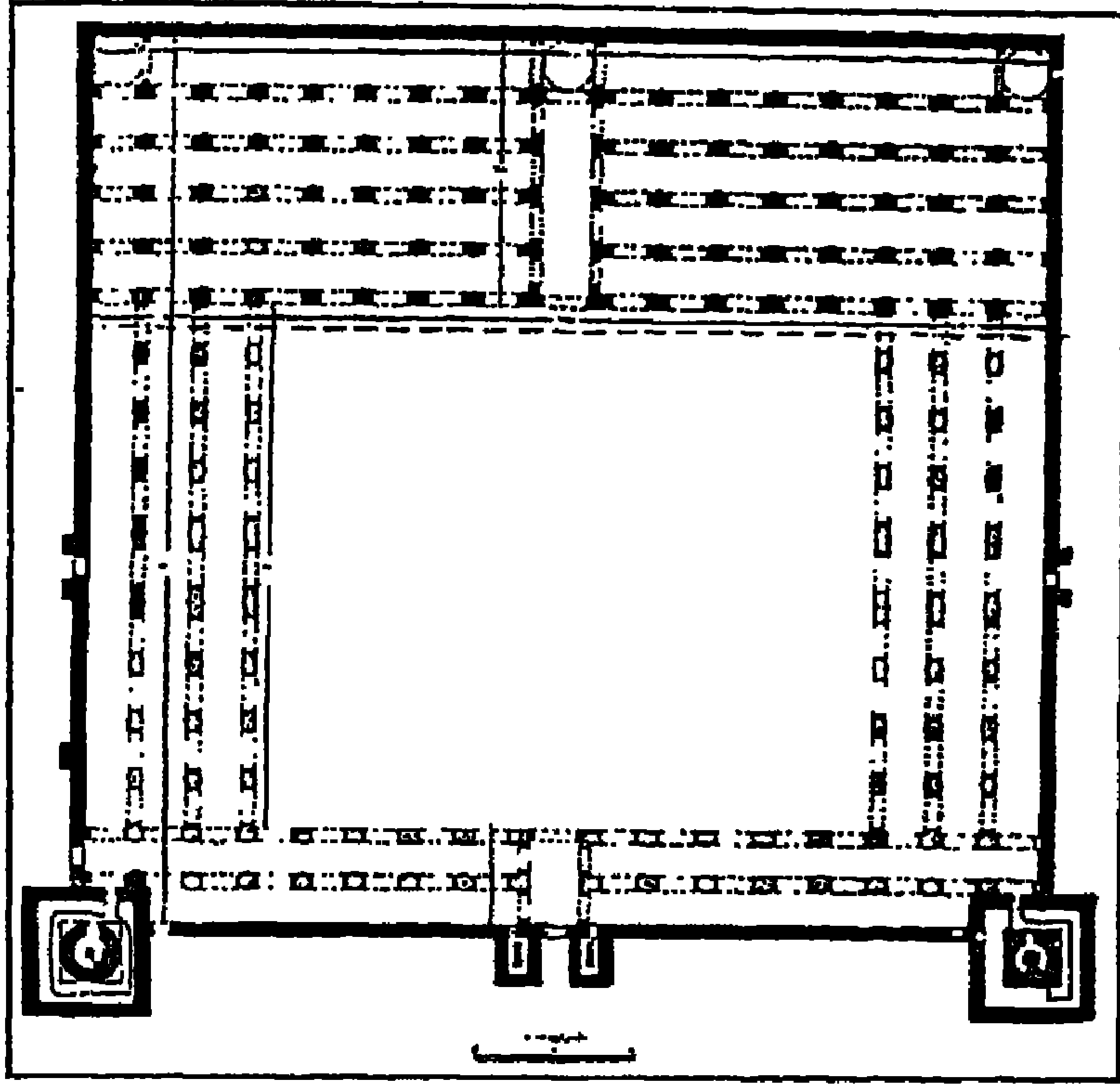
يظهر من الرسم التخطيطي لمسجد الحاكم، شكل (٧)، أن المسجد الفاطمي كان يشمل مستطيلاً طول جدار القبلة الخارجى فيه ١٢٠ متراً، وطول كل من جداريه الشرقى والغربى ١١٣ متراً، فهو ثانى مساجد القاهرة اتساعاً، بعد مسجد ابن طولون، وإن كان بيت الصلاة فى المسجدين يكادان يتساويان مساحة، إذ إن جوف بيت الصلاة فى مسجد الحاكم كان يمتد اثنين وثلاثين متراً^(١). ويشمل هذا البيت خمسة أساكيب، تنقسم إلى سبع عشرة بلاطة، تفصلها صفوف من الدعائم ممتدة فى موازاة جدار القبلة، بكل صف منها ست عشرة دعامة. ويبلغ متوسط عرض الأسكوب خمسة أمتار، فيما عدداً أسكوب المحراب، فعرضه خمسة أمتار ونصف. ويبلغ متوسط عرض البلاطة، فيما بين الدعائم، أربعة أمتار ونصف المتر، فيما عدداً بلاطة المحراب فعرضها ستة أمتار^(٢).

والدعائم التى تتخلل الأساكيب والبلاطات عريضة ضخمة، يبلغ متوسط طول كل منها مترين ونصف متر، ومتوسط عرضها نصف ذلك. وتحمل هذه الدعائم عقوداً ممتدة فى موازاة جدار القبلة، ولكن هذه العقود لا تجتاز بلاطة المحراب، فيما عدداً عقود أسكوب المحراب. وتحف ببلاطة المحراب من كل جانب بائكة من خمسة عقود قائمة على دعائم كذلك، تلتصق فى اتجاه متعارض بدعائم عقود الأساكيب، وتنتهى هذه العقود عن يمين هذه البلاطة، ثم يبدأ امتدادها من جديد عن يسارها، حتى تنتهى عند الجدار الشرقى.

ويتوسط جدار القبلة محراب تنتصب أمامه قبة، عند تقاطع أسكوب المحراب ببلاطته، وترتكز هذه القبة من ناحية على جدار القبلة، ومن النواحي الثلاث الأخرى، على عقود يرقى كل منها زوجين من الأعمدة، زوجان فى كل جانب، وجملة هذه الأعمدة ١٢ عموداً. وكانت تنتصف على أسكوب المحراب قبتان أخريان، واحدة فى كل طرف من طرفيه.

(١) طول جدار القبلة الخارجى فى المسجد الطولونى ١١٨ متراً ويمتد جوف بيت الصلاة فيه ٣٣ متراً. انظر «مساجد القاهرة ومدارسها» - «المدخل»، للمؤلف.

(٢) يزداد عرض هذه البلاطة نصف متر فى نهايتها عند الصحن عن عرضها فى بدايتها عند المحراب ولهذا فإن حدودها ليست موازية تماماً لحدود بقية البلاطات.



شكل (٧) - رسم تخطيطي لمسجد الحاكم الجامع (عن مملكة الآثار)

وكان بيت الصلاة يطل على صحن فسيح يكون مستطيلاً طوله ٧٨ متراً وعرضه ٦٦ متراً، وكان يحف بهذا الصحن ثلاث مجنبات، بالمؤخر منها رواقان، بكل منهما سبعة عشر فاصلاً^(١). وكان هذا المؤخر يطل على الصحن ببائكة من أحد عشر عقداً، شبيهة بواجهة بيت الصلاة على الصحن. وكان بكل من المجنبتين الشرقية والغربية ثلاثة أروقة، وكانت كل منهما تطل على الصحن ببائكة من تسعة عقود، أي إنه كان بكل من هذه الأروقة تسعة فواصل.

وكانت جميع بوائك المسجد في بيت الصلاة والمؤخر موازية لجدار القبلة، فيما عدا بائكتي بلاطة المحراب وبوائك المجنبتين الشرقية والغربية، فقد كانت تمتد في اتجاه القبلة. وكان عدد الدعامات المنفردة داخل حدود المسجد ١٦٠ دعامة، وعدد الدعامات المتصلة بجدران

(١) أشار (على) مبارك في صفحة ٨١ من الجزء الرابع من كتابه «الخطط التوفيقية»، إلى أن السيد عمر مكرم جدد «أربع بوائك» في مؤخر المسجد، أي أربعة صفوف من الدعامات والعقود. وقد يفهم من هذه الإشارة أن مؤخر المسجد كان يشتمل على أربعة أروقة، غير أن آثار المباني لا تدل على ذلك، ويظهر منها بوضوح أن المؤخر يشتمل رواقين فحسب. كما تظهر هذه الحقيقة على صورة قديمة رسمت أيام الحملة الفرنسية ونشرت في كتاب وصف مصر، ونقلها (كريسويل) في صفحة ٧٩ من الجزء الأول من كتاب «العمارة الإسلامية في مصر».

المسجد الداخلية، أربع عشرة دعامة، وهى الدعامات التى كانت ترتكز عليها، وتنتهى عندها، عقود بيت الصلاة والمؤخر.

ولمسجد الحاكم بوابة ضخمة فتحت فى منتصف جدار مؤخره، يحف بها من كل جانب برج عظيم يبرز ستة أمتار خارج هذا الجدار. وتبلغ المسافة طولاً بين طرفى البرجين أكثر من خمسة عشر متراً. وكان للمسجد، على هذا الجدار نفسه، أربعة أبواب أخرى غير هذه البوابة، مازالت تشاهد آثار بابين منها، كما كان له بابان مفتوحان فى كل من واجهتيه الشرقية والغربية يؤدى أحدهما إلى وسط كل من المجنبتين، ويؤدى الثانى إلى طرف من طرفى الأسكوب الثالث فى بيت الصلاة.

وتنتصب فى المسجد مئذنتان ضخمتان تحتل كل منهما ركناً بارزاً من أركان الواجهة الشمالية، خارجاً عن مستوى جدار هذه الواجهة، وعن مستوى الجدارين الشرقى والغربى. وبكل من هاتين المئذنتين إزار منقوش بالخط الكوفى فيه آيات قرآنية، وسجل عليه اسم الحاكم بأمر الله، وكان التاريخ مسجلاً عليه كذلك^(١). ولكل من المئذنتين قاعدتان، قاعدة داخلية، وقاعدة خارجية، وكلا القاعدتين من عهد الحاكم. أما القاعدة الداخلية فى المئذنة الغربية، فهى عبارة عن مربع طول كل ضلع من أضلاعه سبعة أمتار ونصف، تعلو عليها المئذنة مضلعة مئنة؛ وأما القاعدة الداخلية فى المئذنة الشمالية فهى مربعة كذلك، ولكن المئذنة تعلو عليها أسطوانية مستديرة، وقطر هذا المربع مثل قطر مربع قاعدة المئذنة الغربية، أى سبعة أمتار ونصف. ولكل من المئذنتين معطف مكعب يحيط بها، على هيئة برج ضخّم فى ركن الواجهة يقوم على القاعدة المربعة الخارجية للمئذنة، وطول كل ضلع من أضلاعها سبعة عشر متراً تقريباً^(٢).

(١) ورد فى إزار المئذنة الشمالية اسم الحاكم وشهر رجب، وسقطت السنة. ولكن التاريخ ورد كاملاً فى النص المنقوش على المئذنة الغربية، إذ يقرأ فيه شهر رجب سنة ٣٩٣هـ.

(٢) لاشك فى أن بناء المئذنتين كان قد تم قبل سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م، وكانت زخارفهما قد كملت كذلك وأصبحت ظاهرة بارزة. وإنى أعتقد أنه خشى فى تلك السنة على المئذنتين من الخلل لارتفاعهما وضخامتهما، أو أنه حدث زلزال، فأمر الحاكم بإحاطتهما بهذين المعطفين. وذلك لأنه روى أن تمتد من بناء المعطف عقود ودعامات تسند كلا من المئذنتين فى مواضع من ارتفاعهما. ولهذا السبب خفيت بعد ذلك الزخارف عن أعين الناظرين بعد أن كانت مكشوفة لهم. وليس من المعقول، فيما أعتقد، أن يعنى بزخرفة المئذنتين تلك العناية الفائقة لو أنه كان من المرتقب إخفاؤها. وتفسير ذلك ما ذكرته من أن المعطفين قد بنيا بعد إتمام المئذنتين، ولم يكن بناؤهما مقدراً فى تصميم بناء المسجد والمئذنتين، عند الشروع فى هذا البناء سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م. ويذكر القرىزى أن الحاكم أمر بإضافة «أركان» إلى المئذنتين فى سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م. انظر القرىزى، «الخطط»، جزء ثان، صفحة ٢٧٧.

عمارة المسجد الفاطمية

لم تتبق أجزاء كثيرة من المسجد العتيق، وفيما عدا الجدران الخارجية وأبراج المآذن وبداناتها التي مازالت قائمة، فإن ما تبقى داخل المسجد من قديمه يقتصر على بلاطة المحراب وعقودها وقبتها، وبضع دعامات في أسكيب بيت الصلاة، وقلة من العقود، وقسم من واجهة بيت الصلاة على الصحن. أما مؤخر المسجد فقد هدم بأكمله، ولم يتبق من المجنبة الشرقية غير بائكة من خمسة عقود، ومن المجنبة الشرقية غير دعامتين.

وقد استخدمت الحجارة في بعض أجزاء من مباني المسجد، مثل الدعامات المطلة على الصحن من بلاطة المحراب وعقدتها قبل تجديده، والمئذنتين والبوابات. واستخدام في بناء الجدران خليط من الحجارة والآجر، وكان الغالب من بناء المسجد استخدام الآجر.

ومن الآجر بنيت الدعامات الضخمة داخل بيت الصلاة والمجنبات. وهي دعامات شبيهة إلى حد ما بدعامات المسجد الطولوني، فقد أدمجت في أركانها أشباه أعمدة بنيت من الآجر كذلك، ولكن هذه الأعمدة ليست واضحة وضوح الأعمدة المندمجة في دعامات المسجد الطولوني، كما أنها لا تنتهي مثلها بتيجان ناقوسية، واستبدلت بالتيجان في دعامات الحاكم لوحات خشبية، أو طبال. وقد روعي في هذه الدعامات أن يكون وسطها بارزاً بروزاً خفيفاً حتى تستند على هذا البروز أوتار خشبية تربط بين العقود، لوحة رقم (٢٤).

والدعامات التي تحف ببلاطة المحراب مزدوجة ازدواجا متعارضاً، بحيث ترسم قطاعاً على شكل اللام المتوسطة. وتعلو بعض الدعامات، بين العقود، طاقات مفتوحة معقودة بعقد مدبب، لوحة رقم (٢٦ ب)، وأغلب الظن أن هذه الطاقات ليست من البناء الفاطمي، وأنها جددت على النظام القديم في سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م، فقد ذكر المقرئ أنه كانت قد سقطت في مسجد الحاكم بدنان كثيرة «فأعيدت وفي كل بدنة منها طاق»^(١).

وقد بنيت عقود المسجد على نظام شبيه بعقود مسجد ابن طولون، لوحة رقم (٢٥) أي إنها مدببة ومنفوخة، فيما عدا بعض العقود التي لم يظهر فيها الانتفاخ مع الدبب. وأغلب الظن أن هذه العقود الأخيرة جددت كذلك واتخذت هذا الشكل عند تجديدها، وأن العقود الأصلية كانت كلها مبنية على النظام الذي يظهر الآن على العقود المتخلفة منها، لوحة (٢٣). وكانت تربط العقود بين الدعامات أوتار خشبية محلاة بنقوش زخرفية وكتابية، لوحة رقم (٢٥).

(١) انظر المرجع السابق، جزء ثان صفحة ٢٧٨.

كانت الدعامات ترتفع كل منها إلى علو ستة أمتار ونصف، وكانت قمة العقود تعلو عن أرضية المسجد إلى ما يقرب من تسعة أمتار ونصف المتر، وكانت فتحة العقد، أو قطره، تزيد قليلاً عن أربعة أمتار، وكانت السقف الخشبية ترتفع أحد عشر متراً عن سطح الأرض. أما بلاطة المحراب فكان سقفها أكثر ارتفاعاً بما يقرب من ثلاثة أمتار. وقد شغلت هذه الزيادة بجدار أقيم فوق قمة العقود، على جانبي هذه البلاطة، امتد على حافته السفلى إزار من نقوش كتابية كوفية، وفتحت فوق هذا الإزار نوافذ تطل على بلاطة المحراب من جهة، وعلى سقف أساكيب المسجد من جهة أخرى، لوحة رقم (٢٢). ووضعت في بداية هذه البلاطة فوق العقد المواجه للمحراب، في موضع هذه النوافذ، ثلاث لوحات زخرفية جصية، تشبه النوافذ الجانبية من حيث حجمها، ومن حيث إنها معقودة بعقود مدببة، لوحة رقم (٢٢).

وكان بمسجد الحاكم ثلاث قباب، أقيمت واحدة أمام المحراب، وما زالت قائمة، وأقيمت قبة فوق كل طرف من طرفي أسكوب المحراب. وقد تهدمت هاتان القبتان، ولم يتبق من كل منهما غير مقرنص وبعض الزخارف، لوحة رقم (٢٧).

أما قبة المحراب، لوحة رقم (٢٨)، فهي ترتقى مربعاً، يتكون ضلعه الجنوبي من جدار القبلة، وتتكون الضلع الثلاثة الأخرى من ثلاثة عقود مدببة، تستند كل من أطرافها الثلاثة على عمودين مزدوجين من الرخام. ولهذه العمود تيجان وقواعد على شكل المشكاة، أو الناقوس، ويدنو هذه القواعد الناقوسية قواعد أخرى حجرية مكعبة. ويدور فوق العقود وفوق جدار المحراب، تحت قاعدة القبة، إزار من نقوش كتابية كوفية، سجلت عليها آيات من القرآن الكريم. ويبلغ طول ضلع المربع الذي يكون قاعدة القبة ستة أمتار. وتمتطي أركان هذه القاعدة المربعة مقرنصات أربعة، معقودة كل منها بعقد مدبب. بنى وراءه المقرنص المتوج بنصف قبة كروية، بحيث يظهر العقد المدبب أمامه كأنه إطار بارز. وفتحت بين المقرنصات أربع نوافذ معقودة على نظامها، تقوم كل واحدة في منتصف ضلع من أضلاع القاعدة. وكانت تتدلى على هذه النوافذ ستائر من غلالة منحوتة مخرمة، لوحة رقم (٢٩). ويتكون من هذه المقرنصات والنوافذ الطابق الأول للقبة.

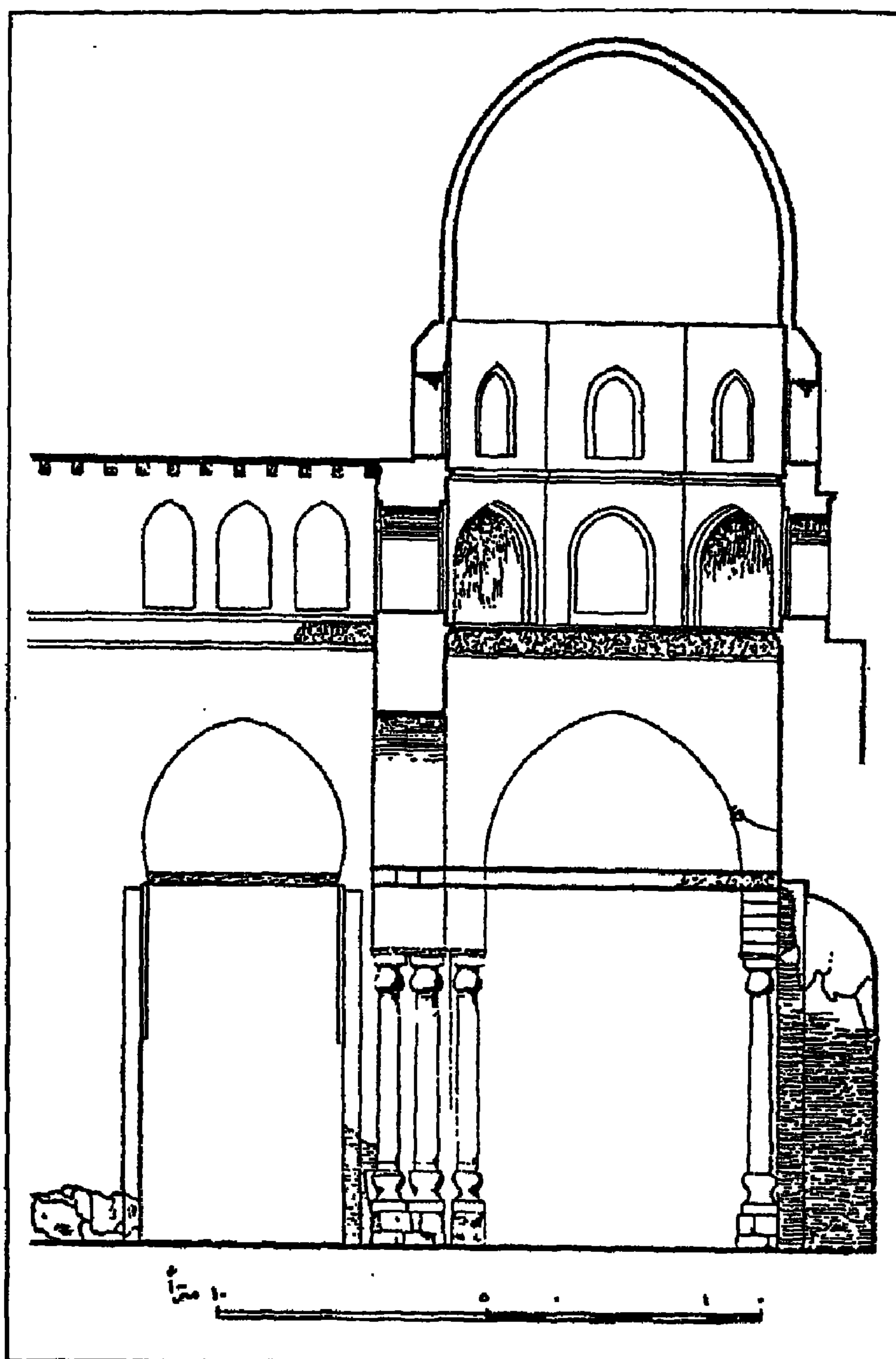
ويتحول هذا الطابق، بواسطة المقرنصات، من مربع إلى طابق أعلى مثنى الأضلاع، فتحت في كل وجه من وجوهه الثمانية، نافذة كانت تتدلى عليها كذلك ستارة من الجص المخرم. وترتقى القبة هذا الطابق المثنى، شكل (٨)، وشكلها كروي. وقد استخدم الآجر في بناء القبة وقاعدتها وطابقيها المقرنص والمثنى. وأغلب الظن أن القبة الكروية الحالية بناء حديث جرى على نظام القبة العتيقة، لوحة رقم (٢٨).

ويُستدل من المقرنصين المتخلفين من القبتين المتطرفتين، أنهما كانتا قائمتين على نظام قبة المحراب. وأن كلا منهما كانت تحوى نفس العناصر، فكان يحد القاعدة إزار من الكتابة الكوفية، يعلوه الطابق المربع المقرنص، فطابق مثنى فتحت فيه نوافذ، فالقبة الكروية، لوحة رقم (٢٧).

وفتحت نوافذ في الأجزاء العليا من جدران المسجد، جعل موضعها في بيت الصلاة، نافذة مواجهة لكل بلاطة من بلاطاته، فيما عدًا البلاطتين الأولى والأخيرة حيث أقيمت القبتان المتطرفتان من أسكوب المحراب، كما فتحت نافذة عند كل طرف من أطراف أساكيب المسجد. أما في المجنبتين والمؤخر، فقد فتحت نافذة أمام كل فاصل من فواصل أروقتها، في الجدار المقابل له. وكانت قاعدة كل نافذة تعادل ثلاثة أذرع (١٢٦ سم تقريبًا)، وارتفاعها، أربعة أذرع (١٦٨ سم تقريبًا). وكانت النوافذ معقودة بعقد مقوس، غير مدبب. ولم تفتح فوق المحراب نافذة في مستوى هذه النوافذ، ولكنه فتحت بجداره نافذة صغيرة عن يمينه وأخرى مثلها عن يساره، لوحة رقم (٢١). كما أنه سبق أن ذكرنا أنه كان فوق المحراب نافذة مفتوحة في وسط طابق القبة المقرنص. وكانت هذه النوافذ جميعًا مكسوة بستائر جصية زخرفية مخرمة. ولم يتبق منها غير عدد قليل، كما أنه لم يتبق منها نافذة واحدة كاملة، لوحة رقم (٦٦). وكان يحيط بكل نافذة إطار من كتابة كوفية عليها آيات من القرآن الكريم، أما زخارفها فقد تنوعت، كما سنرى، وجمعت بين الزخارف الهندسية والنباتية.

ومحراب المسجد، لوحة رقم (٢١)، طاقة مجوفة متوجة بقبوة من الآجر كانت تكسوها تركيبة خشبية ويحيط بها عقد مدبب. وكان هذا العقد يرتكز على عمودين يتصدران المحراب، كما كان يحف بكل من جانبيه نافذة مكسوة بستارة جصية، وقد اندثرت زخرفة المحراب كما اندثر العمودان زخارف النافذتين، فيما عدًا الجزء الباقي من الإطار الكوفي للنافذة اليسرى.

جدران المسجد سميقة، وهي مبنية بخليط من الحجارة والآجر، فيما عدًا الأجزاء الظاهرة من البوابة الشمالية فهي من الحجارة المصقولة. وارتفاع الجدران يقرب من أحد عشر مترًا. وكان يعلوها كما كان يعلو واجهات الصحن، صف ممتد من الشرفات، لوحة رقم (٣٠). وأغلب الظن أن جزءًا كبيرًا من الشرفات المتخلفة كان قد جدد في عهد الأمير بيبرس الجاشنكير، لوحة رقم (٣٠ أ) وخاصة حول الصحن، وأن الجزء المتبقى فوق الجدار الشمالى للمسجد هو كل ما تبقى فيه من الشرفات الفاطمية. وترسم هذه الشرفات شكل مدرجات هرمية متجاورة، بكل منها خمس درجات، يتوسطها فتحة صغيرة مدببة. وتعلو هذه المدرجات إزار مخرم فتحت فيه أشكال زخرفية من مصلعات وأزهار وردية، لوحة رقم (٣٠ ب).



شكل (٨) - قطاع رأسى لربعة المحراب وقبته وبلاطته ((عن مملكة الآثار))

وتتوسط البوابة الجدار الشمالى للمسجد لوحة رقم (٣٠ ج). وهى أقدم بوابة قائمة فى عمارة مصر الإسلامية. وهى عبارة عن مكعبين ضخمين من الحجارة المصقولة، طول كل منهما ثمانية أمتار، وعرضه ستة، وبروزه خارج سميت الجدار ستة. وبين هذين المكعبين ممر طوله ستة أمتار وعرضه ثلاثة ونصف المتر، تعلوه قبوة مقوسة أسطوانية من الآجر. ويؤدى هذا الممر إلى باب عرضه متران ونصف يؤدى هو الآخر إلى ممر ثان طوله متران، وهذا الممر مفتوح على الفاصل الأوسط من الرواق الثانى من مؤخر المسجد، مقابلاً للمحراب.

وترتفع البوابة إلى مستوى ارتفاع جدران المسجد، أى أحد عشر متراً. وكانت تتوجها مثلها شرفات هرمية. وقد جددت هذه البوابة على نظامها القديم فى عهد الأمير بيبرس الجاشنكير، سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٤م. وعلى البوابة نقش من الكتابة النسخية يؤرخ ذلك^(١). ونقشت على الجدار الداخلى الواقع عن يمين المدخل زخار منحوتة على الحجارة عظيمة الأهمية، ونقشت على جوانب الجدران الخارجية زخار أخرى لا تقل، إن لم تزد، عنها أهمية، لوحة رقم (٧٠). وكان على البوابة لوحة رخامية نقش عليها بالخط الكوفى نص سجل عليه تاريخها^(٢). وقد زالت معالم الواجهة الغربية لهذه البوابة، أو اختفت وراء بناء القبة المعروفة بقبة أمير الجيوش بدر الجمالى.

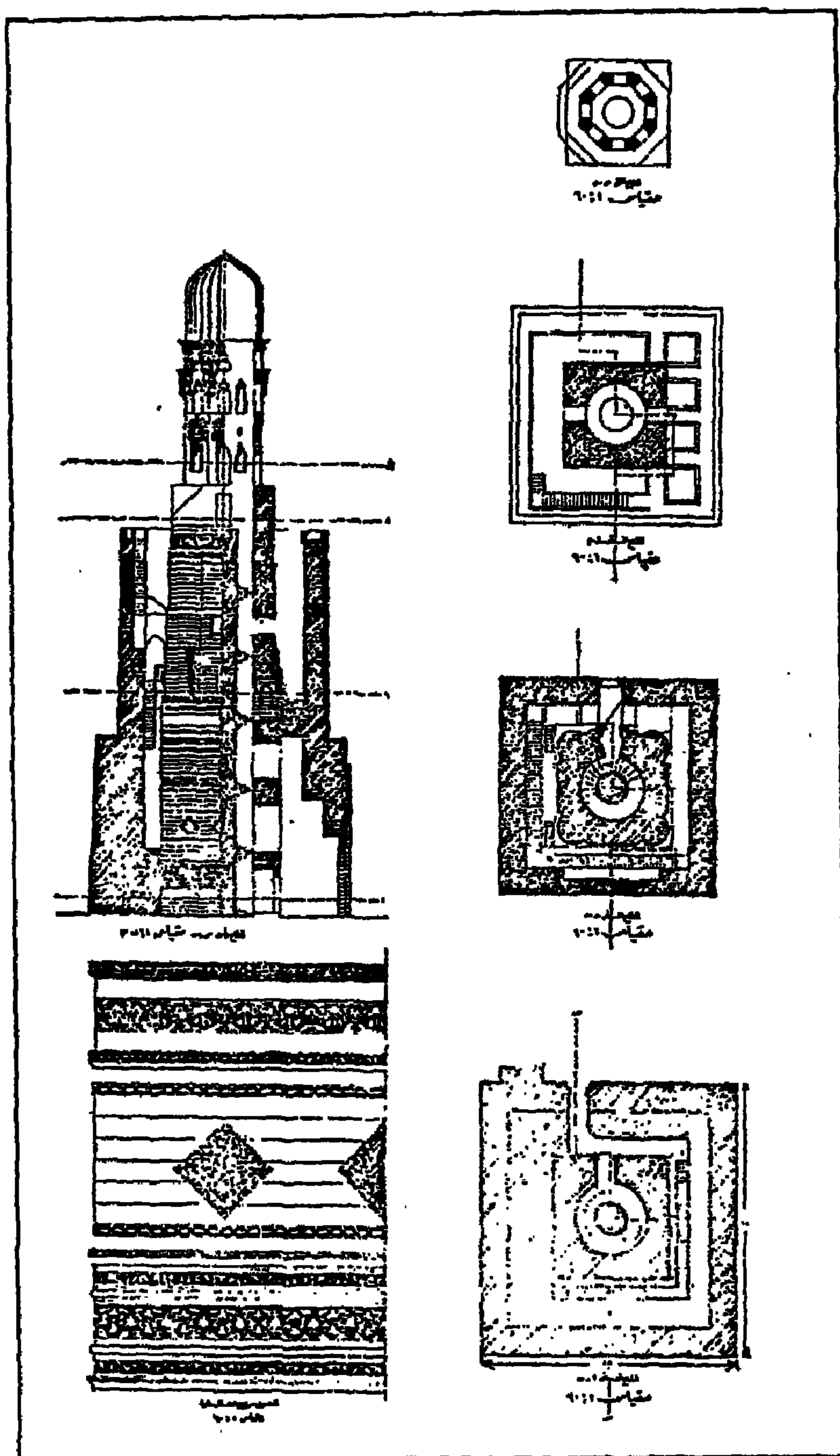
وتتصبب مئذنتان من الحجارة على الواجهة الشمالية لمسجد الحاكم، واحدة فى الركن الغربى الشمالى، لوحة رقم (٣١)، والأخرى فى الركن الشمالى الشرقى، لوحة رقم (٣٢). وقد أسفرت الأعمال والأبحاث التى أجرتها مصلحة الآثار، (لجنة حفظ الآثار العربية سابقاً)، منذ أربعين سنة فى هاتين المئذنتين، عن معرفة تفاصيل بنيانها وعن التأكد من أن المعطف المكعب الخارجى للمئذنة الغربية يرجع إلى عهد الحاكم نفسه، وكذلك يرجع إلى عهد الحاكم بنيان معطف المئذنة الشمالية وإن كان هذا المعطف الأخير لا يرى كله من الخارج، فذلك لأن بدر الجمالى قد أحاط به جزءاً من الأسوار الجديدة التى أقامها للقاهرة. وقد بنى هذان المعطفان من الحجارة المصقولة فى سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م^(٣)، أما المئذنتان فقد تم بناؤهما، كما رأينا، فى شهر رجب سنة ٣٩٣هـ وهما أقدم مئذنتين قائمتين على حالهما القديمة فى العمارة الإسلامية فى مصر^(٤).

(١) بنى أمام هذه البوابة وملاصقاً لها ضريح فى عصر متأخر يخفى منظرها، وينسب هذا الضريح خطأ إلى بدر الجمالى.

(٢) يتكون النقش من ستة أسطر ونصه: «بسم الله الرحمن الرحيم، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين، ومما أمر بعمله عبد الله ووليه أبو على المنصور الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة». سورة القصص آية ٥.

(٣) انظر المقرئى، «الخطوط»، صفحة ٢٧٧ من الجزء الثانى.

(٤) لمتفق عليه أن مئذنة المسجد الطولونى قد جددت فى عهد السلطان لاجين فى نهاية القرن السابع (الثالث عشر الميلادى). انظر «المدخل»، للمؤلف.



شكل (٩) - قطاع رأسي لمنذرة مسجد الحاكم الغربية و معطفها - (عن مصلحة الآثار)

ويتكون كل من هذين المعطفين، الشكلان (٩) و (١٠)، من مكعبين مدرجين، المكعب الأسفل بارز عن المكعب الأعلى، ويزداد طول ضلع المكعب الأول مرتين عن طول ضلع الثاني. كما أن قاعدة كل منهما أكثر فسحة من قمته، وذلك في كلا المعطفين، فيبدو كل منهما هرمي الشكل، أو على الأصح انسيابيا، إذ إن جدرانها تنحدر، وتتسع قواعدهما كلما قربت من سطح الأرض^(١). ويرتفع المعطف الغربى ٢٤ مترا فوق أرضية الشارع، ويبلغ ارتفاع الطابق الأول منه ١١ متراً، والطابق الثانى ١٣ متراً. أما المعطف الشمالى فيزداد ارتفاع الطابق الأول فيه مترين، وبالتالي يبلغ ارتفاعه ٢٦ متراً عن أرضية الشارع.

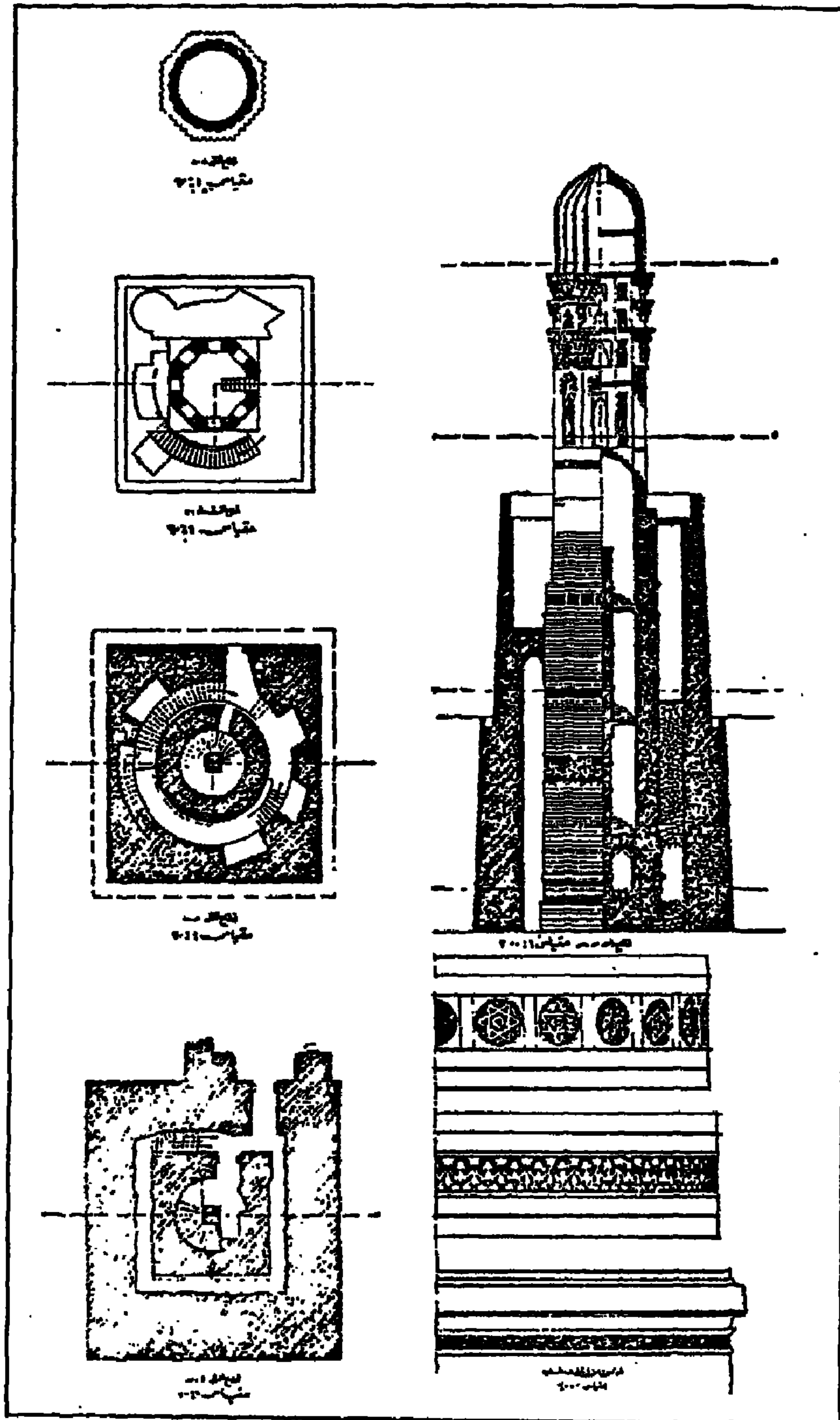
والمتذنتان كالمعطفين بنيتا من الحجارة المصقولة المصفوقة صفاً متقناً، غير أن الجزء العلوى المثلث منهن، وهو الذى أعيد بناؤه فى عهد الأمير بيبيرس الجاشنكير، قد بنى من الآجر. وظهر أن المتذنة المحصورة داخل المعطف الغربى مربعة القاعدة، مكعبة مثمثة البدن، فى حين أن زميلتها المحصورة داخل المعطف الشمالى أسطوانية مستديرة البدن، وإن كانت قائمة على قاعدة مربعة، شكل (١٠)^(٢).

(١) طول كل ضلع من القاعدة ١٦ متراً بالنسبة لمعطف المتذنة الشمالية و ١٧ متراً بالنسبة لمعطف المتذنة الغربية، أما طول ضلع المكعب الثانى عند نهايته العليا فهو ١٢ متراً بالنسبة لمعطف المتذنة الأولى و ١٤ متراً بالنسبة لمعطف المتذنة الثانية. هذا وقد ادعى (كريسويل) فى صفحتى ٨٩ و ٩٠ من الجزء الأول من كتاب «العمارة الإسلامية فى مصر» أن المعطفين لم يكونا مكعبين كاملين عند بنائهما فى عهد الحاكم وسنة ٤٠١ هـ، وأنهما لم يكونا بارزين داخل حدود المسجد فى طرفى مؤخر المسجد، وأن هذا البروز الداخلى للمعطفين يرجع إلى عهد بيبيرس الجاشنكير. ولست مقتنعاً بهذا رأى، إذ أنه لو صح هذا الادعاء، لانتفتت الحكمة من بناء هذين المعطفين وهى ضرورة دعم المتذنتين بعد إتمام بنائهما، تلك الضرورة التى أدت، كما سبق أن أوضحت، إلى إخفاء زخارفهما بعد إتمام نقشها. وفيما يلى مقاسات المتذنتين:

المتذنة الشمالية = ارتفاع المعطف ٦٠ و ٢٦ متراً؛ الطابق الأول منه ١٢,١٠ والطابق الثانى ١٤,٢٠. ارتفاع الطوابق العتيقة من المتذنة ٢٩,٤٠ وارتفاع الطوابق المجددة ١٦,٨٠، بما فيها الطاقية (٦,٣٠). والارتفاع الكلى للمتذنة ٤٦,٢٠.

المتذنة الغربية = ارتفاع المعطف ٢٣,٩٠ متراً؛ الطابق الأول ١١,١٠ والطابق الثانى ١٢,٨٠. ارتفاع الطوابق العتيقة من المتذنة ٢٦,٦٠ وارتفاع الطوابق المجددة ١٤,١٠، بما فيها الطاقية (٥,٣٠). والارتفاع الكلى للمتذنة ٤٠,٧٠. وقد أخذت هذه المقاسات عن محفوظات مصلحة الآثار.

(٢) كانت إدارة حفظ الآثار العربية قد نصبت فى سنة ١٩٤٠ م صقالات ومدرجات خاصة حول المتذنتين، داخل المعطفين، وأتاحت الفرصة للكابتن كريسويل لتصوير جدرانها الخارجية ودراسة زخارفهما. وقد أفرد الكابتن كريسويل لهاتين المتذنتين بحثاً موضوعياً مطولاً، ملأ سبع عشرة صفحة من كتابه، ونشر معه عدداً وافراً من الرسوم الدقيقة والصور. انظر صفحات ٨٥ إلى ١٠١ من الجزء الأول من كتاب «العمارة الإسلامية فى مصر». والأشكال من رقم ٢٣ إلى ٤٣، واللوحات ٢٣ إلى ٣٢. ومن دواعى الأسف الشديد أن قسم التصوير بمصلحة الآثار (إدارة حفظ الآثار العربية سابقاً) لم يحتفظ فى محفوظاته بالأصول السلبية أو بنسخ من معظم هذه الصور.



شكل (١٠) - قطاع رأسى لمئذنة مسجد الحاكم الشمالية ومعطفها. (عن مصلحة الآثار)

وللمئذنة الشمالية، لوحة رقم (٣٢)، قاعدة مربعة، هي الطابق الأول فيها، ضلعه يقرب من ثمانية أمتار، وتعلوه ثلاثة طوابق أسطوانية مستديرة، ارتفاعها ٢٦ متراً. وينتصب القسم الأعلى للمئذنة على هذه الطوابق، وهو الذى بناه من الآجر بيبرس الجاشنكير. ويتكون هذا القسم من أربعة طوابق مئذنة، تحيط بالثلاثة العليا منها صفوف من المقرنصات، وتعلوها جميعاً قبة المئذنة أو طاقيتها. ويبلغ ارتفاع هذا القسم سبعة عشر متراً، أى إن قمة المئذنة تعلو عن سطح الأرض ٤٦ متراً تقريباً.

وتتكون الطوابق الثلاثة الأسطوانية السفلى، وهى التى تعلو القاعدة المربعة، من تسع قطاعات، كل قطاع منها يتدرج فوق القطاع الأدنى، بحيث إن قطر القاعدة المستديرة الذى يبلغ سبعة أمتار ونصف المتر فى القطاع الأول ينكمش متراً عند قمة القطاع الثامن، ويصبح ستة أمتار ونصف المتر. وتنتشر فوق الجدران الخارجية لهذه المئذنة إزارات مزخرفة، ونوافذ تحيط بها إطارات زخرفية، وأهم هذه الزخارف النقوش الكوفية المزهرة التى تمتد فى إزارات وجامات، أو تدور حول إطارات النوافذ. ولهذه المئذنة باب مستطيل، عنى ببنائه وصف الحجارة من حوله، ووضعت له عتبة مستطيلة محلاة بالزخارف، تعلوها لوحة من حجمها محلاة بنقوش من كتابة كوفية بديعة سطرت عليها آية قرآنية كريمة^(١).

أما المئذنة الغربية، لوحة رقم (٣١)، فيبلغ طول ضلع قاعدتها المكعبة سبعة أمتار ونصف المتر، ويبلغ ارتفاع قمتها عن سطح الأرض ٤١ متراً تقريباً. وهى تتكون من ثمانية طوابق. الطابق الأول قاعدة مربعة عظيمة ارتفاعها ١٤ متراً، ترتقى فوقها خمسة طوابق إلى علو ٢٦ متراً فوق سطح الأرض، وهى طوابق مئذنة، لا مربعة، وتتدرج فى ارتفاعها تدرجاً ملحوظاً، إذ تنكمش القمة فوق الطابق الخامس منها، عن القاعدة عند بداية الطابق المئذنة الأول، بما يزيد عن متر وربع المتر.

وقد امتلأت مسطحات الجدران الخارجية لهذه المئذنة بالزخارف، وخاصة حول طابقها الأول المربع، وعليها إزار بديع من كتابة كوفية يبلغ ارتفاعه متراً تقريباً^(٢)، لوحة رقم (٧٩ أ). وتعلو بقية المئذنة هذه الطوابق الستة الحجرية، وهذا القسم الأعلى من المئذنة هو الذى بنى من الآجر فى عهد بيبرس الجاشنكير، ويبلغ ارتفاعه أربعة عشر متراً فوق هذه الطوابق، ويتكون

(١) الآية الكريمة «وقل رب أدخلنى مدخل صدق»، سورة الإسراء، (١٧) آية ٨٠. ويلاحظ أن حرفاً زائداً، هو الألف، وضع خطأ فى النقش بين لفظي «وقل» و «رب».

(٢) يقرأ فى نص هذه الكتابة: رحمة الله وبركاته عليكم.. إنه قد جاء أمر ربك.. مما أمر بعمله عبد الله ووليه المنصور أبو على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين.. فى شهر رجب من سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة.

من طابقين مئمنين، التف حول الطابق الثانى منهما صقان من المقرنصات. وأخيراً تعلو هذين الطابقين قبة المئذنة أو طاقيتها. ويلاحظ أن هذه المئذنة أقل ارتفاعاً من المئذنة الشمالية، إذ أن قمته تدنو خمسة أمتار عن مستوى قمة هذه المئذنة الأخيرة.

٣

زخرفة المسجد العتيقة

كان مسجد الحاكم يزخر بالزخارف، فقد كانت الأوتار التى تربط الدعامات تحت أطراف العقود تتكون من لوحات خشبية تجرى عليها زخارف نباتية متنوعة. وكانت النوافذ المفتوحة فى جدران المسجد القبلى والشرقية والغربية، مكسوة بستائر جصية مزخرفة. وكذلك كانت بقاعدة القباب وبجانبى المحراب نوافذ وطاقات حليت بالزخارف. وكانت بوابة المسجد الشمالية وأبوابه الجانبية محلاة وكذلك بالنقوش الزخرفية. وكانت تدور حول الجدران الخارجية للمئذنتين ونوافذهما وأبوابيهما أشرطة وإطارات مختلفة الأشكال والزخارف. وكان يمتد تحت سقف بيت الصلاة فى المسجد، فوق العقود والجدران، إزار من الخط الكوفى المزهر، نقش عليه سور كاملة من القرآن الكريم، كما كان هذا الإزار يمتد كذلك تحت القواعد المربعة للقباب الثلاثة، وحول بعض النوافذ. وأغلب الظن أن إزاراً خطياً كان يدور حول الصحن وأن آيات القرآن الكريم كانت معروضة فى أجمل مظهر على جماهير المصلين، داخل بيت الصلاة فوق عقود أساكيبه وبلاطاته، وخارج جدرانه، فوق عقود الأروقة والصحن^(١). وكان يعلو جدران المسجد الخارجية وجدران الصحن إطار ممتد من الشرفات. فكانه لم يكن يخلو جزء بمسجد الحاكم من الزخارف.

وكما تعددت مواضع الزخارف، تعددت أنواعها وأشكالها، فهى زخارف خطية وهندسية ونباتية، منفردة أحياناً، مجتمعة أحياناً أخرى. وتتعدد الأشكال فى كل نوع من هذه الأنواع. وكذلك تتنوع أشكال الإطارات التى احتوتها، فهى إما مستطيلة أو مربعة أو معينة أو معقودة. وقد تبقت من هذه الزخارف أجزاء عديدة تشهد بالعناية الفائقة التى بذلها «المزوقون» فى زينة المسجد. وإذا كانت زخرفة المحراب قد اندثرت، فيما عدا جزءاً من إطار الطاقة اليسرى، فإنه يستدل من الأجزاء المتبقية من قبة المحراب أن الزخارف كانت تكسوها من

(١) يتبين من موضع المساحات التى كانت منقوشة بالآيات القرآنية فى مسجد الحاكم أن مجموع طولها يزيد عن أربعة آلاف متر.

الداخل والخارج، كما كانت تكسو قبتي أسكوب المحراب المتطرفتين. ومن ذلك طاقة بديعة في إحدى هاتين القبتين، وطاقتان معقودتان في قاعدة قبة المحراب تحشوهما زخارف جصية، لوحة رقم (٧٤). وقوام هذه الزخرفة سيقان وأوراق نباتية، امتدت انحناءاتها حول مجموعة رأسية وسطى، تفرعت منها وتشابكت معها، في رقة وتناسق وتقابل. وتعددت فصوص الأوراق وشحوماتها، ورسمت أشكالاً متنوعة من الخطوط والأقواس. وأحاط بكل طاقة إطار من شريطين متشابكين.

وقد أشرت فيما سبق إلى النوافذ التي كانت مفتوحة في جدران المسجد، وكانت تتدلى عليها ستائر جصية مفرغة. ومن هذه النوافذ نافذتان في جدار القبلة، عن يسار المحراب، لوحة رقم (٧٥). وقد تجمعت في مثل هذه النوافذ أنواع الزخارف العربية الثلاثة، الخطية والهندسية والنباتية. ويتضح من تحليل الزخارف في هاتين النافذتين أن عنصريهما الرئيسى يتكون من ساق نباتى تخرج منه ورقة ذات شحمتين، وأن هذا الساق يتعرج وهذه الورقة تنحني، وأنه ينتج من هذا التعرج والانحناء تعادل وتقابل، وتشابك وانفصال، في حركة مستمرة تبدو متحررة من أى قيد، وإن كانت في الحقيقة تخضع - من جهة - لإطارات هندسية ترسم في النافذة الثانية أشكالاً نجمية، وتتفرغ - من جهة أخرى - حول محور رأسى في وسط الستارة^(١). أما نوافذ الجدران الأخرى فقد اقتصرت على تشابك الخطوط الهندسية، من دوائر ومستقيمات، وروعى أن ينتج من هذا التشابك أشكال نجمية رباعية أو سداسية الأطراف لوحة رقم (٦٦).

وانتشرت الزخرفة على جانب بوابة المسجد التي امتدت عليها طاقتان معقودتان، حشى عقداهما وخواصراهما بسيقان نباتية متعرجة تتفرع منها وريقات ذات فصين أو ثلاثة. وتتكون زخرفة الخوصر، أو حشوة العقد، من مجموعة نظمت فيها هذه العناصر النباتية تنظيماً تماثلياً^(٢)، لوحة رقم (٦٨ أ). ويجرى تحت مستوى أطراف العقد على طول هذا الجانب

(١) نشر (فلورى) بحثاً وافياً عن زخارف مسجد الحاكم وهو يعتقد أن القسم الأوسط من النافذة الأولى، قد جدد في القرن الثامن بأسلوب مغربي، وهذا يبدو واضحاً من الخط الكوفي الذى يقرأ فيه «الملك لله» مكتوبة مرتين على هيئة متقابلة عكسياً. انظر صفحة ٢١ من كتاب (فلورى)، «زخارف مسجد الحاكم والأزهر».

(٢) التنظيم التماثلى (symmetry) معناه أن المجموعة الزخرفية يتوسطها محور رأسى تقابل الزخارف عن يمينه نظائر لها عن يساره تقابلاً عكسياً، أى إن النصف الأيمن من المجموعة يرسم صورة متعادلة معكوسة للنصف الأيسر. غير أن الفنان قد أدخل في حشوات بوابة الحاكم تحويراً في تعرجات السيقان وانحناءات الأوراق، تحويراً يعبر عن حرية انتصرف وتكامل الإنشاء الزخرفى دون أن يخل بمظهر التماثل، وسرى في الفصل الخاص بسميزات الزخارف القاطمية من هذا الكتاب صلة نظرية التماثل هذه بظاهرة التوشيح العربى (arabesque)، التي ابتدأت معالمها تظهر في زخرفة الأزهر، وتتضح في زخرفة الحاكم، والتي أصبحت فيما بعد ظاهرة زخرفية عالمية.

شريط نقشت عليه زخرفة تتكون من خطين متداخلين يرسم تداخلهما مضلعات سداسية وثمانية، ويدنو هذا الشريط شريط آخر نقش عليه صف من القواريق النخيلية المبسطة، ويمتد كذلك على طول هذه الواجهة إزار عريض زخرفى من ثلاثة شرائط، يتكون الوسيط فيها من مجموعة زخرفية متماثلة، قوامها ورقة من ثلاثة فصوص منحصرة في عقد مثلث الفتحات ومتصلة بساقين يتفرع أحدهما يمنة والآخر يسرة، وينفذ كل منهما إلى إطار مسدس، ثم ينساب منه فيتولد عنه شكل من التوريق النخيلى الذى ينتصب بين عقدين من العقود ثلاثية الفتحات. أما الشريطان المتطرفان، الممتدان فوق هذا الشريط وتحتة، فإن عنصرهما الزخرفى متطابق، ويقتصر على ساق ممتدة ترسم حلقات متلاصقة تنبثق فى داخلها وريقة من فص واحد.

وقد نقش فى وسط كل طاقة من الطاقتين إطار على شكل معين زخرفى من خطوط هندسية ترسم مستطيلات ودوائر، وتنحصر فى هذا الإطار مجموعة زخرفية من خطوط هندسية كذلك ترسم مربعين متداخلين، تنتهى أطراف كل منهما بحلقات، ويتكون من تداخلهما نجمة من ثمانية أطراف.

ولاشك فى أن زخارف المئذنتين المختبئة وراء المعطين هي أكثر زخارف المسجد إبداعاً وتنوعاً، واحتفاظاً بطابعها العتيق^(١). وتحتوى المئذنة الغربية الشمالية على عشرين إزاراً منقوشة على طوابقها الثمانية، أما المئذنة الشرقية فتحتوى على ستة إزارات تمتد حول طوابقها الأربعة كما تحوى مجموعة من النوافذ المنقوشة إطارها وستائر المخرمة^(٢).

وانى أرجو أن تتاح الفرصة مستقبلاً لدراسة زخارف هاتين المئذنتين دراسة تحليلية وافية، وإفراد بحث عنها. ويكفينى - فى حدود هذا القسم من الكتاب - أن أكتب عن مظاهرها العامة، وسأعود فيما بعد إلى الإشارة إليها، فى الفصل الثامن المخصص لدراسة مميزات الزخارف الفاطمية.

وأهم عنصر من عناصر الزخارف فى المئذنتين هو عنصر التوريق والتزييق، وفيه أكثر من عشرة أشكال مختلفة. أبسطها ذلك الشكل الذى التقينا به على بوابة المسجد والذى يقتصر على ساق نباتية تجرى منحنية فى حلقات متلاصقة تنبثق فى داخلها وريقة من فص واحد. ثم نلقى فى شكل آخر أن الساق تزدوج، وتتشابك تجعدها بحيث تتكون منها حلقات تضم كل منها

(١) إذا كان من حسن الحظ أن أقيم المعطيان حول المئذنتين فحفظا الزخارف من التعرض لعاديات الزمن التى أصابت بقية زخارف المسجد، فإنه من سوء الحظ أن تظل هذه الروائع الفنية فى مخبئها، وألا تيسر مشاهدتها ودراستها بتنظيف الفراغ الكائن بين المعطين والمئذنتين وإعداده إعداداً ملائماً، دون الإخلال بالمعالم الأثرية للبناء.

(٢) يبدو لى أن زخارف المئذنة الشمالية الشرقية لم تكتمل، وأنه صرف النظر عن إتمامها عند الشروع فى بناء المعطف المحيط بها. وتمتد الزخارف فى المئذنتين على مسطحات يزيد طولها عن ثمانمائة متر.

فى داخلها وريقة من فص واحد. وفى شكل مبسط آخر تمتد الساق متجعدة وتلقى ورقة من فصين، مرة عن يمينها ومن فوقها، ومرة عن يسارها ومن تحتها. ونرى الساق فى موضع آخر ترسم انثناءات متشابهة، ولكنها تلقى فيها بورقتين متقابلتين تجمعهما برعمة أو بقلّة، أو تفصل بينهما، ونجد الورقتين تارة قائمتين فوق هذه الانثناءات وتارة متدلّيتين تحتها.

وتبدأ السيقان والأوراق تتطور فى أشكال أخرى إلى مجموعات إنشائية من التواريق النخيلية المحصورة فى مربعات أو مستطيلات، اللوحتان رقما (٧١) و (٧٢) ثم تنتهى بأشكال منسقة من التزاويق، داخل خطوط هندسية متشابكة ترسم نجوماً سداسية الأطراف، أو عقوداً ثلاثية الفتحات، تمتد السيقان حولها متعرجة متعاشقة متداخلة، وتتراوح الأوراق فيها وتنثنى، فى خفة ولين، كأنها تزهر بفصوصها المثنى والثلاث. وفى مجموعة من تلك المجموعات الإنشائية تتطور الورقة الثلاثية إلى ورقة منبسطة من أوراق شجرة العنب^(١).

والى جوار هذه الزخارف النباتية تمتد إزارات وإطارات أخرى نقشّت فى أشكال هندسية من خطوط متداخلة ترسم مضلعات سداسية الزوايا، أو مستطيلات مستديرة الأطراف أو دوائر وأنصاف دوائر مفرغة، أو معينات من أربعة فصوص، أو نجوم ذات خمسة رؤوس. ونلقى فى إطار يحيط بقاعدة الطابق الرابع من المئذنة الشمالية الشرقية مجموعة من الدوائر التى رسمت بداخلها تشكيلات من الرسوم الهندسية المتداخلة، كما نلقى فى منتصف الطابق الثانى من المئذنة الغربية الشمالية، معينين بديعى التنسيق، لوحة (٦٧). وترى فىهما الخطوط المزدوجة ملتفة التفافاً يرسم أشكالاً معقدة.

أشرت فيما سبق إلى وفرة النقوش الخطية التى كانت تزين المسجد. وقد تبقى من هذه النقوش قليل جداً مما كان فى داخل المسجد وحول صحنه. وما زالت ترى أجزاء من الإزار الذى كان يحيط ببلاطة المحراب وبعض الأساكيب، وأجزاء أخرى تحت قاعدة قبة المحراب، وجزء من إزار القبة المتطرفة فى أسكوب المحراب. وكذلك تبقى جزء من إزار البوابة. وأجزاء متفرقة حول الطاقات الزخرفية وبعض عتبات الأبواب وإطارات نوافذ المئذنة الشمالية. وتبقت كذلك معظم الإزارات الأربعة المنقوشة حول المئذنتين، اثنان حول المئذنة الغربية الشمالية، يقع الأول على ارتفاع ثمانية أمتار من سطح الأرض ويمتد الثانى فوقه على ارتفاع أربعة أمتار منه، والإزار الثالث يحيط بمعطف هذه المئذنة، أما الإزار الرابع فإنه يحيط بالمئذنة الشمالية الشرقية على ارتفاع عشرة أمتار من أرضيتها.

(١) انظر الرسوم التى نشرها (كريسويل) فى صفحات ٩٥ و ٩٧ و ٩٨ فى الأشكال ٣٤ إلى ٤٣ وكذلك اللوحات ٢٣ إلى ٣٢ من الجزء الأول من كتاب «العمارة الإسلامية فى مصر».

وقد اختلف أسلوب الكتابة والنقش في هذه الإزارات، وإن كانت جميعاً تتبع نوعاً واحداً هو الخط الكوفي المزهر. وقد صيغت الحروف فيها بارزة مسطحة فيما عدا الإزار الثالث المحيط بالمعطف فإن الحروف فيه استدار بروزها كأنصاف العصي، وروعى أن تكون الحروف المستديرة، أو المغلقة مثل العين والفاء والميم والواو والهاء المتطرفة، مقوّرة لا مفرغة، وأن تحتل برعمة مكان التفريع منها^(١). وقد تناثر التزامير فوق هذه الحروف وفي الفراغات التي تتركها أحياناً الحروف الممتدة مثل السين والياء، لوحة رقم (٧٩ أ).

أما في الإزارات الأخرى فقد احتل التزهير مكانة بارزة، ولم يترك فراغاً من غير أن يملأه. وتظهر الروح الزخرفية واضحة قوية في هذه اللوحات الفنية التي استطاع صانعوها أن ينسقوا أبدع تنسيق بين جمال الحروف الكوفية ورقّة الزخارف النباتية، وأن يراعوا في ملء الفراغات عدم الإخلال ببروز الحروف ووضوحها، لوحة رقم (٧٨).

ولاشك في أن الإزارين الكبيرين في المئذنتين جديران بالإعجاب^(٢)، لوحة رقم (٧٩). وقد كتب (فلوري) عن إزار المئذنة الشمالية أنه «إحدى البدائع الفنية التي أنتجها الفن الإسلامي في الحقل الذي اختص به، وهو حقل الزخرفة الكتابية»^(٣). وسأدخر الكتابة عن عناصر هذا الإبداع للقسم الثالث من الفصل الثامن الخاص بمميزات الزخرفية الفاطمية.

(١) يرجع (فلوري) انتماء هذا الإزار إلى عصر بدر الجمالي لتشابه الأسلوب فيه إلى حد ما مع أسلوب الخط على أسوار القاهرة التي بنيت في سنة ٤٨٠ (١٠٨٧م)، وقد أخذ (كريسويل) بهذا الرأي. انظر (فلوري)، «زخارف مسجدى الحاكم والأزهر»، صفحة ١٩ وكتابه «الأزارات الكتابية الإسلامية»، صفحة ١٠:

Flury (Samuel), *Islamische Schristbänder, Amida- Diarbeker, XI Jahrhundert*, Basel-Paris, 1920.

وانظر (كريسويل) «العمارة الإسلامية في مصر»، جزء أول، صفحة ٩٢.

ولست أرى مبرراً لهذا الترجيح، خصوصاً وأن التزهير في كتابة الأسوار ضئيل بالنسبة لتزهير إزار المعطف في مسجد الحاكم، وأنه من الواضح أن الخط في هذا الإزار قد نقش بعناية ورقة لم يصل الخط في الأسوار إلى مستواه، والأصح أن كتابة إزار المعطف التي نقش في سنة ٤٠١ هـ قد اتخذت أنموذجاً اتبعه الخطاطون في سنة ٤٨٠ هـ. عند نقش كتابة الأسوار.

(٢) يبلغ طول الحروف في إزار المئذنة الغربية ما يقرب من ٨٠ سنتيمتراً وفي إزار الشمالية ما يقرب من ٧٠ سنتيمتراً، أما الإزار الأول في المئذنة الغربية وإزار معطفها فيزيد الطول فيهما عن أربعين سنتيمتراً. ويتراوح طول الحروف في بقية الإزارات بين ٢٠ و ٣٠ سنتيمتراً.

(٣) انظر صفحة ٤٦ من كتاب «زخارف مسجدى الحاكم والأزهر».

الفصل الخامس

أربعة مساجد من العصر الفاطمي

١ - مسجد الجيوشي.

٢ - مسجد الأقرم.

٣ - مسجد السيدة رقية.

٤ - مسجد الصالح طلائع.

الفصل الخامس

أربعة مساجد من العصر الفاطمي

١

مسجد الجيوشي

يرتقى مسجد الجيوشي تلال المقطم في منطقة كانت عند إنشائه خارجة عن حدود القاهرة. وتعلو مدخل هذا المسجد لوحة من الرخام نقش عليها بالحروف الكوفية نص من خمسة سطور فيه آيتان من القرآن الكريم وسجل بتاريخ المسجد، يقرأ فيه «مما أمر بعمارة هذا المشهد المبارك^(١) فتي مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين وسلم إلى يوم الدين، السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى زعاة المؤمنين، عضد الله به الدين، وأمتع بطول بقاءه أمير المؤمنين، وأدام قدرته وأعلى كلمته، وكيد عدوه وحسدته، ابتغاء مرضاة الله، في المحرم سنة ثمان وسبعين وأربع مائة»، / مايو ١٠٨٥ م^(٢).

(١) يدعى (كريسويل) أن النص المنقوش جاء فيه لفظ «الزاوية» في الموضع الذي يقرأ فيه «المشهد» ولعل جهل (كريسويل) باللغة العربية هو الذي أوقعه في هذا الخطأ.

(it is called "Zawiya" in the inscription over the entrance).

انظر صفحة ١٥٥ من الجزء الأول من كتاب «العمارة الإسلامية في مصر».

(٢) كان (برشم) قد قرأ التاريخ خطأ (محرم سنة ٤٩٨ هـ) ونشره في مقاله «مسجد من عهد الفاطميين»، صفحة ٦٠٦:

Van Berchem, Max; *Une Mosquee du temps des Fatimides*, Mémoires de l'Institut d'Egypte, Tome II, pp. 606-619, 1889.

ولكن (برشم) عاد فصيح التاريخ (محرم سنة ٤٧٨ هـ) في صفحة ٥٤ من «موسوعة النقوش العربية» التي نشرها في سنة ١٨٩٤ م.

و «خادم مولانا» المشار إليه في هذا النص هو بدر الجمالي الذي توفي بعد بنائه لهذا «المشهد» بتسع سنوات. وقد جاء ذكر هذا المسجد مرة واحدة في أخبار مصر لابن ميسر^(١)، ولم يشر إليه، فيما نعلم، غيره من المؤرخين القدامى.

وقد أنشأ بدر الجمالي مسجدًا آخر في جزيرة الروضة، كان يطلق عليه جامع المقياس^(٢)، ولكن هذا الجامع هدم في سنة ١٨٣٠م، ويتبقى وصف له ولتخطيطه في مجموعة وصف مصر^(٣). وكانت بهذا المسجد ثلاثة نصوص منقوشة بالخط الكوفي مع لوحات رخامية بها تاريخ إنشائه^(٤).

وتخطيط مسجد الجيوشي يفصح عن الغاية من إنشائه مشهدًا، شكل (١٤)، وهو أول مسجد معروف في القاهرة كان يضم ضريحًا^(٥). وينحصر تخطيطه في مستطيل طوله ٢٢ مترًا ونصف المتر، وعرضه ١٧ مترًا. ويحتل بيت الصلاة أكثر من نصف هذه المساحة. وفيه أسكوبان، يتكون كل منهما من ثلاثة مربعات. أما أسكوب المحراب، فطول جدار القبلة فيه ١٣ مترًا، وعرضه أربعة أمتار ونصف المتر، وتمتد فيه ثلاثة عقود في موازاة هذا الجدار، قائمة على دعامتين كما يمتد فيه عقدان عموديان على هذا الجدار، واحد عن يمين المحراب وآخر عن يساره يقسمان الأسكوب إلى ثلاثة مربعات، ويقوم كل منهما كذلك على دعامتين، واحدة تلتصق بجدار القبلة، والأخرى تلتصق بدعامة من دعامتي العقد الموازي لهذا الجدار. وينتصف المحراب جدار القبلة، وتتقدمه قبة قائمة

(١) انظر صفحة ٥٩ من كتاب «أخبار مصر» مؤلفه ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف بن جلب، المتوفى سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٥م، نشره (ماسيه)، القاهرة، سنة ١٩١٩م — من مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية.

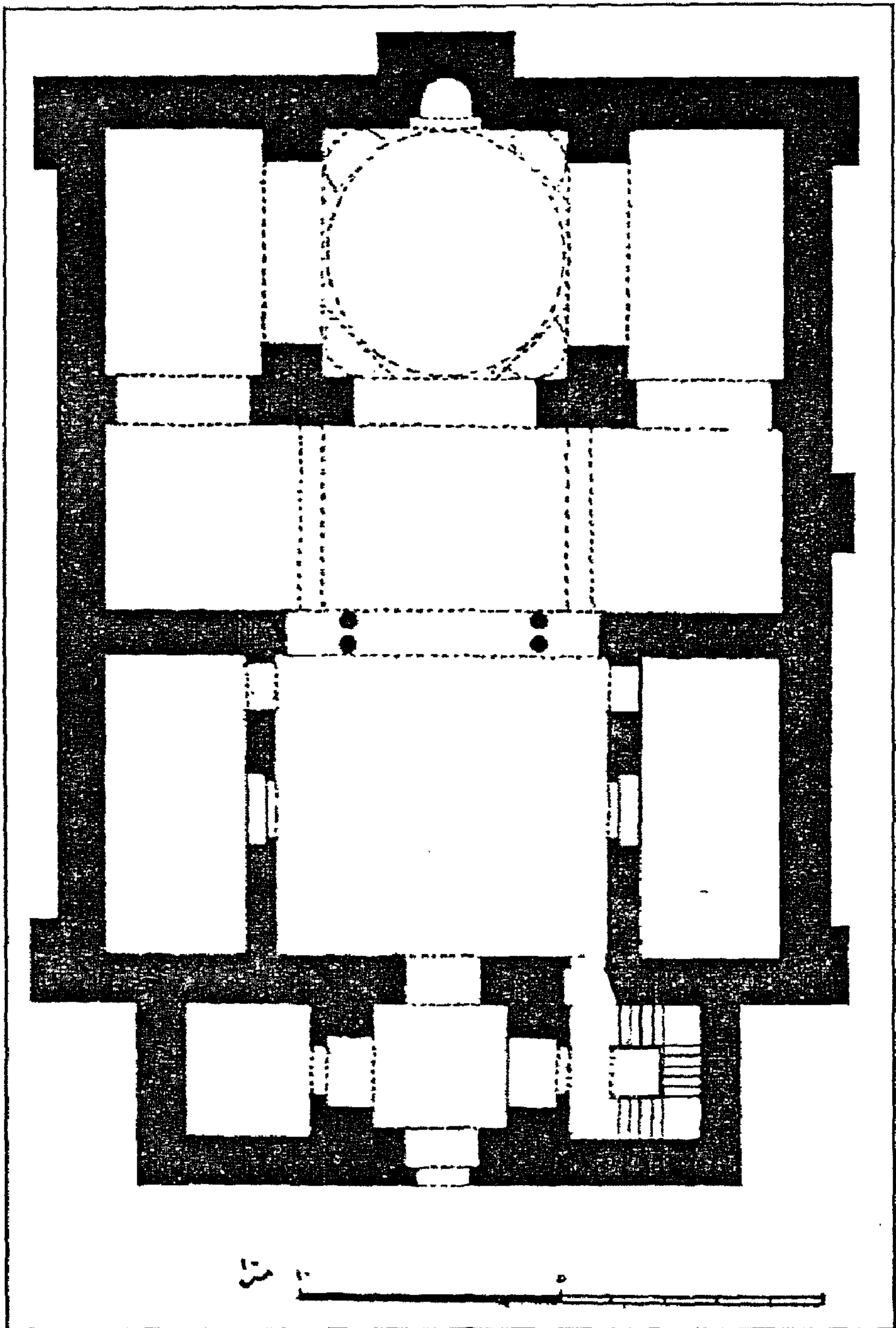
(٢) أشار المقرئ إلى هذا المسجد في «الخطط»، ولكن طبعه بولاق ظهرت خللًا من هذه الإشارة، تنظر صفحة ٢٩٠ من الجزء الثاني. وقد أشار المقرئ في صفحة ٢٩٧ من هذا الجزء الثاني إلى مسجد آخر كان يطلق عليه «جامع الروضة». وقد خلط (كريسويل) بين إشارتي المقرئ إلى هذين المسجدين، في صفحتي ٢١٧، ٢١٩ من الجزء الأول من كتابه المشار إليه أعلاه.

(٣) نشر هذا وصف في سنة ١٨١١م في صفحات ١٥٦ إلى ١٥٨ من الجزء الثاني من كتاب «وصف مصر» Description ocln de l'gypte, Etat Moderne، وأعيد طبع هذا الوصف في صفحات ٣٣٧ إلى ٣٤٠ من الجزء السابع من منشورات المعهد المصري: Mémoires de l'Institut l'Egypte, Tome VII.

(٤) جاء في نقوش إحدى هذه اللوحات ما نصه:

«نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين مما أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك قبلة السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في رجب سنة خمس وثمانين وأربع مائة».

(٥) إلا أن صح أن مسجد اللؤلؤة كان يضم ضريحًا، فيكون الأول من نوعه، انظر فيما سبق.



شكل (١١) - رسم تخطيطي لمسجد الجيوشي

على المربعة الوسطى من أسكوبه. والأسكوب الثانى أضيق مساحة من الأول، إذ يقل عرضه عن ثلاثة أمتار ونصف المتر، وينقسم كذلك إلى ثلاثة مربعات، تطل المربعة الوسطى منها على الصحن بعقد كبير أوسط يرتكز من كل جانب على عمودين متجاورين، ويحف به من كل جانب كذلك عقد صغير، يرتكز من ناحية على الجدار، ومن ناحية أخرى على هذين العمودين. أما المربعتان المتطرفتان من هذا الأسكوب فلا تطلان على الصحن، وسدت حدودهما الشمالية بقطاع من جدار.

والصحن مستطيل قريب من المربع، طوله ستة أمتار ونصف المتر، وعرضه أقل من ذلك متر، وليس له مجنبات، وإنما أقيمت على كل من جانبيه قاعة مستطيلة. وليس للصحن مؤخر أو على الأصح أقيم مدخل المسجد محل مؤخره. وهو مدخل بارز من ثلاثة أقسام، وسطها ممر، فتحت عن يمينه قاعة بها أدراج السلم الذى يؤدى إلى سطح المسجد ومئذنته، وفتحت قاعة أخرى عن يساره، وهى قاعة مسقوفة مغلقة. أما الممر الذى يعبره الداخل من باب المسجد فيؤدى إلى الصحن.

بنيت جدران مسجد الجيوشى من الحجارة، لوحة رقم (٣٣)، أما ماعداها من عقود وسقف وقبة ومئذنة فقد بنى من الآجر. وعقود المسجد أنواع. منها العقد المدبب المنفوخ، وهو العقد الكبير المطل على الصحن من بيت الصلاة، لوحة رقم (٣٦)، يزداد الدبب فيه عن الانتفاخ وضوحاً. أما العقدان الصغيران اللذان يحفان بهذا العقد فيزداد الانتفاخ فيهما وضوحاً عن الدبب. ويحمل هذه العقود عمودان مزدوجان صنعا من الرخام، ولكل منهما تاج ناقوسى على هيئة مشكاة، وقاعدة على شكل مقلوب لهذا التاج. وليس بالمسجد أعمدة غير هذه الأعمدة الأربعة.

وعقود بيت الصلاة منفرجة، انبطحت أكتافها أو انفرجت، وامتدت أطرافها واستقامت، واندمجت فى الدعامات التى تمتطيها هذه الأطراف، من غير حدارة أو حدود، تبين بداية الأطراف ونهاية الدعامات، لوحة رقم (٣٥). وترتفع قمة هذه العقود ستة أمتار فوق سطح الأرض. وهى تحصر بينها وبين الجدران سقفاً مبنية من الآجر، على هيئة قبوات متداخلة. وسقفت القاعتان اللتان تجاوران الصحن بالآجر، وعلى كل منهما قبوة نصف أسطوانية الشكل.

وتعلو مربعة المحراب قبة ترتفع قمته اثنتى عشر متراً فوق الأرضية. وترتكز القبة على عقود من ثلاث جهات وعلى جدار القبلة من الجهة الرابعة، لوحة رقم (٣٤). وقاعدة القبة مربعة يحدها إطار عريض من الكتابة الكوفية، وتمتطى أركانها أربعة مقرنصات معقودة، وعقودها منفرجة، لوحة رقم (٣٧ أ). وفتحت بين المقرنصات نوافذ، نافذة فوق كل عقد من العقود الثلاثة التى ترتكز عليها القبة، وشكلت طاقة صماء فى مستوى هذه النوافذ وعلى هيئتها، فى جدار القبلة، فوق المحراب. وعقود النوافذ والطاقة منفرجة مثل عقود المقرنصات.

وتعلو الطابق الأول المقرنص من القبة رقبته، وهى طابق ثان مثنى مثل الطابق الأول، فتحت فى كل ضلع من أضلاعه نافذة معقودة، مدببة العقد، شبه منفرجة. وتستدير القبة فوق هذه الرقبة فى شكل

نصف كرة ملساء، وتتوسط قمته من الداخل دائرة نقش في مركزها اسما (محمد وعلى) بالخط الكوفي، وأحاطت بهما حلقة نقش عليها آيات قرآنية كريمة بالخط الكوفي المزهر.

وللمسجد محراب مجوف ينحصر في مستطيل زخرفي، لوحة رقم (٣٤، ٣٧ ب)، ويتوج المحراب عقد منفرج كان يرتكز طرفاه على عمود من كل جانب. وقد نقش المحراب وعقده وإطاره جميعاً زخرفة جصية بديعة.

وللمسجد مئذنة تعلو مدخله، لوحة رقم (٣٨)، وترتفع عشرين متراً فوق سطح الأرض. وهي تتكون من ثلاثة طوابق مدرجة، يرتفع الطابق الأول ثمانية أمتار فوق سطح المدخل، وهو مربع، فتحت نافذة في كل من واجهتيه الشرقية والغربية، وينتهي بإطار بارز من طاقات مقرنصات زخرفية، وهذه الطاقات هي أقدم مثال معروف من نوعها في العمارة الإسلامية بمصر، وقد أرجأت الحديث عنها إلى الفصلين السابع والثامن فيما بعد. والطابق الثاني مربع كذلك يرتفع مترين ونصف المتر فوق الطابق الأول، وفتحت نافذة معقودة بعقد مدبب في كل من واجهاته الأربع. أما الطابق الثالث فهو مئذنة ارتفاعه متر ونصف المتر، منحت كذلك في كل ضلع من أضلاعه نافذة مدببة العقد، ويتوج المئذنة قبة نصف كروية، بنيت هي وطوابق المئذنة الثلاثة من الآجر.

تركزت زخرفة مسجد الجيوشي في محرابه وفي قبة هذا المحراب. ولاشك في أن جميع المسطحات التي كانت تحيط بمعرفة المحراب وبطوابق القبة كانت مكسوة بالزخارف المنقوشة على الجص. ولاشك كذلك في أن ما تبقى من هذه الزخارف على مسطحات جدار القبلة، في الإطار المحيط بالمحراب، وتحت القبة، في مقرنساتها وفي الإطار الكوفي المحيط بقاعدتها، يعتبر دليلاً كافياً على انتشار الزخرفة في أرجاء هذا المسجد، لوحة رقم (٣٤)، وأكثر عناصر هذه الزخرفة إبداعاً هي الإطارات الخطية الكوفية التي امتدت عليها الآيات القرآنية مسطورة فوق ستائر نثرت عليها الأزهار نثراً حتى ملأت الفراغات بين الحروف، شكل (١٢). وأحاط بهذه الإطارات شرائط زخرفية ممتدة على جانبيها، وقد تنوعت زخارفها، ومنها شريط أحاط بإطار عقد المحراب، ورسم حلقة فوق قمته. وامتألت توشيحاً العقد بزخارف من أشكال فواكه وأزهار وأوراق نباتية، لوحة رقم (٣٧ ب).



شكل (١٢) - (وَيْتَرِ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) - سورة الفتح - آية ٢
آية كريمة منقوشة بالخط الكوفي على إطار من الجص في مسجد الجيوشي

مسجد الأقمر

رغب الخليفة الأمر بأحكام الله أن يبني مسجداً أمام قصر الخلافة، وطلب من وزيره المأمون بن البطائحى أن يشرف على بناء هذا المسجد، وكمل البناء فى سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م^(١). ويجرى على واجهة المسجد إفريزان من الكتابة الكوفية المنقوشة على الحجارة تقرأ فيهما «بسم الله الرحمن الرحيم، مما أمر بعمله.... فتى مولانا وسيدنا الإمام الأمر بأحكام الله بن الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آياتهما الطاهرين وأبنائهما الأكرمين، تقريباً إلى الله الملك الجواد آمين.... السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام وناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين وهادى دعوات (صحته دعاة) المؤمنين أبو عبد الله محمد الأمرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته، فى سنة تسع عشرة وخمسمائة....».

ولم يكن هذا المسجد جامعاً، فقد سجل النقريزى أنه «لم تكن فيه خطبة لكنه يعرف بالجامع الأقمر»^(٢).

وفى عهد السلطان برقوق، فى شهر رجب سنة ٧٩٩هـ / أبريل ١٣٩٧م، «جدده الأمير الوزير المشير الاستادار يلبغا بن عبد الله السانى، أحد المماليك الظاهرية، وأنشأ بظاهر باب البحرى حوانيت يعلوها طبايق، وجدد فى صحن الجامع بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية... ونصب فيه منبراً، فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة.... وبنى على يمينه المحراب البحرى مثذنة، وبيض الجامع كله، ودهن صدره بلاز ورد وذهب... وجعل فوق المحراب لوحاً مكتوباً فيه ما كان أولاً، وذكر فيه تجديده لهذا الجامع وسمى فيه نعوته وألقابه»^(٣).

(١) انظر المقرئى، والخطط، جزء ثان، صفحة ٢٩٠.

(٢) انظر شرحه.

(٣) نص النقش على هذا اللوح هو «بسم الله الرحمن ائرحيم ﷻ فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير» (صحتها رحمة) سورة الروم - آية ٥٠ - أمر بعمل المنبر والمنارة وغيره بعد انحراسه فى أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق حرس الله نعمته العبد الفقير إلى الله تعالى أبو المعالى عبد الله يلبغا السالى الحنفى الصوفى. لطف الله به فى اندارين وجعله... فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسيعمئة وكان بنى (صحته بناء) هذا الجامع فى أيام الخليفة الأمر بأحكام الله بن المستعلى بالله فى سنة تسع عشرة وخمسمائة من الهجرة النبوية».

و «هدمت المئذنة التي بناها الساماني» بعد ستة عشر عامًا (١٤١٣ م)، وذلك «من أجل ميل حدث بها»^(١). وذكر الجبرتي أن سليمان أغا السلحدار جدد المسجد في سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢١ م^(٢).

وبنى الأهالي بيوتا ألصقوها بواجهة المسجد، ومازال بعضها قائمًا إلى اليوم، وأزيل البعض الآخر في أوائل القرن العشرين، لوحة رقم (٣٩)، وجدت مصلحة الآثار الواجهة وأصلحت المسجد منذ سنوات. ويحتفظ المسجد على رغم هذه التجديدات بعناصره التخطيطية ومعظم عناصره المعمارية والزخرفية.

أقيم هذا المسجد على ناصيتي شارعين، في ركن يشغل زاوية حادة، ولهذا كان تخطيطه ينحصر في مستطيل غير منتظم الأضلاع من الخارج، شكل (١٣). ويبلغ طول الضلع القبلي من هذا المستطيل ٢٣,٥٠ مترًا، والشرقي ٣٧,٥٠، والغربي ٣١، والشمال ٢٠، ولكن حدود المسجد الداخلية ترسم مستطيلًا منتظم الأضلاع طوله ٢٨ مترًا وعرضه ١٧,٥٠.

ويشغل بيت الصلاة مساحة يمتد فيها جدار القبلة ١٧,٥٠، وجوفه ١٢,٥٠ مترًا. وينقسم هذا البيت إلى ثلاثة أساكيب، أكثرها سعة أسكوب المحراب، إذ إن عرضه خمسة أمتار، أما عرض كل من الأسكوبين الآخرين فهو ثلاثة أمتار فقط، وذلك مقياسًا بين الأعمدة. ويحد أسكوب المحراب، كما يحد كلا من الأسكوبين الثاني والثالث، بائكة من خمسة عقود موازية لجدار القبلة. ويعتمد أسكوب المحراب في وحدة كاملة، لا تخترقه عقود، ولا تقسمه أعمدة ولا دعائم إلى مربعات، ويتصل طرفه الشرقي بقاعة مستطيلة، عرضها ثلاثة أمتار، وطولها خمسة. ويتوسط المحراب جدار القبلة.

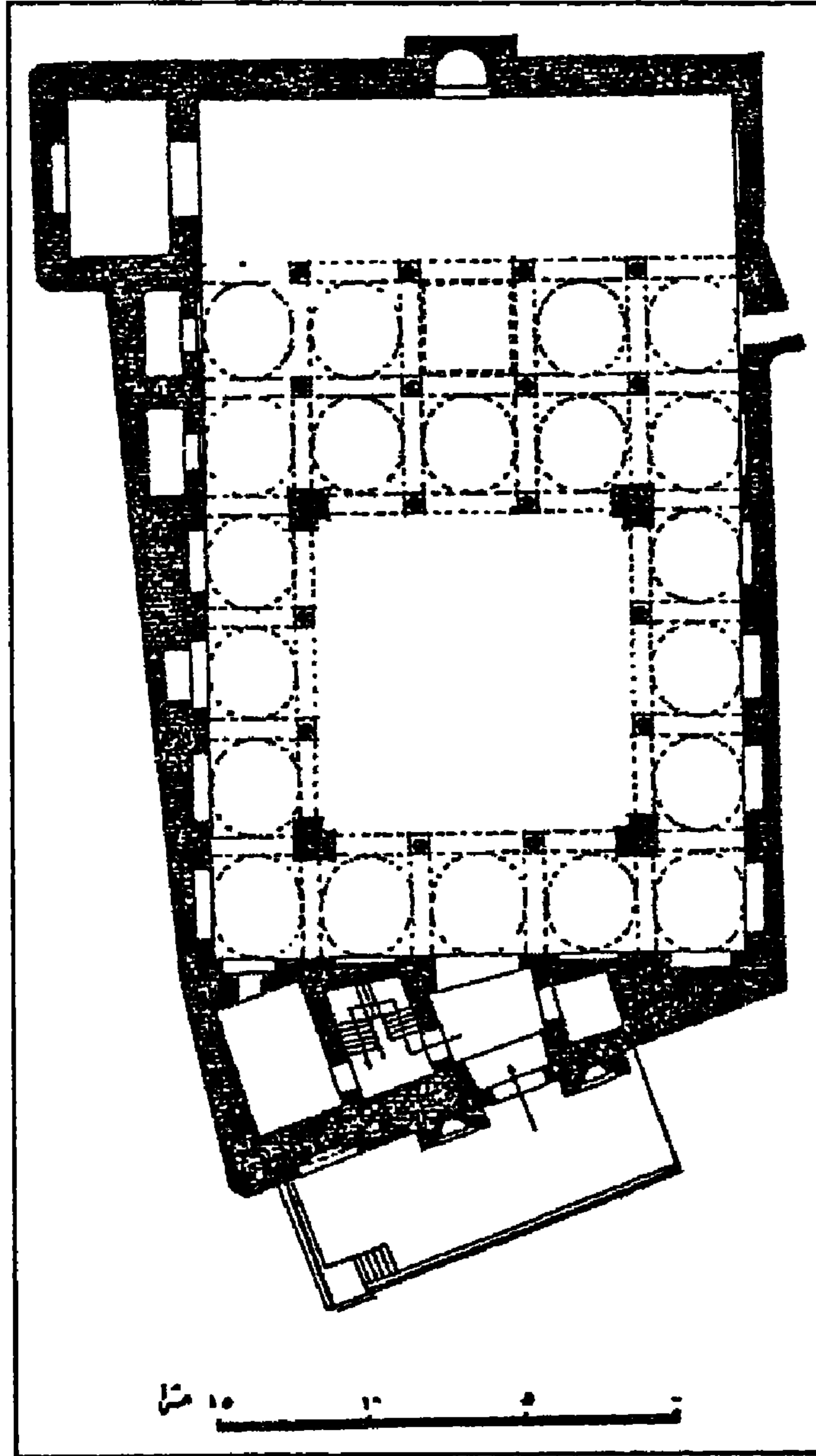
أما الأسكوبان الثاني والثالث فتخترقهما عقود متعامدة على عقود الأساكيب وتقسم كل منهما إلى خمسة مربعات.

وللمسجد صحن مكشوف مربع، طول كل ضلع من أضلاعه عشرة أمتار تقريبًا^(٣). وتطل عليه من كل جانب من جوانبه الأربعة بائكة من ثلاثة عقود ترتكز كل منها على عمودين منفصلين، في الوسط، وعلى دعامتين مشتركيتين، في أركان الصحن. وهذه الدعائم الأربع هي الدعائم الوحيدة في داخل المسجد، وفيما عداها ترتكز عقود المسجد، وعددها ٤٢ عقدًا، على أعمدة. وللصحن ثلاث مجنبات، بكل منها رواق واحد عرضه ثلاثة أمتار، ينقسم في كل من المجنبتين الشرقية والغربية إلى ثلاثة فواصل، وفي مؤخر المسجد إلى خمسة. ويتخذ الفاصل الأوسط في مؤخر المسجد معرًا لدخل المسجد القائم في مواجهة المحراب.

(١) انظر صفحة ٢٩٠ من الجزء الثاني من «الخطط للمقريزي».

(٢) انظر صفحة ٣١٨ من الجزء الرابع من «عجائب الآثار» للجبرتي.

(٣) ليس الصحن مربعًا تمامًا، فهو مستطيل طول قاعدته ١٠. ١٥ متر وضلعه ٩,٧٥ متر.



شكل (١٣) - رسم تخطيطي لمسجد الأقمر

وإذا كان تخطيط المسجد من الداخل منتظم الحدود، فإن أطرافه الخارجية غير منتظمة، ويلاحظ على هذا التخطيط أن واجهة المسجد الشمالية منحرفة، وليست في موازاة جدار القبلة أو المؤخر، وذلك نتيجة التقاء الشارعين، اللذين أقيم المسجد على حافتيهما، في زاوية حادة. وقد ملئ فراغ هذه الزاوية ببناء الواجهة والمدخل من ناحية، وإعداد ثلاث قاعات مستطيلة صغيرة، واحدة منها إلى يمين الداخل، والباقيتان إلى يساره. وتستخدم القاعة الأولى من هاتين القاعتين مراقبة للمئذنة.

ويبلغ عرض المدخل مترين، وهو يؤدي إلى ممر مسقوف طوله أربعة أمتار يتصل بمؤخر المسجد بزاوية منفرجة. وللمسجد مدخل آخر صغير في واجهته الغربية يقابل الفاصل الأوسط من المئذنة الشرقية. وتجنباً للانحراف في الجانب الشرقي للمسجد، جعلت في الجدار من الداخل طاقات، أو تجاويف. تطل على رواق هذه المئذنة. وتزداد هذه الطاقات فسحة واتساعاً كلما اقتربت من جدار القبلة، وهناك أقيمت، كما أشرت من قبل، قاعة مستطيلة. وقد روعي أن تفتح عن الداخل، في الجدار الغربي، طاقات مواجهة لهذه الطاقات، متناسقة معها، ولكنها أصغر حجماً.

رأينا من تخطيط المسجد أنه تمتد فيه عقود ترتكز في أركان الصحن على أربع دعائم لوحة رقم (٤٢)، وأنها عدداً ذلك ترتكز على أعمدة. وعدد أعمدة المسجد ١٦، وقد جلبت من أبنية قديمة، فهي وتيجانها وقواعدها ليست من العمارة الإسلامية. ويبلغ ارتفاع هذه الأعمدة خمسة أمتار، بما في ذلك القاعدة والتاج. وتعلو الأعمدة حدارات من ألواح خشبية تمتطيها العقود، لوحة رقم (٤٠). وعقود «الأقمر» منفرجة، فتحة حلقها ثلاثة أمتار، وارتفاعه يقرب من ذلك. وهذا أول مثل واضح لاستخدام مثل هذه العقود المنفرجة بانتظام في البناء في عمارة القاهرة، وقد رأينا أنها استخدمت من قبل في محراب الجيوشي وفي مقرنصات قبته^(١). وتربط العقود أوتار خشبية مدت بينها في منتهى أطرافها.

ويتكون كل من هذه العقود المبنية من الآجر من عقدين مزدوجين متتابعين، أحدهما خارجي متراجع، كأنه إطار للعقد الداخلي، لوحة رقم (٤٠). وكان إزار زخرفي من الكتابة الكوفية يزين حافة هذا العقد الخارجي، حول واجهات الصحن. وكان هذا الإزار يلتف حول العقود ويصل بين أطرافها، فكان إزاراً متصلاً حول واجهات الصحن الأربع. وتنتصف تواشيح العقود، على واجهات الصحن كذلك، جامات وردية مضلعة، لوحة رقم (٤٢).

(١) وكذلك استخدمت هذه العقود المنفرجة، قبل مسجد الجيوشي في آثار فاطمية، مثل نوافذ القباب السبع ومحرابي إخوة يوسف والشيخ يونس.

انظر فيما بعد لاستيضاح أشكال العقود المنفرجة.

أما عقود بيت الصلاة وأروقة المجنبتات فهي عارية من الزخارف، وتعلو مربعات المسجد في بيت الصلاة وفاصل الأروقة، قبوات مبنية من الآجر على هيئة قباب، وأغلب الظن أن هذه القباب مجددة جميعاً، وليس فيها من العتيق شيئاً. أما سقف أسكوب المحراب فهي خشبية مسطحة.

وقد بنيت جدران المسجد وواجهته من الحجارة. وواجهة مسجد الأقمر هي أول واجهة لمسجد قائم بالقاهرة عني بينائها وزخرفتها، لوحة رقم (٣٩). وهي لا تقتصر على بوابة ولكنها تشمل واجهة المسجد كلها، أي جدار المسجد الشمالي، المقابل لجدار القبلة. وقد أقيم بناء حديث ملتصق بالجناب الأيسر لهذه الواجهة، وحاجب له، فلم يعد يرى منها إلا وسطها وجناحها الأيمن، أي الشمال الشرقي.

بنيت هذه الواجهة كلها من الحجارة التي عني بصقلها وصفها ورصها عناية فائقة. وقسمت الواجهة إلى ثلاثة أقسام، الأوسط منها بارز عن سمت الجدار ثلاثة أرباع المتر، وطوله سبعة أمتار، وفيه مدخل المسجد، وكانت تعلوه المنذنة التي بناها السائى في سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م وهدمت في سنة ٨١٥هـ / ١٤١٣م، وبنيت عوضاً عنها منذنة في عصر غير معروف، هدمت هي الأخرى، وبنيت في موضعها منذنة حديثة. وإلى يسار المدخل، كما كان إلى يمينه، جناح طوله ستة أمتار ونصف المتر، أي إن الواجهة كانت تمتد عشرين متراً، ويبلغ ارتفاعها اثني عشر متراً.

ويتكون الجناح الأيسر الظاهر في هذه الواجهة من طاقة صماء مستطيلة تتوسطه، وتتوجها طاقة معقودة بعقد مديب، تحيط بحافته زخارف مقرنصة، وتملأ حشوته أضلاع مُشعة حول جامعة مستديرة، لوحة رقم (٤٥ أ). ويحف بكتفى هذا العقد لوحة على شكل معين مزخرف من كل جانب. وكان يعلو قمة الطاقة المدبية، طاقة أخرى مستديرة، اندثرت زخارفها، ويحف بها، فوق المعينين لوحتان مستطيلتان، تنوعت زخارفهما وصيغت إحداهما على هيئة محراب، وهو المحراب (البحري) الذي يشير إليه المقريزي في الفقرة التي نقلتها عنه، في أول هذا القسم. وفي طرف هذا الجناح الأيسر، في الركن الذي يصله بواجهة المسجد الشرقية قطع، أو شطف، لوحة رقم (٤٦)، ينتهى بهيئة عقد منفرج، ويحصر في حشوته مقرنص من حطتين، طاقتان في الخطة الأولى، تعلوهما طاقتان في الخطة الثانية. وهذا أول مثل من نوعه في العمارة الإسلامية.

وأما القسم الأوسط من الواجهة، لوحة رقم (٤٣)، وهو القسم البارز الذي يكون بوابة المسجد، فيتكون من ثلاثة أقسام رأسية، كل منها تنقسم إلى ثلاثة أقسام أفقية. وفي القسم الأوسط الرأسي فتح الباب، وهو مستطيل تعلوه عتبة من صنج من أنصاف دوائر معشقة. وتظهر هذه الصنج المعشقة هنا لأول مرة في عمارة المساجد، وقد سبق أن ظهرت في بوابتي النصر والفتوح. وتعلو هذه العتبة طاقة

كبيرة معقودة بعقد مدبب، تملأ حشوته أضلاع مشعة حول دائرة كبرى في وسطها، بديعة الزخرفة، كأنها شمس ينبثق النور من حولها. وهذا أول مثل من نوعه كذلك في عمارة القاهرة. وتتكون هذه الدائرة من أربع دوائر زخرفية. وتتوسط كل توشيحة من توشيحى العقد دائرة محارية، أو شمسية.

وأما القسمان الرأسيان الجانبيان فهما متشابهان، أو على الأصح متعادلان، القسم الأدنى من كل منهما فيه طاقة مستطيلة مطولة يتوجها عقد على هيئة محارة، أو هو على هيئة شمس صغيرة مشعة. وتعلو هذه الطاقة، فى القسم الأوسط الأفقى، طاقة أخرى مربعة، حُفرت عليها أشكال مقرنصات من أربع محطات متعاقبة، لوحة رقم (٤٤)، وهذا أيضا أول مثل من نوعه فى عمارة القاهرة، إذا استثنين مقرنصات مئذنة مسجد الجيوشى، التى تتكون من حطتين وصنعت من الآجر لا من الحجارة، كما هى فى مسجد الأقمر. وتعلو هذه الطاقة المستطيلة طاقة أخرى على هيئة محراب، معقودة بعقد مدبب يرتكز على عمودين رشيقين. وتملأ حشوة العقد محارة، أو شمس صغيرة كأن الضوء ينبثق منها، لوحة رقم (٤٣).

وعلى واجهة الأقمر ثلاثة إزارات أفقية، تمتد عليها أفقيا من أولها إلى آخرها، وفيها كتابة كوفية. ويمتد الإزار الأول تحت مستوى عتبة الباب، ويمتد الثانى فوق مستوى هذه العتبة. أما الإزار الثالث فهو إزار عريض يمتد فوق الواجهة ويتوجها. ويستمر هذا الإزار فى امتداده حول الواجهة الشرقية للمسجد إلى مسافة تبلغ أحد عشر متراً.

والظاهرة الأولى للزخرفة فى واجهة مسجد الأقمر هى الإشعاعات من مركز يمثل الشمس فى أغلب الأحيان. وإذا اتجهت الأنظار إلى الطاقة الكبرى التى تعلو الباب، وكانت تتوسط الواجهة، لوحة رقم (٤٣)، لاحظت أنه يتوسطها فى دائرة صغيرة اسما محمد وعلى تحيط بها ثلاث حلقات، شكل (١٤)، نقش على الحلقة الوسطى منها بالخط الكوفى ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب الآية ٣٣ وامتدت على الحلتين الآخرين زخارف نباتية متماثلة. وكأنما أريد بهذه الشمس المضيئة أن تعبر عن قوله تعالى ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾ سورة يونس الآية ٥. فقد كانت على هذه الواجهة وحدها سبعة أشكال لشموس مختلفة الأحجام، بل إن هذه الظاهرة، ظاهرة التعبير عن الضياء والنور لتزداد وضوحاً إذا دققنا النظر فى اللوحة العليا اليسرى من جناح الواجهة الأيمن فإنه يتضح أنها صيغت على هيئة محراب، كما أنه يشاهد فيها شكل مشكاة تتدلى من قمة المحراب، وكأنها ترتل قوله تعالى

﴿مَثَلُ نُورٍ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سورة النور الآية ٣٥. وهذه المشكاة، لوحة رقم (٤٥)، هي كذلك أول مثل زخرفى من نوعه فى عمارة القاهرة، بل وفى العمارة الإسلامية كلها. وبالإضافة إلى ذلك فإن واجهة الأقمر تحتوى على مجموعة من الزخارف الإسلامية المنوعة التى تجعل منها تحفة فنية فريدة فى عمارة القاهرة فى العصر الفاطمى، وسنعود إلى التحدث عنها فيما بعد.



شكل (١٤) - حلقة زخرفية على واجهة مسجد الأقمر



مسجد السيدة رقية

يذكر المقرئى أنه كان فى شرقى «القرافة الصغرى» مسجد يسمى مسجد الأندلس، وروى أنه كان يقال إنه بنى عند فتح مصر، وقيل بنى فى خلافة معاوية بن أبى سفيان، ثم بنته (جهة مكنون)، واسمها علم الآمرية، أم ابنة الأمر التى يقال لها ست القصور، فى سنة ست وعشرين وخمسمائة، على يدى المعروف بالشيخ أبى تراب^(١). وروى صاحب الخطط فى صفحة أخرى أن (جهة مكنون) هذه هى التى بنت «مسجد الأندلس ورباطه ومسجد رقية»^(٢).

وعثر أخيراً على إزار منقوش بكتابة كوفية يدور حول رقبة قبة هذا المسجد جاء فيه بعد البسملة وثلاث آيات من القرآن الكريم^(٣)، مانصه «وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً فى شهر «ذو القعدة» سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وحسبى الله» (سبتمبر ١١٣٣م). وفى هذا المسجد كذلك تابوت خشبى عليه نقوش كتابية كوفية جاء فيها «هذا ضريح السيدة رقية بنت أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه. . . . أمر بعمل هذا الضريح المبارك الجهة الكريمة الآمرية التى يقوم بخدمتها القاضى مكنون الحافظى على يد السنّى أبو تراب حيدرة بن أبى الفتح فرحم من ترحم عليه فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة».

كما أنه كان بهذا المسجد محراب نفيس من الخشب نقل إلى المتحف الإسلامى بالقاهرة، فيه نقوش كتابية بالخط الكوفى نصها «مما أمر بعمله الجهة الجليلة المحروسة الكبرى الآمرية التى كان يقوم بأمر خدمتها القاضى أبو الحسن مكنون ويقوم بأمر خدمتها الآن الأمير السديد نصيف الدولة أبو الحسن بن الفائزى الصالحى برسم مشهد السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على».

(١) انظر «الخطط»، الجزء الثانى، صفحة ٤٤٦.

(٢) انظر شرحه، صفحة ٤٤٨.

(٣) سورة الأعراف، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَنَنَاهُمْ بَكْتَابٍ فَصَلَّاهُ﴾.... (إلى قوله). . تبارك الله رب العالمين. الآيات ٥٢، ٥٣، ٥٤.

ويستدل من هذه النصوص التاريخية الثلاثة على أن أرملة من أرامل الخليفة الأمر شيدت مسجداً في سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م، وجعلت منه مشهداً، وأن هذه الأميرة زوّدت هذا المشهد في سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٩م. بضريح للسيدة رقية، وبمحراب خشبي قبيل سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م^(١).

وقد أهمل هذا المسجد فترة طويلة من الزمن إلى أن اعتنت به أخيراً مصلحة الآثار (لجنة حفظ الآثار العربية سابقاً)، فأصلحته وأعادت بناء مدخله الحال. ويحتفظ المسجد بمعظم عناصر بنيانه وزخرفته الفاطمية.

يشمل تخطيط، هذا المسجد أو المشهد شكل (١٥)، بيتاً للصلاة طول جدار القبلة فيه ١٢ متراً ونصف المتر، ويتكون من أسكوب واحد، ينقسم إلى ثلاث مربعات، الوسطى منها تكون مربعاً، طول ضلعه خمسة أمتار، والأخريان مستطيلتان طول كل منهما خمسة أمتار، وعرضها قريب من ثلاثة. ويصل مربعة المحراب بالمريعتين المجاورتين فتحة، أو باب مفتوح من كل جانب، ويقوم على جانبي كل من هذين البابين عمودان متجاوران، يحملان طرفاً من عتبته. ولكل من المربعات الثلاث محراب مجوف في جدار القبلة. وجوفة المحراب الأوسط أكثر عمقاً واتساعاً.

ووضع الضريح في مربعة المحراب حتى يكاد يملؤها، فلا يترك فيها غير مجال ضيق للمصلين^(٢). ولأسكوب المسجد هذا باب واحد مقابل للمحراب الأوسط، ويؤدي هذا الباب إلى رواق مواز لهذا الأسكوب، معادل له في المساحة طولاً، ولنصفه عرضاً. وفي هذا الرواق محرابان، يتوسط كل منهما الجزء من الجدار القائم بين الرواق وبين أسكوب المحراب، الأول إلى يمين باب هذا الأسكوب، والثاني إلى يساره.

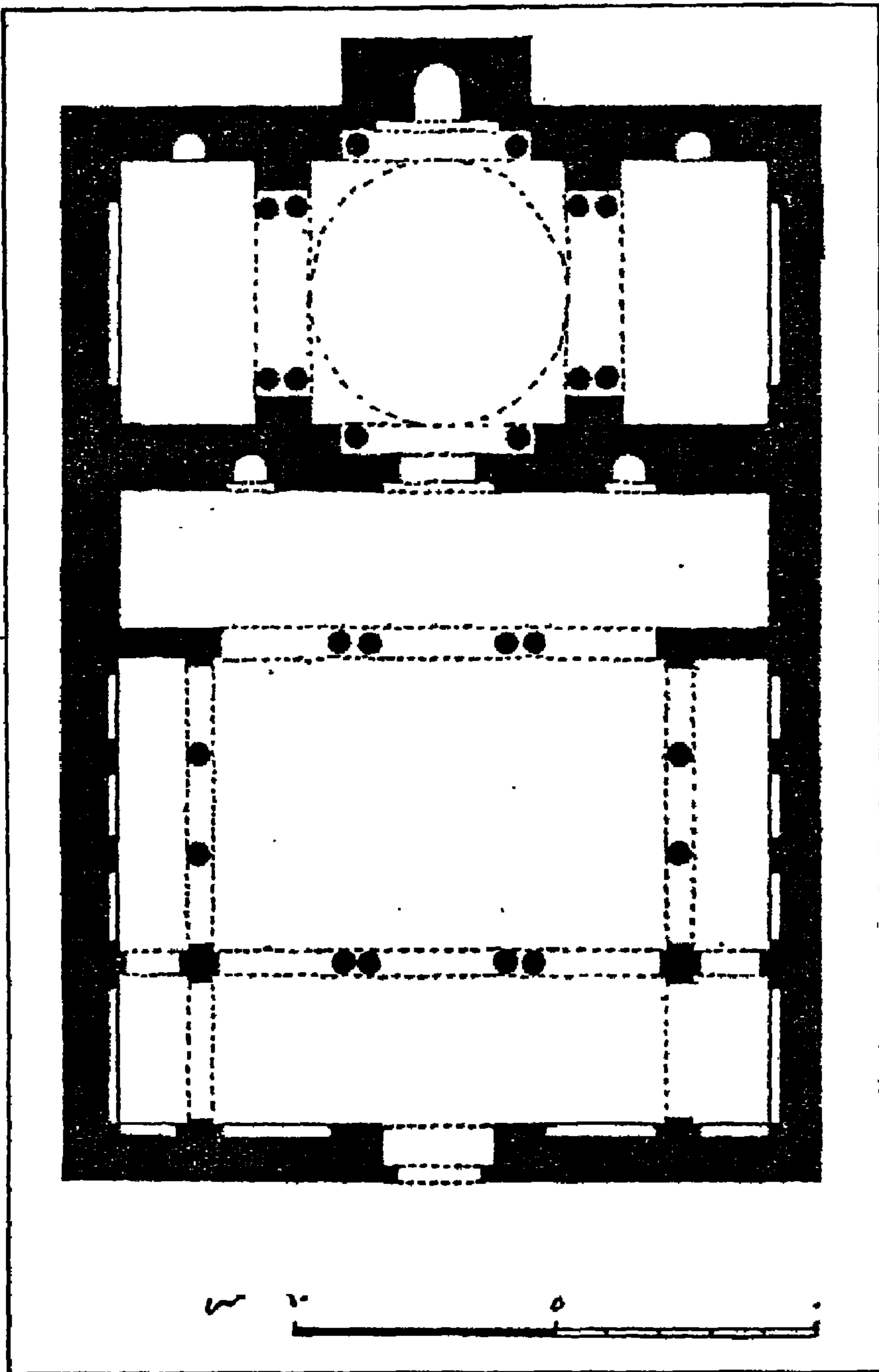
وكان هذا الرواق يؤدي إلى صحن مكشوف ويطل عليه ببائكة من ثلاثة عقود ترتكز في الوسط على عمودين مزدوجين، وفي كل من الجانبين، على دعامة معتدة إلى كل من الجدارين الشرقي والغربي. وأغلب الظن أن مساحة هذا الصحن المكشوف كانت تعادل مساحة المسجد المسقوف، وأنه

(١) انظر تراجع صفحات ١٩٧ إلى ٢٠٦ من كتاب (قيت)، «مواد لموسوعة كتابات عربية»:

Wiet, Gaston, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicorum*, 1ère Partie Egypte, Tome II, Egypte, Mémoires publiés par les Membres de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, Tome LII, 1930.

وصور محراب السيدة رقية منشورة في كتاب (بوتى)، «الأخشاب المنحوتة»، اللوحات ٨٠ إلى ٨٨، ووصفها في صفحات ٦٧ إلى ٦٩.

(٢) يستدل من ذلك أنه لم يدخل في تصميم المسجد عند بنائه في سنة ٥٢٧هـ تدبير مكان لضريح وأن صفة المشهد أضيفت فيما بعد إلى المسجد.



شكل (١٥) - رسم تخطيطي لمسجد السيدة رقية بعد تجديده حديثاً (عن مصلحة الآثار)

كان محاطا بجدران من الجهات الثلاث، الشرقية والشمالية والغربية، فلم تكن بها أروقة ولا مجنبات. أى إن المسجد جميعه كان منحصرًا فى مستطيل طوله ٢١ مترًا، شرقًا وغربًا، و ١٤,٥٠ مترًا، جنوبًا وشمالًا^(١).

بنى مشهد السيدة رقية جميعه من الآجر، فيما عدًا أعمدة مقدم المسجد الستة عشر والتي يظهر منها فيه ست مجموعات من الأعمدة المزدوجة، يبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار. وهى أعمدة رخامية، صنعت بالقاهرة، وصنعت لها تيجان على هيئة الزهرية أو الناقوس، وقواعد على نفس الهيئة. وهذه القواعد وضعت فى اتجاه عكسى لاتجاه التيجان، لوحة رقم (٤٧). وكان لهذه التيجان حدارات من مكعبات خشبية.

أما العقود التى بهذا المشهد فتقتصر على الثلاثة المطلّة من الرواق على الصحن، وهى مستحدثة على نظامها القديم، شكلها منفرج، ويبلغ ارتفاع قمته عن أرضية المسجد خمسة أمتار ونصف المتر^(٢).

ولم تستخدم العقود داخل أسكوب المحراب. وتتصل المربعات فيه بواسطة فتحة مرتفعة، شبيهة بباب من غير مصاريع، تتكون من إطار مستطيل من الجدار يرتكز طرفاه على عمودين مزدوجين من كل جانب، وترتفع عتبه إلى مستوى ارتفاع قمة عقود الرواق، وتتخذ الفتحة التى تصل مربعة المحراب بالرواق نفس الشكل المستطيل، ولكنها لا ترتفع إلى هذا المستوى. ويحف بهذه الفتحة عمودان، واحد من كل جانب. وهما يواجهان عمودين شبيهين يحفان بالمحراب الأوسط، لوحة رقم (٥٠ أ)، ويحملان الإطار المستطيل الذى يحيط بقسمه الأعلى.

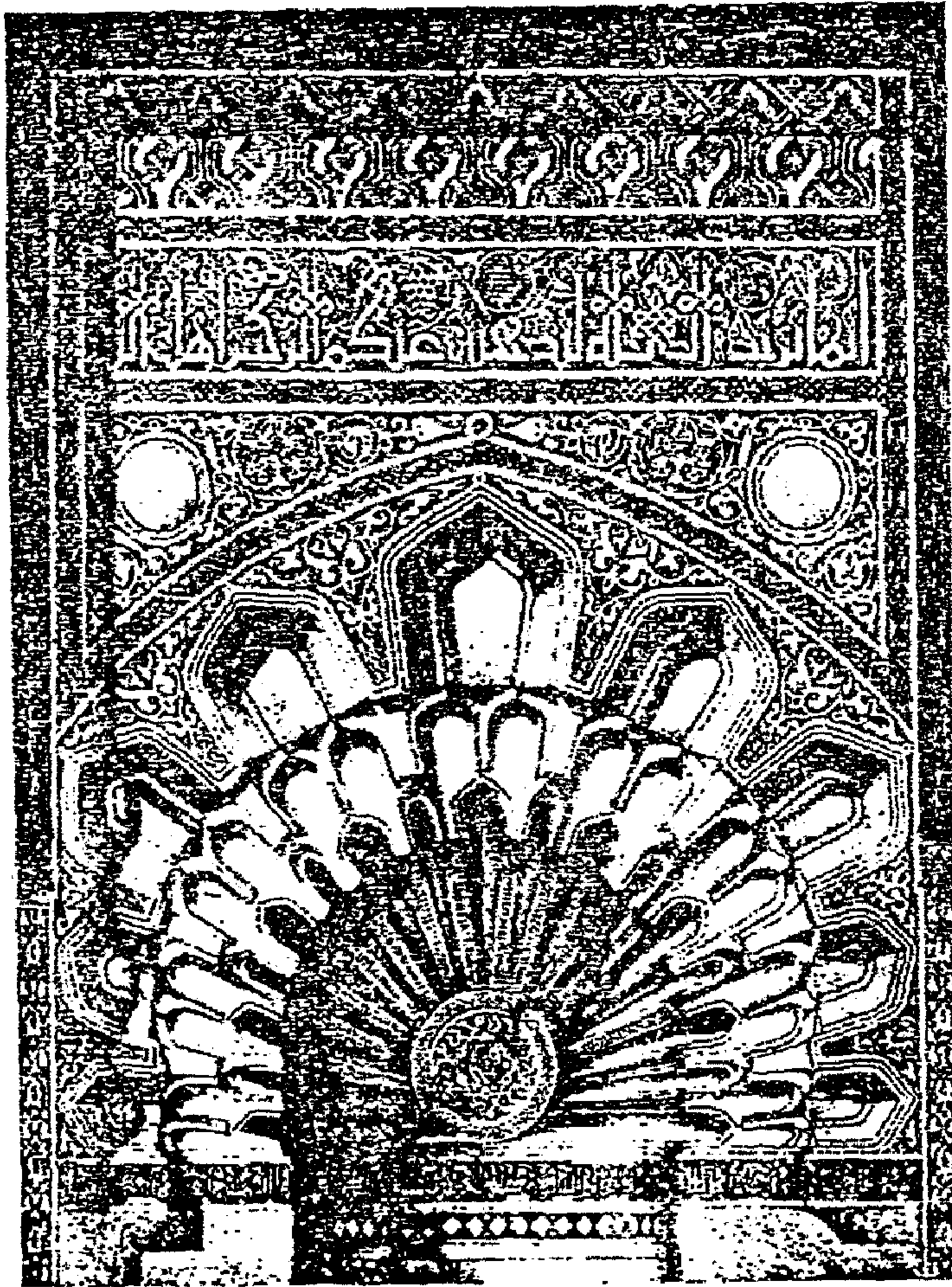
وللمشهد خمسة محاريب ومجوفة، ثلاثة صفت فى جدار القبلة ويقع الاثنان الآخران فى الرواق، أمام العقدين الجانبيين المطلين عليه، لوحة رقم (٤٩). وأهم هذه المحاريب الخمسة هو المحراب الأوسط فى جدار القبلة، وهو محراب كبير، جوفته متر، وصدرة ثلاثة أمتار، وارتفاعه خمسة ونصف، وقد كسى نصفه الأعلى بزخرفة جصية، شكل (١٦). وأغلب الظن أن مسطحات المحراب جميعها كانت مكسوة كذلك بالزخارف الجصية. ويتكون رأس المحراب الرئيسى من هيئة محارة شمسية، تنبثق ضلوعها من دائرة وسطى. وعدد هذه الضلوع ستة عشر ضلعًا، وتنتهى أطراف الضلوع على هيئة عقود منفرجة، تحيط بها حلقة من طاقات صغيرة عددها ثمانى عشرة طاقة،

(١) وذلك بالإضافة إلى بروز المحراب الخارجى فى جدار القبلة بمقدار متر ونصف.

(٢) هذه العقود مجددة، والظاهر أن أكتافها قد قوست ورؤوسها دببت بشكل لم تكن تبديه أصلًا. أما الأروقة التى تظهر فى شكل (١٣) محيطة بالصحن، شرقًا وغربًا وشمالًا، فهى وأعمدتها ودعاماتها وعقودها وجدرانها مستحدثة جميعًا.

وتحيط بها هي الأخرى حلقة ثانية من طاقات أكبر حجماً، عددها تسع طاقات. وتنحصر هذه الضلوع والطاقات في إطار أول على هيئة عقد منفرج يحيط به إطار ثانٍ مستطيل يتكون ضلعه الأعلى من إزارين، الأدنى منهما تمتد عليه نقوش كتابية من خط كوفي مزهر، والثاني تملؤه زخارف هندسية متشابكة، لوحة رقم (٥٠ أ).

ومحرايا الرواق صورتان مصغرتان لهذا المحراب من حيث تجويفهما ونظامهما وزخرفتهما، ولا يختلفان عنه فيما عدا ذلك إلا من حيث إنه لا يتصدرهما عمودان مثله، لوحة رقم (٤٩). وأما المحرايان الجانبيان في بيت الصلاة، فهما كذلك شبيهان بالمحرايين الآخرين، إلا أن أطراف الإزار الكوفي فيهما تتدلى في خطين رأسيين، على شكل إطار مستطيل، ثم يمتدان أفقياً عن يمين كل محراب ويساره، لوحة رقم (٥٠ ب).



شكل (١٦) - الزخارف الجمية تحشو رأس المحراب الأوسط في مسجد السيدة رقية

وقد شيدت قبة أمام المحراب الأوسط فوق الضريح الذى وضع فيه التابوت الخشبى الذى أشرت إليه، وقطر هذه القبة خمسة أمتار، لوحة (٤٧). وهى تقوم على قاعدة مربعة ارتفاعها خمسة أمتار ونصف المتر فوق أرضية المشهد. ويعلو هذه القاعدة طابق أول، فى كل ركن من أركانه مجموعة من المقرنصات تحول القاعدة المربعة إلى مثنى، لوحة رقم (٤٨). وتتكون هذه المجموعة من مقرنص أوسط مجوف، معقود بعقد منفرج مطول، يحيط به من كل جانب مقرنص مماثل، ولكنه مسطح. ويمتطى قمتى هذين المقرنصين الأخيرين مقرنص رابع مجوف، معقود كذلك بعقد منفرج مطول. أما منتصفات جدران هذا الطابق الأول من طوابق القبة، فقد فتحت فى كل منهما مجموعة من النوافذ، بين مجموعات المقرنص^(١). وتتكون هذه المجموعة من نافذتين متجاورتين معقودة كل منهما بعقد منفرج مطول. وتمتطى قمتهما نافذة مماثلة لهما، غير أن قاعدتها ليست مستقيمة، بل تتكون من طرفى مثلث، لكى تساير أطرافها كتفى النافذتين المتجاورتين. وهكذا تتشابه الحدود الخارجية لمجموعة المقرنصات فى الأركان، ومجموعة النوافذ، فى المنتصفات. وتتكون هذه الحدود من خط يرتفع رأسياً، ثم ينحنى بزاوية منفرجة، ثم يستقيم من جديد لينحنى مرة ثانية بزاوية منفرجة فيهبط بزاوية حادة، ثم يستقيم هبوطاً، فينحنى مرة أخرى بزاوية منفرجة فيستقيم هبوطاً مرة ثانية ليستقر على القاعدة الأفقية.

وتعلو هذا الطابق رتبة القبة أو طابقها الثانى. وهو مثنى، فتحت فى أضلاعه مجموعة من النوافذ، نافذتان فى كل ضلع، فجعلتها ست عشرة نافذة، لوحة رقم (٥٩ أ). وترسم حدود هذه النوافذ شكلاً زخرفياً غريباً، على هيئة قنديل، أو مشكاة.

وأخيراً تتوج القبة الكروية هذا البناء، وتكون منه الطابق الأخير، وهى تتكون من أربعة وعشرين ضلعاً، تتفرع حول قمتها. وهذه الضلوع مجوفة من الداخل، مقوسة من الخارج. ويدور حول الطابق الثانى جميعه، فى داخل القبة، تحت هذه الضلوع، وفوق رؤوس النوافذ، إزار من كتابة كوفية، فيها سجل لتاريخ المسجد^(٢).

(١) سدت فتحات هذه النوافذ فيما بعد.

(٢) انظر ما قبل.

مسجد الصالح طلائع

«هذا الجامع من المواضع التي عمرت في زمن الخلفاء الفاطميين، وهو خارج باب زويلة. قال ابن عبد الظاهر: كان الصالح طلائع بن رزيك - لما خيف على مشهد الإمام الحسين رضى الله عنه، إذ كان بعسقلان، من هجمة الفرنج وعزم على نقله - قد بنى هذا الجامع ليدفنه به، فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك، وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة، وبنى المشهد الموجود الآن ودفن به»^(١).

ويجرى على واجهة المسجد الشمالية إزار نقش فيه بالخط الكوفي ما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد (بالقا) هرة المعزية المحروسة فتى مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبى القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين و (أبنائه الأكرمين ال) سيد (الأجل) الملك الصالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الإسلام غياث الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين (أبو القا) ت طلائع الفائزى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر ألويته وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاربها فى شهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب أفضل الوصيين».

وتم بناء المسجد فى تلك السنة ١١٦٠م، ولكنه لم يصبح جامعاً إلا بعد ذلك بمائة سنة، إذ أقيمت أول صلاة للجمعة فيه، أيام المعز أيبك التركمانى، أول سلاطين المماليك، «فى سنة بضع وخمسين وستمائة» / ١٢٥٢م^(٢).

ولم ينج مسجد الصالح طلائع من زلزال سنة ٧٠٢هـ، فتهدم، وتولى «الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار» تعميره وتجديده^(٣). وكان هذا الأمير قد وهب للمسجد منبراً بديعاً، قبل ذلك بثلاث سنوات، ومازال هذا المنبر يحمل نقشا يسجل اسم صاحبه هذا، وتاريخه ٦٩٩هـ / ١٣٠٠م.

(١) انظر المقرئى، «الخطط»، الجزء الثانى، صفحة ٢٩٣. وكان مسجد الصالح طلائع - وهو خارج باب زويلة - يقع خارج حدود القاهرة، وبعيداً عن القصور «الزاهرة». أما الخليفة المشار إليه فى هذه الفقرة فهو «الفائز بنصر الله» الذى تولى الخلافة من سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م إلى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م.

(٢) انظر المقرئى، «الخطط»، الجزء الثانى، صفحة ٢٩٣.

(٣) انظر المقرئى، شرحه.

وجدد المسجد بعد ذلك مرة فى سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م، ومرة أخرى سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م^(١)، وفى «الخطط التوفيقية الجديدة»، أن المسجد كان فى عهد مؤلفها، أى فى أواخر القرن التاسع عشر، «من المساجد الشهيرة، ولم تزل شعائره مقامة بالجمعة والجماعة... ومحرابه من أعظم المحاريب، وأعمدته من الرخام وبه عمود من حجر السماق، وبه منبر عظيم. ودكة للتبليغ...»، وأنه كان بوسط صحنه «حنفية رصهريج وميضأة ونخلات»^(٢).

وأصاب المسجد خلل كبير بعد ذلك، فتوقفت الصلاة به، واحتله الأهالى، وأقاموا من حوله المباني والخوانيت، وساءت حاله، لوحة رقم (٥٢)، إلى حد أن تقرر هدمه، فيما عدا بيت الصلاة؛ وأعيد بناؤه جميعاً من جديد، منذ سنوات قليلة، على نظامه القديم، لوحة رقم (٥٧).

وقد أكدت الأبحاث التى أجريت فى المسجد أثناء عمليات هدمه وإعادة بنائه أن بعضه كان مقاماً على أبنية طابق تحت سطح الأرض، وكانت هذه الأبنية تستخدم مخازن وخوانيت وترصد غلتها لإصلاح الجامع. وهى مسقوفة بقبوات أسطوانية مبنية من الحجارة، وكان ارتفاعها يقرب من أربعة أمتار. ولهذا فإنه كان يذكر أن مسجد الصالح طلائع كان مسجداً «معلقاً»، أى إنه يعلو مباني شيدت أسفله، وهو الأول من هذا النوع فى عمارة القاهرة^(٣). وقد لوحظ أن هذه الخوانيت كانت تمتد تحت مؤخر المسجد وتحت مجنبتة الشرقية.

ينحصر تخطيط مسجد الصالح طلائع، شكل (١٧)، فى مستطيل منتظم الأضلاع تقريباً، تبلغ مقاساته خارج الجدران ٥٣ متراً ونصف المتر طولاً، و ٢٧ متراً عرضاً، أى إن طوله ضعف عرضه. وفيه بيت للصلاة طول جدار القبلة فيه ٢٦ متراً، ويمتد جوفه نصف هذا القدر تقريباً، ١٣ متراً ونصف المتر. ويتكون هذا البيت من ثلاثة أسايب، أسكوب المحراب فيها أكثرها اتساعاً، إذ يبلغ عرضه ٥ أمتار ونصف المتر، أما الأسكوبان الآخران فعرض كل منهما ٣ أمتار ونصف المتر. ويحد هذه الأسايب ثلاث بوائك تمتد عقودها موازية لجدار القبلة. وبكل منها بائكة من سبعة عقود، يحملها صف من ستة أعمدة، أى إن هذه الأسايب الثلاثة تنقسم نظرياً إلى سبع بلاطات،

(١) أبوالمحاسن، «التجويد الزاهرة»، الجزء السابع، صفحة ١١٨، و صفحة ٢٧٤ من الجزء العاشر من كتاب «الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع» لمؤلفه السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م، ١٢ جزءاً، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م).

(٢) انظر (على) مبارك، «الخطط التوفيقية»، الجزء الخامس، صفحة ٣٨.

(٣) يلاحظ أن المساجد المعلقة كانت معروفة فى الإسلام قبل العصر الفاطمى وأن السنة تبيح إقامة المساجد فوق الأبنية، ولا تجيز إقامة الأبنية فوق المساجد. ومن المساجد المعلقة مسجدا الرباط فى سوسه والمنستر بتونس وهما من آثار القرن الثالث الهجرى.

إذ إن أسكوب المحراب متصل لا ينقسم إلى مربعات مثل الأسكوبين الآخرين. وترتكز كل بائكة، في كل من طرفيها على دعامة نحيفة ملتصقة بالجدار. والعقد الوسيط في كل بائكة أكثر فسحة من بقية العقود^(١).

وينتصف المحراب جدار القبلة. وهو محراب مجوف عرضه متران، وجوفته متر ونصف المتر تقريباً، ويحف به، أو على الأصح، يتصدره عمودان، واحد من كل جانب. ويطل بيت الصلاة على الصحن ببائكة من خمسة عقود. والصحن مستطيل غير منتظم الأضلاع تماماً، طوله ٢٣ متراً و ٤٠ سنتيمتراً، وعرضه عند بيت الصلاة ١٨ متراً، وعند مؤخر المسجد ١٨ متراً و ٧٠ سنتيمتراً وكان يحيط بهذا الصحن من جهاته الثلاث مجنبات بكل منها رواق واحد، تطل الشرقية والغربية منها عليه ببائكة من ستة عقود، ويطل عليه المؤخر، مثل بيت الصلاة ببائكة من خمسة. وكان البعض يظن أنه لم يكن للمسجد أصلاً مجنبة في مؤخره، وأنها أضيفت إليه عند تجديد المسجد منذ سنوات^(٢).

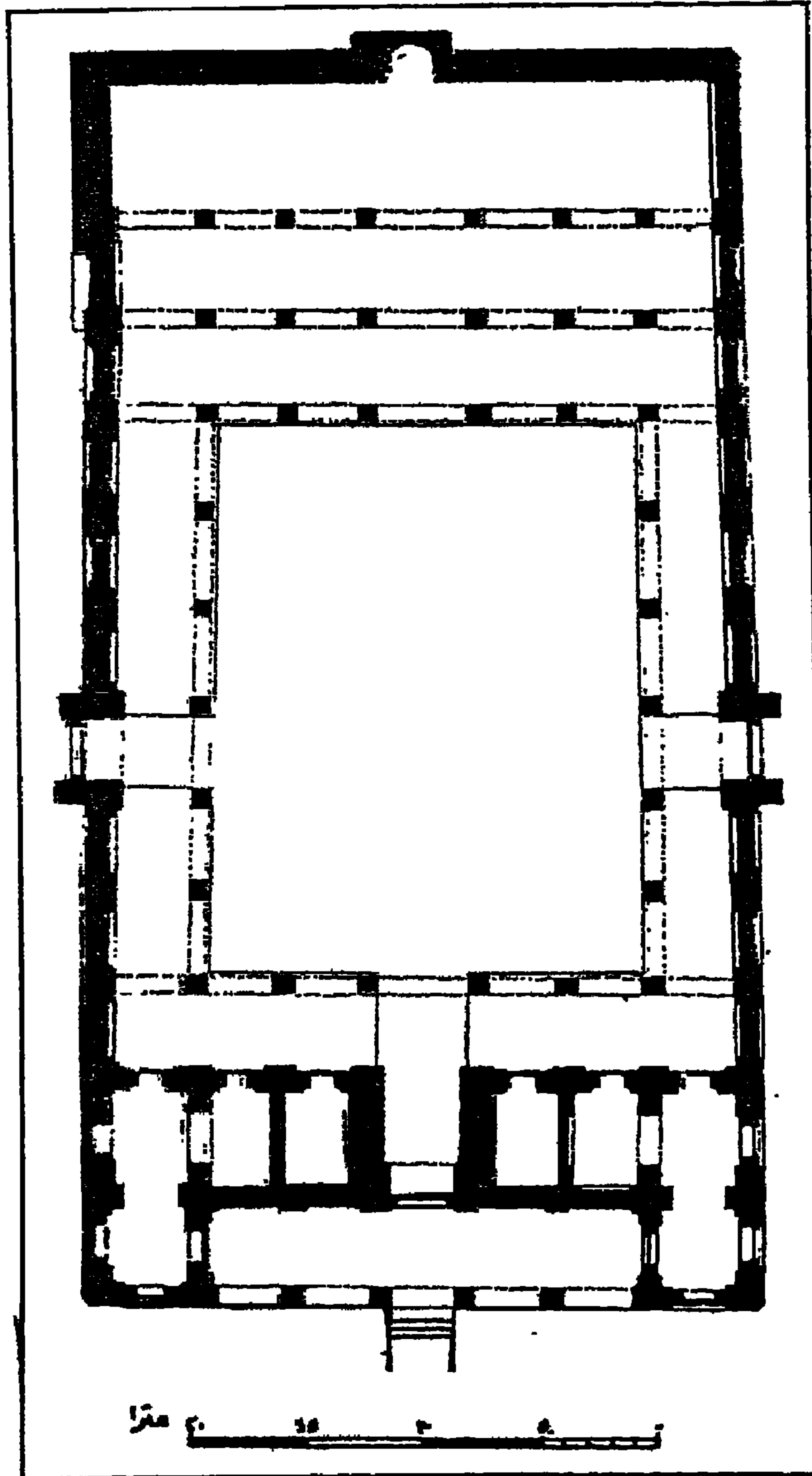
ويتصل الفاصل الوسيط من رواق المؤخر بممر مسقوف بقبوة أسطوانية، طوله أربعة أمتار ربع المتر وعرضه ثلاثة أمتار وربع المتر. ويؤدي هذا الممر إلى صحن ثان خارجي مسقوف طوله ١٨ متراً ونصف وعرضه ٤ أمتار و ٢٠ سنتيمتراً. ولهذا الصحن واجهة تطل على الشارع بخمسة عقود ترتكز على أربعة أعمدة. وقد أقيمت في كل من طرفي هذا الصحن المسقوف، وفيما بينه وبين مؤخر المسجد، ثلاث غرف متصلة، كما أقيمت مرقأتان، أو سلّمان، واحد عن يمين الممر الذي يصل الصحن المسقوف بمؤخر المسجد، والآخر عن يساره.

(١) فتحة هذا العقد ٤,٦٠ متراً وفتحة كل من العقود الأخرى ٣,٦٠ متراً.

(٢) يستند هذا البعض على النطق المعماري «الحديث»، ويقترض أنه لم يكن للصحن رواق في مؤخره لأن البابين المفتوحين على هذا الصحن، من شرقيه ومن غربيه، كان يجب أن يقعا في مستوى يجتازه إلى هذا البيت، ولهذا يستحسن أن يكون للصحن مجنبات من جميع جهاته. ولم تكن العمارة الإسلامية تعمل حساباً للمحور، بالمعنى المعماري الحديث، سواء في صحن المسجد أم في بيت صلاته، ما لم يكن هذا المحور مسيراً لمقتضيات بناء المسجد. هذا هو رأى المؤلف، الذي أوضحه في «المدخل». هذا وقد دارت مناقشات طويلة حول رواق المؤخر في مسجد الصالح طلائع، انظر مقال (بوتى) عن «تخطيط مسجد الصالح طلائع»:

Pauty, Edmond, *Le Plan de La Mosquée d'as Salih Talâyi*, Bulletin de la Société Royale de Géographie, Tome XVII.

ومحاضر لجنة حفظ الآثار العربية، النسخة الفرنسية، سنة ١٩٣٠م - ١٩٣٢م، صفحة ١٠٣ إلى ١١٧، وانظر صفحات ٢٨١ إلى ٢٨٣ من الجزء الأول من كتاب (كريسويل)، «العمارة الإسلامية في مصر».



شكل (١٧) - رسم تخطيطي لمسجد الصالح ثلاث بن رزيق عند إنشائه في سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٥م - (من رسم المؤلف)

وللمسجد ثلاثة مداخل، أحدها فى مؤخره يتوسط الصحن المسقوف الأمامى، والثانى مفتوح فى الواجهة الشرقية، يقابل الفاصل الرابع من رواق المجنبية، ويواجه المدخل الثالث المفتوح فى الواجهة الغربية.

وبالرغم من أن مسجد الصالح طلائع كان قد تهدم معظمه، لوحة رقم (٥١) وأعيد بناؤه فى النصف الأول من القرن العشرين^(١)، فقد تبقى من آثار عمارته القديمة أجزاء كثيرة يستدل منها فى ثقة تامة عن جميع عناصره المعمارية والزخرفية. وقد رأينا أن عقود بيت الصلاة قد صفت موازية لجدار القبلة. وترتكز هذه العقود، لوحة رقم (٥٤)، وكذلك عقود أروقة الصحن، لوحة رقم (٤١)، على أعمدة رخامية، وضعت تحتها قواعد من مكعبات حجرية يبلغ ارتفاعها نصف متر تقريباً، ووضعت فوقها تيجان قديمة. واختيرت العمدة طويلة، بحيث يبلغ متوسط ارتفاعها أربعة أمتار بالإضافة إلى ارتفاع القاعدة والتاج. وقد وضعت فوق تيجان الأعمدة، طنف أو طبليات خشبية من ثلاثة طبقات، مزخرفة بزخارف منحوتة^(٢)، لوحة رقم (٦٩).

وامتدحت العقود هذه العمدة، وهى عقود منفرجة مطولة الأطراف، لوحة رقم (٥٥)، بحيث يزيد ارتفاع فتحاتها على خمسة أمتار. فأصبحت قمة العقود ترتفع عن أرضية المسجد عشرة أمتار ونصف المتر. ويحيط بهذه العقود إطار من كتابة كوفية، فيها آيات من القرآن الكريم، وتربط العقود بجاراتها أوتار خشبية، لوحة رقم (٥٤)، تمتد فى مستوى الطنف، موازية للأساكيب ومتعارضة معها، أى إنه يخرج من كل طرف من أطراف العقود أربعة أوتار خشبية. وقد حليت الجوانب الظاهرة من هذه الأوتار بزخارف متنوعة. ويتوسط تواشيع العقود فى بيت الصلاة، صرر زخرفية، صرة واحدة فيما بين كل عقدين، لوحة رقم (٥٨)، كما يعلو قمة العقد نافذة مربعة محاطة بإطار زخرفى، لوحة رقم (٥٥).

(١) طغى المستحدث على القديم فى تجديد بناء المسجد، غير أن القديم فيه مازال يتميز عن الجديد. ويمكن الرجوع إلى محاضر لجنة حفظ الآثار العربية المشار إليها فى الحاشية السابقة لمعرفة تفاصيل أعمال التجديد. وعلى كل حال فقد جدد المسجد على نظامه القديم، ولم يستحدث فيه شيء واحتفظ بعناصره الأولى..

محوره، تبعاً لهذا المنطق، ونتيجة ذلك كان يجب أن تطل على الصحن ثلاثة عقود، عن كل من يمين عقد اثباب ويساره، فى شرقى الصحن وغربيه، أما منطق العمارة الإسلامية فيقتضى أن يكون رواق الصحن متصلاً، بمعنى أن انداخل إلى بيت الصلاة، من أى باب من أبواب المسجد الثلاثة، يجد معراً مسقوفاً.

(٢) يلاحظ أن الأعمدة طويلة، وأن لها قواعد مرتفعة، فلم تكن هنالك حاجة إلى هذه الحدارات، خصوصاً وأن العقود مطولة أطرافها تطويلاً كبيراً نسبياً، ولكن الحدارات وضعت هنا تذكيراً للتقاليد العربية فى البناء، ولهذا فقد اتخذت فى مسجد الصالح طلائع وظيفة زخرفية أكثر منها معمارية.

أما على واجهات الصحن، لوحة رقم (٤٢)، فقد احتل كل توشيح من تواشيح العقود طاقة صماء محارية على هيئة محراب، ووضعت فوق قمة كل عقد دائرة شمسية، عوضاً عن النافذة المربعة.

ويحيط ببيت الصلاة والمجنبات جدار شيد من الداخل بالآجر وبنى من الخارج بالحجارة. وفتحت في هذا الجدار نوافذ، ترتفع قواعدها خمسة أمتار ونصف المتر عن أرضية المسجد. وكان عدد النوافذ الداخلية خمسا وعشرين نافذة، سبعا منها مفتوحة في جدار القبلة، وتسعا في الجدار الشرقي، على بيت الصلاة والرواق الشرقي، ومثلها في الجهة الغربية. ويستدل من النوافذ العتيقة في بيت الصلاة، أنها كانت جميعاً معقودة بعقود مدببة يحيط بكل منها إطار من عقد منفرج محلى بكتابة كوفية مزهرة. أما النافذة التي تعلو المحراب فالإطار الذى يحيط بعقدها مستطيل، لوحة رقم (٥٦). وكانت هذه النوافذ مكسوة بستائر جصية مخرمة تخريماً زخرفياً، ويحتفظ المتحف الإسلامى بأنموذج من هذه النوافذ. وكانت هذه الستائر مزدوجة، تتدلى على جانبي النافذة، داخل المسجد وخارجه.

ومحراب المسجد مجوف، كما رأينا، وينتهى رأسه بعقد منفرج يحيط به إطار من الكتابات الكوفية، لوحة رقم (٥٦)، وكانت تكسو تجويفه زخارف لم تعد تظهر منها المعالم الفاطمية^(١). وكانت سقوف بيت الصلاة والمجنبات الصحن الخارجى خشبية محلاة بالزخارف المنقوشة.

هذه هي عناصر عمارة المسجد الداخلية، أما العناصر الخارجية فإنها كانت تمتاز قبل كل شيء بالعناية الفائقة التى خص بها البناة واجهاته الثلاث. فقد قسمت هذه الواجهات إلى أقسام تعادل، أو تقابل، الأقسام الداخلية للمسجد، وذلك فيما عدا جدار القبلة، فلم يظهر على واجهته الخارجية غير البروز الناتج من تجويف المحراب.

وكانت الواجهة الشرقية تنقسم إلى اثني عشر قسماً رأسياً. تقابل التقسيم الداخلى^(٢). وأعتقد أن القسم الذى كان يقابل أسكوب المحراب، كان يقتصر على بروز خارجى مسطح، يمتد عليه فى منتصف ارتفاعه إزار من الكتابة الكوفية. أما بقية الأقسام الأحد عشر، فكانت تتوسطها بوابة بارزة، خارجة عن حدود الجدار، فيها باب مستطيل تعلوه عتبة أفقية من صنج معشقة^(٣) يعلوها

(١) فتحت نافذة مستطيلة فيما بين رأس المحراب والنافذة المجاورة له، فوق الموضع المخصص لظهر المنبر، ويظن البعض أن هذه النافذة كانت تستخدم «ملقفاً»، يرطب الهواء على الخطيب، ولعل القصد منها كان إمداده بالضوء الذى يعينه على قراءة الخطبة فى النهار.

(٢) يتكون التقسيم الداخلى من ١٢ قسماً رأسياً كذلك: ٣ تمثل أساكيب بيت الصلاة و ٦ تمثل فواصل رواق المجنبه الشرقية. وقسم يمثل رواق المؤخر، وقسمان كل منهما يقابل قاعة من قاعاتي الصحن المسقوف الأمامى.

(٣) مقاس الباب المستطيل ٤,٣٠ متر ارتفاعاً. ٢,٢٠ متر عرضاً.

عقد منبسط من صنج معشقة كذلك^(١). ويحد الطرف الأعلى لهذا العقد إزار من كتابة كوفية، وتملأ الزخارف المنحوتة الفراغ القائم بين العقد وبين العتبة. ويتوج المدخل بضعة من العقود المنفرجة المتراجعة.

وكان يقوم عن كل من يمين هذا المدخل ويساره صف من خمسة أقسام رأسية تتكون من تجاويف فى الجدار. وتنقسم كل من هذه التجاويف إلى ثلاثة أقسام أفقية، أو طوايق. ويتكون الطابق العلوى منها من نافذة وسطى مستطيلة يتوجها عقد منفرج، ويلتف حولها إطار من شريط زخرفى، ويحيط بها عقد خارجى فى مستوى الجدار، وهو منفرج كذلك. ويدور حول هذا العقد إزار زخرفى، أو شريط، يمتد طرفاه أفقياً، ثم يرقى حول العقد المجاور، ويلتف بهذه الصورة حول الواجهات الثلاث، لوحة رقم (٥٧). وكانت تتدلى على هذه النوافذ ستائر جصية من زخرفة مخرمة، اندثرت جميعاً، فيما عدا النافذة التى يحتفظ بها المتحف الإسلامى بالقاهرة. وحليت تواشيح العقود بجامات تنحصر فى دوائرها صرر من نجوم مختلفة الأشكال. وينحصر الطابق الأوسط بين إزارين أفقيين من الكتابة الكوفية يمتدان حول الواجهات الثلاث كلها. ويبدو أنه فيما عدا هذين الإزارين كان الطابقان الأوسط والأدنى خلوين من الزخرفة^(٢).

وأغلب الظن أن الواجهة الغربية كانت تطابق الواجهة الشرقية، تخطيطاً وبناءً وزخرفة. أما الواجهة الشمالية، لوحة رقم (٥٧) فقد أراد المنشئ، أو البناء، أن يجعل منها الواجهة الرئيسية للمسجد. وقد قسمت إلى سبعة أقسام رأسية، خمسة منها مفتوحة على الصحن المسقوف، وقسم فى كل طرف منها يواجه غرفة من الغرفتين المتطرفتين فى هذا الصحن. والأقسام الخمسة الوسطى عبارة عن واجهة مكشوفة على الشارع تتكون من خمسة عقود منفرجة تمتطى أربعة أعمدة، على هيئة شبيهة بواجهات الصحن. غير أن قواعد الأعمدة فى تلك الواجهة

(١) انظر الحاشية رقم (٢)، فيما سبق عن تفسير معنى العقد المنبسط.

(٢) وذلك فيما عدا التجويفين الثانى والرابع عن يسار المدخل، والتجاويف الثانى والرابع والخامس عن يمينه. أما التجاويف الثلاثة الأولى، أى الثانى والرابع عن اليسار والثانى عن اليمين، فكان الطابق الأدنى منها يتشكل على هيئة باب مغلق، تعلوه عتبة أفقية من صنج معشقة، يعلوها عقد منبسط على الشكل الواضح فى مدخل الواجهة. وأما التجويفان المتطرفان عن يمين المدخل، وهما اللذان يقابلان القاعتين المفتوحتين فى طرف مؤخر المسجد، فإن الطابق الأدنى منهما يتكون، على هيئة المدخل والأبواب المغلقة، من نافذة مستطيلة تعلوها عتبة، وعقد منبسط. وقد حلت هاتان النافذتان محل النافذتين المفتوحتين فى الطابق الأعلى من التجاويف، وسد بعضهما بالحجارة. ويتميز القسم الأوسط من التجويف الرابع، دون بقية التجاويف الأحد عشر، بوجود نافذة مربعة فى وسطه، يلتف حولها إطار مربع من شريط زخرفى، شبيه بالإطارات التى تحيط بالنوافذ فى الطابق الأعلى من التجاويف.

أكثر ارتفاعاً من قواعد الأعمدة داخل المسجد كما أن أطراف العقود أقل طولاً منها فى الداخل. واقتصرت زخرفة تواشيح العقود على صرر وجامات، وحذفت أشكال المحاريب التى تشاهد على واجهات الصحن. وارتبطت أطراف العقود بأوتار خشبية مزخرفة، وامتدت زخرفتها على أوتار خشبية التصقت بأطراف العقد المتطرفين، فى أقصى اليمين وأقصى اليسار من هذه الواجهة. كما أنه أحاط بالعقود إزار زخرفى، هو امتداد للشريط الزخرفى الذى يدور حول الواجهتين الشرقية والغربية^(١).

ويتكوّن كل من القسمين المتطرفين من الواجهة الشمالية، من ثلاثة طوابق، لوحة رقم (٥٣)، يتكون الطابق الأدنى منها من نافذة مستطيلة، عرضها متر ونصف المتر وارتفاعها يقرب من ضعف ذلك. وتعلوها عتبة من صنج معشقة، يمتد فوقها عقد منبسط من صنج معشقة كذلك ويحيط به إزار زخرفى. ويملا الفراغ فيما بين العقد والعتبة زخرفة مفرغة فى الحجارة على صورة مشكاة. ويخلو الطابق الأوسط من الزخارف، فيما عدا الإزارين المنقوشين بالكتابة الكوفية، وهما امتداد للإزارين الأفقيين اللذين يحصران الطابق الأوسط فى كل من الواجهتين الشرقية والغربية.

أما الطابق الأعلى من كل من هذين القسمين المتطرفين من الواجهة الشمالية فتتوسطه محارة شمسية كبيرة، تشع ضلوعها حول صرة زخرفية وسطى، وتنتهى هذه الضلوع بفصوص محصورة فى عقد منفرج يحيط به الشريط الزخرفى الذى يحيط بالعقود المكشوفة على الواجهة نفسها. ويمتد هذا الشريط من طرفى هاتين المحارتين، ويتصل من ناحية بالواجهة الشرقية ومن الناحية الأخرى بالواجهة الغربية. ويحف بعقدى المحارتين جامة زخرفية فى كل من توشيحتيهما.

وقد روعى أن تكون زخرفة جدران الصحن المسقوف وتقاسيمه الداخلية شبيهة بزخرفة الواجهات، لوحة رقم (٥٣). وقد قسمت هذه الجدران إلى خمسة أقسام رأسية تقابل العقود الخمسة المكشوفة على الواجهة. وبطرفيها قسمان يقابل كل منهما الجدار البارز فى الصحن المسقوف لكل قاعة من القاعتين المتطرفتين. وينقسم كل قسم من هذه الأقسام السبعة إلى ثلاثة طوابق على نفس نظام تقاسيم الواجهات. ويحتل الطابق الأعلى فى كل قسم منها لوحة محارية تنحصر فى عقد منفرج مضلع، وذلك فيما عدا القسم الأوسط. وبدلاً من أن تشع هذه الضلوع من صرة زخرفية وسطى، فإنها تتفرع حول طاقة صماء معقودة بعقد منفرج، ويحيط بها إطار زخرفى. أما القسمان المتطرفان البارزان، وهما واجهتا القاعتين على الصحن المسقوف، فقد فتحت فى الطابق الأدنى من كل منهما نافذة معائلة للنافذة المفتوحة على جدارى هاتين القاعتين فى الواجهة الشمالية الرئيسية،

(١) تجدر الإشارة إلى أن الأقسام الخمسة هذه من الواجهة الشمالية قد جددت جميعاً.

وليس فى الأقسام الأخرى من واجهة هذا الصحن المسقوف نوافذ مثلها. ويحيط بطوابق هذه الأقسام السبعة نفس العناصر الزخرفية الممتدة حول الواجهات الثلاث، وهى الشريط الزخرفى والإزارين المنقوشين بالكتابة الكوفية. وبينما سجلت آيات من القرآن الكريم على هذين الإزارين فإن تاريخ المسجد مسجل على واجهة الصحن المسقوف.

ويحتل مدخل المسجد القسم الأوسط من هذه الواجهة، وقد شكل على نظام مدخل الواجهة الشرقية، وكان لهذا المدخل باب خشبى من مصراعين بديعى الصناعة، وهما محفوظان الآن فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة^(١). ويصل هذا المدخل بمؤخر المسجد ممر مسقوف بقبوة مرتفعة أسطوانية مبنية من الحجارة. وكان يعلو هذه القبوة منذنة سقطت فى سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٣م. وبنيت أخرى عوضاً عنها، ولكنها سقطت فى سنة ١٩٢٣م أثناء تجديد بناء المسجد.

وكانت أرضية المسجد المقامة فوق الحوانيت، تعلو متراً عن مستوى الشارع. وترتفع جدران المسجد حوالى خمسة عشر متراً فوق هذه الأرضية، وكان يعلو هذه الجدران سلسلة متصلة من الشرفات تتكون من طابقين، طابق مسطح ارتفاعه متر، وطابق هرمى مدرج ارتفاعه متر كذلك. تنوعت الزخارف فى مسجد الصالح طلائع تنوعاً كبيراً وامتلات بها مسطحاته الداخلية والخارجية.

وقد رأينا أن النوافذ والعقود محاطة بإطارات وإزارات شكل بعضها من زخارف هندسية متشابكة ومتداخلة، لوحة (٥٦)، وشكل معظمها من كتابة كوفية موزقة، سجلت عليها آيات من القرآن الكريم. وامتدت حول الواجهات الثلاث، حول عقود بيت الصلاة ونوافذه، نقوش كتابية كوفية، كما كانت هذه النقوش تملأ ستائر هذه النوافذ، وسنعود إلى التحدث عن زخرفة هذه الكتابة وتشكيل حروفها.

وامتلات أقسام أخرى من المسجد بزخارف نباتية، نقشت على الحدارات، تحت أطراف العقود، لوحة رقم (٦٩)، وعلى الأوتار الخشبية التى تربطها، وعلى مصراعى باب الصحن المسقوف، وعلى الشرفات الهرمية، وعلى ستائر النوافذ. وعناصر هذه الزخرفة مشتقة من فروع موزقة بوريقات ثلاثية أو خماسية الشحومات، مستقيمة أو مقوسة، متعرجة أو متهادية، منفردة أو متشابكة. وأبداع هذه الأشكال جميعاً وأكثرها تنوعاً منقوش على مصراعى الباب، وعلى الإطار الزخرفى المنقوش على الجص على جدار القبلة خلف موضع المنبر، لوحة رقم (٥٦).

(١) وصف الأستاذ (بوتى) هذا الباب الخشبى البديع وصفاً ملخصاً فى صفحتى ٦٩ و ٧٠ من كتاب «الأخشاب المنحوتة إلى العصر الأيوبي» من مطبوعات متحف الفن الإسلامى ونشر صورتين له فى لוחتى ٨٩، ٩٠.

وقد عنى بصف الحجارة على واجهات المسجد عناية فائقة تزيد من جمال زخرفته. ومما يؤكد هذا الاتجاه الزخرفى كثرة العتبات والعوارض والعقود المنبطقة التى صفت فيها الحجارة من صنع معشقة متنوعة الأشكال. حتى لبست الواجهات كسوة مزركشة، تتوجها تلك اللوحات المضلعة على هيئة المحارات الشمسية مختلفة الصور.

ولعل السرر، أو الصرر، هى أكثر العناصر الزخرفية التى يمتاز بها مسجد الصالح طلائع. وكان منها فيه أكثر من مائة عدداً، اختلفت أشكالها وتنوعت حشواتها رسماً وتنسيقاً وزخرفة. وكان الناظر يلقى جملة منها أينما اتجه نظره فى المسجد، داخله أو خارجه. ولاشك فى أن هذه الصرر كانت مجموعة فريدة فى آثار القاهرة، بل فى الآثار الإسلامية كلها. وقد تبقى بعضها فى حالة واضحة، لوحة رقم (٥٨)، واختلفت معالم البعض الآخر، واندثر عدد كبير منها ووضعت موضعه صرر جديدة.

وتتكون زخرفة هذه الصرر من شريط مستدير خارجى، امتدت عليه زخارف نباتية أو هندسية. وتتوسط الصرة فى مركزها دائرة أخرى، تصغر أو تكبر، وتتشكل بأشكال هندسية متداخلة، أو تملؤها كرة بارزة، ويقع فيما بين الدائرتين إطار جدائرى مضلع، تنوعت أشكال ضلوعه، فهى تارة على هيئة محارة، وتارة على هيئة القصوص، أو على هيئة الدائرة المقصوصة، وهى تارة مجوفة، وتارة مسطحة وتارة بارزة.

كان مسجد الصالح طلائع آخر مسجد أقيم فى القاهرة فى العصر الفاطمى. وقد ظهرت فى هذا المسجد عناصر تخطيطية وأخرى معمارية وزخرفية تعبر أصدق تعبير عن نهاية مراحل تطور هذه العناصر، وبداية مرحلة جديدة.

ولهذا يجدر بنا قبل أن نستعرض آثار القاهرة فى العصر التالى، العصر الأيوبرى، أن نحاول استخراج التعبيرات الفنية التى اتبعها رجال البناء والنقش والزخرفة فى العصر الفاطمى، ونبحث عن خصائصها ومميزاتها وعن مدى اتصالها بالعصور السابقة، وأثرها فى العصور التالية.



الفصل السادس

مميزات التخطيط المعماري في العصر الفاطمي

١ - تخطيط المساجد وبلاطة المحراب.

٢ - قبة البهو و «العترة».

٣ - المداخل الرئيسية والبوابات - المشاهد -

تعدد المحاريب.

الفصل السادس

مميزات التخطيط المعماري في العصر الفاطمي

١

تخطيط المساجد - بلاطة المحراب

ظلت مساجد القاهرة في العصر الفاطمي محتفظة بنظم المساجد الجامعة الأولى، ولها - مثلها - بيوت مسقوفة للصلاة، تمتد أساكيبها موازية لجدار القبلة، وتنقسم إلى بلاطات. وفيها أبياء مكشوفة، وتحيط بكل منها مجنبات من رواق أو أكثر^(١). ويلاحظ أن خطوط البلاطات في مسجدي الأزهر والحاكم ليست متوازية تمامًا مثل توازي خطوط الأساكيب، الشكلان (٤) و (٧)^(٢). ولكن البناء راعوا في بقية المساجد ألا يظهر هذا التباين، وأن تتوازي البلاطات في بيوت الصلاة مثل توازي الأساكيب.

وبدأت مساحات المساجد تصغر في العصر الفاطمي، وإذا كانت مساحة مسجد الحاكم تقارب مساحة مسجد ابن طولون، فإن مسجد الأزهر لا يكاد يبلغ نصف مساحة مسجد عمرو، أما نسبة مساحة مسجد الصالح طلائع إلى مسجد عمرو فهي نسبة واحدة إلى عشرة. وتعتبر مساجد الجيوشي والأقمر والسيدة رقية مساجد صغيرة جدًا، إذا قورنت بمسجدي عمرو أو ابن طولون. والسبب في تصغير المساجد هو كثرتها وتعدد المساجد الجامعة. فلم تعد صلاة الجمعة مقصورة على مسجد واحد في المدينة. وأصبحت المساجد القائمة تستوعب المصلين، فلم ير الأمراء بأسًا من إقامة مساجد محدودة المساحة، كأنها خصصت للمصلين في حي من أحياء القاهرة، أو فئة منهم.

وكانت المساجد الجامعة في العصور الأولى تنحصر في حدود مربعة أو شبيهة بالمربع، واحتفظ مسجدا الأزهر والحاكم بهذا التقليد. ثم بدأت حدود المساجد تخضع لمقتضيات العمران، وتقتيد

(١) انظر ما كتب عن تخطيط المساجد الجامعة في «الدخل».

(٢) انظر ما كتب في هذا الشأن فيما سبق.

بالمكان المخصص لبنائها. وهكذا نجد أن حدود مسجد الأقمر الخارجية، شكل (١٣)، قد التزمت حدود الشوارع المحيطة به. وبالرغم من ذلك فإنه روعى أن يكون تخطيط هذا المسجد فى الداخل منتظماً، وأن يكون إطاره مستطيلاً، وملئ الفراغ الناتج من عدم انتظام الحدود الخارجية مع هذا المستطيل بقاعات نظمت فى مؤخر المسجد، وطاقات جوفت فى جداره الشرقى.

وأضيفت إلى بعض المساجد قاعات، مثل مسجدى الجيوشى والصالح طلائع، وذلك لأن هذه المساجد أعدت لتضم أضرحة. ولم تكن بالمساجد الأولى قاعات شبيهة بهذه، ولكنه كان ببعضها مقاصير، مثل تلك التى تشاهد فى مسجدى القيروان والزيتونة^(١).

ويلاحظ فى تخطيط المساجد الفاطمية اتساع أسكوب المحراب وبلاطته. ويظهر اتساع أسكوب المحراب بوضوح فى مساجد الحاكم والأقمر والصالح طلائع، الأشكال (٧) و (١٣) و (١٧)، كما يظهر اتساع بلاطة المحراب فى مساجد الأزهر (شكل ٤) والحاكم والصالح طلائع. أى إن أسكوب المحراب وبلاطته يتسعان معاً فى كل من مسجدى الحاكم والصالح طلائع، وتتسع بلاطة المحراب دون أسكوبه فى مسجد الأزهر وحده^(٢).

وقد سبق أن أشرت إلى اتساع أسكوب المحراب فى مسجدى عمرو وابن طولون، وأوضحت الحكمة فى هذا الاتساع^(٣). أما اتساع بلاطة المحراب فهى ظاهرة جديدة فى عناصر تخطيط المساجد بالقاهرة، وهى ظاهرة هامة يتعين شرحها وإيضاح أسبابها.

وقد أشار المستشرقون إلى هذه الظاهرة على أساس أنها بدعة فى تخطيط المساجد وأنها اشتقت من نظم الكنائس^(٤). وشبه (هوتكور) بلاطة المحراب فى مسجد الأزهر بقناة البازيليكيات المسيحية^(٥)، أما (كريسويل) فشبهها بذراع الكنيسة^(٦)، وقال: إنها فى هذا المسجد أقدم مثل معروف فى العمارة

(١) انظر الشكلان ٨٥ و ١٠٥ من «المدخل».

(٢) ومع هذا فإنه يلاحظ أن أساكيب مسجد الأزهر تزيد اتساعاً، بصفة عامة، عن البلاطات إذ إن سعة الأسكوب فى المتوسط أربعة أمتار ونصف المتر وسعة البلاطة فى المتوسط أربعة أمتار فقط.

(٣) انظر «المدخل».

(٤) بحثت هذا الموضوع فيما يخص مسجدى القيروان والزيتونة فى كتاب «المسجد الجامع بالقيروان»، صفحة ٢٠ إلى ٣٥، وفى مقال «مسجد الزيتونة الجامع»، من صفحة ٧٥ إلى ٧٨. وأخص البحث فى هذا الفصل على اتساع بلاطة المحراب فى مساجد القاهرة.

(٥) كتب (هوتكور) فى صفحة ٢١٩ من الجزء الأول من كتاب «مساجد القاهرة» ما نصه:

"une nef perpendiculaire qui rappelled celle des basiliques chrétiennes".

وترجمة ذلك: «قناة عمودى يحى ذكرى قناة البازيليكيات المسيحية».

(٦) انظر صفحات ٤٥ و ٥٥ و ٦١ و ٦٢ و ٢٨٩ من الجزء الأول من كتاب (كريسويل) «العمارة الإسلامية فى مصر».

الإسلامية^(١). وقد اختلف العالمان الأثريان في هذا التشبيه، لأنهما أصرا على استعمال الاصطلاحات الكنائسية للتعبير عن عناصر المسجد ولم يحاولا استعمال اللفظ العربي لهذا العنصر، ولو أنهما استعملا لفظ البلاطة أو الأسكوب أو الرواق لما اختلف عليهما المدلول.

وكذلك شبه (مارسيه) بلاطة المحراب بفناء الكنيسة البازيليكية، بل إنه ذهب إلى القول بأن «المسجد مدين للكنيسة في اتساع بلاط المحراب»^(٢). وتبعه (لامبير)، وحذا حذوه، وادعى أن اتساع البلاطة الوسطى في بعض المساجد، مثل قرطبة وتازا ومراكش وإشبيلية والرباط وفاس، قد جعل لمساجد المغرب والأندلس نظامًا خاصًا به، هو النظام «الصليبي»^(٣).

(١) وهذا ادعاء باطل لأن بلاطة المحراب في مسجد القيروان أقدم عهدًا من نظيرتها في الأزهر. ويفرق (كريسويل) بين بلاطة المحراب التي تخترقها عقود الأساكيب وتلك التي لا تجتازها عقود، وهي تفرقة شكلية، لأن تكوين بلاطة المحراب في المسجد الأول، وهي التي تخترقها عقود، لا يختلف إطلاقًا، تخطيطًا وعمارة، عن تكوين بلاطة المحراب في المسجد الثاني.

وكذلك يطلق (مارسيه) لفظ الذراع (transept) للتعبير عن أسكوب المحراب، وهو اللفظ نفسه الذي استخدمه (كريسويل) للدلالة على بلاطة المحراب. ومن هذا يتضح تخطيط المستشرقين حين يصرون على مقارنة المسجد بالكنيسة. تنظر صفحة ١٨ من الجزء الأول من كتاب (مارسيه) «الفن الإسلامي في المغرب والأندلس».

Marçais, Geoge, *Manuel d'Art Musulman – L'Architecture*

وقد عاد (مارسيه) في صفحة ١٢ من الطبعة الجديدة لهذا الكتاب الذي نشره تحت عنوان: «العمارة الإسلامية في الغرب»: *L'Architecture Musulmane d'Occident*

فاستخدم النقطتين معًا، (nef-transept) للدلالة على أسكوب المحراب، وهكذا جمع بين اللفظ الذي استخدمه (هوتكون) فناء (nef) واللفظ الذي استخدمه (كريسويل) ذراع transept للتعبير عن غير ما قصدا التعبير عنه. وقد حذا (فريد) شافعي حذو (كريسويل) فأطلق على بلاطة المحراب نفس اللفظ، ذراع transept في صفحة ٧١ من مقال نشره باللغة الإنجليزية في مجلة كنية الآداب جامعة القاهرة المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، مايو ١٩٥٣م وعنوانه «محراب فاطمي في مسجد ابن طولون»:

An Early Fatimid Mihrab in the Mosque of Ibn Tulun.

وجدير بالذكر أن لفظ (transept) معناه في العمارة المسيحية «عنصر خارج عن فناء الصلاة في الكنيسة»، فهو معاريًا تعبير لا يصح إطلاقه على عنصر داخل بيت الصلاة.

(٢) انظر صفحة ١٨ من الجزء الأول من كتاب (مارسيه) «الفن الإسلامي في المغرب والأندلس» و صفحة ١٠ من كتابه «العمارة الإسلامية في الغرب».

(٣) انظر صفحة ٢٨٢ من ١ مقال الذي نشره (لامبير) في سنة ١٩٤٩م بعنوان «المساجد الأسبانية في المغرب»: Lambert, Elie, *Les Mosquées du Type Andalou en Espagne et en Afrique du Nord, Al-Andalus*, vol. XIV, Madrid, 1949, pp. 273-289.

وانظر الرسم الذي نقلناه عنه لهذا النظام الصليبي المخلق في صفحة ٢٨٩ من «الدخل».

والسبب الذى دفع المستشرقين إلى تشبيهه بلاطة المحراب بقناة الكنائس أو ذراعها هو أنهم حسبوا أن هذه البلاطة هي أهم جزء فى بيت الصلاة وأنها محور هذا البيت والممر الرئيسى فيه^(١). أما أن بلاطة المحراب هي أهم جزء من أجزاء بيت الصلاة فهو ادعاء غير صحيح، ويكفى النظر إلى تخطيط أى مسجد من المساجد للرد عليه، إذ تبدو بلاطة المحراب فى هذا التخطيط جزءاً ثانوياً بالنسبة لأسكوب المحراب ولأساكيب بيت الصلاة التى تتركز فيها أهمية التخطيط. وأما أنها تعتبر محوراً للمسجد، فقد يبدو هذا صحيحاً على الورق بالنسبة للمساجد الفاطمية، ولكنه ليس صحيحاً بالنسبة لتخطيط المساجد عامة. وقد أوضحت فى موضع آخر أن محور المسجد — إن كان للمسجد محور بالإصطلاح المعروف — هو جدار القبلة^(٢). وأما أن بلاطة المحراب هي المدخل الرئيسى لبيت الصلاة، فهو خطأ وقع المستشرقون فيه، وتبعهم بعض الكتاب العرب المعاصرين فى هذا الخطأ حين أطلقوا على بلاطة المحراب فى مسجد الأزهر لفظ «المجاز»، وهو تعبير غير سليم.

ليست بلاطة المحراب «ممرأ» لبيت الصلاة أو «مجازاً» فيه أو مدخل الشرف إليه. وسواء كانت أبواب المسجد مفتوحة فى جداريه الشرقى والغربى أم فى مؤخره، فإن غالبية المصلين يتخذون طريقهم إلى بيت الصلاة من جانبيه، لا من وسطه. وليس فى تقاليد الصلاة أن يجتاز الإمام بلاطة

(١) انظر صفحتا ٢٢٠ و ٢٢١ من الجزء الثانى من كتاب (كريسويل) «العمارة الإسلامية الأولى»، وفيهما يكتب ما نصه:

«The central aisle of mosque, when the arcades are perpendicular to the back wall»

(يقصد (كريسويل) بالجدار الخلفى جدار القبلة، فى حين أن جدار القبلة هو جدار المقدم لا المؤخر)
"(and the central arch of the arcades, when they are parallel to the back walls) are always «on the axis of the mihrab and lead the eye up to it".

(انظر صفحة ٢٩٨ من «المدخل»، وفيها تفنيد هذا الرأى).

"For this reason there is always an uneven number of aisles or arches 11, 13, 15, 17, 19 etc.

(انظر صفحة ٣٠٨ من «المدخل» للتأكد من خطأ هذا الإدعاء).

"for the same reason The central aisle or arch is almost wider. A wider central aisle, there "fore, needs no explanation".

وسترى فى الصفحات التالية أن ادعاءات (كريسويل) واهية، وأن لكل عنصر معمارى وضيفة يجب البحث عن حكمته وإيضاحها، لا فى المساجد فحسب بل فى أى بناء أو عمارة. ولم ترد هذه الفقرات فى كتاب (كريسويل) «مختصر العمارة الإسلامية الأولى»، المنشور بعد ١٨ سنة من نشر هذه النصوص، ولعله قد صرف النظر عن آرائه هذه، أو لم يعد يتمسك بها.

(٢) انظر «المدخل».

المحراب في طريقه إلى القبلة، وقد ذكر المؤرخون أن الأئمة كانوا يسلكون طريقهم إليها من باب قريب منها ينفذ مباشرة إلى أسكوب المحراب. والأمثلة على ذلك عديدة توضحها الرسوم التخطيطية للمساجد في العصور الأولى^(١). وقيل في هذا الصدد إنه ربما استعمل معاوية بن أبي سفيان زيادا على البصرة، زاد في المسجد زيادة كثيرة، وبناه بالآجر والجص، وسقفه بالساج وقال: لا ينبغي للإمام أن يتخطى الناس (إلى المحراب)، فحول دار الإمارة من الدهناء إلى قبلة المسجد، فكان الإمام يخرج من باب الدار الذي في حائط القبلة^(٢).

وليست بلاطة المحراب هي التي توجه وحدها نظر المصلين إلى المحراب، فقد وضع نظام المسجد بحيث يرى المحراب دون عائق ومباشرة من أكثر عدد من المواضع في بيت الصلاة، ومن أي من بلاطاته وأساكيبه. ولولا قيام الأعمدة والدعامات في هذا البيت لشوهد المحراب من كل موضع فيه. ولهذا كانت بلاطة المحراب في المساجد الأولى بلاطة لا تتميز عن غيرها من البلاطات، تخطيطاً وعمارة وزخرفة، وكان أسكوب المحراب، على العكس، هو الأسكوب المميز في بيت الصلاة. ولكن بلاطة المحراب تميزت فيما بعد، وإن لم تتغير وظيفتها الدينية أو تتميز.

بنى المستشرقون الذين أشرت إليهم فيما سبق نظرية اشتقاق البلاطة الوسطى من الكنائس البازيليكية على أسباب افتراضية وعلى ادعاءات لا تستند إطلاقاً إلى الدين أو التاريخ أو الآثار. وقد قننت البعض من هذه الادعاءات من قبل، وسأفقد ما تبقى منها في الصفحات التالية. وقد استبعد (سوفاجيه) آراء هؤلاء المستشرقين ونقضها، ولكنه طلع بنظرية جديدة، مؤداها أن البلاطة الوسطى مشتقة من قاعات الاستقبال في القصور الرومانية، وأن أول مثل لها قد أدخل على المسجد النبوي في المدينة عند زيادة الوليد له في سنة ٩١هـ / ٧٠٩م، وأن هذه البلاطة اتخذت بعد ذلك أنموذجاً اتبع في تخطيط المساجد السورية، وأصبحت البلاطة الوسطى إحدى خصائص هذه المساجد^(٣).

وأقام (سوفاجيه) نظريته على افتراض أن بلاطة المحراب في المسجد النبوي كانت هي «النقصورة» التي أشار إليها المؤرخون العرب^(٤)، واعتد في ذلك على ما ذكره ابن رسته من أنه

(١) انظر الأشكال ٨٢ و ٨٤ و ٨٩ من «الدخل».

(٢) البلاذري (الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، المتوفى سنة ٢٧٩هـ / ٩٨٢م، كتاب «فتوح البلدان»، طبع ليدن، سنة ١٨٦٦م، صفحة ٣٤٧.

(٣) انظر الصفحات من ٨٣ إلى ١٥٠ وخاصة صفحات ١٠٨ و ١٢١ من كتاب (سوفاجيه)، «المسجد الأموي بالمدينة»:

Sauvagct, Jean, *La Masquée Omeyyade de Médine*, Paris, 1947.

(٤) انظر المرجع السابق، صفحة ٨٤.

«لما قدم الوليد المدينة حاجاً بعد فراغ عمر بن عبد العزيز من المسجد جعل يطوف في المسجد وينظر إلى بنائه، فقال لعمر بن عبد العزيز حين رأى سقف المقصورة ألا عملت السقف كله مثل هذا، قال إذاً كان تعظم النقطة جداً يا أمير المؤمنين، قال وإن»^(١). وروى السهمودي عن ابن زبالة المهدي هدم تلك المقصورة وكانت حينئذ «مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد، فأوطأها مع المسجد»^(٢). وقد ظن (سوفاجيه) أن المقصود بذلك هو سقف المقصورة. ويعتمد (سوفاجيه) كذلك على ما ذكره ابن جبير في وصف المسجد النبوي وقوله «إن البلاط المتصل بالقبلة من البلاطات الخمس المذكورة (في بيت الصلاة) تحف به مقصورة تكتنفه طولاً من غرب إلى شرق والمحراب فيها»^(٣). وقد ظن (سوفاجيه) أن المقصود بهذا البلاط وهذه المقصورة هو البلاطة الوسطى. واستند (سوفاجيه) أخيراً إلى نص نقله الطبري وفيه «رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله ﷺ يوم الجمعة عام حج قد صف له جنده صفين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد...»^(٤).

وهكذا اختلق (سوفاجيه) من «المقصورة» في المسجد النبوي بلاطة وسطى، وجعلها أنموذجاً اتبع في المساجد الجامعة، وشبهها بقاعات الاستقبال في القصور الرومانية، وجعل لها وظيفة مماثلة، هي استقبال الملوك والحكام في الحفلات الرسمية، وادعى أن هذه المقصورة أو البلاطة الوسطى، أو قاعة الاستقبال، كانت تترك خالية في غير الحفلات الرسمية فلا يصطف فيها المصلون، أو غير المصلين. وادعى أخيراً أنه مما يؤيد نظريته هذه أن لفظ «البهو» كان يطلق أول الأمر على «المقصورة» أو البلاطة الوسطى، وأن معنى هذا اللفظ أخذ «ينكمش» حتى أطلق على نهاية البلاطة^(٥). وجسم (سوفاجيه) هذه النظرية في صورة تخيلها ورسمها للمسجد النبوي ومقصورته، شكل (١٨)^(٦).

(١) انظر صفحة ٧١ من «كتاب الأعلام النفيسة» لمؤلفه ابن رسته (أحمد بن عمر أبي علي، المشهور بابن رسته والمتوفى سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م، (الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية المطبوعة بإشراف ده جوخه)، ليدن، ١٨٩١م. وجاءت هذه الرواية كذلك في صفحة ١٤٠ من «خلاصة الوفي بأخبار دار المصطفى» لمؤلفه السهمودي (نور الدين علي بن أحمد، المتوفى سنة ٩١١هـ / ١٥٠٦م دار الطباعة بمصر، ١٢٨٥هـ / ١٨٦٩م).

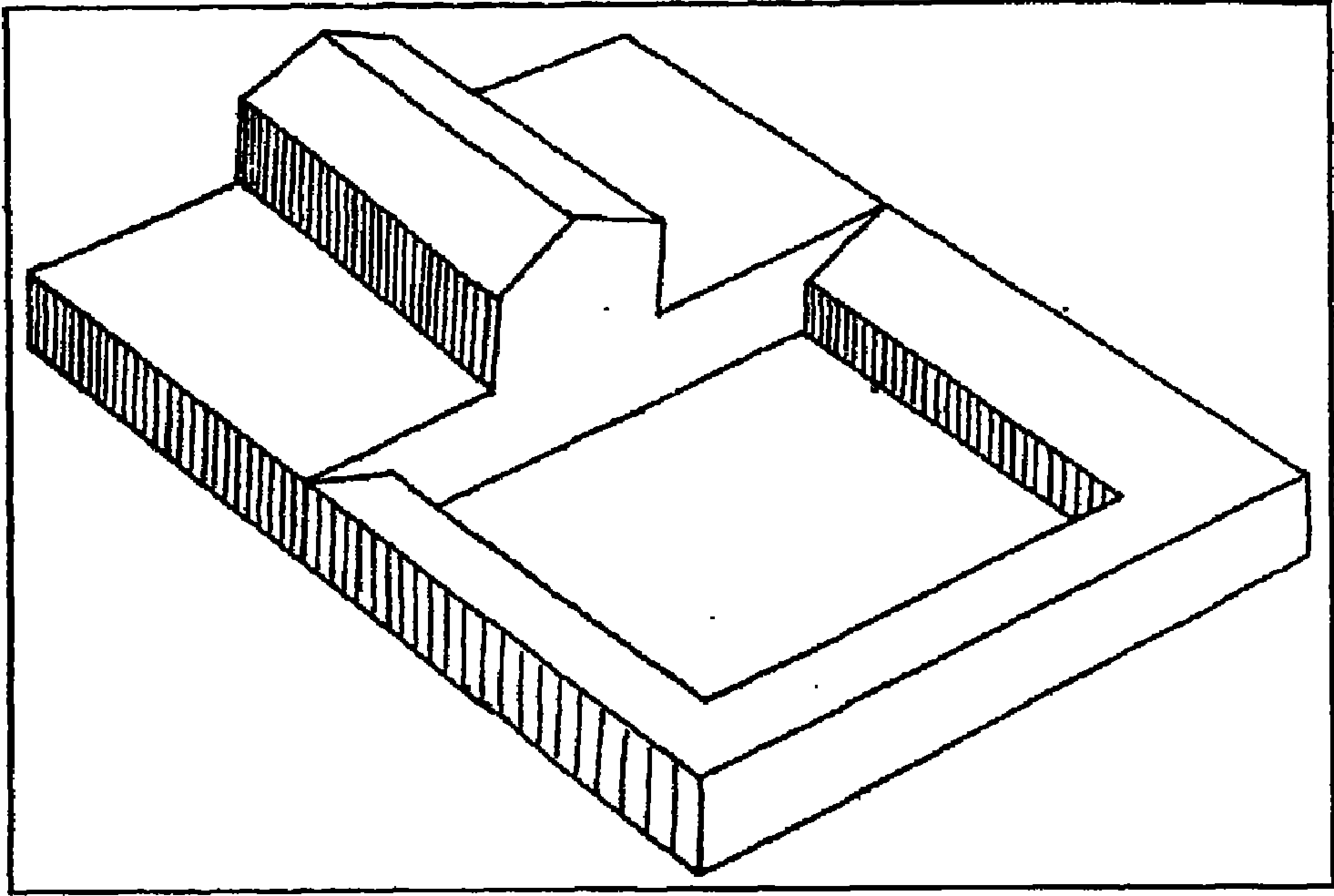
(٢) انظر السهمودي، «خلاصة الوفي»، صفحة ١٤٣ وكذلك صفحتا ٣٦٣ و ٣٨٢ من الجزء الأول من كتابه «وفاء الوفي بأخبار دار المصطفى» جزءان، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة، سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٩م.

(٣) انظر صفحة ١٧٨ من «رحلة» ابن جبير (المتوفى سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م، نشر الدكتور حسين نصار، مكتبة مصر ١٩٥٥م).

(٤) انظر صفحة ١٢٣٣ من الجزء الثاني من كتاب «تاريخ الرسل والملوك» لمؤلفه الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، المتوفى سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م، ١١ جزءاً، طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة، سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٠٨م).

(٥) انظر صفحات ٨٤ و ١٥٣ من كتاب (سوفاجيه)، «المسجد الأموي بالمدينة».

(٦) انظر شكل (١١)، صفحة ١٢٤ من المرجع السابق.



شكل (١٨) — رسم منظور خيالي لمقصورة الوليد في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة (عن سوفاجيه)

وتفنيد نظرية (سوفاجيه) لا يتطلب مجهوداً كبيراً، إذ إنها قامت على إساءة فهم النصوص العربية وتحوير معانيها. والقول بأن المقصود من لفظ «المقصورة» هو المر الممتد أمام المحراب إلى صحن المسجد، أو بلاطة المحراب، قول يخالف المؤلف من معنى «المقصورة»، والمفهوم المتوارد على مدى الأجيال. وإن كان الرواة اختلفوا فيمن استحدث المقصورة بالمسجد، فهو عثمان بن عفان أم معاوية بن أبي سفيان أم مروان بن الحكم، فإن المتفق عليه بينهم أنها كانت سياجا وحظيرة بجوار المحراب، أو حاجزا يفصل بين الحاكم أو الوالي وبين عامة المصلين، وهي على كل حال «نوع من الأثاث الملحق بالبناء، فلا تدخل في تخطيط المسجد»^(١).

ولعله قد خفى عن (سوفاجيه) أن بمسجد القيروان الجامع مقصورة خشبية كان المعز بن باديس أقامها حوالي سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٩م، وأنها مازالت قائمة إلى اليوم بجوار المنبر، تجاور المحراب ولا تتصدره^(٢). أو لعله قد خفى كذلك عن (سوفاجيه) ذلك الوصف الذي نقله «المقرئ» عن المقصورة

(١) انظر صفحة ٢٧٩ من «الدخل».

(٢) انظر «المسجد الجامع بالقيروان» للمؤلف، صفحة ١٥؛ وتراجع صورة المقصورة في لوحة ١٩ من كتاب (كونيل)، «الفن المغربي».

البديعة التي أقامها الخليفة المستنصر بالله سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م بمسجد قرطبة، والتي بالرغم من أنها اندثرت، مازالت مواضعها ظاهرة واضحة حتى اليوم في أسكوب المحراب بالمسجد. وهذه المواضع شبيهة بوصف «ابن جبير» لأوضاع مقصورة الوليد في المسجد النبوي. إذ كانت مقصورة قرطبة تمتد حول المحراب وتحمل خمسة مربعات من أسكوبه، أو على حد قول المؤرخين، «خمس أبلطة»، يقصدون بذلك تقاطع هذه «الأبلطة» مع أسكوب المحراب. وكانت هذه المقصورة حظيرة خشبية «منقوشة الظاهر والباطن، طولها ٧٥ ذراعاً وعرضها من جدار الخشب إلى سور المسجد بالقبلة» ٢٢ ذراعاً وارتفاعها في السماء إلى حد شرفاتها ثمانية أذرع وارتفاع كل شرفة ثلاثة أشبار، أى إنها كانت تصل إلى حدود أرجل العقود في بيت الصلاة، وكان فوق شرفاتها فضاء يبلغ أحد عشر ذراعاً إلى حدود السقف^(١).

ولنعد إلى النصوص التي اعتمد عليها (سوفاجيه). أما نص ابن رسته. فلا يستدل منه إطلاقاً على أن المقصورة كانت شبه قاعة ممتدة أمام المحراب إلى بهو المسجد، ولا يفهم من رواية ابن رسته غير أنه كان للمقصورة التي بناها عمر بن عبد العزيز في المسجد النبوي سقف بديع انظر عظيم النقطة. وأما الرواية التي نقلها السهمودي فلم يقصد منها أن سقف المقصورة كان مرتفعاً عن سقف المسجد بل إن نص الرواية صريح في أن الذي كان مرتفعاً هو أرضية المقصورة. «فأوطأها» المهدى إلى «مستوى المسجد» وقد ذكر السهمودي صراحة في موضع آخر من كتابه أن المقصورة كانت «في زمن عمر بن عبد العزيز مرتفعة عن أرض المسجد»^(٢). ومع ذلك فإنه سواء كان سقف المقصورة هو الذي كان مرتفعاً أم أرضيتها، وهذا يختلف تماماً عن تفسير (سوفاجيه) لهذه النصوص، فليس في رواية السهمودي أية دلالة على موضع المقصورة أو امتدادها من أمام المحراب إلى بهو المسجد.

وأما نص ابن جبير، الذي اعتمد عليه (سوفاجيه) فالواضح منه أنه يقصد به أسكوب المحراب لا بلاطة المحراب، إذ إن ابن جبير يحدد المقصورة التي شاهدها بأنها تكتنف (البلاط) المتصل بالقبلة «طولا من غرب إلى شرق»^(٣). والطول المتصل بالقبلة من الغرب إلى الشرق في المسجد النبوي، هو طول جدار القبلة نفسه، وبالتالي أسكوب المحراب. أما بلاطة المحراب فإنها تمتد طولا من الجنوب إلى الشمال^(٤)، وهذا يختلف كذلك تماماً عن تفسير (سوفاجيه) لنص ابن جبير. وإذا كان بعض الرحالة

(١) انظر صفحة ٢٦١ من الجزء الأول من كتاب القرى (أحمد بن محمد، المتوفى سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣٣م. «نقح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، ٤ أجزاء، طبع بولاق، (سنة) ١٨٦٢م.

(٢) انظر صفحة ٣٦٣ من الجزء الأول من «وقاء الوفي بأخبار دار المصطفى» للسهمودي.

(٣) انظر ابن جبير، «رحلة»، صفحة ١٧٨.

(٤) ويلاحظ أن ابن جبير وصف مسجد دمشق في صفحات ٢٥١ إلى ٢٦١ من المرجع السابق. ومع أن البلاطة الوسطى في هذا المسجد مشهورة باتساعها عن بقية بلاطات المسجد اتساعاً ملحوظاً، فإن ابن جبير لم يعبأ اهتماماً =

والمؤرخين العرب قد استخدموا أحياناً لفظ البلاطة للدلالة على الأسكوب، فإنهم كانوا يحرصون دائماً على تحديد الاتجاهات لإيضاح المراد من اللفظ، وقد خفى هذا الإيضاح على (سوفاجيه).

يتبقى النص الذي أورده الطبري وفسره (سوفاجيه) على أن جند الوليد كانوا مصطفىين على جانبي بلاطة المحراب، أو المقصورة، من المنبر إلى صحن المسجد، مما جعله يشبهها بقاعة الاستقبال والحفلات الرسمية في القصور. غير أنه يستدل من رواية الطبري أن اصطفاة الجند كان مقصوراً من جهة على المر الممتد أمام المنبر في بيت الصلاة، وهو يمر يجتاز ثلاثة أساكيب فقط ولا يبدأ من جدار القبلة كما أنه لا يقع في البلاطة الوسطى^(١). ثم إن الصفيين من الجند كانوا مقتدين من جهة أخرى إلى جدار مؤخر المسجد، أي إنهم كانوا مصطفىين كذلك في الصحن. وليس في هذا النص ولا في النصوص الأخرى التي أشار إليها (سوفاجيه) دلالة صريحة، أو مجازية، على أن المقصورة في المسجد النبوي كانت بلاطته الوسطى، أو أن هذه البلاطة الوسطى كانت مخصصة للحفلات الرسمية، دون الصلاة، أو أنها كانت تتميز في ذلك عن بقية بلاطات بيت الصلاة وأساكيبه.

ولعل أقدم مثل معروف لمسجد اتسعت فيه بلاطة المحراب هو المسجد الأموي بدمشق الذي أقامه الوليد بن عبد الملك في سنة ٨٧ هـ / ٧٠٦ م. والمعروف أنه كانت تعلو هذه البلاطة في ذلك العهد ثلاث قباب تتصل بالجدار الذي إلى الصحن، وقبة تتصل بالمحراب، وقبة تحت قبة الرصاص بينهما^(٢). وأغلب الظن أن المهدى كان قد وسع بلاطة المحراب في المسجد الأقصى كذلك في سنة ١٦٣ هـ / ٧٨٠ م، غير أن أعمال المهدى في هذا المسجد ما زالت محل جدال، وقد لا يصح اتخاذ بلاطة المحراب في المسجد الأقصى مثلاً أصيلاً لا تساع هذه البلاطة في فظم بيوت الصلاة^(٣).

والذي لا شك فيه أن بلاطة المحراب الحالية في مسجد القيروان، وقد أقيمت في سنة ٢٢٦ هـ / ٨٣٦ م، هي أقدم الأمثلة المعروفة ثابتة التاريخ لاتساع بلاطة المحراب^(٤). والمعروف أن رسالة الله بن إبراهيم بن الأغلبي أجرى في تلك السنة إصلاحات هامة في مسجد القيروان، وأراد أن يخلد ذكره في هذا المسجد فأقام محراباً بديعاً من الرخام الأبيض النخمر المنقوش، وأقام عليه قبة عجيبة باهرة. وكان لابد لإقامة هذه القبة أن تكون لها قاعدة مربعة، وكان أسكوب المحراب متمعاً، ولم تكن بلاطة المحراب كذلك، فأمر

لهذا الاتساع، ولم يشر إليه، بل انصب اهتمامه على القباب الثلاث وعلى سموها في الهواء. وهذا وحده دلالة كافية على أنه لم يكن لبلاطة المحراب في بيوت الصلاة في المسجد أهمية خاصة تفوق بقية البلاطات أو الأساكيب.

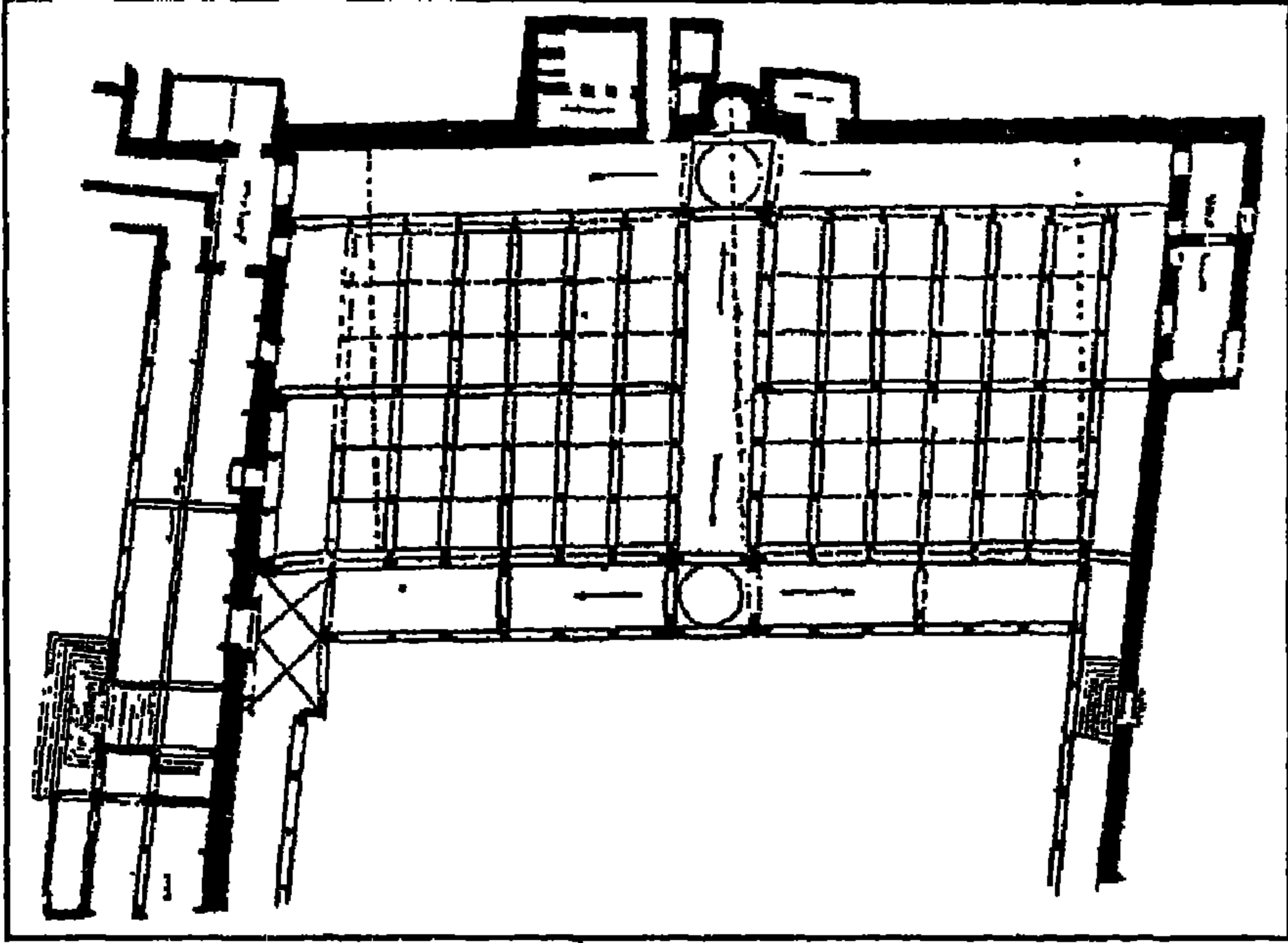
(١) انظر شكلا ٨١ و ٨٢ من «المدخل».

(٢) انظر شكل (٩٠) من «المدخل».

(٣) انظر من «المدخل».

(٤) انظر شكل (٨٧)، من «المدخل».

بهدم صف الأعمدة المواجهة للمحراب العتيق، محراب عقبة بن نافع، وجعل من البلاطتين المقابلتين له بلاطة واحدة متسعة. وأقام قبته على تقاطع هذه البلاطة الجديدة بأسكوب المحراب. وما زالت الأعمدة المتطرفة لهاتين البلاطتين العتيقتين قائمة إلى اليوم، تقل ارتفاعاً وتختلف تنسيقاً عن الأعمدة الجديدة التي أقيمت في عهد زيادة الله على جانبي بلاطة المحراب^(١) المستحدثة^(٢).



شكل (١٩) - رسم تخطيطي لبيت الصلاة في مسجد الزيتونة الجامع (رفع المؤلف ورسمه)

(١) انظر «المدخل»، وكذلك صفحات ٢٤ إلى ٢٦ من «المسجد الجامع بالقيروان» للمؤلف.

(٢) لم يستطع (كريسويل) أن ينكر هذه الحقيقة، واعترف في صفحة ٢٢١ من الجزء الثاني من كتابه «العمارة الإسلامية الأولى» وصفحة ٢٥٧ من كتاب «مختصر العمارة الإسلامية الأولى»، بأن بلاطة المحراب المتسعة أضيفت بعد بناء المسجد وأن الأعمدة والعقود التي تلاصقها يميناً ويساراً تنتمي إلى عصر سابق لها، وكتب ما نصه:

"one is inevitably forced to conclude that the inner arcade is a lining added to a pre-existing and slightly wider central aisle at a later date".

وإذا كان (كريسويل) قد ادعى أن بيت صلاة القيروان كان به من قبل بلاطة محراب أكثر اتساعاً من البلاطة التي أقامها زيادة الله، فإنه لم يقدم برهاناً عليه، ولم يحدث قط أن بلغ اتساع بلاطة المحراب ضعف اتساع البلاطات الأخرى، كما يتصوره (كريسويل)، هذا فضلاً عن أن هذا التصميم كان مستحيلاً في مسجد القيروان من الناحية المعمارية، إذ كيف كانت الأعمدة التي يعترف (كريسويل) بوجودها السابق Pre-existing، وهي أعمدة أقصر من ستين متراً من أعمدة بلاطة المحراب الحالية، تستطيع أن تحمل عقوداً تزيد فتحاتها متراً وربع المتر عن فتحات العقود الحالية لهذه البلاطة.

وتلت هذه القبة تاريخاً، قبة المحراب في مسجد سوسة الذي أقيم في سنة ٢٣٦هـ / ٨٥٠م، ولهذا فإن بلاطة المحراب في هذا المسجد أكثر سعة من زميلاتها^(١). ثم أقيم مسجد الزيتونة في تونس سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٤م، وأقيمت أمام محرابه قبة. وفي هذا المسجد نلقى مثلاً آخر لاتساع بلاطة المحراب شكل (١٩). والواضح من تصميم قاعدة هذه القبة، أنها أقيمت بعد تخطيط المسجد وبنائه، إذ إنها ترسم مربعاً مختلفاً غير متساوي الأضلاع. والواضح كذلك أن بلاطة المحراب قد مهدت في ذلك التاريخ بحيث تتسع مثل اتساع أسكوب المحراب، وتتقبل بناء القبة على تقاطع هذا الأسكوب بتلك البلاطة^(٢).

يتضح من هذه الأمثلة التي أوردتها، وهي أقدم أمثلة معروفة في العمارة الإسلامية لزيادة اتساع بلاطة المحراب عن بقية بلاطات بيت الصلاة، أن السبب في هذا الاتساع كان يرجع إلى ضرورة معمارية، وهي تمهيد قاعدة مربعة لقبة أقيمت أمام المحراب. على تقاطع أسكوبه ببلاطته^(٣). وقد أوضح (بوتى) هذه الحقيقة^(٤)، وانتهى في بحثه المعماري المدعم بالأمثلة إلى أن القبة عامل رئيسي يتدخل حتماً في تعديل نظام بيت الصلاة، وأن قاعدتها المربعة تستوجب تساوي ضلوع هذه القاعدة مع الاحتفاظ بتناسق أقسام هذا البيت. وأكد هذا العالم الأثرى أن نظام المساجد بصفة عامة، واتساع أسكوب المحراب وبلاطته فيه، هي نتيجة حلقة ممتدة من التجارب والتقاليد، وهي في تاريخ العمارة «ابتكارات إسلامية أصيلة»^(٥).

أيضاً وجدت إذن القبة في بيت الصلاة، فإنها تقع دائماً على تقاطع أسكوب وبلاطة متعادلين اتساعاً. وتشاهد هذه الحقيقة المعمارية في مسجد الكتبية بمراكش شكل (٢٠)، وفي مسجد تازا

(١) انظر شكل (١٠٢) من «المدخل»، ويلاحظ أنه لم يبين في هذا الشكل مسقط القبة أمام المحراب.

(٢) انظر شكل (١٠٦) من «المدخل»، وصفحتا ٧٢ و ٧٧ من «مسجد الزيتونة الجامع في تونس» للمؤلف.

(٣) كانت بلاطة المحراب في مسجد قرطبة الجامع، الذي شيد في سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م، أكثر سعة من جاراتها، وكذلك بلاطة المحراب في كل من مسجد سامراء، وتاريخه ٢٣٥هـ / ٨٥٠م، ومسجد أبي دلف وتاريخه ٢٤٥هـ / ٨٦٠م، ولكن اتساع هذه البلاطات الثلاثة ضئيل إلى حد أنه لا يلاحظ قط إلا إذا قيست مقاساً دقيقاً، وقيست بالمثل البلاطات المجاورة لها، ولم يلحظ أحد من المؤرخين أو الرحالة العرب هذا الاتساع، إذ أن زيادة سعة بلاطة المحراب عن بقية البلاطات في هذه المساجد لا تبلغ أكثر من السدس. تراجع شكل (٩٧) من «المدخل».

(٤) انظر (بوتى)، «تطور شكل البناء في نظام المساجد»:

Pauty, Edmond, *L'Evolution du dispositif en T dans les Mosquées à portiques*, Bulletin d'Etudes Orientales. Institut Francais de Damas, Tome II, 1932, pp. 91 – 124.

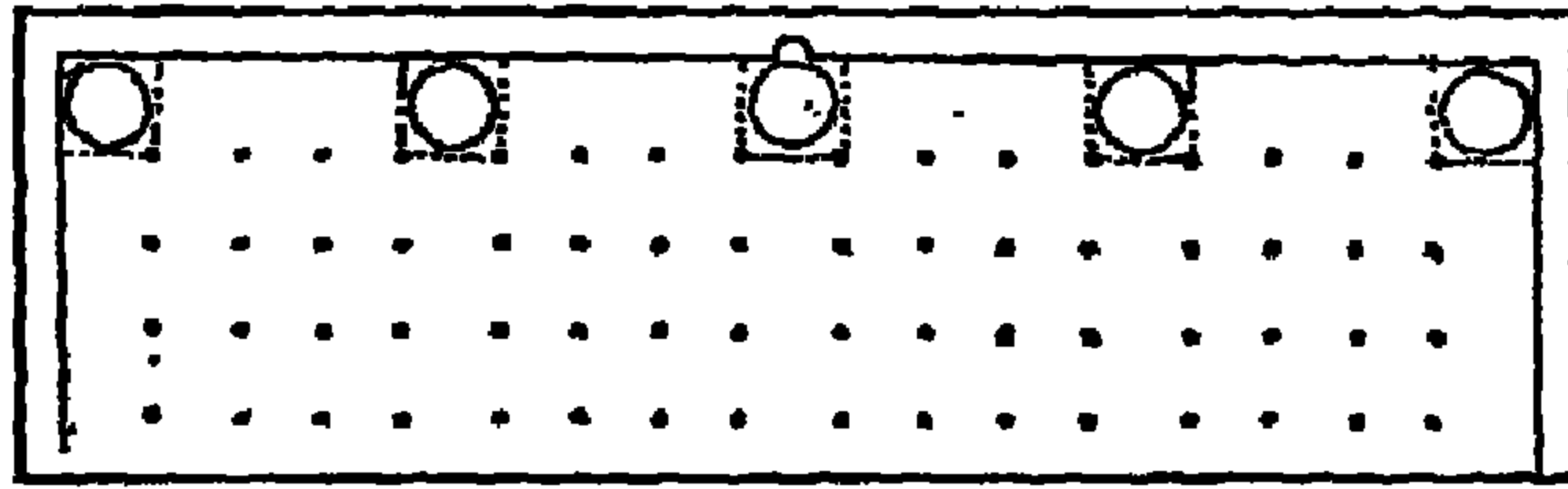
(٥) انظر صفحة ٩٤ من المقال المشار إليه في الحاشية السابقة، ونص الفقرة هو:

"de création purement musulman".

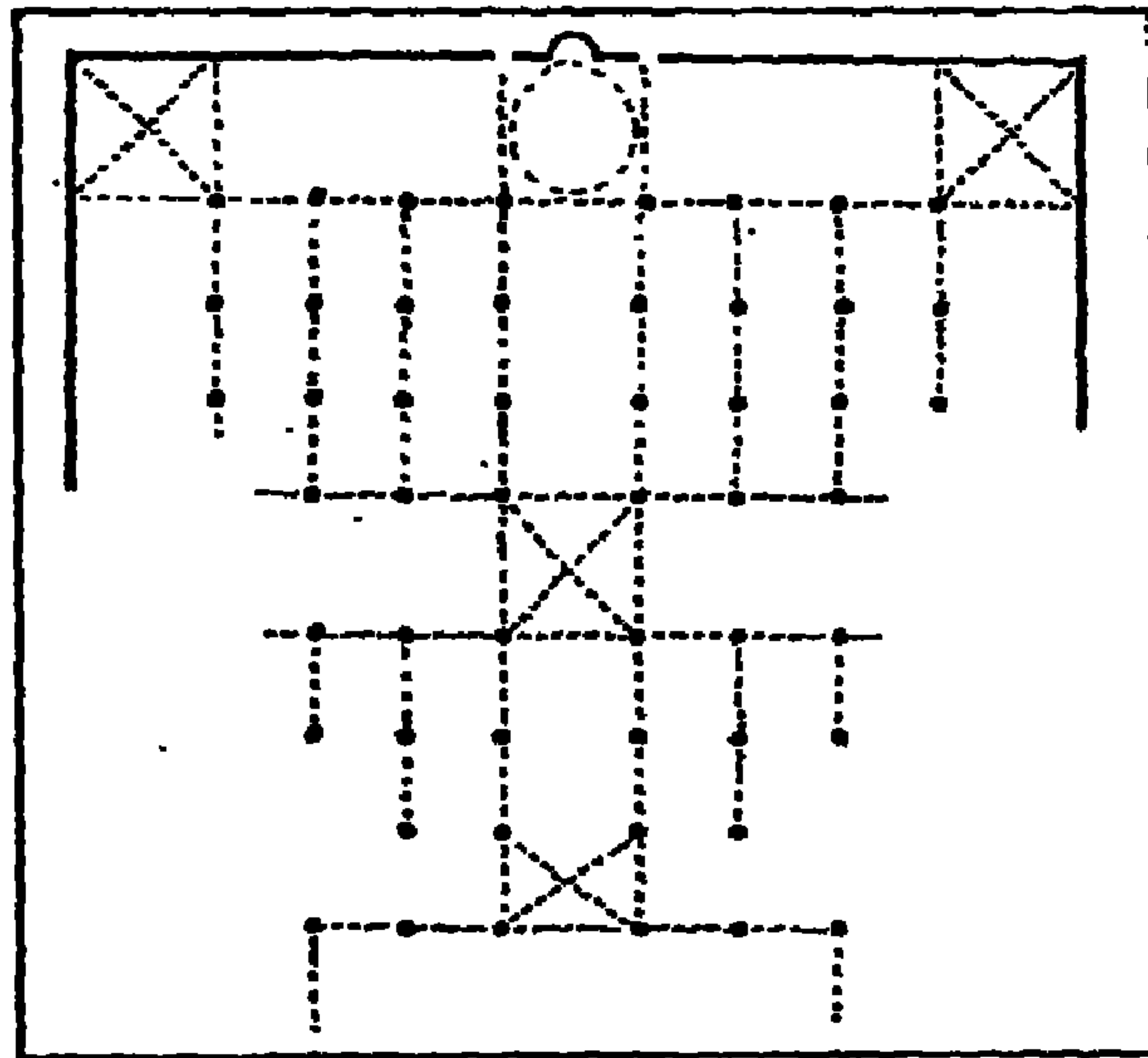
بالمغرب؛ شكل (٢١)، وفي مسجد قنقال بالجزائر، شكل (٢٢)، وكذلك الحال في مسجد حسن بالرباط، شكل (٢٣).

وقد قدم الفاطميون من بلاد المغرب وأنشأوا القاهرة، وجلبوا معهم هذا النظام المغربى، فيما جلبوا من نظم وتقاليدهم، وأقاموا قبة أمام محراب مسجد الأزهر، أسوة بمساجد القيروان وسوسة والزيتونة، واتسعت لذلك بلاطة المحراب في الأزهر مثلما اتسعت من قبل في تلك المساجد. ويظهر الأمر أكثر وضوحاً في مسجد الحاكم، شكل (٢٤)، إذ أقيمت فيه قباب ثلاث^(١)، واحدة أمام المحراب، وواحدة على كل طرف من طرفي أسكوبه. وقواعد هذه القباب مربعة، ولهذا اتسعت بلاطة المحراب في مسجد الحاكم كما اتسع أسكوب المحراب لكي ترقى القبة على تقاطعهما.

كان الأصل إذن في اتساع بلاطة المحراب هو إعداد قاعدة مربعة للقبة التي تقام أمام المحراب، وأصبحت بذلك عنصراً جديداً في تخطيط المساجد، اتبع فيما بعد أحياناً، كما هو الحال في مسجد



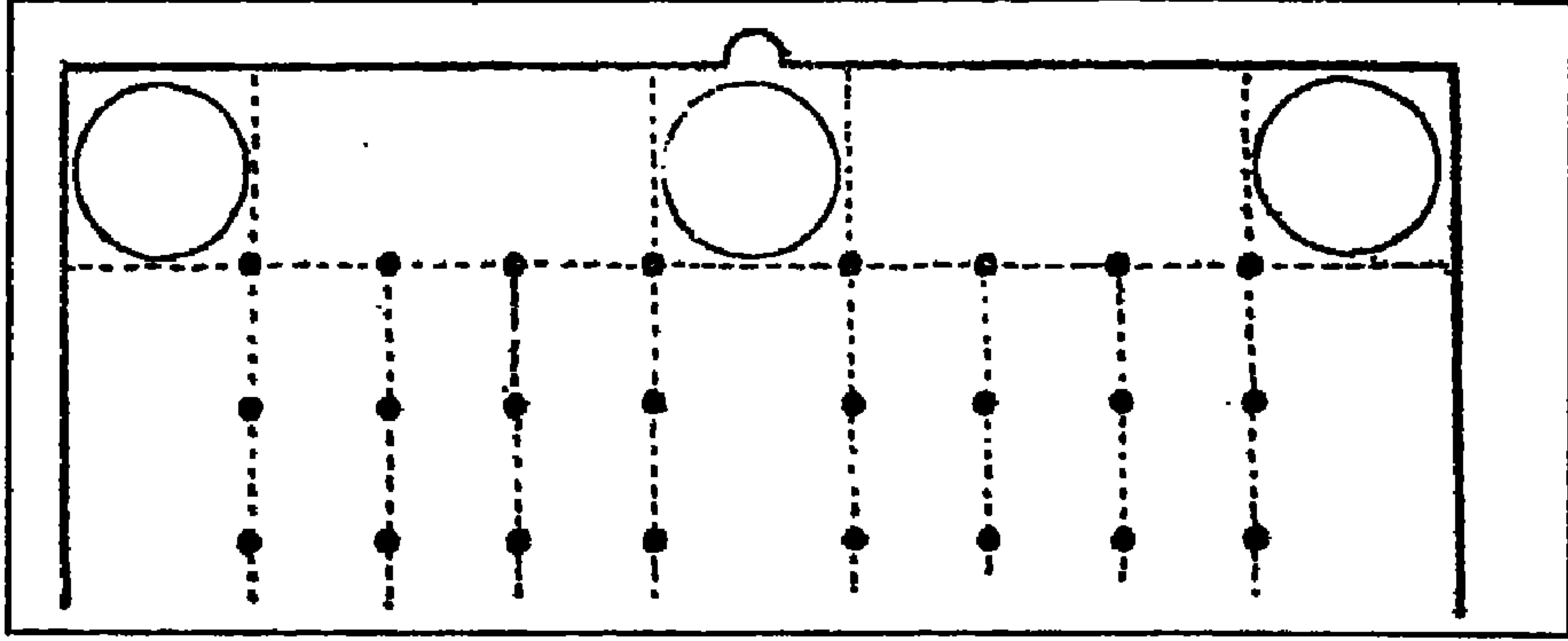
شكل (٢٠) - رسم إيضاحي لتخطيط بيت الصلاة في مسجد الكتبية بمراكش (عن بوتى)



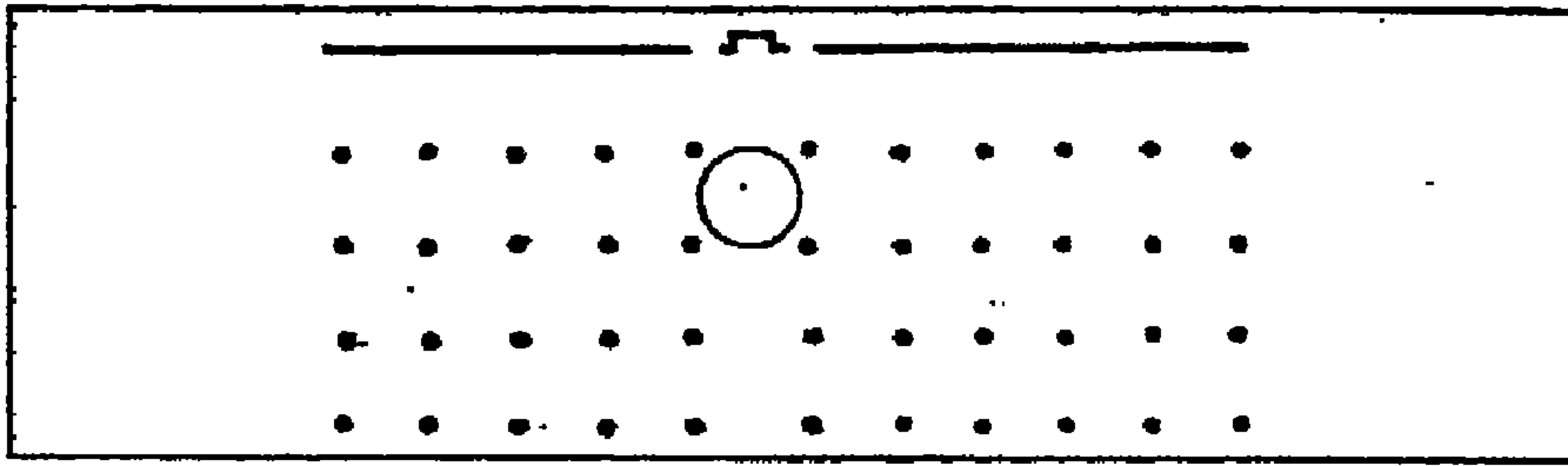
شكل (٢١) - رسم إيضاحي لتخطيط بيت الصلاة في مسجد قازا بالمغرب الأقصى ((عن بوتى))

(١) وكان بالأزهر أصلاً ثلاث قباب مقامة على أسكوب المحراب.

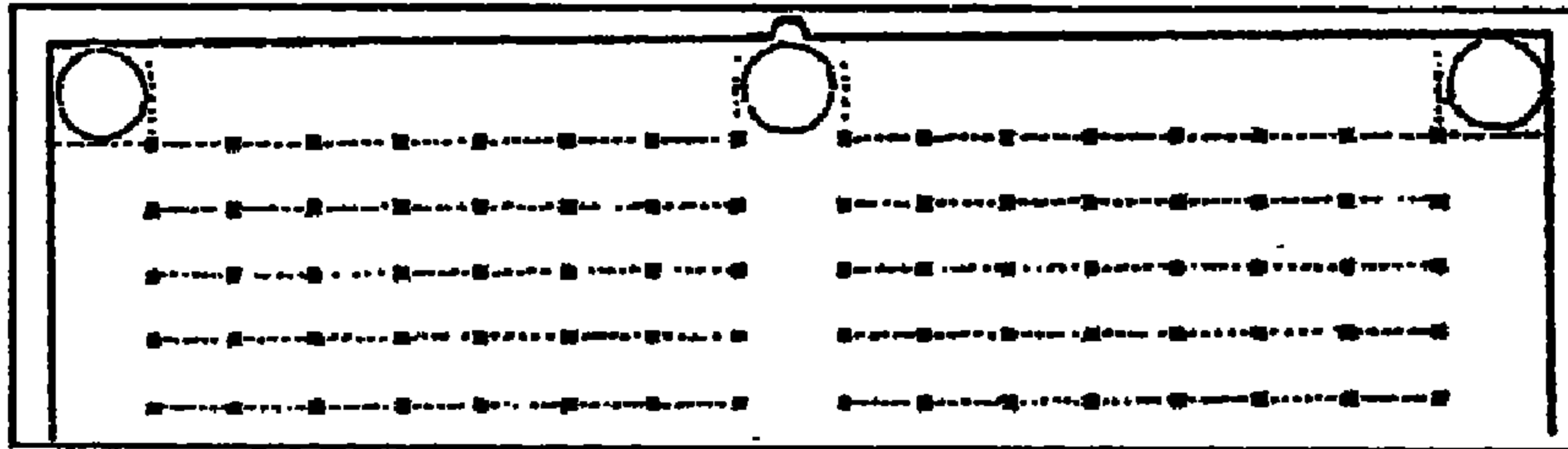
الصالح طلائع، بالرغم من أنه لم ترفع فيه قبة على تقاطع بلاطة المحراب بأسكوبه، وكلاهما في هذا المسجد أكثر سعة من غيرها من الأساكيب والبلاطات^(١). والقول بأن اتساع بلاطة المحراب مظهر فحسب اقتبس من نظام الكنائس البازيليكية، أو قاعات الاستقبال في القصور الرومانية، هو إدعاء باطل، وانكار للوظيفة المعمارية التي فرضت هذا النظام التخطيطي في المساجد.



شكل (٢٢) - رسم إيضاحي لتخطيط بيت الصلاة في مسجد تنمال بالجزائر (عن بوتى)



شكل (٢٣) - رسم إيضاحي لتخطيط بيت الصلاة في مسجد حسن بالرباط (عن بوتى)



شكل (٢٤) - رسم إيضاحي لتخطيط بيت الصلاة في مسجد الحاكم بالقاهرة (من رسم المؤلف)

(١) ويلاحظ كذلك أنه ليس لبلاطة المحراب نظام خاص في تخطيط المسجد، فإنه يصح أن تكون هذه البلاطة حقيقية، أى أن تمتد العقود على جانبيها من المحراب إلى الصحن، ويصح أن تكون وهمية، أى تخترقها عقود الأساكيب. فلا تجعل منها فضاء فسيحاً متصلاً، كما هو الحال في مسجد القرويين بفاس، ويصح أن تكون بلاطة المحراب معادلة اتساعاً مطابقة نظاماً لبلاطات المجاورة لها، كما هو الحال في مسجد الأقمر، أو أن تكون أكثر اتساعاً منها، كما هو الحال في مسجد الصالح طلائع.

قبة البهو والعنزة

أحاط الحافظ لدين الله صحن مسجد الأزهر برواق من المجنبتات، اقتباساً من النظام الذي اتبع من قبل في بعض المساجد المغربية. فقد أضيفت مجنبتات إلى الصحن في مسجد القيروان، في سنة ٢٦١هـ / ٨٧٥م، ومنها مجنبة لبيت الصلاة من رواقين. وأضيفت إلى مسجد الزيتونة، في سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م مجنبتات للصحن، منها واحدة لبيت الصلاة من رواق واحد. وكانت للأزهر عند إنشائه مجنبتان، واحدة شرقي الصحن والأخرى غربيه، ولم يكتف الحافظ لدين الله بإضافة مجنبة ثالثة لبيت الصلاة في هذا المسجد، ومجنبة رابعة في مؤخره، بل إنه أضاف كذلك رواقاً إلى كل من المجنبتين اللتين كانتا قائمتين من قبل، أي إنه أحاط الصحن من جهاته الأربع برواق واحد ممتد، وجعل مظهره متناسقاً في هذه الجهات. وظهر في المساجد الفاطمية تبعاً لذلك. عنصر جديد ثان، هو قبة «البهو» التي ظهرت في مساجد القاهرة أول ما ظهرت فيما نعرف في هذا المسجد الأزهر، وكان تاريخها يقع في عهد هذا الخليفة بين سنتي ٥٢٦هـ و ٥٤٤هـ / ١١٣١م - ١١٤٩م. وقبة البهو هي القبة المقامة في بلاطة المحراب على نهايتها المطلة على الصحن. وقد رأينا أنه كان بالمسجد الأموي بدمشق قبة شبيهة. ولكن قبة البهو بالصورة التي ظهرت في مسجد الأزهر تتصل بقبتي البهو في مسجدي القيروان والزيتونة، فهي تقليد مغربي. ذلك أن قبة المسجد الأموي بدمشق كانت هي إحدى قباب ثلاث تمتطي بلاطة المحراب داخل بيت الصلاة، أما قبة البهو في كل من المسجدين المغربيين فهي قبة أقيمت على نهاية بلاطة المحراب في منتصف رواق المجنبة التي أضيفت إلى بيت الصلاة، في عهد لاحق لإنشاء هذا البيت. وهذا ما حدث تماماً في المسجد الأزهر.

أقيمت قبة البهو في مسجد القيروان سنة ٢٦١هـ / ٨٧٥م، في نفس السنة التي أقيمت فيها مجنبتات الصحن، والتي أضيف فيها إلى بيت الصلاة أسكوبان أو رواقان من جهة الصحن وكان ذلك بعد إقامة بلاطة المحراب بأربعين سنة. وأقيمت قبة البهو في مسجد الزيتونة في سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م في نفس السنة التي أقيمت فيها مجنبتات الصحن^(١)، وأضيف فيها إلى بيت الصلاة رواق

(١) سجل تاريخ إنشاء القبة على إطار يدور حول قاعدتها المربعة فوق العقود التي تتركز عليها وسجل تاريخ بناء المجنبتات على حدارات تيجان الأعمدة تحت هذه القبة ونصه حسبما قرأته (بسم الله الرحمن الرحيم كان ابتداء العمل في المجنبتات والداموس والقبة في شهر ربيع الأول سنة ثمانين وثلثمائة وتم جميع ذلك في جمادى الأول من سنة خمس وثمانين وثلثمائة)، تراجع صفحة ٦٧ من «مسجد الزيتونة الجامع في تونس» للمؤلف.

مطل على الصحن بعد إقامة بلاطة المحراب بمائة وثلاثين سنة. ولا شك في أن هذين المثلين وغيرهما في مساجد مغربية أخرى اندثرت، هي التي أوجت إلى إدخال هذا العنصر الجديد على نظام المسجد، وهو قبة البهو.

وقبة البهو، في رأيي، هي قبة مكررة لقبة المحراب بالنسبة للمصلين في صحن المسجد، «فقد دعت الحاجة أمام اكتظاظ المساجد في أيام الجمعة أن يقف عند هذا الصحن، وفي موضع يقابل المحراب منه، إمام ثان، أو مؤذن، يردد ابتهالات خطيب المسجد وتكبيره، وما زالت هذه العادة متبعة (في بلاد المغرب) إلى اليوم»^(١)، ولهذا أعد محرابان صغيران، تحت قبة البهو في مسجد الأزهر، وضع كل واحد منهما في دعامة من الدعامتين المتصلتين ببلاطة المحراب.

وهذه المحاريب عنصر جديد آخر ظهر في المساجد الفاطمية، يشاهد كذلك في مسجد السيدة رقية، ويطلق عليه في بلاد المغرب اسم «العنزة». وهو اصطلاح يقصد به المحراب الرمزي الذي يقام في الصحن عند نهاية بلاطة المحراب. «والعنزة هو الحربة أو اللواء الذي يركزه شيخ القبيلة في الصحراء قبل قيام الأعراب للصلاة، ليحدد موضع المحراب من الفضاء ومقام الإمام من المصلين»^(٢). والمعروف أن هذه العادة كانت متبعة منذ عهد الرسول ﷺ^(٣)، وكانت العنزة تتخذ عند الحاجة بديلاً عن المحراب.



(١) انظر صفحة ٨٨ من المرجع السابق.

(٢) انظر صفحة ٨٩ من المرجع السابق.

(٣) البخاري، «كتاب الجامع الصحيح»، جزء أول، صفحة ١٠٦. وقيل إن بلالاً كان يحمل العنزة أمام الرسول ﷺ إلى المصلى في العيدين فيركزها في الأرض ويحدد بها القبلة والسترة. انظر صفحة ١٦٤ من مقال (مايلز)، «المحراب والعنزة»:

Miles (George). *Mihrab and Anazah*, A study in Early Islamic Iconography, pp. 156-171 in *Archaeologica Orientalia in Memoriam Ernst Herzfeld*, New York, 1952.

المدخل الرئيسية والبوابات - المشاهد - تعدد المحاريب

يمتاز تخطيط المساجد الفاطمية بموضع مداخلها الرئيسية، فقد فتحت هذه المداخل في منتصف جدار المؤخر، في موضع يقابل المحراب. وكانت مداخل المساجد فيما قبل ذلك تفتح عادة في الجدارين الجانبيين، غير جدارى القبلة والمؤخر، أو على الأصح لم تكن الأبواب التى تفتح فى جدار المؤخر تمتاز عن غيرها من الأبواب، ولم تتخذ صفة الصدارة. أما فى العصر الفاطمى فقد كان المدخل الرئيسى للمساجد، فى الأزهر والحاكم والجيوشى والأقمر والسيدة رقية والصالح طلائع هو المدخل المفتوح فى جدار مؤخر كل منها، مقابلاً للمحراب فى بيوت صلاتها.

وفضلاً عن ذلك فإن هذا المدخل اتخذ أهمية خاصة فى ثلاثة من هذه المساجد هى الحاكم والجيوشى والأقمر، وذلك ببروزه خارج سميت جدار المؤخر، أى مسقطه^(١). ويبدو هذا البروز واضحاً فى مسجد الحاكم، إذ إنه يتخذ هيئة برجين، يتوسطهما ممر يؤدي إلى باب، فأصبح المدخل بوابة، بالمعنى المصطلح عليه فى عمارة الأسوار. ولاشك فى أن نظام هذين البرجين، كما سنرى فى الفصل التالى، مقتبس من بوابة مسجد المهدية فى تونس، وهو مسجد فاطمى أقيم فى سنة ٣٠٣هـ / ٩١٦م. ولكن هذه البوابة تطورت فى مسجد الحاكم واتخذت مظهرًا أكثر جلالاً وعظمة. ثم انكمش البرجان فى مدخل مسجد الأقمر ليتناسق مظهرهما مع واجهة هذا المسجد، ولكنه يظهر فيهما كذلك ذكرى أبراج المهدية، إذ حفرت فيهما طاقة من كل جانب على هيئة المحراب، ومثل هذه الطاقات تتكرر فى بوابة المهدية.

أما مدخل الصالح طلائع فقد اتخذ أهميته الخاصة من الرواق الذى يتقدمه، وهو الصحن المسقوف المطل على الشارع. وإنى أعتقد أن هذا الصحن قد أعد خصيصاً لاستخدامه صحنًا للجنائز. وصحن الجنائز تقليد مغربى كذلك، ولعله اقتبس فى مسجد الصالح طلائع من مسجد من مساجد المغرب^(٢). وعلى كل حال فإنى أرى فى صحن الصالح طلائع صورة مكبرة للرواق الذى يتقدم بيت الصلاة فى مسجد بوفتاته فى سوسة^(٣).

(١) وأغلب الظن أنه كان بمسجد الأزهر كذلك عند إنشائه بوابة مفتوحة فى جدار المؤخر.

(٢) لمسجد الزيتونة صحن مسقوف للجنائز، وإن كان تاريخه لاحقاً لتاريخ الصالح طلائع، إذ أنه أنشئ فى سنة ١٠٤٧هـ / ١٦٣٧م.

(٣) انظر شكل (١٠٤)، من «المدخل».

وظهرت في العصر الفاطمي كذلك أنظمة جديدة للمساجد لم تصل إلينا نظائر لها من العصور السابقة، وهي نظام المسجد ذي الضريح، أو نظام المشهد. ولا شك في أن المشاهد والأضرحة كانت تقام منذ العصور الإسلامية الأولى. وقد تخلقت من العصر الفاطمي نفسه مبان مقصورة على أضرحة، منها قبة الشيخ يونس، ومشهد إخوة يوسف. وقبتا عاتكة والجعفرى، ومشاهد أم كلثوم، والحصواتى ويحيى الشبيه. وقد سبق أن أشرت إليها إشارة موجزة. ولكن مسجدي الجيوشى والسيدة رقية مثلاً فريدان للمشهد، أو للمسجد المستخدم ضريحاً، ويتضح من تخطيطهما أنهما يحتفظان بجميع العناصر التخطيطية للمسجد، إذ إن بكل منهما بيتاً للصلاة به محراب يتوسط جدار القبلة، وإن كان هذا البيت يقتصر على أسكوبين، في الجيوشى، وعلى أسكوب واحد، في السيدة رقية. وبكل منهما صحن، كان يدور حوله رواق في السيدة رقية، واستبدلت به في الجيوشى قاعات مغلقة. ويمتاز كل من المسجدين بالقبلة المقامة أمام المحراب، فوق الضريح الذى وضع مواجهاً له. والمسجدان صغيران لا تزيد مساحة كل منهما عن ٢٥٠ متراً مربعاً، أى إن مساحة مسجد ابن طولون تتسع لبناء أكثر من ستين مشهداً من حجمهما.

وقيل: إن مسجد الصالح طلائع كان معداً لكى يوضع فيه ضريح السيد الحسين، ولكن نظام هذا المسجد لا يشبه مشهدى الجيوشى والسيدة رقية، بل إنه يخلو من القبلة، وهى العنصر الرئيسى فى بناء المشهد. وأغلب الظن أن إحدى القاعات المجاورة للصحن المسقوف فى مسجد الصالح طلائع كانت معدة لإيواء الضريح.

وتمتاز المساجد الفاطمية بتعدد المحاريب. وهى ظاهرة لوحظت من قبل فى مسجدي عمرو وابن طولون، غير أنها أدخلت على مسجد عمرو بعد زيادته، احتفاظاً بموضع محراب مؤسسه، وأدخلت على مسجد ابن طولون فى العصر الفاطمي وفى عصر لاجين، وهى فى هذا المسجد الأخير محاريب مسطحة. وقد أشرت فيما سبق إلى محرابى قبة البهو فى مسجد الأزهر، وإلى محرابى رواق الصحن فى السيدة رقية. غير أن ظاهرة تعدد المحاريب التى أشير إليها هنا تتصل بالمحاريب المجوفة فى جدار القبلة، أى فى بيت الصلاة، وهى ظاهرة زخرفية، ولم أستدل على حكمة لها. وأقدم مثل معروف لتعدد المحاريب فى جدار القبلة هو مسجد دير سانت كاترين، وفيه ثلاثة محاريب، واحد فى كل مربعة من مربعات أسكوب المحراب الثلاثة، وقد أنشأ هذا المسجد الأمير أبو منصور أنوتشتكين فيما بين سنتي ٤٢٩هـ و ٤٣٣هـ / ١٠٣٧م - ١٠٤١م حينما كان نائباً على الشام من قبل الخليفة المستنصر بالله^(١). وبعد ذلك بمائة سنة أقيم مسجد السيدة رقية، وبجدار القبلة فيه ثلاثة

(١) يعد المؤلف بحثاً عن هذا المسجد الذى كان يظن أنه بنى فى عهد الأمر بأحكام الله، فى سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م، وهو تاريخ صنع المنبر المحفوظ بمسجد الدير، أما تاريخ إنشاء المسجد نفسه فصحته ما أورده أعلاه.

محاريب، واحد في كل مربعة من مربعات أسكوب المحراب الثلاثة. وت خلف من العصر الفاطمي
كذلك ثلاثة مشاهد، بكل منها ثلاثة محاريب مجوفة في جدار القبلة، هي مشاهد أخوة يوسف
ويحيى الشبيه وأم كلثوم، وجميعها معاصر تاريخاً لمسجد السيدة رقية.



الفصل السابع

العناصر المعمارية وخصائصها

- ١ - استعمال الحجارة واستخدام الروافع.
- ٢ - العقود.
- ٣ - المحاريب.
- ٤ - القبوات والقباب والمقرنصات.
- ٥ - المآذن والمعاطف.

الفصل السابع

العناصر المعمارية وخصائصها



استعمال الحجارة - استخدام الروافع

تطورت عمارة المساجد في العصر الفاطمي تطوراً كبيراً متشعباً. وامتاز البناء فيها فيما امتاز به باستخدام الحجارة. وقد أخذ استخدام الآجر يقل تدريجياً، ثم كاد يتلاشى في نهاية ذلك العصر، ويعم استخدام الحجارة.

بدأ العصر باستخدام الآجر في البناء كما رأينا في الأسوار التي أقامها جوهر الصقلي، وفي بنائه للمسجد الجامع الأزهر. ثم اقتصر استخدام الآجر على بناء العقود والسقف والجوانب الداخلية للجدران والأجزاء العليا من المآذن. وقد رأينا أن خليطاً من الآجر والحجارة استخدم في بناء أجزاء من مسجد الحاكم، هي جدرانه، ولكن مئذنتيه وبواباته بنيت من الحجارة. واستخدمت الحجارة بصورة ملحوظة في المساجد الفاطمية الأخرى.

استخدمت الحجارة أول الأمر في العصر الفاطمي بالخلط مع الآجر في جدران مسجد الحاكم، ثم استخدمت في معطفي مئذنتي هذا المسجد وفي مسجد الجيوشي من قطع غير منتظمة، كسيت بطلاء من الجص. واستخدمت في مئذنة هذا المسجد الأخير عوارض خشبية، دفنت في البناء بين صفوف الحجارة. تدعيماً لها. واستمرت هذه الطريقة متبعة في القاهرة أجيالاً طويلة.

وكانت الحجارة مستخدمة في البناء من قبل في مصر وفي بلاد المغرب. قبل الفتح الإسلامي، واستمر استخدامها في بلاد المغرب بعد الفتح. ولهذا فإنه ليس غريباً أن تتخذ الحجارة وسيلة للبناء في عهد الحاكم، بجوار استخدام الآجر. ولا شك في أنه كانت لأعمال بدر الجمالي في القاهرة، وبناء أسوارها الجديدة جميعاً من الحجارة، أثر كبير في شيوع استخدام الحجارة بعد ذلك في بناء المساجد. وترى في جدران مسجد الصالح طلائع بدونات أعمدة مغمورة في البناء الحجري، على مثال ما اتبع في بناء أسوار بدر الجمالي.

ولم يقتصر الأمر على شيوع استخدام الحجارة، بل إنه عني بقطعها وصلها وتنسيقها في البناء كما يشاهد مثلاً في مئذنتي الحاكم، ولم يعد يستعان بالطلاء الجصي في غطاء المسطحات الجدارية وتسويتها. ولهذا اتخذت الواجهات طابعاً جديداً واتخذت البوابات مظهرًا مستقلاً. وأضافت الزخرفة المنحوتة على الحجارة أهمية إلى واجهات المساجد الفاطمية، في مسجدى الأقمر والصالح طلائع، فأصبحت الواجهة نفسها عنواناً آخر للوظيفة الدينية التي يؤديها البناء، فإذا تصورنا هذين المسجدين خاليين من مئذنتيهما، فإن واجهة كل منهما تكفى دليلاً على كيانهما.

وهكذا أصبحت مادة البناء، وهى الحجارة، عنصراً قائماً بذاته، عنصراً متكاملًا، بعد أن كان الآجر عنصراً غير متكامل، يفتقر إلى الطلاء والجص لسد النقص في مظهره.

هذه ناحية هامة ترتبت عن استخدام الحجارة. وثمة ناحية أخرى، ليست أقل أهمية منها، ترتبت عن العناية بصقل الحجارة وتنسيقها، واستغلالها في الزخرفة، وتلك هى ابتكار الصنج المعشقة، التى تمكن البناء بفضلها من استخدامها فى العقود المنبثقة وفى العتبات الأفقية فى النوافذ والأبواب، عوضاً عن العقود المقوسة والمدببة.

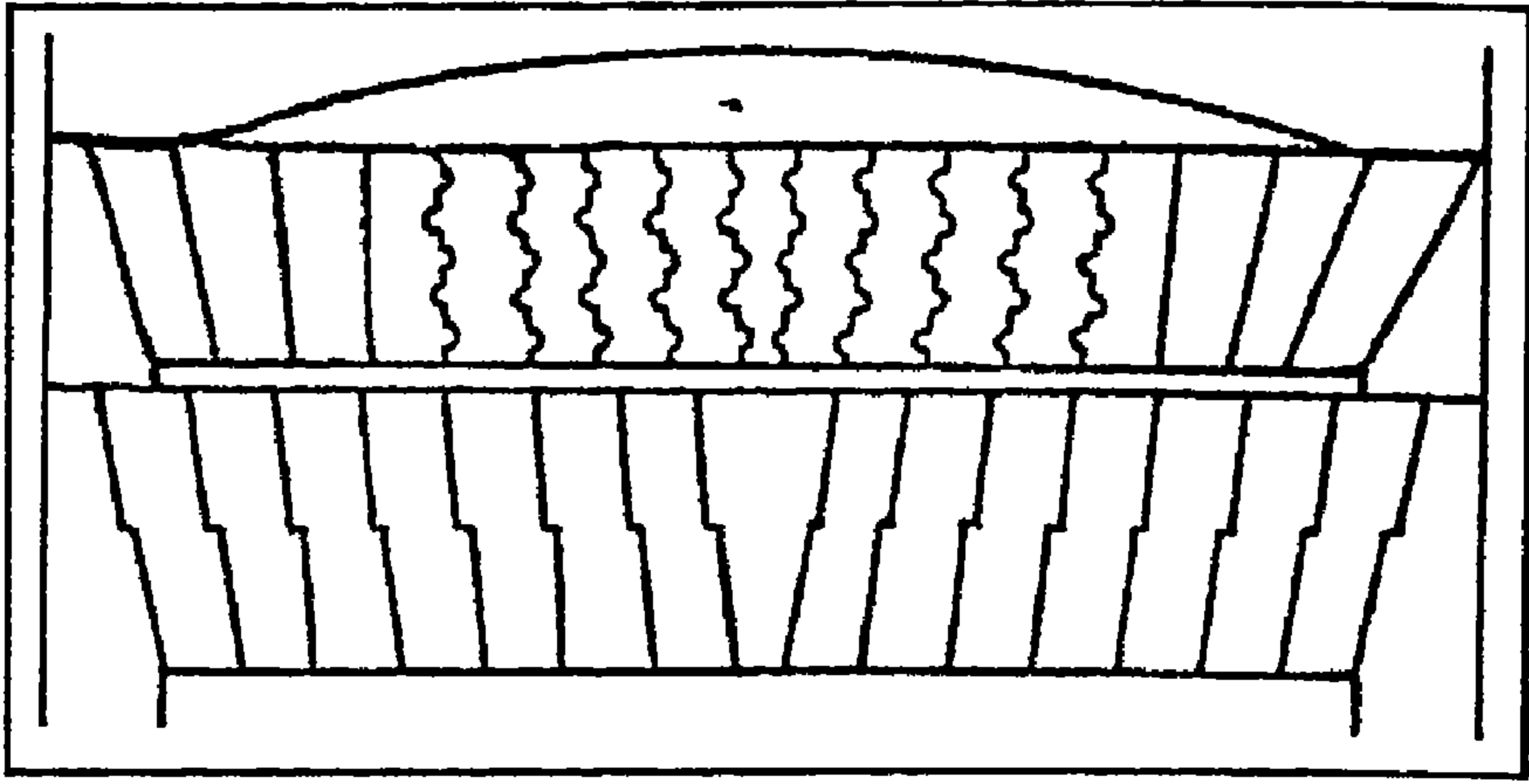
والأصل فى هذا الابتكار المعمارى ضرورة بنائية. إذ إن تعشيق الحجارة يربطها ربطاً قوياً، ويزيد من تماسكها، فيعنى عن العقود المقوسة أو المدببة. وكانت الصنج المعشقة معروفة قبل الإسلام فى بلاد عديدة، «من إسبانيا إلى الفرات»^(١). ولكن الأمثلة المتخلفة من هذه المناطق الشاسعة قليلة^(٢)، بل كان استعمالها حينذاك نادراً^(٣). والمعروف عن هذه الصنج السابقة للعصر الإسلامى أنها كانت تتخذ شكلاً مبسطاً، كما يتضح من عتبة باب فى المسرح الرومانى بمدينة (أورانج) فى فرنسا وهو من القرن الثانى قبل الميلاد. وكذلك الحال فى عقود من مقبرة (تيودوريك) فى (رافنا) بإيطاليا، وهى التى بنيت فى سنة ٥١٩ ميلادية^(٤). وكانت هذه الصنج وتلك مبسطة الشكل والتعشيق، وكذلك كانت الصنج المكتشفة فى قصر الحيرة الشرقى الذى أقامه هشام بن عبد الملك فى سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م.

(١) انظر صفحة ٢٤٣ من الجزء الأول من كتاب (كريسويل)، «العمارة الإسلامية الأولى»؛ صفحة ١٢١ من كتابه «مختصر العمارة الإسلامية الأولى».

(٢) انظر صفحة ٢٤٢ إلى ٢٤٥ من الكتاب الأول المشار إليه فى الحاشية السابقة.

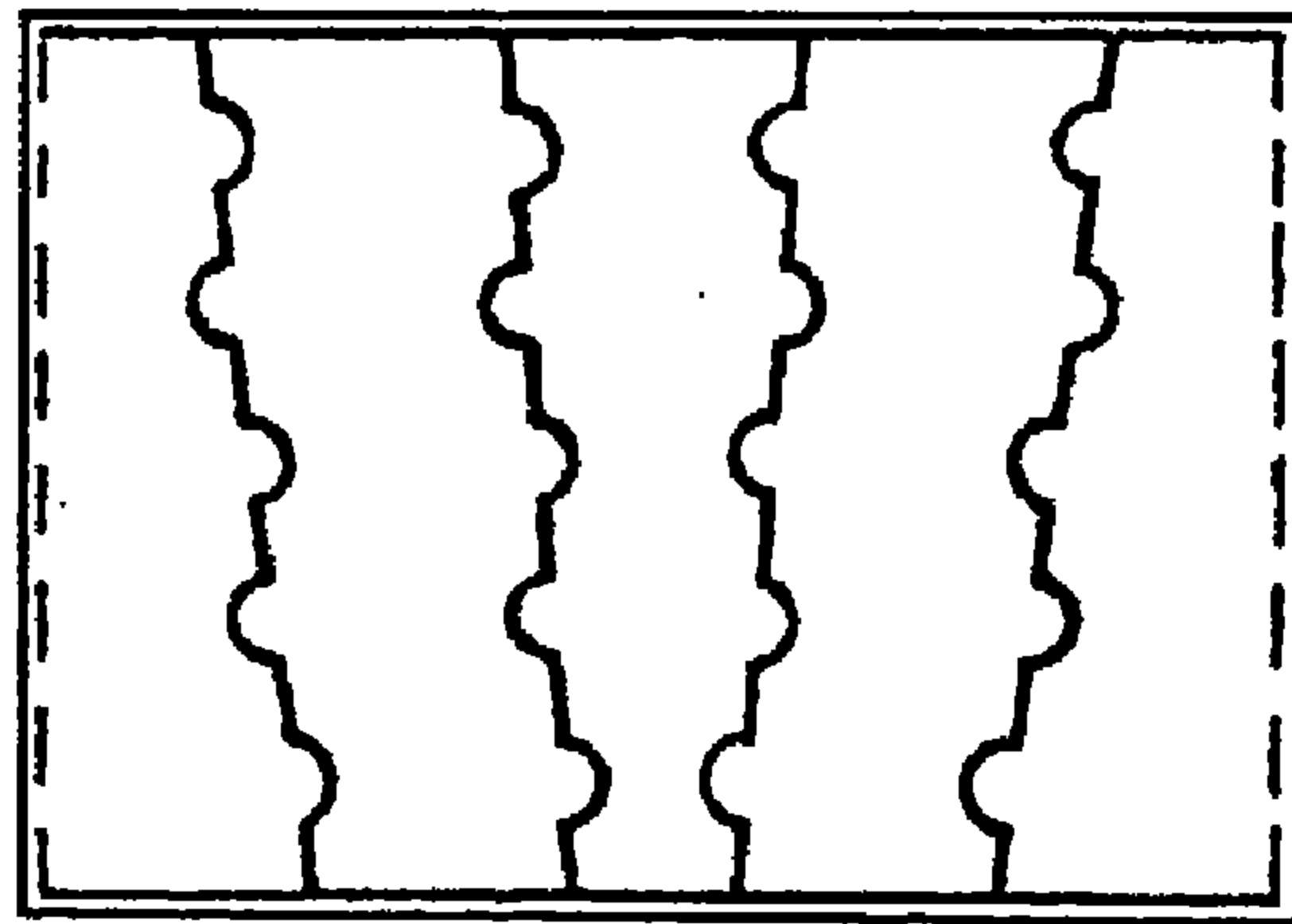
(٣) انظر المرجع السابق، صفحة ٢١١.

(٤) انظر شكل (٦) من «المدخل».



شكل (٢٥) - رسم للصنج المشقة فى عتبة بوابة النصر بالقاهرة من عصر بدر الجفالى

وعلى هذا النحو المبسط ظهرت الصنج المشقة فى العمارة الإسلامية بمصر أول ما ظهرت فى بوابات النصر والفتوح وزويلة^(١)، شكل (٢٥). غير أن هذه الأشكال تطورت فى بوابة النصر نفسها، فى العتبة الثانية التى تعلو عتبة الأولى، شكل (٢٥) ثم تطورت تطوراً أكبر فى مسجدى الأقمر والصالح طلائع، اللوحات أرقام (٤٣ و ٥٣). واتخذت الصنج فى العتبات الأفقية والمقوسة مظهراً زخرفياً، مع احتفاظها بوظيفتها المعمارية، وأصبحت تتكون من شكل أنصاف دوائر متقابلة مرتبطة بخطوط مستقيمة مصغرة، شكل (٢٦).



شكل (٢٦) - رسم للصنج المشقة فى عتبة مسجدى الأقمر والصالح طلائع

(١) انظر المرجع السابق.

وتمتاز مساجد القاهرة الفاطمية بالتطور الذى أدخل على طريقة استخدام الروافع، وهى الأعمدة والدعامات. وقد استخدمت الأعمدة القديمة فى بعض المساجد، كالأزهر والأقمر والصالح طلائع، كما كانت تستخدم فيما قبل، ولكنه أضيفت فوق تيجانها القديمة حداثات. وقد أشرت إلى هذه الحداثات فيما سبق، وأوضحنا أنه يعلوها طنفة وتدونها قرمة. وهذه المجموعة المكونة من ثلاث عناصر تعتبر ابتكاراً فى العمارة الإسلامية ببلاد المغرب، وتشاهد فى مسجدى القيروان والزيتونة وفى غيرهما من المساجد^(١)، ولم تستخدم فى العمارة الإسلامية بمصر قبل ذلك^(٢)، ولا شك فى أن استخدامهما بالقاهرة، وخاصة فى المسجد الأزهر كان اشتقاقاً من العمارة العربية المغربية. وقد قصص بهذا الابتكار معالجة قصر طول الأعمدة واختلاف ارتفاعاتها، وإيجاد قواعد ثابتة على مستوى واحد لأطراف العقود. وقد صنعت الحداثات فى الأزهر من الحجارة، وفى الأقمر، من ألواح خشبية. واقتصر فى مسجد الصالح طلائع على الطنفة الخشبية، أو الوسائد، التى نحتت عليها الزخارف، واستغنى عن الحداثات فى هذا المسجد لأن أعمدته كانت طويلة أصلاً، كما أنه وضعت لها قواعد من مكعبات حجرية مرتفعة. ولهذا لم تكن هناك ضرورة معمارية لتزويد الأعمدة بحداثات، خاصة وأن عقود المسجد كانت مطولة الأطراف. ولكنه احتفظ بالطنف الخشبية فى هذا المسجد تذكيراً للتقاليد المعمارية العربية من جهة، ولإستخدامها فى الزخرفة من جهة أخرى. ولهذا فإن وظيفتها، كما كان الحال فى مسجد عمرو، زخرفية أكثر منها معمارية، لوحة رقم (٦٩).

وبدأت الأعمدة تصنع خصيصاً للمساجد التى تقتصر حاجتها منها إلى عدد ضئيل، مثل مسجد السيدة رقية. وكذلك صنعت تيجان هذه الأعمدة وقواعدها بالقاهرة، وهى على هيئة الناقوس أو الزهرية، لوحة رقم (٤٧ و ٥٠ أ). وفى قبة مسجد الحاكم تيجان ناقوسية صنعت كذلك محلياً.

واستخدمت الدعامات فى مسجد الحاكم عوضاً عن الأعمدة، مثل ما اتبع من قبل فى مسجد ابن طولون. ودعامات «الحاكم» تطور منطقى لهذه الدعامات الطولونية. وهى تمتاز ببروز ضئيل فى كل من واجهاتها الأربع، كان المقصود منه تمهيد قاعدة لكى تستند عليها الآوتار الخشبية التى تربط أطراف العقود. ثم إن الدعامات فى مسجد الحاكم تظهر كأنها مجموعة من أربع دعامات ملتصقة بالتعارض، وكأن كلا منها يحف به عمودان مندمجان فى ركنيهما. وهكذا تتميز دعامات المسجد الحاكم بأنها واضحة المعالم، مفصلة العناصر، بحيث

(١) انظر للمؤلف صفحتا ٦٨ و ٦٩ من «المسجد الجامع بالقيروان»، و صفحة ٨٢ من «مسجد الزيتونة الجامع».

(٢) استخدمت فى مسجد عمرو وسائد خشبية فوق تيجان الأعمدة، ووظيفتها تسوية مسطحات التيجان تحت أطراف العقود، وهى وظيفة تختلف عن وظيفة الحداثات، انظر «المدخل».

يؤدي كل عنصر منها وظيفة مستقلة. والواقع أن هذه التجزئة شكلية وظاهرية فحسب، لأن دعامة «الحاكم» مثل دعامة «ابن طولون» كتلة واحدة متماسكة. ومع ذلك فإن لهذه التجزئة الظاهرية أهمية، إذ إنها تعتبر خطوة من تطور أساليب العمارة الإسلامية، تطوراً أدى إلى تحديد عنصر قائم بذاته، مظهرًا وتكوينًا، لكل وظيفة معمارية^(١).

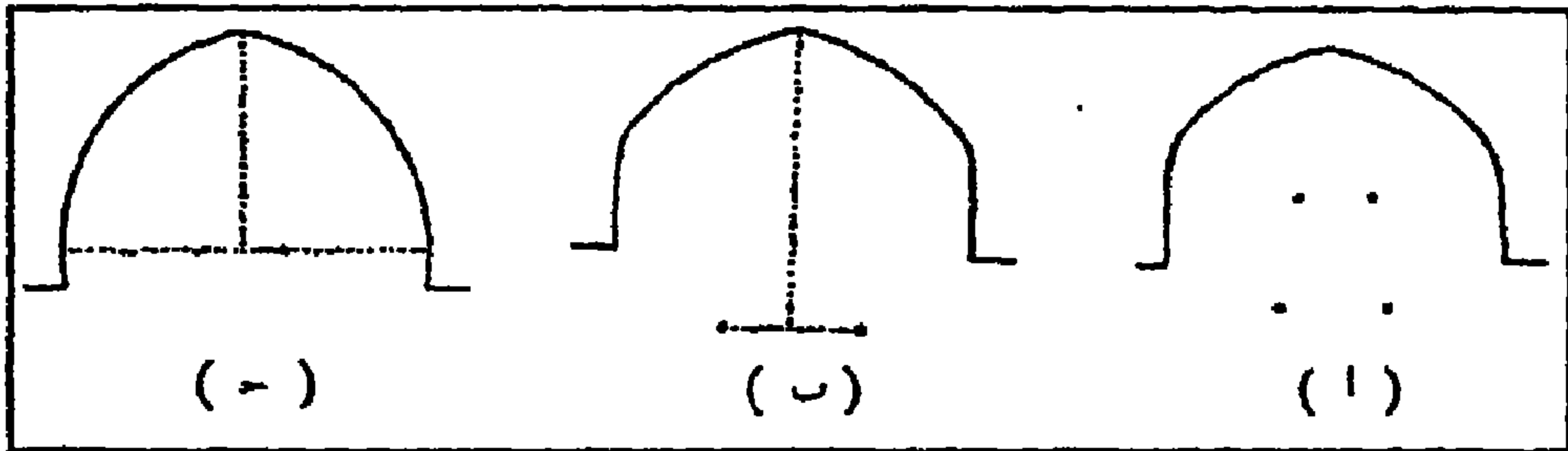


(١) أبدى الأستاذ (هوتكور) هذه الملاحظة عند شرحه لعناصر العمارة في مسجد الحاكم، وذلك في صفحة ٢٢٢ من الجزء الأول من كتاب «مساجد القاهرة» من تأليفه بالاشتراك مع (فييت). ونص الفقرة المشار إليها هو:

"Les architectes musulmans.. éprouvèrent progressivement le besoin de distinguer dans un member portant les différentes fonctions de chaque élément".

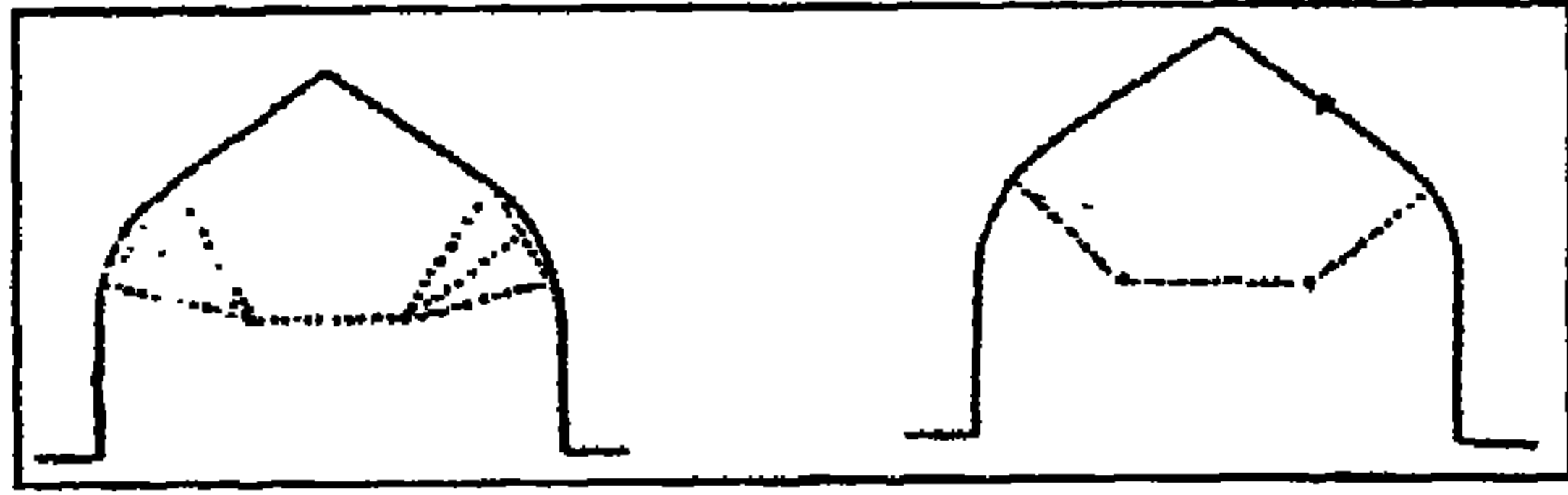
العقود

استخدمت في عمارة القاهرة في العصر الفاطمي أنواع عديدة من العقود، منها المقوس ومنها المدبب ومنها المطول ومنها المنفرج والمنفوخ والمنبطح والأحدب، وقد أشرت إلى مواضع استخدامها في الفصول السابقة، شكل (٢٧). وتوجت النوافذ في الأزهر والحاكم بعقود مقوسة، أي من أنصاف دوائر، واتخذت بعض النوافذ والطاقت في مساجد الحاكم والأقمر والجيوشي عقوداً مدببة. وفي نوافذ القبة في السيدة رقية اتخذت العقود شكلاً يجمع بين العقد المنفوخ والعقد المنفرج. وهو عقد استخدام أول ما استخدم في الزخرفة كما سنرى فيما بعد. واستخدمت كذلك العقود المتتالية، أو المزدوجة، بصفة عامة في مسجد الأقمر، وكان استخدامها من قبل مقصوراً على المحاريب. ولعل أكثر العقود شهرة ومظهراً والتصاقاً بالعمارة الفاطمية هي العقود المنفرجة. وقد سميت هذه العقود أحياناً بالعقود الفارسية، وهي تسمية خاطئة كما سنرى.



شكل (٢٧) - رسوم إيضاحية لأمثلة من العقود المستخدمة في العمارة الفاطمية

ويتكون شكل العقد المنفرج هذا من كتفين مستقيمين يجتمعان عند رأسه في زاوية منفرجة، وله طرفان رأسيان مستقيمان كذلك، يربطهما بالكتفين انحناء مقوس من كل جانب، شكل (٢٨). وهذا هو الشكل الذي أطلقت عليه اصطلاح «العقد المنفرج»، بدلاً من «العقد الفارسي». والذي جعل العلماء يطلقون على هذا العقد اصطلاح «العقد الفارسي» هو ظنهم أنه كان معروفاً في العمارة الفارسية قبل استخدام العمارة الإسلامية له بالقاهرة، وأنه كانت تربط هذه العاصمة بالدولة الفارسية روابط قوية أثناء الحكم الفاطمي.



شكل (٢٨) - رسم إيضاحي لشكلين من أشكال العقود المنفرجة

فقد ذكر (فان برشم) أن العقود في جميع المساجد الفاطمية عقود «فارسية»، وهي عقود تتكون من انحناء ينتهي عند طرفيه بخط مستقيم، وأن هذا العقد لم يظهر في العمارة الإسلامية بمصر قبل العصر الفاطمي. ويفسر (فان برشم) هذه الظاهرة بانتشار التأثيرات الفارسية في وادي النيل أثناء حكم الدولة الفاطمية التي كانت العقائد الشيعية والإسماعيلية تربطها بالدولة الفارسية. وينتهي (فان برشم) إلى القول بأن العقود العتيقة في المسجد الأزهر تتخذ أشكال العقود الفارسية^(١).

وذكر (سلادان) رأياً مماثلاً فقال: «إن عقود مسجد الأزهر التي تركز على أعمدة تتخذ شكلاً حاداً خاصاً، وكذلك عقود الطاقات القائمة بينه. وهذا الشكل كان منتشرًا في بلاد الفرس»^(٢). وكذلك أكد (هوتكون) أن عقود الأزهر الفارسية ترجع إلى قوة الرابطة الدينية التي كانت تربط الفاطميين بالفرس، وأضاف إلى ذلك قوله إن هذه العقود الفارسية ترجع إلى أصل هندي^(٣). وأخيراً وافق (مارسيه) على هذا الرأي وأضاف إلى ذلك أن هذه العقود كانت مجهولة في مصر من قبل^(٤).

قامت هذه النظرية إذا على الظن بأن العقد «المنفرج» كان واسع الانتشار في فارس قبل العصر الفاطمي. ولكن (كريسويل) أوضح أن أقدم الآثار المعروفة في بلاد الفرس (بل وفي

(١) انظر صفحات ٤٢٨ و ٤٢٩ من مقال (فان برشم) عن «مذكرات في الآثار العربية».

Van-Berchem, Max, *Notes d'Archéologie Arabe* Journal Asiatique, 8^e série, Tome XVII, XIX, Paris, 1891.

(٢) صفحة ٩٥ من كتاب «الفن الإسلامي - العمارة»:

Saladin, Henri, *Manuel d'Art Musulman*, L'Architecture, Paris, 1907.

(٣) انظر صفحة ٢١٨ من الجزء الأول من كتابه «مساجد القاهرة».

(٤) انظر صفحة ٢٩ من المقال الذي نشره بعنوان «مساجد القاهرة»:

Marçais, George, *Les Mosquées du Caire d'après un livre récent*, Revue Africaine, Tome LXXIV, 1933.

وانظر كذلك صفحة ٧٧ من كتابه «فن الإسلام»:

L'Art de l'Islam. Larousse, Paris, 1946

أواسط آسيا) والتي تحوى عقوداً «فارسية» هي أحدث عهداً من الأزهر، وأن الآثار المتخلفة في تلك البلاد، والتي يرجع تاريخ إنشائها إلى ما قبل تاريخ المسجد الأزهر، لا تحوى أى منها عقوداً من الشكل الذى أطلق عليه لفظ «الفارسي»^(١). ومضى (كريسويل) يستعرض أشكال هذه العقود المختلفة عن عقود الأزهر، وذكر أن منها ما يرسم الشكل المنبجج الذى كان معروفاً من قبل في العصر الساساني والذى كان يتخذ أحياناً رأساً مدببة^(٢). ومنها العقد المدبب، ذو المركزين، وهو عقد كان معروفاً في بخارى قبل سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٧م وكذلك كان معروفاً من قبل في سوريا. ومنها، أخيراً، العقد ذو المراكز الأربعة، وهو الذى ظهر في المسجد الجامع بأصفهان، في أواخر القرن الخامس الهجرى (أواخر القرن الحادى عشر الميلادى)، أى بعد ظهور العقد المنفرج في المسجد الأزهر بحوالى مائة سنة، وبعد ثلاثة قرون من ظهور عقد شبيه في الرقة. وانتهى (كريسويل) من بحثه إلى أن شكل العقد «الفارسي» الذى تمتد أطرافه مستقيمة وتتكون أكتافه من زاوية منفرجة لم يظهر في بلاد فارس نفسها إلا في سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م، في مشهد جلال الدين حسين في (أوزجند).

هذا هو الرأى الذى أبداه (كريسويل) وأكد فيه أن الحقائق الأثرية والتاريخية «تهدم تماماً»^(٣) ادعاءات (فان برشم) و (سلادان) و (هوتكور) و (مارسيه) ومن اتبعهم من الكتاب، وأنه من «سخافة الرأى» أن يبحث عن أصل العقد الأزهرى في فارس أو في الهند^(٤).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الرأى القائل بأن العقود الفاطمية تتميز بأنها عقود «فارسية»، أى عقود منفرجة، ليس صحيحاً بأكمله، لأن هذه العقود لا تشاهد في الآثار الفاطمية قبل مسجد الجيوشى، أى قبل سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م^(٥)، أما العقود المنفرجة التى تشاهد حالياً في المسجد الأزهر، فهى إما تنتمى إلى عهد الحافظ لدين الله، أى بعد سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م. وإما أنها جددت وأعيد بناؤها حديثاً على هذا الشكل.

(١) انظر صفحة ٥٢ من الجزء الأول من كتابه «العمارة الإسلامية في مصر».

(٢) العقد المنبجج بيضاوى الشكل وهو المعروف باللغات الإفرنجية باسم (elliptic).

(٣) انظر صفحة ٥٢ من الجزء الأول من «العمارة الإسلامية في مصر».

(٤) انظر صفحة ٢٤٢ من الكتاب المشار إليه في الحاشية السابقة.

(٥) لا يعترف (كريسويل) بأن عقود محراب الجيوشى عقود منفرجة، ويعتبر أن أقدم عقد منفرج هو الذى ظهر في عمارة القاهرة في محراب إخوة يوسف الذى شيد فيما بين سنتى ٤٩٨هـ و ٥٢٠هـ / ١١٠٤م - ١١٢٥م صفحة ٥٢ من المرجع السابق. ويعتقد بعض الكتاب أن أقدم مثل معروف للعقد المنفرج في القاهرة هو العقد الموجود بقبة الشيخ يونس الذى يقال: إنها بنيت في سنة ٤٧٨هـ / ١٠٩٤م. انظر صفحة ٢٨ من الجزء الأول من الكتاب الذى أصدرته وزارة الأوقاف وعنوانه «مساجد مصر».

العقود المنفرجة، التي تظهر بوضوح في مسجد السيدة رقية، هي في رأيي تطور منطقي وطبيعي للعقود المدببة، كما يتضح من شكل (٢٧) ^(١). وهي نوع من الأنواع العديدة التي ابتكرتها العمارة الإسلامية، والتي سبق أن أشرت إليها ^(٢). وقد أخذت العقود تتطور منذ بداية العمارة الإسلامية من مقوس إلى مدبب إلى منقوخ إلى أحذب ^(٣). والعقد المنفرج هو تطور مباشر للعقد المدبب المطول معاً. وتلاحظ بداية هذا التطور وبعض حلقاته في عقود مساجد الجيوشي والأقمر والسيدة رقية والصالح طلائع وبصفة خاصة في مسجد الأزهر ذاته، في عقود بلاطة المحراب وعقود مقرنصات قبة البهو وعقود الصحن، اللوحات أرقام (١١ و ١٥ و ١٧ و ٣٥ و ٤٢ و ٥٥). ومتابعة أشكال هذه العقود يؤكد حلقة الانتقال من العقد المدبب المطول، شكل (٢٧ أ)، إلى العقد المنفرج، شكل (٢٨ أ)، ويبين بوضوح الصلة الوثيقة بينهما، حتى إن التفرقة بين مظهريهما قد خفيت على بعض المشتغلين بالآثار ^(٤).

(١) الحقيقة أن العالم الأثرى الإيطالي (ريفويرا) سبق أن اعترف بهذا الابتكار الإسلامي في كتابه «العمارة الإسلامية» الذي نشر باللغة الإيطالية في سنة ١٩١٤م وترجم إلى الإنجليزية في سنة ١٩١٨م.

Rivoira, G.T., *Moslem Architecture*, Oxford, 1925.

وقد أشار (بريجن) إلى هذا الرأي ولم يأخذ به تماماً في صفحة ٦٩ من كتابه «العمارة المحمدية»:

Briggs, M.S., *Muhammadian Architecture in Egypt and Palestine*, Oxford, 1924.

ويعترف (كريسويل)، لأول مرة، بنظرية التطور في النظم المعمارية ويقرر في صفحة ٢٢٤ من الجزء الأول من كتاب «العمارة الإسلامية في مصر» أن شكل العقد المنفرج يرجع طبيعياً إلى الرغبة في توفير العمل وذلك بصف قطع الأجر الواحد بجانب الأخرى دون الحاجة إلى تسوية أطرافها (لتلائم تقويس العقد).. ويضيف إلى ذلك أنه «لما كان من الممكن متابعة تطور العقود في آثار القاهرة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر خطوة خطوة وملاحظة التدرج نحو استقامة الجزء العلوي المقوس من العقد (حتى يصبح منفرجاً) فإنه لا جدوى من البحث عن أصول هذا العقد في مكان آخر». ومع هذا فإن (كريسويل) لا يعترف بنظرية ابتكار هذا العقد في العمارة الإسلامية بذاتها وكان همه منصّباً فحسب إلى «هدم» آراء غيره من المشتغلين بالآثار الإسلامية، ولهذا فإنه لم يشر في كتابه على رغم ضخامة حجمه واستيعابه للمراجع والأسانيد إلى رأي العلامة (ريفويرا) الذي أشرت إليه في مقدمة هذه الحاشية.

(٢) انظر شكل (٥) من «المدخل».

(٣) العقد الأحذب هو العقد المدبب المنقوخ.

(٤) ومن ذلك عقود في قصر العاشق بالعراق، وهو الذي شيده الخليفة المعتمد العباسي في سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٨م على الضفة الغربية لنهر الدجلة المواجهة لمدينة المتوكلية شمالى سامراء، وقد كشف عن هذه العقود حديثاً ولم تنشر صور لها بعد، ويبدو مظهرها كأنها عقود منفرجة، غير أنه يتضح من القياس الدقيق أنها عقود مدببة من ذوات أربعة المراكز، شبيهة بعقود الرقة، فهي بهذا تعبر عن آخر حلقة لتطور العقد المدبب إلى العقد المنفرج، وتؤيد نظرية التطور الطبيعي للعقود العربية الإسلامية.

واستمرت العقود العربية فى طريق تطورها، وفى العصر الفاطمى نفسه، حيث انتهت إلى العقد المنبطح^(١)، ثم تمكن البناء من أن يستبدلوا أحيانا بعقود الأبواب والنوافذ عتبات أفقية مستقيمة، وذلك، كما أشرت من قبل، بفضل ابتكار الصنج المعشقة واستخدام هذا العقد المنبطح لتخفيف الضغط على هذه العتبات.



(١) العقد المنبطح هو عقد مقوس غير متكامل، أو هو الجزء الأفقى من العقد المقوس.

المحاريب

امتاز التخطيط في العمارة الفاطمية، كما رأينا في الفصل السابق، بظاهرة تعدد المحاريب في بعض مساجد القاهرة ومشاهدها. ويقتصر الحديث في هذا الفصل على أشكال المحاريب وتطورها في العصر الفاطمي. وكانت هذه المحاريب تحتفظ في مسجدى الأزهر والحاكم بالمظهر التقليدى، وهو الذى يتكون من تجويف في الجدار عبارة عن طاقة صماء، أو حنية، تتوجها نصف قبة ويتصدرها عقد مدبب يرتكز على عمودين وتكسوها زخارف جصية، ويحيط بعقدتها إطار من الكتابة الكوفية^(١). وأغلب الظن أن محرابى مسجدى الأقصر والصالح طلائع كانا لا يختلفان كثيراً عن هذا النظام^(٢).

أما في مسجد الجيوشى فقد تطور شكل المحراب مع احتفاظه بالمظهر التقليدى. ذلك أنه أحيط جداره بإطار كبير مستطيل امتدت عليه الزخارف والكتابات الكوفية، كأنه ستار مزركش مسدل على هذا الجدار فوق المحراب وعلى جانبيه، لوحة رقم (٣٤). واتباع هذا النظام في مشهد عاتكة وحول المحاريب الثلاثة التى تتصدر جدار القبلة في مشهد إخوة يوسف، لوحة رقم ٦٤ أ و ب^(٣).

(١) يعتبر محراب مسجد الأزهر أقدم محراب قائم في العمارة الإسلامية بمصر، وذلك لأن محراب المسجد الطولونى قد جدد في عهد لاجين في أواخر القرن السابع (الثالث عشر الميلادى). انظر «المدخل»، أما عن أصل المحراب وإدخاله في عمارة المساجد فتراجع في الكتاب نفسه. هذا ويمتاز محراب الأزهر عن محراب الحاكم بأنه يحيط به عقدان مزدوجان.

(٢) تجدر الإشارة هنا إلى المحاريب المسطحة التى ألصقت ببعض الدعامات في المسجد الطولونى في العصر الفاطمى، ومنها محراب الأفضل، وزير المستنصر بالله، الذى عمل في سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م. وهذه المحاريب عبارة عن لوحات مسطحة مستطيلة صنعت من الجص. وحفر عليها شكل المحراب محاطاً بإطار نقش عليه الآيات القرآنية والزخارف. وقد نقش على محراب المستنصر تاريخه واسم الخليفة ووزيره الأفضل.

(٣) جميع المحاريب الفاطمية مستقلة في تكوينها وزخرفتها، كل منها قائم بذاته، سواء كانت منفردة أم متعددة في البناء الواحد، وذلك فيما عدا المحاريب الثلاثة في مشهد إخوة يوسف، فإنه يجمعها إطار زخرفى واحد محيط بها.

ثم تطور شكل المحراب مرة أخرى في المحاريب الخمسة بمسجد السيدة رقية، إذ انكمش الإطار المستطيل، ولكن أنصاف القباب تحولت إلى أشكال محارات شمسية، تنبثق ضلوعها من دوائر وسطى. وتحولت عقود المحراب المتتابة إلى مجموعة من العقود المقرنصة، أو الطاقات المسطحة، شكل (١٦). ونلقى مثل هذه المحاريب المحارية في مشهدي الحصواتي والجعفرى ويحيى الشبيه، لوحة رقم (٦٥).

ولعل هذا الشكل من المحاريب كان معروفاً بمصر منذ بداية العصر الفاطمى، إذ أن محاريب مسجد ديرسانت كاترين تنتهى بأنصاف قباب مضلعة عقودها مقصوصة، تنبثق ضلوعها من وسط القاعدة، وهو شكل يعتبر بداية ملموسة للتطور إلى المحارات الشمسية. وقد أنشئت هذه المحاريب فيما بين سنتى ٤١٩هـ و ٤٣٣هـ / ١٠٢٧م - ١٠٤١م، أى قبل بناء محاريب السيدة رقية بمائة سنة، وهى مدة كانت كفيلة بتحقيق مثل هذا التطور.

ويبدو لى كذلك أن أنصاف القباب المضلعة التى اتخذت لتتويج المحاريب، والتى كانت مصدراً لتطور المحارات الشمسية، قد اقتبست نفسها من المقرنصات المقصوصة فى القباب المضلعة، وهذه المقرنصات هى أنصاف قباب كذلك، وكانت منتشرة فى العمارة المغربية، فى القيروان وتونس، قبل منتصف القرن الثالث (التاسع الميلادى)^(١). ومما يؤيد هذا الرأى مراجعة أشكال المحاريب المنحوتة على واجهة مسجد الأقمر ومقارنتها من جهة بمقرنصات القباب المغربية، ومن جهة أخرى بمحاريب المشاهد الفاطمية. وسنرى فى الفصل التالى أنه من اليسير متابعة هذا التطور فى سلسلة هذه المحاريب الفاطمية.



(١) انظر الأشكال (٣٤ و ٣٦ و ٣٨ و ٣٩) من «المسجد الجامع بالقيروان» للمؤلف.

القبوات والقباب والمقرنصات

ظلت السقف الخشبية المسطحة تقام فوق العقود على بيوت الصلاة والمجنبات اتباعاً لتقاليد العصور السابقة. ويشاهد ذلك في مساجد الأزهر والحاكم والصالح طلائع وفي أسكوب المحراب من مسجد الأقمر، وأغلب الظن أن سقف الأسكوبيين الآخرين من هذا المسجد الأخير كانت عند إنشائه خشبية مسطحة.

واستخدمت في العصر الفاطمي السقف المبنية أو القبوات، وخاصة على الممرات الواقعة في البوابات في مساجد الحاكم والجيوشى والأقمر والصالح طلائع، وفوق القاعتين الجانبيتين في صحن الجيوشى. وهذه السقف المبنية عبارة عن قبوات أسطوانية. والسقف الأسطوانية المبنية ليست بدعة في العمارة الإسلامية، فهي عبارة عن امتداد للعقود. أي إن القبوة الأسطوانية تتركب من مجموعة متجاورة ملتصقة من العقود المنقوسة التي تتركز على الجدران بدلاً من ارتكازها على أعمدة أو دعائم. ولهذا اقتصر استعمالها أول الأمر على الممرات، ولم تتيسر إقامتها على مساحات تزيد فتحته عن فتحة حلق العقد المنقوس أو المدبب.

وكانت القبوات الأسطوانية معروفة، مثل العقد المنقوس، في العمارة القديمة، ومنها انتقلت إلى العمارة الإسلامية. ولكن هذه العمارة أدخلت على القبوات أشكالاً جديدة، مثلما أدخلت على العقود. وقد أشرت إلى ذلك من قبل فيما يخص العقود^(١). واستخدمت القبوات الأسطوانية في العصر الأغلبى في آثار سوسة بالبلاد التونسية، في الرباط وفي مسجد بوفتاته وخاصة في المسجد الجامع، كما استخدمت في قصر رقاده بجوار القيروان. ولعل أقدم مثل معروف قائم من القبوات الأسطوانية المنقوسة في عمارة المساجد هي قبوات مسجد سوسة الجامع الذي بنى في سنة ٢٣٦هـ / ٨٥٠م فقد استخدمت فيه القبوات بصفة عامة في تسقيف بيت الصلاة ومجنبات الصحن. وهو كذلك، مظهرًا أجمل مثل قديم قائم للقبوة الأسطوانية.

وقد رفعت على بيت الصلاة والقاعات في مسجد الجيوشى سقف أسطوانية متداخلة، أو متعامدة. وكل منها عبارة عن قبوتين مقوستين متعارضتين، أي إنها تعتبر حشوا للمثلثات

(١) انظر برامج القسم الثاني فيما قبل من هذا الفصل وما يليه من «المدخل»..

الأربعة التي تنتج عن تعامد عقدين قائمين على أركان مربع أو مستطيل. ولعل سقف الجيوشى كانت مقتبسة من سقف بوابات القاهرة وأسوارها التي أقامها بدر الجمالي، وهو الذى أقام مسجد الجيوشى كذلك.

وكانت القبوات المتداخلة معروفة فى سوريا فيما قبل الإسلام، وكان (بتلر) قد أشار إلى اشتقاق قبوات بوابات القاهرة من هذه القبوات السورية^(١). ولكنه ليس من المستبعد أن تكون القبوات الفاطمية مشتقة، مثل عناصر معمارية وزخرفية فاطمية أخرى، من العمارة المغربية. إذ إنه توجد قبوات متداخلة من العصر الأغلبى فى مساجد سوسة وفى أسوار مدينتها، وهى من منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)، كما أنها كانت متبعة فى مسجد المهديّة الفاطمى فى تونس، وهو الذى أقيم فى سنة ٣٠٣هـ / ٩١٦م، ثم استخدمت بكثرة بعد ذلك فى بلاد المغرب فى العصر الفاطمى والعصور التالية.

وكانت للقباب الفاطمية أهمية كبرى. وقد أشرت من قبل إلى قبة المحراب فى كل من مساجد الأزهر والحاكم والجيوشى والسيدة رقية وإلى قبة البهو فى مسجد الأزهر، وإلى القباب التى كانت تمتطى أركان أسكوبى المحراب فى كل من مسجدي الأزهر والحاكم^(٢). وتمتاز القباب المتخلفة من هذه الآثار بأنها أقيمت على مقرنصات معقودة.

والمقرنص المعقود هو نصف قبة يتصدرها عقد مقوس. وكان هذا المقرنص معروفاً فى العمارة القديمة، وكذلك كانت القباب. ولكن هذه وتلك كانت تتخذ مظاهر وعناصر تختلف عن مظاهرها وعناصرها فى العمارة الإسلامية. وقد أوضحت فى بحث آخر تطور أشكال القباب

(١) نشر (بتلر) فى صفحة ٣٣ من كتابه عن «العمارة فى سوريا».

Butler, *Architecture in Syria*. Section B. Northern Syria.

ونقل (كريسويل) هذا رأى فى صفحة ٢١٢ من الجزء الأول من كتابه «العمارة الإسلامية فى مصر»، وعنه أشرت إليه هنا.

(٢) أقيمت على الأسكوبين الثانى والثالث من بيت الصلاة فى مسجد الأقمر وعلى أروقة المجتبات فى هذا المسجد مجموعة من القبوات والقباب وإنى أعتقد أنها جميعا مجددة ولا يعتد بها فى التعريف بالقباب الفاطمية. وقد اندثرت فى مسجد الأزهر قباب أسكوب المحراب الثلاثة، وكذلك لم يبق غير أجزاء من قبتي أسكوب المحراب فى مسجد الحاكم.

والمقرنصات من فيروزآباد وسارقيستان في بلاد الفرس، قبل الإسلام، إلى بلاد المغرب في العمارة الإسلامية^(١).

استفاد البناء العرب من تجارب الأمم السابقة في بناء القباب والمقرنصات، ولكنهم حوروا عناصرها بما يتفق مع أساليبهم الإنشائية ومزاجهم الفني، بحيث تضاءلت ذكرى القباب الرومانية والفارسية أمام القباب الإسلامية، وأصبحت هذه عنصراً من العناصر المميزة للعمارة الإسلامية. وأقدم مثل عربي معروف للمقرنصات المعقودة يظهر في قبة المحراب بمسجد القيروان التي بنيت سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م. والمقرنص فيها عبارة عن عقد مقوس، أي نصف دائرة، يرتكز على عمودين، وتقوم من ورائه نصف قبة محارية^(٢). وقد انتشر استخدام المقرنصات المعقودة بعد ذلك في البلاد التونسية، أقيمت في سوسة في سنتي ٣٠٦هـ / ٨٢١م و ٢٣٦هـ / ٨٥٠م وفي تونس في سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٤م وسنة ٣٨١هـ / ٩٩١م، وأقيمت في مسجد قرطبة سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م. وهي في كل هذه الآثار تعبر عن فكرة واحدة مبتكرة، أساسها تجزئة الكتلة إلى خطوط هندسية. فقد أصبحت المقرنص، الذي هو أصلاً كتلة كروية من نصف قبة، عبارة عن خط هندسي، هو عقد نصف دائري، وأصبح ما ورائه حشواً. وقد تطور المقرنص في الآثار المغربية حتى اتخذ مظهراً زخرفياً بحتاً، مثلما يشاهد في مقرنصات قبة تلمسان^(٣).

وأقدم القباب الفاطمية في القاهرة، وهي قبة مسجد الحاكم، لاحقة تاريخاً لهذه القباب المغربية الأندلسية جميعاً^(٤). ولهذا فإني أعتقد أنها قد انتقلت من هذه القباب إلى القاهرة، وأن مقرنصات

(١) انظر صفحات ٩٥ إلى ١١٩ في كتاب المؤلف «التأثيرات الإسلامية».

L'Art Roman du Puy et les Influences Islamiques.

وكذلك انظر صفحات ٨٧ إلى ١٠٤ من كتاب «المسجد الجامع بالقيروان» للمؤلف، وصفحات ٨٣ إلى ٩٢ من مقاله «مسجد الزيتونة الجامع في تونس». وقد أوضحت في هذه البحوث طريقة استخدام المقرنصات المعقودة لتحويل المربع إلى مثلثين إلى دائرة تمتطيها القبة، وشرحت وسائل انتقالها إلى بلاد المغرب، وحاولت أن أبين الفكرة الإنشائية الجديدة في تطبيق هذه العمارة الإسلامية. ولهذا أكتفي في هذا القسم بالإشارة فحسب إلى نتائج هذه البحوث.

(٢) انظر شكل (٣٦). صفحة ٩٢ من كتاب «المسجد الجامع بالقيروان».

(٣) مقرنصات مشهد الشيخ يونس تبدو زخرفية كذلك، إذ تعلوها نوافذ في رقبة القبة. ولهذا السبب فإني أرجح أن يكون تاريخها لاحقاً للتاريخ المنسوبة إليه. وأسعرض في الفصل التالي مرحلة اتخاذ المقرنصات عنصراً من عناصر الزخرفة.

(٤) يقتض (هوتكور) أن مقرنصات (السبع بنات) أقدم مقرنصات ظهرت في العمارة الإسلامية بمصر، وأنها أقدم من مقرنصات (الحاكم)، انظر صفحة ٢٢٦ من كتابه «مساجد القاهرة». وهذا الانعاء غير مقبول لأن تاريخ (السبع بنات) لاحق حتماً لتاريخ (الحاكم)، انظر صفحة ٣٢ فيما سبق.

مسجدى الحاكم والجيوشى تطور منطقى للمقرنصات التونسية. وإن كان مقرنص قبة بوابة القنوج يختلف مظهرًا وتكوينًا، فإن ذلك يرجع إلى بنائه من الحجارة، ولكنه على كل حال لا يدل على اشتقاق سورى أو أرمنى. وقد اعترف (كريسويل) بأنه لا يوجد أى مثل شبيه بالمقرنصات القاهرية فى آثار سوريا أو العراق السابقة أو المعاصرة لها^(١) وأن المقرنصات المعروفة فى بلاد الفرس تتخذ أشكالًا وعناصر مختلفة تمامًا عنها فى القاهرة، وأضاف أنه «هكذا تصفع صفة أخرى تلك النظرية القائلة بتأثير العمارة الفارسية على العمارة الفاطمية»^(٢). وأخيرًا قرر (كريسويل) «أن تطور المقرنصات الذى حدث فى مصر كان بأسره ابتكارًا محليًا»^(٣).

غير أن (كريسويل) لم يشر إلى احتمال اقتباس المقرنصات المعقودة القاهرية من المقرنصات المغربية. وليس أدل على اتصال هذه بتلك من قبة السيدة رقية. فهذه القبة مضلعة، تمامًا مثل قبتي المحراب فى مسجدى القيروان والزيتونة، لوحة رقم (٦٢). وإذا كانت قبة السيدة رقية تقارن بقبة الشيخ يونس، وتاريخها ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م وبقبتي عاتكة والجعفرى، لوحة رقم (٦١)، وتاريخهما حوالى ٥١٥هـ / ١١٢١م وبقبة يحيى الشيبه، لوحة رقم (٥٩ ب) وتاريخها حوالى ٥٤٥هـ / ١١٥٠م، فليس فى هذا ما يمنع من أن هذه القباب جميعًا قد تأثرت مثل كثير من عناصر العمارة الفاطمية بالقاهرة، بالقباب المغربية.

وإننا نلقى فى هذه القباب الخمس حلقة جديدة من تطور المقرنصات فى اتجاه خاص يميز العمارة الإسلامية فى العصر الفاطمى، وامتد تطوره إلى العصور التالية.

كان المقرنص فى مساجد الحاكم والجيوشى والأزهر، وكذلك فى مشاهد السبع بنات وإخوة يوسف والحصواتى، عبارة عن نصف قبة كروية يتصدرها عقد كأنه إطار بارز لها^(٤). أما فى السيدة رقية وفى القباب الأربع المشابهة لها، فقد أصبح المقرنص يتكون من مجموعة من الطاقات والمعقود^(٥). وقد نظمت هذه المجموعة فى نظام زخرفى قوامه التكرار والتدرج. ذلك أن المقرنص الذى

(١) وذلك فى صفحة ٢٥٣ من الجزء الأول من «العمارة الإسلامية فى مصر».

(٢) انظر الصفحة نفسها من المرجع السابق.

(٣) وهذا نص ما جاء فى النسخة المشار إليها فى المرجع السابق عن هذا التطور:

"we can say without hesitation that the evolution observed in Egypt was entirely a local creation".

وإنى أسجل بسرور وتقدير هذا الاعتراف.

(٤) وكان العقد فى هذه المقرنصات إما مديبًا أو منفرجًا، كما كان يتكون من عقدين متتابعين فى الجيوشى وإخوة يوسف والسبع بنات. انظر صفحات ٣٢ و ٣٤ و ٣٥ فيما سبق عن تاريخ هذه القباب.

(٥) وكذلك يتكون المقرنص بهذه الصورة فى قبة أحد المشاهد الفاطمية فى أسوان، وفى قبة موفى الدين المواجهة لخاتناه بيبرس الجاشنكير والتي يرجح بناؤها فى القرن الخامس (الحادى عشر الميلادى). انظر لوحة رقم (١١١) فى الجزء الأول من كتاب (كريسويل) «العمارة الإسلامية فى مصر».

يمتطي ركن المربع أحيط من كل جانب بطاقة صماء تنتهي ببروز على هيئة رأس العقد في المقرنص الوسيط وأقيم على رأس هاتين الطائقتين مقرنص ثان شبيه بالمقرنص الأول، يعلوه ويتقدم عليه. واتخذت هذه المجموعة بهذه الصورة شكلاً يرسم خطوطاً هندسية مستقيمة، وزوايا منفرجة وحادة، ومثلثات. وكذلك تكونت من إطارها صورة ترسم شكلاً هرمياً مدرجاً.

وأخذت المقرنصات تتطور بعد ذلك في هذا الاتجاه تطوراً لم تقف حدوده في العصور التالية. وكان لهذا الاختراع البسيط في مبدئه وفكرته، الفريد في نوعه، شأن كبير في تاريخ العمارة، وتولدت عنه أشكال من المقرنصات لا حصر لها، لا في القاهرة وحدها فحسب، بل في العالم العربي والإسلامي جميعاً، كما سنرى، إن شاء الله، في الأجزاء التالية من هذا الكتاب.

وحدث أول مظهر لهذا التطور في العصر الفاطمي نفسه، في مقرنصات قبة أبي الغضنفر، سنة ٥٢٢هـ / ١١٥٧م^(١). إذ إن المقرنص ازداد تجزئة. وأصبح يتكون من ثلاثة طوابق، فيها مقرنص وسيط تحيط به خمس طاقات، لوحة رقم (٦٠) بعد أن كان يتكون في السيدة رقية وزميلاتها من مقرنص تحيط به طاقتان ويعلوه مقرنص ثان.

وهكذا أخذت العناصر المعمارية تتحول تدريجياً أو على الأصح تتجزأ إلى عناصر زخرفية.

وكذلك القباب كانت كتلاً كروية في الحاكم والأزهر والجيوشي، فأصبحت في السيدة رقية وشبيهاتها تتجزأ إلى ضلوع، تتكون من خطوط مقوسة تنبع وتتفرع من قمة القبة كأنها هيكل عظمي لجسد القبة يبدو مكسواً للناظرين من الداخل ومن الخارج على السواء، لوحة رقم (٥٩). ولا يستطيع الباحث أمام هذه الظاهرة، أن ينكر صلة هذه القباب الفاطمية بالقباب المغربية، أو يتجاهل وحدة التعبير والتصميم الهندسي في العمارة الإسلامية هنا وهناك^(٢). وتزداد هذه الصلة قوة من مقارنة قبة القيروان ببعض قباب القاهرة. مثل السيدة رقية والسبع بنات، والجيوشي إلى حد ما، إذ يتضح من مظهرها الخارجي تحول المربع إلى مثنى الأضلاع من جهة، وتدرج الطوابق من جهة أخرى.



(١) انظر صفحة ٣٧ فيما سبق عن ترجيحي لبناء هذه القبة في ذلك التاريخ.

(٢) انظر صفحة ١٠٢ وما يليها وشكل (٤٤) من كتاب «المسجد الجامع بالقيروان» للمؤلف.

المآذن والمعاطف

وأخيراً تمتاز عمارة القاهرة في العصر القاطمي بمآذنها، وقد تخلفت منها أربع مآذن، اثنتان في مسجد الحاكم، ومئذنة في مسجد الجيوشي وأخرى في أبي الغضنفر، أما ما عدّا ذلك فقد تهدم واندثر^(١).

وقد وصفت بنيان مآذن الحاكم والجيوشي في الفصلين الرابع والخامس من هذا الكتاب، وأوضحت أن مئذنتي الحاكم هما أقدم مئذنتين قائمتين في العمارة الإسلامية بمصر^(٢)، كما أوضحت أن تصميم هاتين المئذنتين لم يكن يتضمن بناء المعطفين ولكنهما أضيفا إليهما بعد تمام بنائهما لتدعيمهما خوفاً عليهما من التزعزع والسقوط^(٣).

والمآذن معروفة في العمارة الإسلامية منذ عصورها الأولى، وأقدم المآذن الخالدة في تلك العمارة هي مئذنة المسجد الجامع بالقيروان، وتاريخها سنة ١٠٥هـ / ٧٢٤م^(٤). وتمتاز هذه المئذنة بقاعدتها المربعة المرتفعة بانحدار وانسياب داخلي، كما تمتاز بتراجع طوابقها العليا وتدرجها عن سمت هذه القاعدة. وإذا كنت قد رجحت منذ سنوات أن هذه المئذنة اقتبست من الأبراج السورية. فإنني أكدت

(١) كتب الدكتور سالم (السيد محمود عبد العزيز) رسالة عنوانها «المآذن المصرية - نظرة عامة عن أصولها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني» نشرت بالقاهرة في سنة ١٩٥٩م، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي)، وفي هذه الرسالة عرض مركز عن مآذن القاهرة وأسوان في العصر القاطمي، الصفحات ١٧ إلى ٢٣.

(٢) تتلو هاتين المئذنتين تاريخاً مئذنة المسجد المقام في دير سانت كاترين في سيناء. ويرجع تاريخها إلى ما بين سنتي ٤١٩هـ و ٤٣٣هـ / ١٠٢٧م - ١٠٤١م). وهي مئذنة مبنية من قطع الحجارة غير المنتظمة، وكسيت مسطحاتها بطبقة من الجص، وهي مربعة القاعدة، وترتقى على هذا الشكل حتى نهايتها الذي تتوجه قبة نصف كروية. ويبلغ طول ضلع مربع المئذنة ٣,٧٥ أمتار وارتفاعها إلى قاعدة القبة ١٥ متراً تقريباً. ويستمد مظهر هذه المئذنة جماله من استقامة خطوطها وبساطة بدنتها.

(٣) كان الأستاذ (هوتكوك) قد أبدى رأياً معائلاً وفسره باحتمال حدوث زلزال في ذلك التاريخ، ولكنه لم يدرس بناء المعطفين من الداخل ليتأكد من وظيفتهما المعمارية بالنسبة لتدعيم المئذنتين، وذلك بإستناد بدنتيهما على المعطفين في المواضع التي تتطلب الارتكاز. انظر كتابه «مساجد القاهرة»، الجزء الأول صفحة ٢٢٣. والرأى الذي أبداه (قيبيت) عن تاريخ المعطفين وانذى يشير إليه (هوتكوك) في تلك الصفحة، يقع في هذا الكتاب.

(٤) انظر صفحات ١١٠ إلى ١١٢ من كتاب «المسجد الجامع بالقيروان» للمؤلف.

كذلك وأن ذكرى تلك الأبراج «تتضاءل أمام شهرة مئذنة القيروان وشخصيتها»^(١)، «إذ بينما تظهر تلك الأبراج فى هيئة الجمود، وتخلو نسبها من مظهر التوازن، فإننا نرى مئذنة القيروان ترتسم فى الفضاء كتلة تجمع بين الانسجام والاتزان»^(٢)، لوحة رقم (٦٣ أ).

وقد اتخذت مئذنة القيروان أنموذجاً للمآذن فى بلاد المغرب والأندلس، وأكثر هذه المآذن صلة وقربة لمئذنة القيروان هى مئذنة مسجد سفاقص التى تبدو أقل عظمة، ولكنها تتخذ مظهرًا أكثر انسيابًا ورشاقة. وقد أقيمت هذه المئذنة فى سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م، لوحة رقم (٦٣ ب)، أى قبيل الشروع فى بناء مئذنتى الحاكم. ولا شك فى أن هاتين المئذنتين، ومئذنة مسجد الجيوشى تنتمى كذلك إلى سلالة مئذنة القيروان. إذ إن وجه الشبه كبير. مظهرًا وبنياً، بين مآذن القاهرة الفاطمية ومئذنتى القيروان وسفاقص، وذلك لأن قواعدهما جميعاً مربعة، وجدرانها تنحدر، وطوابقها العليا تتدرج وتتراجع. ويقوى وجه الشبه والقربة إذا قورن معطفاً مئذنتى الحاكم بالطابق الأول من مئذنة القيروان. وإن كان مظهر الانحدار والانسياب يزداد وضوحاً فى المعطفين عنه فى مئذنة القيروان فذلك يرجع إلى الأسباب الفنية لوظيفة التدعيم التى يؤديانها، مما دفع البنائين إلى زيادة طول ضلع المربع عند القاعدة^(٣)، ولكن هذا الانسياب ينبت قطعاً من فكرة واحدة.

وتبعاً لنظرية التطور فقد اختلف بناء المئذنتين ومظهرهما عن بناء مئذنة القيروان. وإذا كنا لا نعرف بالتحقيق مدى ارتفاع المئذنتين عند بنائهما وقبل تشييد الطوابق العليا فى عهد بيبرس الجاشنكير، فإن أغلب الظن أن هذه الطوابق العليا أقيمت عوضاً عن مثيلات لها كانت قائمة وهدمتها الزلازل، وأن ارتفاع المئذنتين كان قريباً من الارتفاع الكلى الحالى لكل منهما، أى إن قمة المئذنة الشمالية كانت ترقى إلى ارتفاع ٤٦ متراً تقريباً، وكانت قمة المئذنة الغربية ترقى إلى ارتفاع ٤١ متراً تقريباً، وهو ارتفاع يزيد كثيراً عن ارتفاع قمة مئذنة القيروان الذى لا يتعدى ٣٢ متراً، بينما يزداد طول ضلع قاعدتها ثلاثة أمتار أو أكثر عن طول ضلع كل من قاعدتى المئذنتين فى مسجد الحاكم. وحدث مثل هذا الانعكاس النسبى فيما يتصل بالطابق الأول المربع، إذ بينما يبلغ ارتفاعه ٢١ متراً فى القيروان، فهو لا يكاد يبلغ ١٤ متراً فى المئذنة الغربية ولا يتعدى أربعة أمتار فى المئذنة الشمالية^(٤).

(١) انظر المرجع السابق، صفحة ١١٢.

(٢) انظر شرحه، صفحة ١١١.

(٣) طول ضلع قاعدة القيروان حوالى ١١ متراً وبببلغ ارتفاع الطابق الأول فيها ٢٠ متراً فوق الأرضية، ويقدر طول ضلع المربع عند هذا المستوى نصف متر عنه عند القاعدة. وأما المعطفان فيبلغ طول ضلع القاعدة ١٦ متراً بالنسبة للمعطف الشمالى و ١٧ متراً بالنسبة للمعطف الغربى، ويقدر الطول عند النهاية العليا ٤ أمتار بالنسبة للمعطف الأول و ٣ أمتار بالنسبة للثانى. وبببلغ ارتفاع المعطف الشمالى فوق أرضية القاعدة ٢٦ متراً، والمعطف الغربى ٢٤ متراً.

(٤) هذه المقاسات تقريبية، وتراجع المقاسات الحقيقية فى هذا الكتاب.

وبلاحظ وجه آخر للاختلاف في مئذنتي الحاكم، ذلك أنهما بنيتا في أركان مؤخر المسجد وخارج سميت جداره، في حين بنيت مئذنة القيروان، في منتصف جدار المؤخر وداخل جداره^(١). ولكن مسجد الحاكم يشبه في هذه الظاهرة مسجد المهدية في تونس، كما شابهه، كما رأينا في يوابته البارزة.

وهذه أوجه خلاف شكلية بين مظاهر المآذن الثلاث القيروانية والحاكمية، ولكن المظاهر الرئيسية التي تميز مئذنتي الحاكم وتعبّر عن حقيقة التطور تكمن في بناء الطوابق العليا التي تعلو الطابق الأول المربع، وهو العنصر المشترك في المآذن الثلاث. ذلك أن هذه الطوابق أصبحت أسطوانية في مئذنة الحاكم الشمالية، ومثمثة الأضلاع في المئذنة الغربية. وهكذا تطور مظهر المئذنة، وبينما ظل يحتفظ في بلاد المغرب والأندلس بالشكل المربع بالنسبة لقاعدة المئذنة وبدنتها وطوابقها على السواء، أخذ في عمارة القاهرة يحتفظ في بدنة المئذنة بالشكل المربع للقاعدة فحسب، ويجمع إليه في الطوابق العليا الشكل المضلع أو الشكل الأسطواني، منفردين أو متعاقبين. ومن هنا تبرز أهمية مئذنتي الحاكم، اللتين غايرتا مئذنة القيروان في مظهرها، ولكنهما احتفظتا في بنائهما بفكرة الانسياب من جهة وتدرج الطوابق العليا من جهة أخرى، وهي الفكرة التي تعتبر مئذنة القيروان أقدم تعبير قائم لها في تاريخ العمارة.

وبلاحظ هذا التطور في مئذنة الجيوشي، إذ بينما احتفظت هذه المئذنة بطابع القواعد المربعة في طابقيها الأول والثاني، وبمظهر التدرج في طوابقها الثلاثة، أخذت عن مئذنة الحاكم الشكل الجديد المضلع، وتحول طابقها الثالث إلى مثن الأضلاع. واتبع مثل هذا التحول في مئذنة أمي الغضنفر التي أقيمت قبيل نهاية العصر الفاطمي، في سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م، ثم اتخذت قاعدة اتبعت، كما سنرى في الجزء التالي، في مآذن العصر الأيوبي.

ولمئذنة الجيوشي أهمية أخرى كان لها شأن في العصور التالية كذلك، وهي أنه ظهر بها، ولأول مرة في تاريخ العمارة الإسلامية، عنصر جديد، هو إفريز مزدوج من المقرنصات يدور حول نهاية الطابق الأول، على هيئة شرفة بارزة من فوقه، أو إطار يفصل بينه وبين الطابق الثاني. غير أن هذا العنصر الجديد كان زخرفياً أكثر منه معمارياً، إذ إن المقرنصات فيه منكشحة كالخلايا، وهي لا تؤدي على كل حال الوظيفة المعمارية التي وضعت لها، ولهذا نرجئ الحديث عنها إلى الفصل التالي.

(١) بنيت مئذنتا الحاكم كذلك خلافاً لما اتبع في المسجد الطولوني، التي أقيمت مئذنته في منتصف الزيادة المتصلة بجدار مؤخر المسجد. ولعله مما يؤكد صلة عمارة الحاكم بالعمارة التونسية أن مآذن مساجد سوسة والزيقونة وسفاقص كانت كل منهما مقامة على ركن من أركان مؤخر المسجد، ولكنها كانت داخلة فيه، غير خارجة عن سميت جداره، فيما عدا مئذنة سوسة.

الفصل الثامن

مميزات الزخارف المعمارية

- ١- وسائل الإخراج الفني.
- ٢- الأسلوب الفني وأشكال التوريق والتوشيح.
- ٣- الكتابة الكوفية والخط المزهر.
- ٤- الأشكال المعمارية.

الفصل الثامن

مميزات الزخارف فى العصر الفاطمى

خطت الزخارف الإسلامية فى العصر الفاطمى خطوات واسعة وتطورت تطوراً عظيماً منذ العصر الطولونى. وظهرت هذه الزخارف على مسطحات البناء واحتلت عناصره وأركانه. وكانت زخرفة المساجد فى العصور الإسلامية الأولى مبسطة أو مقصورة على زخرفة الكتابة المنبثقة من آيات الذكر الحكيم. ورأينا الزخرفة النباتية تنشأ طريئة فى مسجد عمرو^(١)، ثم رأيناها تتطور وتترعرع فى المسجد الطولونى^(٢). وسنرى أنه قد توفرت لها فى العصر الفاطمى أسباب العنفوان والنضارة، وبلغت أشدها، فامتلأت قوة ونشاطاً، وتطبعت بمظهر الإسراف، إن صح أن تطلق هذه الصفة على مظهر من مظاهر الإبداع والجمال.

ويرجع هذا الإسراف إلى مظاهر الرخاء والثراء التى صاحبت الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى. لم تعد المساجد تبنى للصلاة فحسب، بل إن الخليفة كان يطمع أن يكون بناء المسجد تخليداً لذكراه كذلك، وذكرى العز والعظمة لعهد.

وامتدت تلك الظاهرة من الخليفة إلى الأمراء والوزراء، فابتنوا لأنفسهم المساجد والأضرحة، وتغالوا فى زينتها وزخرفها^(٣). وهكذا لم تعد الزخرفة تقتصر على داخل المساجد، بل امتدت إلى حيث تبدو مكشوفة ظاهرة للناظرين فى خارجها.

(١) انظر «الدخل».

(٢) انظر «الدخل».

(٣) انظر الصفحات ١١ وما يليها فيما سبق من هذا «الجزء الأول» وفيها مجمل لحياة البذخ فى العصر الفاطمى وأثرها على تطور الفنون والزخرفة.

وسائل الإخراج الفني

وكانت زخرفة المساجد فيما قبل العصر الفاطمي تنقش على الجص أو تحفر في الخشب، وظهر في العصر الفاطمي إلى جوار هاتين الصنعتين، صناعة النحت على الحجارة والرخام. وهي صناعة تتطلب مزيداً من الحذق والمهارة. ويتضح هذا الحذق بصفة خاصة في بوابة مسجد الحاكم ومئذنتيه وفي واجهة مسجد الأقمر.

وأثار هذه المنحوتات الزخرفية تفصح عن أنها كانت ممارسة من قبل، وأن النقاشين كانوا قد اكتسبوا فيها خبرة كبيرة ووضعوا لها تقاليد استمرت في العصر الفاطمي، وازدادت دقة وإبداعاً. وفي شواهد القبور المنحوتة، قبل العصر الفاطمي، أمثلة كثيرة من الزخارف النباتية، وخاصة الكتابية، التي تشهد بإتقان صناعة النحت على الحجر والرخام^(١).

أما الحفر على الخشب فقد كانت صناعته متصلة بمصر منذ القرن الهجري الأول وقد تخلقت من مسجد عمرو ومن العصر الطولوني أمثلة سبق أن أشرنا إليها^(٢)، ويحتفظ بكثير غيرها في متحف الفن الإسلامي^(٣). وإذا كانت هذه الآثار تقتصر على قطع متفرقة فإنها تدل

(١) انظر الأجزاء الأولى من «شواهد القبور» التي نشر الجزء الأول منها (حسن) هواري و (حسين) راشد ونشر (قيت) بقية الأجزاء:

Wient (Gaston), *Stèles Funéraires* (Catalogue Général du Musée Arabe du Caire) 1935 – 1940.

والنحت على الحجر كان معروفاً عند رجال الفن المسلمين منذ العصور الإسلامية الأولى. ومن أهم آثارهم وأروعها قنأ واجهة قصر المشتى التي تنسب إلى الخليفة الوليد بن يزيد سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م ومحراب مسجد القيروان الذي أقيم في عهد زيادة الله بن إبراهيم سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م. انظر اللوحات ٥٧ إلى ٧٨ من الجزء الأول من كتاب «العمارة الإسلامية الأولى» تأليف (كريسويل) وصفحة ١٢٤ وما يليها واللوحات ٢٨ و ٢٩ من كتابه «مختصر العمارة الإسلامية الأولى»؛ وانظر صفتها ٩٠ و ٩١ من الترجمة العربية لكتاب (ديماند)، «الفنون الإسلامية»؛ وصفحات ١٢٨ وما يليها من «المسجد الجامع بالقيروان» للمؤلف.

(٢) انظر المدخل من هذا الكتاب.

(٣) انظر كتالوج المتحف الإسلامي (الأخشاب المنحوتة حتى العصر الأيوبي)، تأليف (بوتي) و(الأخشاب الكتابية حتى عصر المماليك) تأليف (فايل).

على أن أسلوباً جديداً في الفن بدأ يتطور منذ القرن الثاني (الثامن الميلادي)، متأثراً بالفن القبطي أو الهلينستي من جهة وبالفن الساساني من جهة أخرى^(١). لكن هذا الفن أخذ في العصر الفاطمي طابعاً جديداً وأسلوباً مبتكراً بحيث بلغ ذروته في ذلك العصر، وتخلفت منه روائع لا نظائر لها، في العصور السابقة^(٢). وأخذ شطف الأطراف، الذي كان تقليداً للحفر على الجص، يقل تدريجياً ثم يختفي، وتظهر العناصر الزخرفية أقرب إلى الواقعية. كما أخذت الأرضية بين تلك العناصر تزداد غوراً وتفرغاً وتمتليء ظلاً وقتوماً. ويكفي أن نشير هنا، فيما يخص المساجد، إلى الأوتار الخشبية في مسجد الحاكم والصالح طلائع وإلى حشوة باب الأقمر وخاصة إلى مصاريع باب الأزهر ومسجد الفكهاني المحفوظة بالمتحف الإسلامي^(٣).

وأما الزخرفة المنقوشة على الجص فقد تجلت مهارة المنزوقين فيها في مسجد ابن طولون^(٤)، واستمر هذا الحدق واضحاً في آثار العصر الفاطمي التي تكاد لا يخلو أثر منها من أمثلة بديعة من هذه النقوش المحفورة على الجص، وقد أوضحنا صورها ومواضعها من كل مسجد من المساجد التي سبق الحديث عنه. ويلاحظ في أسلوب الصناعة تطور واضح عن الأسلوب الطولوني. كانت الزخارف الطولونية تحفر مباشرة على الجص، بعد تفرغها وتسويته على انسطحات، ثم تهذب بالنحت بعد جفافه. وكان تصميمها يتبع التصميم المسطح، وهو الذي يختصر التجسيم فيه بحيث تظهر الأشكال كأنها على مستوى واحد^(٥). وظل الحفر المباشر متبعاً في العصر الفاطمي ولكن الأرضية أصبحت واضحة فازداد وضوح التفاصيل الزخرفية، ثم إن التصميم المسطح كاد يختفي ويحل محله التصميم المجسم. وفوق هذا امتدت الزخارف الجصية على مساحات كبرى، بعد أن كانت مقصورة على أفاريز

(١) تخلفت من العصور الإسلامية الأولى روائع في النحت على الخشب أكثرها أهمية منبر القيروان الذي صنع في سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م ويثبه منبر الزيتونة. انظر صفحة ٩٦ ومايليها من (مسجد الزيتونة الجامع في تونس) للمؤلف وصفحة ٣١٧ إلى ٣١٩ واللوحان ٨٩ و ٩٠ من الجزء الثاني من كتاب (كريسويل)، (العمارة الإسلامية الأولى).

(٢) أشرنا في الفصل الأول من هذا الكتاب، لوحة (١ و ٣) إلى بعض هذه الروائع. ومن أهم مخلفات هذا العصر من المنحوتات الخشبية محرابا السيدة نفيسة والسيدة رقية ومصراعا مسجد الصالح طلائع المحفوظة جميعاً بالمتحف الإسلامي. انظر صور هذه الروائع كلها في كتاب (بوتلي) (الأخشاب المنحوتة حتى العصر الأيوبي)، اللوحات ٤٢ إلى ٩٩.

(٣) انظر شرحه، اللوحات ٢٣ إلى ٢٥. وهذان المصراعان من عهد الحاكم بأمر الله وعليهما نقش باسمه.

(٤) انظر الأشكال ٦٤ إلى ٧٣ من المدخل..

(٥) شرحه.

وشرائط في المسجد الطولوني ، وملأت الفراغات بين النوافذ وعلى أكتاف العقود ، وتواشيحها مثلاً ، كما يرى في المسجد الأزهر وكذلك امتدت على إطارات المحاريب ، كما يشاهد في مسجد الجيوشي ومشهد إخوة يوسف^(١) .

وهذا التطور في طرق الإخراج الفني يتطلب كما ذكرت مزيداً من الحذق والمهارة في استخدام المزوقين لأيديهم . وقد حدث مثل هذا التطور في الأسلوب الفني نفسه مما يفصح كما سأوضحه عن خصب الخيال والتشبع بروح الجمال ومما جعل للإنشاءات الزخرفية في العصر الفاطمي طابعاً خاصاً في الأسلوب وطريقة التعبير^(٢) .



(١) يعتبر (فلوري) أن زخرفة محراب الجيوشي قد بلغت «الذروة في تطور زخرفة المسطحات» الواسعة ، انظر صفحة ٤١ من كتابه «زخارف مسجدى الحاكم والأزهر» .

(٢) «الإخراج الفني» اصطلاح . أردت التعبير به عن مدلول اللفظ الأفرنجي (Technique) ، والأسلوب أو طريقة التعبير ترجمةً للفظ (style) .

الأسلوب الفني وأشكال التوريق والتوشيح

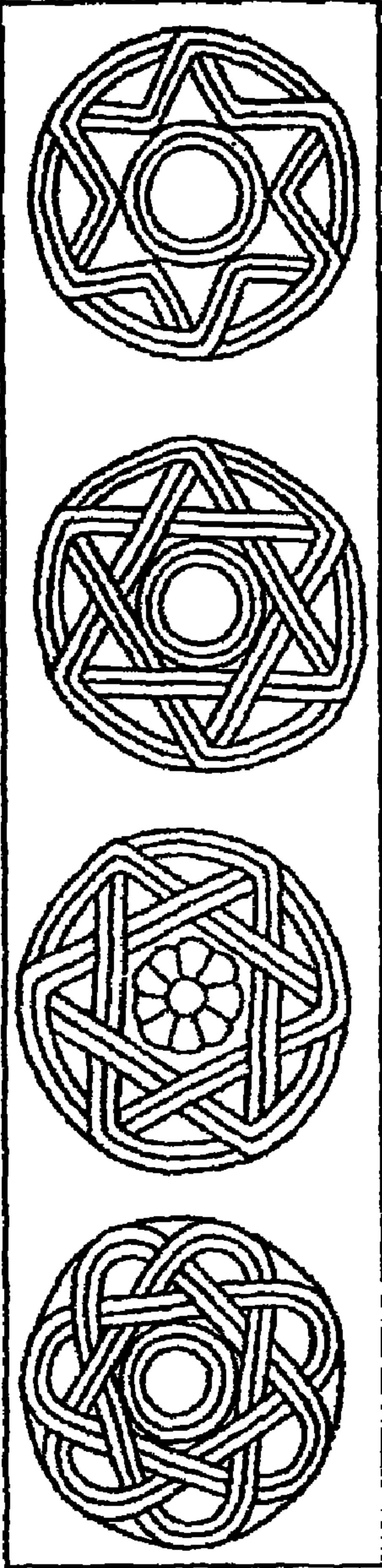
استمر الفنان العربى فى العصر الفاطمى يطبق خياله الهندسى فى الزخرفة، وتنوعت الأشكال الهندسية فى زخارف آثار القاهرة جميعاً، ونجد فيها تشكيلات مجردة تتكون من خطوط مستقيمة ومقوسة، متداخلة متقاطعة، ترسم أنواعاً مختلفة لا حصر لعددتها من المثلثات والمضلعات والدوائر والخطوط المجدولة. ونجد هذه الأشكال المجردة بصفة خاصة فى النوافذ الجصية المخرمة فى مسجدى الأزهر والحاكم وفى الصر القائمة فى المئذنة الشمالية من مسجد الحاكم، أو فيما بين العقود فى مسجد الصالح طلائع، وفى مربعات الإزار العلوى على جدران هذا المسجد الخارجية، وفى المعينات المنحوتة على واجهات بوابة الحاكم ومئذنته الغربية وواجهة الأقمر، وفى الإطار الأفقى فوق محراب السيدة رقية، وفى مواضع أخرى من آثار القاهرة الفاطمية.

والزخرفة الهندسية المجردة فى الفنون العربية شائعة بحيث لا تحتاج إلى إيضاح^(١)، غير أنه تجدر الإشارة إلى ظاهرتين بارزتين فى تلك الزخارف، وخاصة فى مسجد الحاكم، بالرغم من أنهما غير جديدتين فى مراجع الزخارف العربية الهندسية. والظاهرة الأولى هى الجمع بين الزوايا والأقواس فى التشابك الهندسى، والأمثلة على ذلك عديدة، لوحة رقم (٦٧). والظاهرة الثانية هى وضوح المضلعات النجمية فى تداخل الخطوط المستقيمة لوحة رقم (٦٦). وفى أشكال أخرى تداخلت الدوائر أو الخطوط المقوسة مع زوايا الخطوط المستقيمة، وغيرت من تشكيل أطراف النجوم، فأصبح للنجم الواحد رؤوس مدببة وأخرى مقوسة، يتناوب كل منها مع الآخر، شكل (٢٩). وهذا فيما يختص بالزخارف الهندسية المجردة، أما الزخارف الهندسية المتداخلة مع زخارف نباتية، فسنعود إلى التحدث عنها بعد قليل.

واتبع الأسلوب الفنى فى التوريق عند بداية العصر الفاطمى أسلوب الزخارف الطولونية، وخاصة فى الزخارف النباتية المنقوشة على الجص. ويلاحظ ذلك فى محراب^(٢) قديم يحتفظ المتحف الإسلامى بقالب مصبوب منه.

(١) انظر «المدخل»، وفيها بحث عن خصائص الزخارف الطولونية، إشارة إلى الزخارف الهندسية.

(٢) انظر الوصف التفصيلى الذى كتبه (فلورى) لهذا المحراب فى صفحات ١٥ إلى ١٨ من الجزء الأول من كتاب (كريسويل)، «العمارة الإسلامية فى مصر».



شكل (٢٩) زخارف على المنقنة
الشعالية من مسجد الحاكم - صرر
وتشابات هندسية ومقلعات نجمية

وفى الزخارف المتبقية من هذا المحراب فى جزئه العلوى براعم ووريقات زهرية يتوسطها حز رأسى، شبيهاً بالزخارف الطولونية. غير أنه تظهر ثلاثة أشكال جديدة فى زخارف هذا المحراب، لم تظهر فى الفن الطولونى، وهى الوريقة ثلاثية الشحومات، وورقة العنب المسطحة التى تثبت عن فرعين، والبصن المزدوج. وهى عناصر امتتشت استخدامها فى العصر الفاطمى. وكذلك تظهر فى زخارف هذا المحراب أن الأرضية غائرة، بحيث تتأكد حدود الزخارف ويظهر بروزها فوق الأرضية القاتعة، وبحيث يتميز الضوء من الظلال. وكذلك استدارت الأغصان حول الوريقات على هيئة إطارات لها. وبالرغم من هذه العناصر الجديدة فإن الطابع الغالب على مظهر هذا المحراب يربطه بالزخارف الطولونية.

وتلاحظ آثار التقاليد الطولونية، كذلك فى الزخارف الجصية العتيقة الباقية بمسجد الأزهر^(١)، غير أن هذه التقاليد بدأت تتطور فى هذه الزخارف نفسها، وبدأت تظهر معالم أسلوب فنى جديد، وما لبثت هذه المعالم أن تثبت بعد ذلك بربع قرن، فى مسجد الحاكم، وتكونت لها خصائص. وتابعت الخصائص سيرها فى القرن ونصف القرن التالىين، ونمت عناصرها، وتأكدت معالمها، وتميزت فى القنون الإسلامية بطابع أصبح معروفاً بالزخرفة الفاطمية.

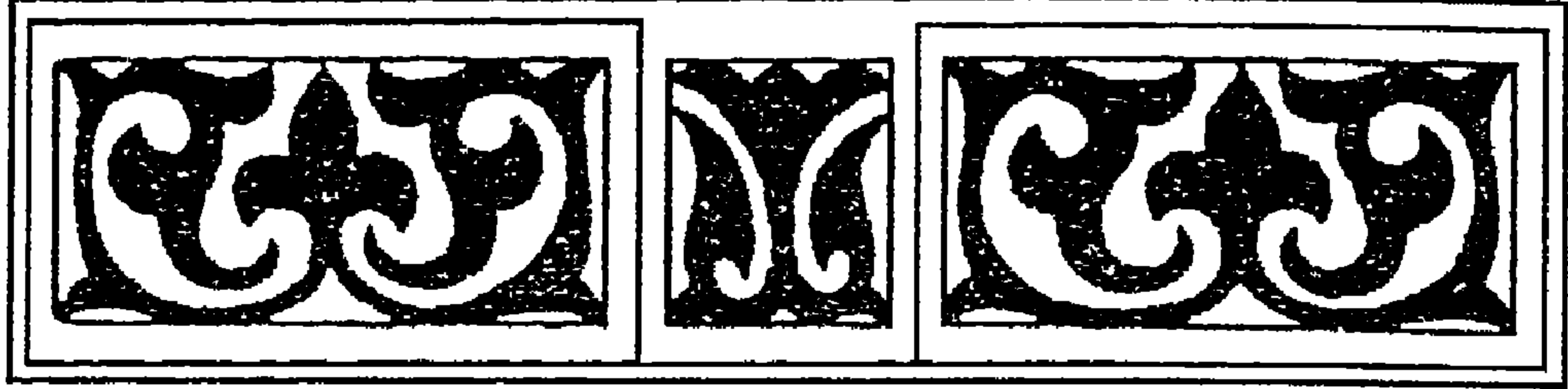
تتميز زخرفة التوريق الفاطمية بثلاث ظواهر رئيسية^(٢):

تتضح الظاهرة الأولى فى العروق والأغصان والشرائط التى بدأت تظهر أهميتها بوضوح فى التشكيلات الزخرفية، وأخذت تمتد فى حلقات وأشكال متماسكة محدودة، كأنها إطارات تحصر بداخلها الوريقات والثمار، لوحة رقم (٧٣).

(١) انظر صفحات ٥٥ وما يئنها فيما سبق.

(٢) التوريق اصطلاح قصدت به تعريف الزخرفة النباتية القائمة خاصة على الوريقات والسعف.

والظاهرة الثانية هي أن هذه الوريقات النباتية أخذت تتحول إلى أشكال سعف نخيلية، وانبثقت بوضوح كذلك من تلك العروق والسيقان، وطالت رؤوسها حتى أصبحت مدببة، لوحة رقم (٦٨ أ)، وأمتدت استدارة شحماتها، وانثنت في تلك الإطارات الغصنية في صور تقاربت من الواقعية، وانسابت في حركة دائبة غير منقطعة^(١)، شكل (٣٠).



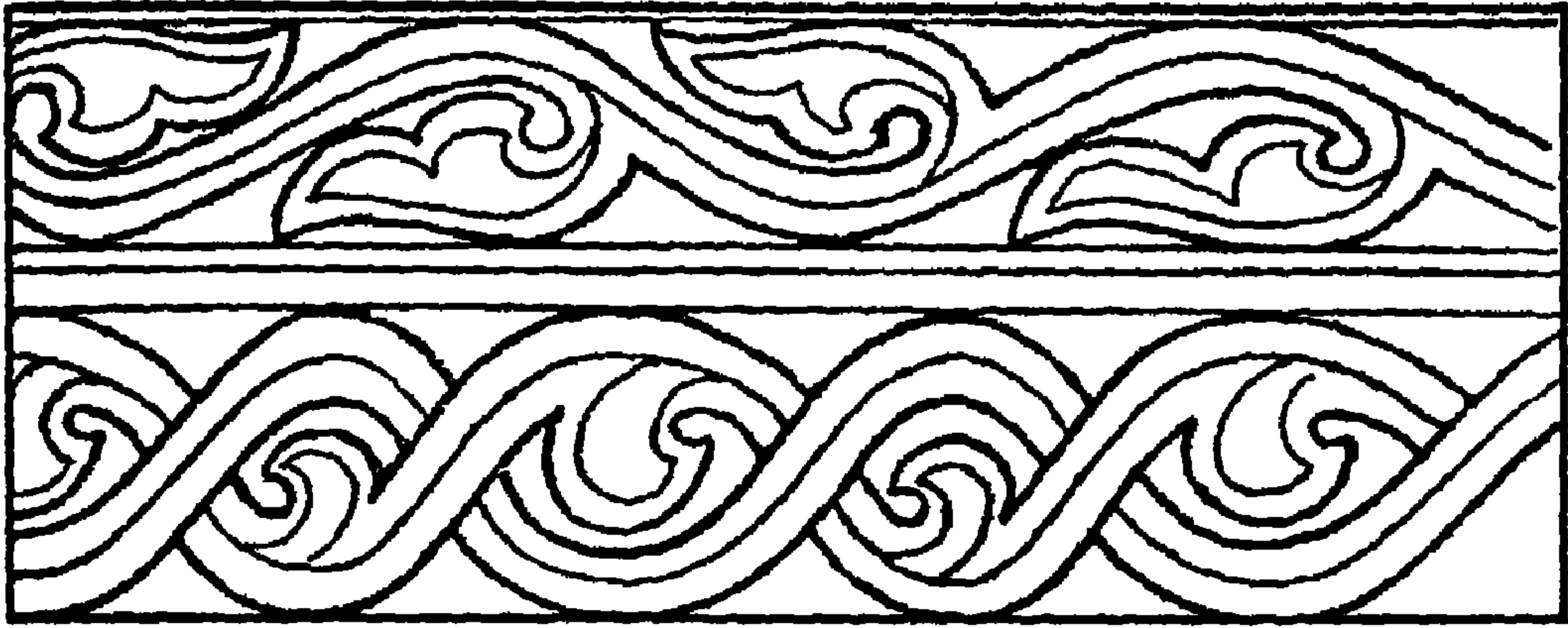
شكل (٣٠) - زخرفة من منڈنة مسجد الحاكم - باقات متماثلة من التوريق

ثم إن هذه السعف تحولت أحياناً من جديد إلى وريقات من شحمتين أو ثلاث، أو على الأصح إلى أنصاف وريقات وأنصاف سعف، وملأت حلقات العروق والسيقان وإطاراتها، ولكنها كانت في الوقت نفسه تترك مجالا ملحوظاً للأرضية المفرغة من الزخارف^(٢).

والظاهرة الثالثة لهذا الأسلوب الفني الجديد هي أن العروق والأغصان أخذت تزدوج في مواضع، وتنقسم طولاً في مواضع أخرى، أي إن الغصن امتدت في وسطه قناة رفيعة قسمته إلى غصنين وجعلته يظهر مزدوجاً في بعض التشكيلات. وتشابكت الأغصان المزدوجة، وكذلك الشرائط، وامتدت على هيئة صفائر، مبسطة تارة، ومعقدة تارة أخرى، شكل (٣١)، لوحة رقم (٧٢ ب و د و هـ).

(١) أوضح (فلوري) في صفحة ٣٠ من كتاب «زخارف مسجدى الحاكم والأزهر»، وجهاً آخر من اختلاف الزخارف الأزهرية عن الطولونية، وذلك أن زخرفة الإطارات المحيطة باللوحات، في نهاية بلاطة المحراب من مسجد الأزهر، تتكون من أنصاف مراوح نخيلية من ثلاث شحمت، وأنها تمتد صعوداً في هذه الإطارات حتى إذا وصلت إلى نهايتها اجتمع نصفاً المروحة وكوناً مروحة واحدة من خمس شحمت تنتهي بها المجموعة الزخرفية في الإطار، في حين أن زخرفة الإطارات في المسجد الطولوني كانت تتلاقى نهاياتها أو بداياتها عند تواشيع تلك الإطارات.

(٢) وجه (فلوري) النظر إلى أهمية الأرضية الخلفية في الزخرفة الأزهرية، واختلافها في ذلك عن الزخرفة الطولونية، انظر صفحة ٣٦ من المرجع المشار إليه في الحاشية السابقة. ويلاحظ أن هذه الأرضية كانت أكثر وضوحاً عند إنشاء المسجد لأن الزخارف كانت ملونة، وكانت الأرضية كذلك ملونة باللون الأزرق. هذا وقد كانت ظاهرة التلوين شائعة في الزخارف الجصية والخشبية.



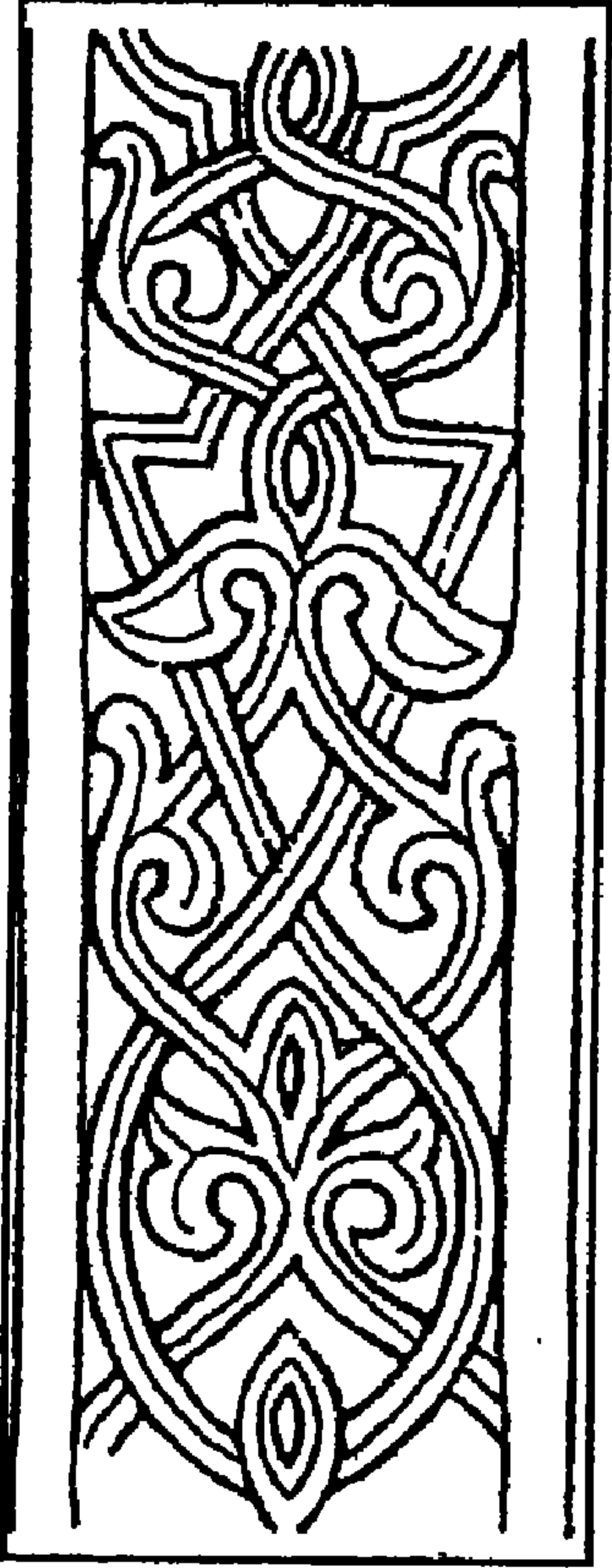
شكل (٣١) - رسم لشكلين من زخرفة التوريق الفاطمية

ومثلما انشق الفصن نصفين، وحفر في وسطه حز عميق غائر جعل منه فرعاً مزدوجاً، امتد هذا الحز إلى الأوراق نفسها على هيئة تجويف، لا ليقسمها إلى جزأين، بل ليعبرز حدودها وأطرافها ويجسم منظرها.

استعرضت تفصيلاً في الفصول السابقة، بالنسبة لكل أثر من الآثار الفاطمية، تشكيلات زخارف التوريق فيه. ويبدو من استعراض هذه التشكيلات مدى انطلاق خيال «المزوقين» في الطبيعة، ونقلهم لمظاهرها من عالم المحدود إلى عالم اللانهاية. إذ لم يقف حد الخيال عند تحوير الأغصان والأزهار والأوراق والسعف والثمار إلى مجموعات معتدة، تتعدى إطاراتها، وتتعدى حدودها الطبيعية. بل تعدى الخيال تلك الحدود، وعمل على تنويع أشكال الوريقات وإحاطة انثناءاتها وانتصاباتها بمظاهر الرقة والرشاقة، شكل (٣٢).



شكل (٣٢) - أشكال منسقة من زخرفة التوريق الفاطمية (من رسم المؤلف)



شكل (٣٣) - مجموعة زخرفية
متطورة من أشكال التوريق

واجتمعت في الزخارف النباتية الفاطمية أشكال الوريقات ثنائية وثلاثية الشحومات، وأوراق العنب والسعف النخيلية، وأنواع مختلفة من الأزهار والثمار والبراعم والآلى. وظهرت كل هذه الأشكال متحدة مع القروع والأغصان، المنفردة والمزدوجة، أو تفرعت منها، في حركة متصلة، وتوقيع واتزان.

وكثيراً ما يصعب التمييز بين الغصن والورقة النابتة منه. إذ قد تمتد هذه الورقة، أو السعفة، فينبت منها غصن جديد. كما أن الغصن قد يمتد داخل الوريقة ويقسم شحمتها إلى نصفين ثم يتفرع منها أو ينفذ من رأسها المدبب، ليعاود خط سيره. وفي مواضع أخرى يلتف الغصن حول الورقة، في شكل قلب، أو على هيئة عقد مدبب أو دائرة منبعجة^(١).

وقد نظمت المجموعات الزخرفية وخاصة في الأقاريز والنوافذ في أشكال منسقة شبه هندسية، أي إنها ترسم أنصاف دوائر أو حلقات تتوسطها ورقة مدببة. أو ورقة العنب^(٢) وفُرشت الزخارف النباتية، كما سنرى، على الأرضيات التي نُقشت عليها الكتابات الكوفية. واتخذت هذه الزخارف تشكيلات خاصة، سنشير إليها في القسم التالي.

ونلقى بمسجد الحاكم نماذج من معظم التشكيلات لزخارف التوريق. ولاشك في أن المجموعة التي يحتويها هذا المسجد تمثل أكثر التشكيلات الفاطمية رقة وإبداعاً، تلك التشكيلات التي اتخذت في نهاية العصر أشكالاً جافة مصطنعة، وخاصة في زخارف

(١) تجدر الإشارة هنا إلى وجوب التفرقة بين الورقة الوسطى التي تتقيد بمحور رأسى ينتصفها وبين الورقة الجانبية التي تتفرع من الساق وتتخذ أشكالاً متحررة تبعاً لانشاءاتها وانحناءاتها. وتتكون الورقة الوسطى دائماً من رأس مدببة وقاعدة ثنائية، على هيئة قلب. ويتفرع من وسط هذه القاعدة ساقان، أحدهما يتجه يميناً، والآخر يسرة. وكذلك تخرج من الرأس المدببة ساق ثالثة تتابع خط سيرها المرسوم.

(٢) يختلف التكوين الإنشائي في الأقاريز والشرايط، التي تمتد الزخارف فيها في إطارات مستطيلة، عنه في المساحات الواسعة، مثلاً للوحات والنوافذ وخواصر العقود وتواشيجها. وفيما تتكون المجموعة الإنشائية غالباً من حلقات ودوائر.

المحاريب الجصية. إذ فيها امتلأت الوريقات خروما وتقورًا، ثم وزعت هذه الخروم في أشكال دوائر هندسية، وفقدت الورقة مظهرها الطبيعي. كما أنه لم يعد للتماثل في هذه التشكيلات المتأخرة تلك الرقة والتنوع التي انطبعت بها مجموعات الحاكم، وذلك بالرغم من أنها تبدو أقل اصطناعًا في البعض منها مثل تلك التي امتدت على محرابي الجيوشى والسيدة رقية. أما في قبة البهو في الأزهر، وفي مجموعات الأقمر والصالح طلائع، فقد اكتسبت أشكال التوريق من جديد رقة التكوين، واستردت إلى حد ما خصائصها الفاطمية الأولى.

لا تقتصر الزخارف الفاطمية على هذه الظواهر التي أوجزت خصائصها، وإنما تمتاز كذلك، وعلى الأخص، باجتيازها مرحلة حاسمة من المراحل التي انتهت إلى ابتكار أسلوب زخرفي جديد، هو أسلوب التوشيح العربي^(١)، المعروف في الإصطلاح الإفرنجي باسم «الأرابيسك». ونلقى في زخارف الأزهر العتيقة بداية هذه المرحلة، وتشاهد في زخرفة المحراب وفي زخارف اللوحات المعقودة بين النوافذ. وفيها تمتد الزخرفة، في ذلك الإطار المعقود، حول محور رأسى ينتصفه، وتلتقى السيقان عند هذا المحور، ثم تتفرع من حول مروحة نخيلية وسطى، كأن هذه السيقان تنبثق من أصيص الزهور، شكل (٦).

كانت هذه المجموعة نقطة بداية فحسب، أو خطوة أولى، ولكننا نلقاها في مسجد الحاكم، قبيل نهاية القرن الرابع (العاشر الميلادي) تخطو مراحل النمو والتكوين. ولهذا يجدر بنا قبل أن نستعرض هذه المراحل أن نوضح المعنى من اصطلاح «التوشيح»، ونستخرج أصول هذا الأسلوب الجديد وخصائصه.

التوشيح اصطلاح زخرفي يقصد به التعريف عن مجموعة مكررة تملأ الفراغات وتتكون من عنصرين زخرفيين، أو أكثر، متشابهين تشابكًا هندسيًا، متماثلًا أو منتظمًا، تتباين الحركة فيهما تباينًا توقيعيًا^(٢). ولكن هذا التعريف موجز غير واف، بل إنه لا يعبر عن حقيقة هذا الأسلوب الذي يشتمل على خصائص فنية وأخرى إنشائية.

(١) استخدمت هذا اللفظ تمييزًا لهذا الأسلوب عن أسلوب التوريق ولأن لفظ (الكرش) أو (الرقش) الذي أطلقه عليه بعض الكتاب غير مستساغ في رأيي.

(٢) انظر شرح (كونيل) هذا التعريف شرحًا موجزًا في مقال (أرابيسك) من دائرة المعارف الإسلامية:

Kühnel (Ernst), *Arabesque*, in The Encyclopaedia of Islam, New Edition, vol. I, pp. 558 – 561. Leiden, 1957 – 1960.

وكان (كونيل) قد نشر كتيبًا عن هذا الموضوع في سنة ١٩٤٩م من ٣٠ صفحة موضحة بالأشكال:

-, Die Arabeske. Wiesbaden, 1949.

أما الخصائص الفنية فإن أهم مظاهرها أن يكون النقش أو الحفر أو النحت ذا طابع مسطح، ليس فيه مجسمات أو شطف مائلة، وأن يكون له مسطحان، أحدهما بارز وهو الذى ترتسم عليه الزخرفة الرئيسية، والثانى غائر وهو الذى يمثل الأرضية وترتسم عليه عناصر تفصيلية مقصورة. والمسطحان متكاملان رسوم المسطحات الغائرة المفرغة تكمل رسوم المسطحات البارزة الممتلئة أى إنه يتكون منها مجموعة إنشائية واحدة. ومعنى ذلك أن الفنان يراعى فى رسم مجموعته الزخرفية أنها تكتسب وحدتها لا من الرسم فحسب بل من اختلاف النسب أولاً بين هذا الامتلاء وذلك التفريغ، من حيث مقدار كل منهما وكميته من جهة ومن حيث مدى امتداد المسطحات البارزة ومدى الغور فى الأرضية من جهة أخرى^(١). ثم إن المجموعة الإنشائية تكتسب وحدتها، ثانياً من اختلاف ما يترتب على ذلك من ضوء وظلال، وألوان فاتحة وقاتمة^(٢).

وأما الخصائص الإنشائية التى تتصل بالأسلوب الفنى ذاته فإن قوامها فى التوشيح العربى هو الجمع بين الخطوط الهندسية والأشكال النباتية أو على الأصح صياغة هذه الأشكال فى تلك الخطوط. وقاعدة ذلك الجمع هى أن يبدأ الفنان عمله بتقسيم السطح المراد تزويقه إلى مناطق رئيسية، رأسية وأفقية، تتكون من مربعات أو مستطيلات ثم يحدد الرسام نقطة تقاطع قطرى كل منها، ويجعل من هذه النقطة مراكز يرسم حولها داخل المناطق مربعات أو مستطيلات متداخلة بحيث تتكون منها مضلعات نجمية أى إن رؤوس هذه المضلعات تنتهى بمثلثات. وكان أبسط هذه الأشكال هو المضلع النجمى ثمانى الرؤوس إذ إنه يتكون من تداخل مربعين أو تقاطعهما أحدهما رأسى والآخر أفقى^(٣). ويمد الرسام بعد ذلك ضلوع النجم داخل حدود المنطقة الرئيسية، لتلتقى بضلوع مضلع نجمى آخر، مجاوراً للأول ومماثلاً له، أو مختلفاً عنه فى عدد رؤوسه أو فى طول ضلوعه. وأخيراً تبدأ عملية الامتداد والالتقاء من جديد، خارج المنطقة الرئيسية، إلى المنطقة الرئيسية الأخرى المجاورة. ويتكرر رسم هذه الأشكال الهندسية المجردة، من منطقة إلى منطقة تكرر اللانهائية الافتراضية التى لا توقفها

(١) أما إذا كان الرسم على سطح واحد فإن المجموعة تكتسب وحدتها من الصلة بين الرسم نفسه الفراغات التى يتركها هذا الرسم من حوله، والتي يتكون منها مجموعة زخرفية أخرى، تتكامل بها المجموعة المرسومة.

(٢) المقصود هنا بالألوان الفاتحة والقاتمة هو الألوان الطبيعية المستمدة من الحجارة أو الرخام أو الجص أو الخشب من غير إضافة ألوان مصبوعة إليها. أما فى العصور التالية فقد استخدمت الألوان فى إبراز الزخارف فى التوشيح.

(٣) أحياناً ما يكون السطح المراد زخرفته مقسماً بحواف القطع الحجرية، وفى هذه الحالة تظهر مهارة الرسام فى تقسيم مجموعته، بحيث تقابل محاور المجموعة الزخرفية تلك الحواف، كما تظهر بوضوح فى زخارف مثذنة الحاكم.

غير حدود السطح المعد للزخرفة. وقد أسفرت هذه العملية عن ابتكار أشكال عديدة من المضلعات النجمية، وتشكيلات هندسية لا حصر لعددها.

هذه هي الخطوة الهندسية الأولى وتتبعها الخطوة النباتية وقوامها الشريط أو الفرع أو الغصن. وأول ما يعنى به الرسام هو أن يحدد الطريق الذى يسلكه هذا الغصن النباتى داخل الأشكال الهندسية، كما يحرص على أن يكون سمكه أو عرضه واحدا. ثم يقوم الرسام - بتوزيع تموجات هذا الغصن وانحناءاته وتقاطعاته، ومداخله ومخارجة فى الأشكال الهندسية توزيعاً توقيعياً مصحوباً بالتناسق. ويعتمد هذا التناسق على نظرية أخرى، هي نظرية التعانق. وهي التى اصطلح البعض على تسميتها بالتشابك أو التداخل. والتعانق غير التضفير، وإن كان يتصل به أو يتفرع منه. ولهذه النظرية مظهران: المظهر الأول مزدوج، وهو أن يتلاقى غصنان أو شريطان، ثم يفترقا بعد تقاطع خطى سيرهما. والمظهر الثانى منفرد أى أن التعانق مقصور على غصن واحد، يستمد هذه الصفة من تموجاته العكسية، فهو يصعد مرة يمينا ومرة يسرة، أو يمتد تارة فى صعود وتارة فى انحدار، أو يتقدم إلى الأمام ثم يتراجع إلى الخلف.

وبعد الانتهاء من تحديد هذين العنصرين، الإطارات الهندسية والأغصان النباتية يعنى الرسام بحشو الناتجة عن هذه التقابلات والتقاطعات الهندسية والتموجات والتشابكات والانعطافات النباتية، ويرسم أشكالا أخرى من وريقات أو سعف أو براعم أو زهيرات وثمرات، بحيث تملأ هذه الأشكال الفراغات، وبحيث تنبثق من الأغصان أو تتكى عليها. ويراعى الرسام فى تنسيق هذه الأشكال تناسب أحجامها من جهة، وتناسب أوضاعها، من حيث التقابل أو التعارض من جهة أخرى.

ويراعى الفنان كذلك فى تنسيق هذه الأشكال جميعاً مظهرًا عامًا آخر، هو مظهر التماثل. وذلك أن المجموعة التى رسمها الفنان فى منطقة ما، يجب أن تتصل بمجموعة مماثلة لها فى المنطقة التى تعلوها أو تدنوها أو تجاورها، إما تماثلاً متقابلاً وإما تماثلاً عكسياً. ومعنى ذلك أن التماثل فى هذه الأشكال لا يقتصر على العناصر داخل المنطقة الواحدة، بل يشمل المجموعات الصغرى فى تلك المناطق جميعاً، ومن هذا التماثل الجزئى والمركب، تتكون المجموعة الكبرى، ويتكون التوشيح العربى.

وهكذا تبدو نظرية التوشيح معقدة التكوين، مكتظة العناصر، مضطربة المظهر. ولكن المجموعة الإنشائية التى تخرج من هذا الأسلوب الفنى هى فى الواقع مجموعة سلسلة محدودة، لأنها منظمة تنظيمًا حسابيًا هندسيًا. وإذا كان النظر يقف حائرًا أمامها لأول وهلة، يتلمس ما خفى عنه من بدايتها وكيانها ونهايتها، إلا أنه لا يلبث أن يحدد معالمها،

ويكتشف عناصرها ويحلل قواعدها. وذلك إذا كان يدرك طبيعة الروح الزخرفية عند الفنان العربي، تلك الروح التي تربط بين العقل والخيال، بين الحساب المقيد بالخطوط والأرقام، والشاعرية المتحررة من الأشكال والأجسام.

كان الفنان العربي يتحرر من تقليد الطبيعة وكان يغير من معالمها وكانت رسوماته لها صوراً تعبيرية من خياله يودعها ذكرياته وأحاسيسه الشخصية. ولهذا لم يتقيد الفنانون العرب بقواعد مرسومة لأشكال التوشيح العربي، واختلفت تعبيراتهم باختلاف شاعرية كل منهم. ولكنهم التزموا جميعاً بمبادئها الرئيسية التي تتلخص أولاً في تنسيق الأشكال النباتية داخل مضلعات هندسية مجردة، وثانياً في تكرار التموجات الخطية تكراراً تختلط فيه البداية والنهاية، وثالثاً في تعانق الأغصان والفروع، ورابعاً في امتلاء الفراغات، وأخيراً في تماثل العناصر والمجموعات. وقد تكاملت هذه المبادئ الرئيسية في محرابي السيدة نفيسة والسيدة رقية، حوالى منتصف القرن السادس (الثاني عشر الميلادي).

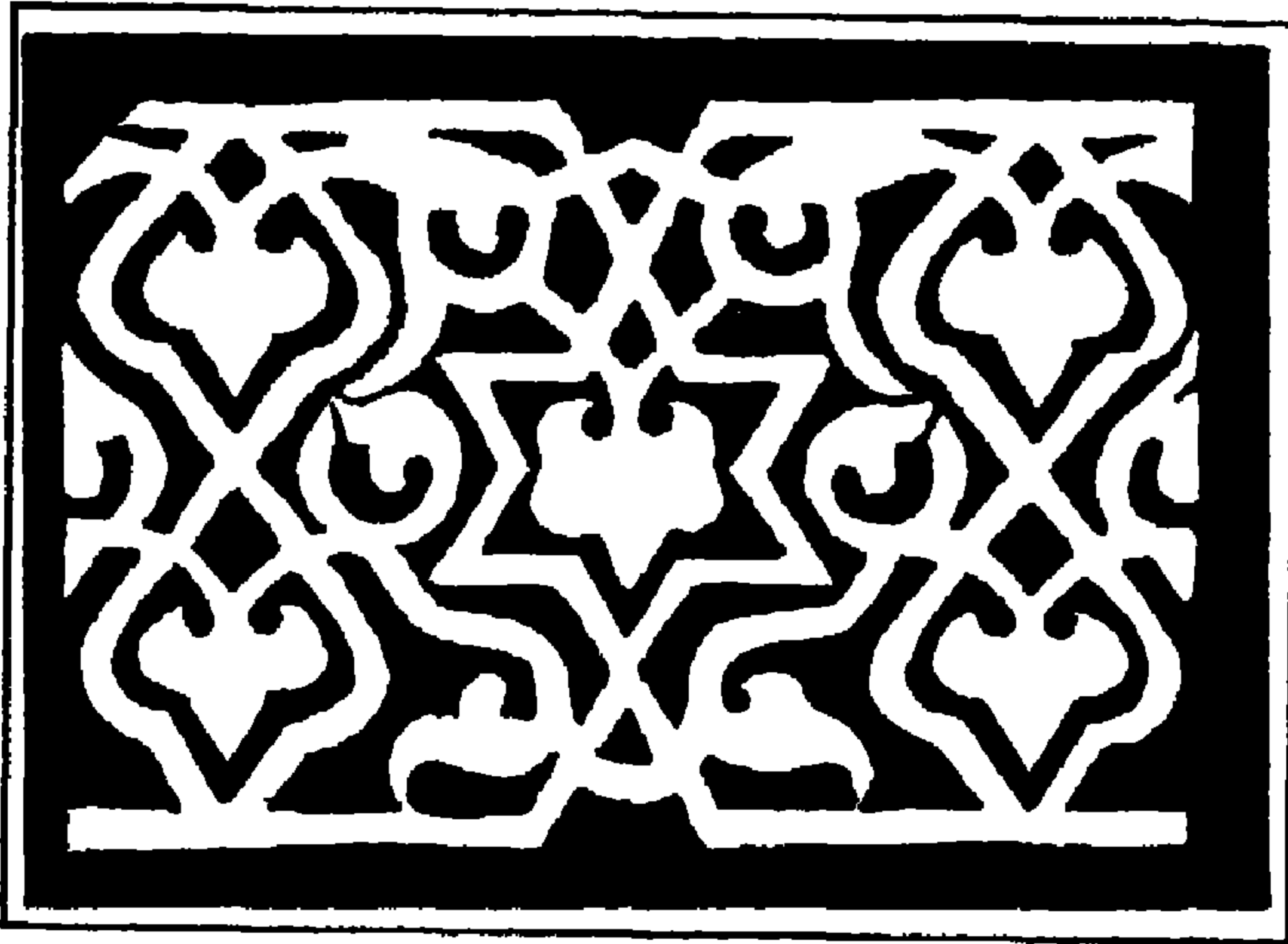
كانت بداية التوشيح العربي قد ظهرت كما ذكرت قبل ذلك بما يقرب من قرنين في مسجد الأزهر أولاً وفي مسجد الحاكم ثانياً. ثم تابع التطور مراحلها واستكمل عناصره في العصر الفاطمي ذاته. وكانت أول مظاهر هذا التطور عبارة عن تشكيلات حلقية تلتف الأغصان فيها على شكل باقات، وتتفرع الوريقات منها يمنة ويسرة بحيث تملأ الفراغات الداخلية والخارجية على السواء في تلك الحلقات. ثم ابتكرت أشكال أخرى خضعت فيها الأغصان للحدود الهندسية، وظهر فيها التكرار والتعانق والتماثل.

ونلقى من ذلك أمثلة عديدة في زخارف مسجد الحاكم. وهي تنحصر جميعاً في إطارات هندسية، وتتفرع مجموعات الإنشائية حول محور أو قطر تتماثل فيه الأشكال والعناصر. وإذا كانت بعض هذه المجموعات تتكون من أشكال مبسطة تقتصر الزخرفة فيها على غصن متموج تنبت منه الوريقات، منفردة أو مزدوجة، يمنة ويسرة شكل (٣٢) فمنها أشكال أخرى مركبة امتدت الأغصان فيها حول محور رأسى، وتتابعتموجاتها وتعانقاتها لوحة رقم (٧٤)، شكل (٣٤) ومنها أشكال هندسية مجردة تشابكت فيها الأغصان المزدوجة، وعبرت عن فكر التوشيح، بالرغم من خلوها من الوريقات النباتية لوحة رقم (٦٨ ب و ج). ومنها على عكس ذلك المجموعتان اللتان تملآن الخصرين على بوابة الحاكم، وفيها تشكيلات نباتية خلقت من المناطق الهندسية التي يمتاز بها التوشيح العربي، ولكنها جمعت ما عدا ذلك من المبادئ، فيها التكرار، وفيها اختلاط البداية والنهاية، وفيها التعانق، وفيها تماثل العناصر وتماثل الحلقات لوحة رقم (٧٠). ونلقى كل هذا كذلك في أشكال أخرى منحوتة على أفاريز في المئذنة الغربية وعلى إطارات النوافذ في المئذنة الشمالية.



شكل (٣٤) - زخارف من مسجد الحاكم تظهر فيها بداية أسلوب التوشيح العربى (من رسم المؤلف)

ونشاهد مرحلة حاسمة من هذا التطور، كادت جميع المبادئ الرئيسية للتوشيح أن تتجمع فيها، وذلك فيما تبقى من زخارف إحدى النوافذ فى جدار القبلة إلى يسار المحراب، لوحة رقم (٧٥) وفى إفريز من المئذنة الغربية، شكل (٣٥). فى هاتين المجموعتين ظهر المضلع النجمى الذى يعتبر المبدأ الرئيسى الأول لأشكال التوشيح، كما ظهرت المبادئ الأخرى المميزة لهذه الأشكال.



شكل (٣٥) - زخرفة إفريز من مئذنة مسجد الحاكم الغربية تتجمع فيها المبادئ الرئيسية لأسلوب التوشيح العربى (من رسم المؤلف)

وبالرغم من أنه لم يتبق من زخارف نافذة جدار القبلة إلا ما يقرب من ثلثها، فإنه يقيس للناظر المدقق أن يرسم أشكال الأجزاء المفقودة، فيظهر فيها التقسيم إلى المناطق الهندسية التي تشكل مضلعات نجمية من أربعة رؤوس، ويظهر كذلك امتداد الغصن في تعرجات داخل هذه المناطق، وانسيابه خارجها، وتظهر الوريقات ذات الشحمتين التي تحشو الفراغات وتنبت من السيقان. ويظهر القناسق والتماثل والتعاقب، وتتضح الرشاقة في انحناءات الفروع وانثناءات الوريقات. لقد أشار (فلورى) إلى زخارف هذه النافذة، واعترف بأنه لا يعرف تكويناً زخرفياً مناظراً لها فيما سبق من العصور، وأوضح أهميتها الكبرى بالنسبة لتطور الأساليب للزخرفة الإسلامية، وأكد أنها «أقدم مثال في القاهرة للزخارف الجصية التي ترسم الطريق نحو تكوين التوشيح العربى الصميم»^(١)، لوحة رقم (١٧٥).

ولم يهتم (فلورى) بالمثل الثانى الذى أشرت إليه فى إفريز المئذنة الغربية، قدر اهتمامه بزخارف النافذة. وذلك أن اهتمامه بالمثل الأول كان منصباً على الشكليات، أو على التقسيم الهندسى المجرد إلى مضلعات نجمية. ولكن زخارف إفريز المئذنة الغربية، وإن لم تظهر فيها بوضوح هذه التقسيمات المجردة، فإنها تعبر تماماً عن الفكرة الأصلية. وإذا كان المصنع النجمى فيها لا يتصل مباشرة بالنجم المائل له، فإن الساقين فيما بين هذين النجمين يرسمان معينات هندسية متعانقة متماثلة، ولكن حدودها انثنت أو تقوست فأخرجتها من صرامة الخطوط الهندسية إلى مرونة السيقان النباتية شكل (٣٥).

هذان مثلاً فريدان من زخارف مسجد الحاكم، ولا شك فى أنه كانت فيه أمثلة أخرى من هذه الزخارف تبين أشكالاً أخرى من التوشيح العربى. إذ إنه مازالت تشاهد فى بعض النوافذ أمثلة من التشكيلات الهندسية المجردة، لوحة رقم (٦٦). أما التشكيلات النباتية الخالية من الإطارات الهندسية فإنها عديدة متنوعة. وليس من المستبعد أنه كانت بزخارف الحاكم مجموعات إنشائية تجمع بين هذه التشكيلات وتلك، وتكون نماذج متكاملة من هذا الأسلوب الفنى الجديد.

يتبقى بعد الحديث عن تطور الزخرفة الإسلامية وتوصلها إلى ابتكار هذا الأسلوب الفنى الجديد. أن نشير إشارة عابرة إلى مصادره.

تضاربت آراء المستشرقين مرة أخرى فيما يخص مصادر اشتقاق الزخارف العربية وظهور أسلوب التوشيح فى العصر الفاطمى. وتجمعت فى هذه الآراء جميع المصادر. فمن قائل إن الزخارف الفاطمية تعتبر نوعاً من الامتداد للزخارف الطولونية وبالتالي فمصدرها عراقى

(١) انظر صفحة ٢٢ من كتاب «زخارف مسجدى الحاكم والأزهر».

إيراني، ومنهم من أضاف إلى ذلك مصادر هلينستية أو قبطية أو بيزنطية. وقد لخص (مارسيه) هذه الآراء تلخيصاً وافياً^(١)، وأشار هذا المستشرق الكبير بصفة خاصة إلى الرأي الذي يرجع المصادر البيزنطية في تطور الزخارف وتكوين أسلوب التوشيح، وأضاف إلى ذلك قوله: إنه «مهما كان الفضل الذي يضيفه البعض على الفن البيزنطي في تحقيق هذه التكوين فإنه لا يمكن الخلط بين هذا الأسلوب والفن البيزنطي، ومن المؤكد أن هذا الأسلوب الجديد ما كان ليظهر أو يرى النهار بدون ظهور الإسلام»^(٢).

واننى أستطيع أنؤكد، كما سبق أن أكدت من قبل أن أسلوب التوشيح العربى ابتكار إسلامى أصيل، لا لأن أقدم الأمثلة المعروفة منه، المتكاملة أو التى فى دور التكوين، موجودة فى الفنون الإسلامية، وفى الزخارف الفاطمية بالذات، بل لأن أساس هذا التوشيح وكنهه ينبع من الفكرة الإسلامية العربية، التى تعكس صورة الحياة البدوية، ونزوة الخيال العربى، وقواعد اللغة العربية، وأوزان الشعر فيها^(٣). تلك الأسباب التى جعلت الفنان العربى ينفرد بين رجال الفن من الشعوب الأخرى «بخياله الهندسى الذى ينصب على الكتلة فيقسمها ويجزئها، ويختطف الأزهار والأوراق والأغصان فيحولها إلى خطوط ومنحنيات، تتكرر وتتعاقب وتتبادل وتمتد إلى مالا نهاية، حتى لا يكاد الناظر إليها يحدد بدايتها أو نهايتها»^(٤).



(١) انظر صفحة ٨٤ من كتاب «الفن الإسلامى»: L'Art de l'Islam؛ وانظر كذلك صفحة ٩٠ من مقال (فريد) شاقى، «مميزات الأخشاب المزخرفة فى الطرازين العباسى والفاطمى فى مصر»، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السادس عشر، الجزء الأول، مايو سنة ١٩٥٤م، انظر صفحات ٥٧ إلى ٩٤.

(٢) انظر صفحة ٨٥ من المرجع السابق.

(٣) انظر صفحة ١٣٣ وما يليها من «المسجد الجامع فى القيروان» للمؤلف.

(٤) انظر «المدخل». هذا وقد كتب (رونار) فى تفسير معنى (الأرابيسك) فى صفحة ٤٨ من دائرة معارف الحضارة العربية، أنه ابتكار عربى نشأ من الخاصية الحسابية للتفكير العربى:

"a creative expression of the characteristic mathematical inclination of the Arab mind". Ronart (Stephen and Nandy), Concise Encyclopaedia of Arabic Civilization – The Ara East. Amsterdam, 1959.

الكتابة الكوفية والخط المزهر

كانت الزخرفة الكوفية في المسجد الطولوني سلسلة مبسطة، واقتصرت على رسم الحروف نفسها، وطريقة تنسيقها واتزان مواضعها، فلم تلبس حلية خارجية، زهرية أو نباتية. ويلاحظ في رسم الحروف (في ذلك المسجد) أول مرحلة لتطورها الزخرفي، إذ روعى أن تنتهي الخطوط الرأسية بفرطحة مدببة. وأخذت رؤوس الحروف المستديرة تنبعج على أشكال الوريقات النباتية وأنصافها^(١)، وخاصة حرف الواو.

وأضيفت إلى الكتابة الكوفية المحيطة بإطارات النوافذ (في ذلك المسجد بعض العناصر النباتية، على هيئة وريقات منحنية منبسطة، تحشو أحياناً الفراغات الممتدة بين أطراف الحروف المطولة. ولكن الزخرف (الخطي) مازال يتخذ مظهره من توازن الحروف وتسلسلها في إطارها المستطيل^(٢).

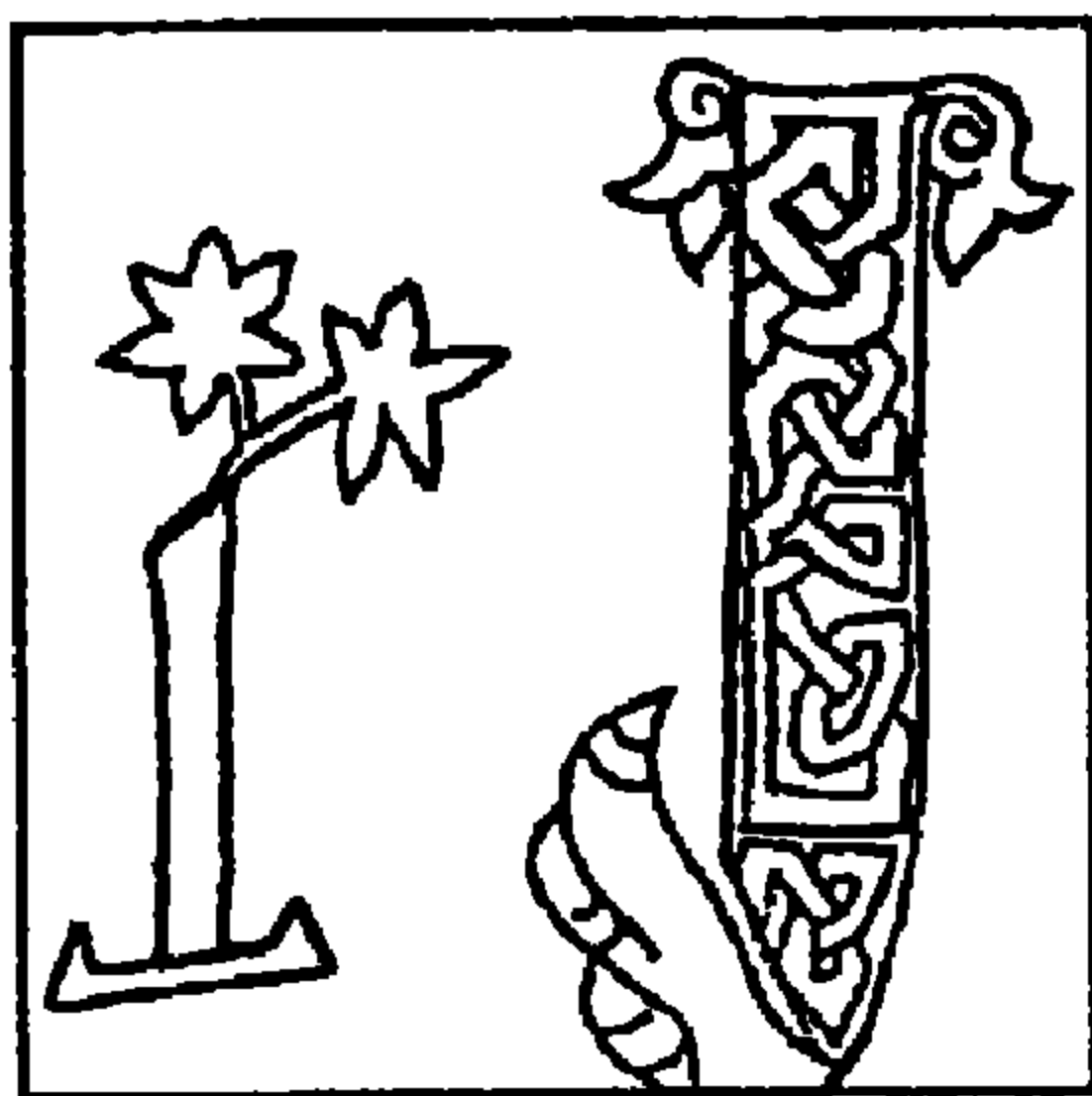
أي إننا نتابع في المسجد الطولوني ثلاث مراحل من مراحل تطور الخط الكوفي، مرحلة الكوفي البسيط الذي يستمد زخرفه من تناسق الحروف وحدها، ومرحلة الكوفي المتطور الذي تنتهي أطرافه بفرطحة مدببة، ومرحلة الكوفي المورق، الذي بدأت أطرافه تتشكل بأشكال وريقات نباتية وأنصاف وريقات.

وأخذ الخط الكوفي في العصر الفاطمي يتابع مراحل تطوره، واتخذ أشكالاً متنوعة من الخط المزهر، وهي مرحلة يجدر بنا أن نستعرض آراء العلماء في أصولها وأسبابها قبل أن نحلل عناصرها البارزة في مساجد القاهرة. وقد اختلف العلماء أول الأمر في مصدر هذا الخط المزهر، فقال البعض منهم فقال: إنه نشأ وتطور في القيروان وتونس، في سنة ٣٤١هـ / ٩٦٨م، ومنها انتقل مع الفاطميين إلى القاهرة. وأكد البعض الآخر أنه ظهر وتطور في تركستان، في طشقند، في سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٤م، ومنها انتقل إلى مصر ثم إلى بلاد المغرب. وأخيراً فند (جروهمان) هذين الرأيين، وأظهر أنهما بعيدان عن الصواب، وطلع بنظرية جديدة، مؤداها أن مرحلة التزهير بدأت بمصر، وضرب مثلاً واضحاً لذلك يظهر على شاهد قبر من سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧م،

(١) انظر «المدخل».

(٢) انظر شرحه.

كما يظهر على غيره من شواهد القبور وأوراق البردى^(١). ثم أخذت هذه المرحلة، في رأى (جروهمان)، تتطور حتى وصلت إلى درجة النضوج في أواخر القرن الرابع (أوائل القرن



شكل (٣٦) - زخرفة حرفين من
الحروف الرمزية في مخطوطة
يونانية

الحادى عشر. ومن القاهرة انتقلت مظاهر هذه المرحلة إلى العراق وأواسط آسيا من جهة، وإلى بلاد المغرب من جهة أخرى^(٢)، تلك البلاد التى زعم بعض المستشرقين أنها هى التى أمدت القاهرة بعنصر الخط المزهر^(٣). غير أن (جروهمان)، صاحب هذه النظرية الجديدة، زعم أن زخرفة التزهير فى الخط الكوفى، تلك الزخرفة التى نمت فى مصر وازدهرت فى القاهرة وانتقلت منها شرقاً وغرباً، على حد قوله، قد اقتبست أصولها من زخرفة الحروف الرمزية فى المخطوطات اليهودية والقبطية التى تنسب إلى القرن السابع والقرون التالية، وقدم أمثلة لذلك من مخطوطين يونانيين، شكل (٣٦)^(٤).

أبدى العلماء إذن ثلاث نظريات متناقضة عن مراحل تطور الخط الكوفى من بسيط أو مورق إلى مزهر. وأسباب هذا التناقض ترجع، فى رأى إلى عوامل ثلاثة.

(١) انظر مناقشة هذه النظريات فى صفحات ١٨٥ إلى ١٨٨ من مقال (جروهمان)، «الكوفى المزهر».

Grohman, Adolf, *The Origin and Early Development of Floriated Kufic*, Ars Orientalis Vol. II, pp. 183-213, Michiga, 1957.

هذا وقد نشر فى «المدخل» رسم للكتابة على شاهد القبر المشار إليه أعلاه، صفحة ٤٧، شكل (١٣ - ٢-). وانظر فى «المدخل» ما جاء عن الخط الكوفى.

(٢) المرجع المشار إليه فى الحاشية السابقة.

(٣) شرح النظرية الأولى، المصدر العراقى، مفصل فى كتاب (فلورى)، «انكتابات العربية فى أميدا وديار بكر»، وشرح النظرية الثانية، المصدر المغربى، مفصل فى كتاب (مارسيه)، «العمارة الإسلامية فى الغرب»، صفحة ١١١ وما يليها. ولكن (مارسيه) رجع فى كتابه هذا عن هذا رأى وعاد إلى ترجيح المصدر الأسوى.

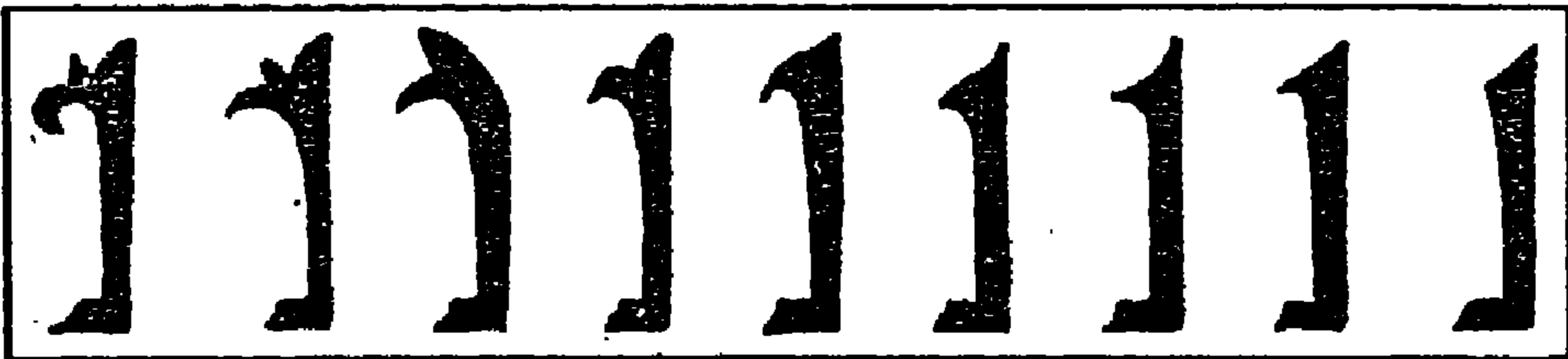
(٤) (جروهمان)، صفحات ٢١١ إلى ٢١٣ من المقال المشار إليه. والحرف الرمزي (Initial) هو الحرف الأول الذى يتصدر الصفحة الأولى من مخطوطة أو فصل أو قسم منها. والأمثلة التى استند إليها (جروهمان) بصرف النظر عن الشك الذى يحيط بتاريخها، لا تعتبر خطأ بالمعنى المصطلح عليه، وإنما هى زخرفة أحاطت بحرف واحد، هو الحرف الأول من صفحة بأسرها، وهى زخرفة خارجية لا تمت بصلة إلى جسد الحرف ولا إلى الكتابة التى تتبعه من كلمات وجمل. أما فى الخط الكوفى فإن الزخرفة تتبع من رسم الحرف نفسه، وتشمل الحروف الأبجدية كلها، لا حرفاً واحداً قائماً بذاته، وتطلب تنسيق هذه الحروف جميعاً فى مجموعة واحدة، سواء المتصلة منها أو المنفردة.

العامل الأول، هو أن كل فريق من العلماء المستشرقين يميل إلى ترجيح كفة الحقل الذى كان يشتغل فيه ويختص به. فكانت بلاد المغرب، حقل البحوث للعالمين (جورج) و (وليام مارسيه)، وهما اللذان طلعا بنظرية المصدر المغربى فى القيروان. وكان حقل العالمين (فان برشم) و (شترز جفسكى) أواسط آسيا، وهما اللذان ناقضا النظرية المغربية، ورجحا النظرية الفارسية التركستانية. أما الأستاذ (جروهمان)، صاحب النظرية المصرية فقد أمضى فترة طويلة بمصر فى دراسة البرديات العربية.

والعامل الثانى، هو أن هؤلاء العلماء قد بنوا نظرياتهم استناداً إلى لوحات أو وثائق منفردة، عثر عليها هنا أو هناك، ولم يراعوا اندثار آلاف من اللوحات والوثائق والآثار. إذ إن الذى عثر عليه من شواهد القبور فى القسطنطينية، مثلاً يعتبر بالرغم من وفرة جزءاً ضئيلاً بالنسبة لما كان موجوداً فعلاً قبل حريق هذه العاصمة. والأمر كذلك بالنسبة لبلاد المغرب أو القرس، بل بالنسبة لجميع البلاد العربية والإسلامية، إذ لم يتبق غير جزء قليل جداً من آثارها. ومعنى ذلك أن حلقات كثيرة من مراحل التطور أصبحت مفقودة، خاصة وأن مراحل تطور الخط الكوفى فى القرنين الثالث والرابع كانت سريعة الخطى.

والعامل الثالث هو أن هؤلاء العلماء لم يضعوا فى الاعتبار وحدة التعبير الفنى فى البلاد العربية، إذ إنه ليس غريباً أن توجد، كما هو الحال، رسوم متماثلة للخط الكوفى المزهر، فى منتصف القرن الرابع الهجرى وأواخره، فى كل من بلاد المغرب والأندلس ومصر والعراق. ومعنى ذلك أن المتخلف من آثار هذه البلاد يعتبر متكاملًا إلى حد كبير، وخاصة بالنسبة للخط الكوفى.

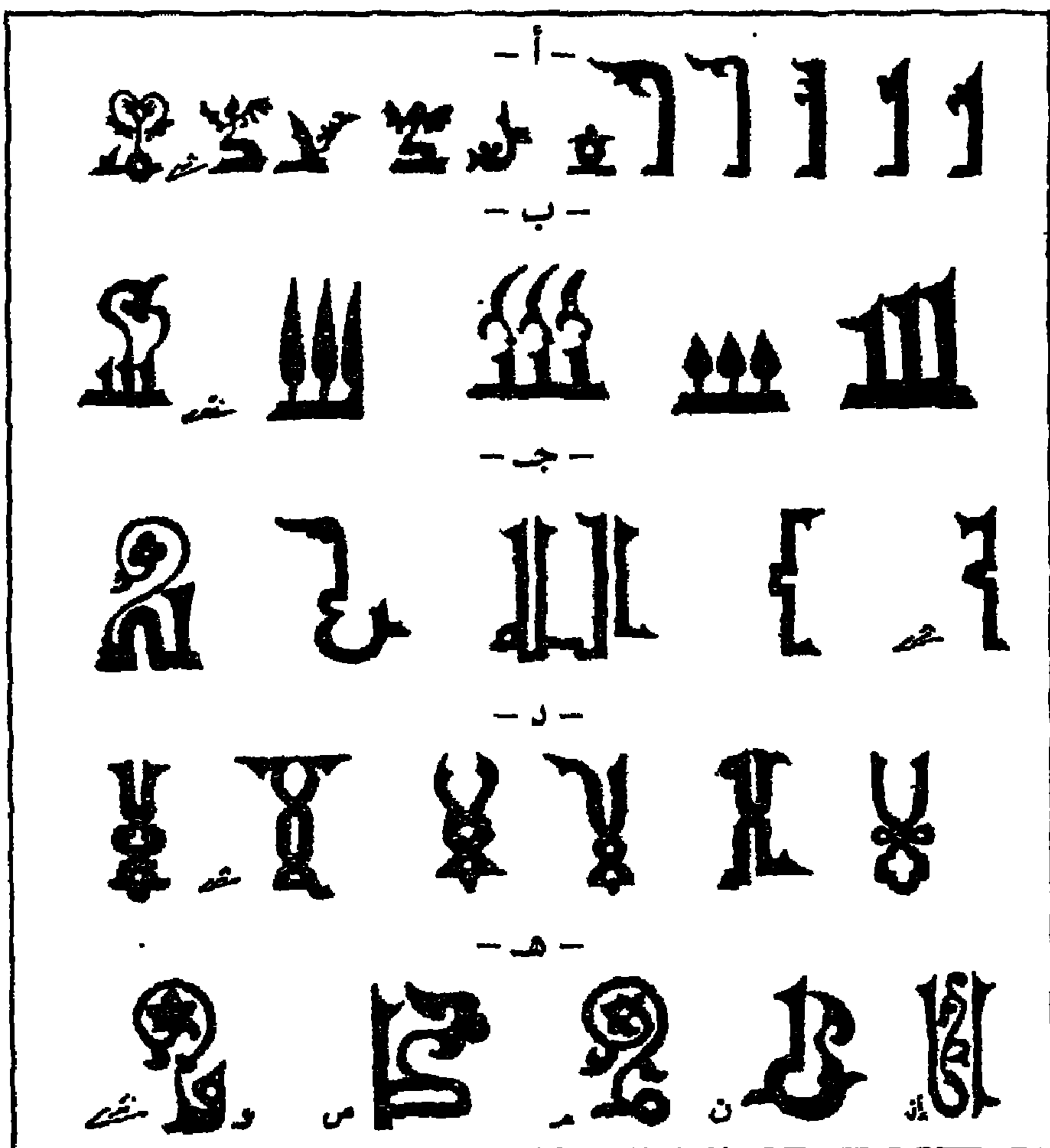
ولا يتسع المجال لمناقشة هذه النظريات الثلاث، مادام تطور الخط الكوفى فى القاهرة، وهو موضوع البحث فى هذا القسم، لم يعد يثير أى اعتراض^(١).



شكل (٣٧) - نماذج لتطور الخط الكوفى من البسيط إلى المورق (من رسم المؤلف)

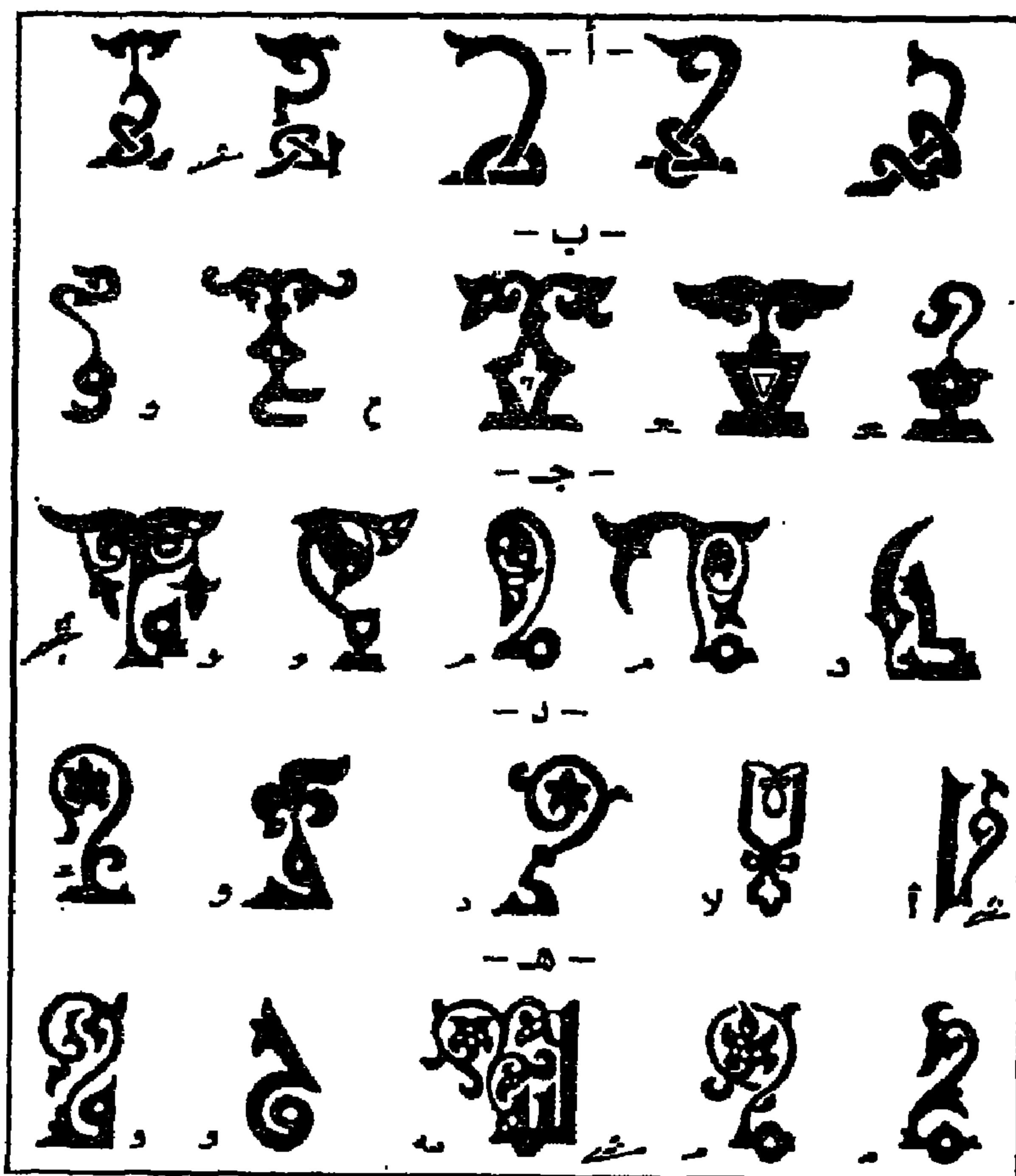
(١) أصبحت دراسة تطور الخط الكوفى فى مصر ميسرة نظراً للكشف فيها عن عدد وفير من مشاهد القبور المسجلة عليها تواريخها والتي تنتمى إلى القرنين الثالث والرابع.

كانت مرحلة الانتقال من الكوفي المتطور إلى الكوفي المورق مرحلة طبيعية، إذ إن الخطاط لاحظ أن أطراف بعض الحروف تنحدر عن مستوى الكتابة، مثل النون والواو والراء، وأن رؤوس البعض الآخر لا ترتفع إلى منتهى أطراف الألف واللام، مثل الحاء والكاف والهاء، وأن هذه وتلك تترك فراغات واسعة في الكلمات. وتطلبت سلاسة الرسم أن تقوم تلك الحروف بتقعر المنحدر منها والصعود بأطرافه، ومد رؤوس الحروف المنكبة وتدويرها. وهكذا أصبحت جميع الأطراف مفرطحة مدببة، في كل منها ديبان، شكل (٣٧). وكانت الخطوة التالية هي أن الخطاط مد الأطراف المستديرة لتعلاً الفراغات الأفقية، فامتدت الفرطحة وامتد الدبيب، وأصبح رأس الحرف شبيهاً بنصف وريقة نباتية منثنية، ثم أضاف أحياناً إلى هذه الوريقات شحمة وسطى، فتكامل شكلها المورق، شكل (٣٨ أ).



شكل (٣٨) - نماذج لتطور الخط الكوفي المورق (من رسم المؤلف)

ومرحلة الانتقال من المورق إلى المزهري مرحلة طبيعية كذلك. إذ إن المزهري بدأ تطوره بتحويل أذنان بعض الحروف، مثل الراء والنون والواو، بحيث تبدو الورقة النباتية كأنها متباعدة مباشرة من هذا الذنب، شكل (٣٨ أ)، أو إنها متصلة معه بغصن رفيع شكل (٣٨ ب)، وكانت الورقة من قبل امتداداً للحرف نفسه، وجزءاً منه، تحتفظ بشكله وحجمه وكثافته. وكانت الخطوات التالية متتابعة سريعة، أو على الأصح كانت سوية متلازمة إذ امتد الغصن وطال، وانثنت الورقة، شكل (٣٨ ح و هـ)، أو انبثق من الغصن وريقتان متماثلتان، شكل (٣٩ أ و ب)، أو استدار الغصن، أو انعطف وانضمت الورقتان فأصبحت ورقة واحدة من ثلاث شحومات احتضنها الغصن في جوفه، شكل (٣٨ هـ)، أو نمت الورقة وتعددت شحوماتها شكل (٣٨ هـ و ٣٩ د) ^(١).



شكل (٣٩) - نماذج لتطور الخط الكوفي من المورق إلى المزهري (من رسم المؤلف)

(١) يخلط بعض المستشرقين المختصين في الدراسات الخطية بين الكوفي المورق والكوفي المزهري، وذلك باعتراض أحد أساطينهم. انظر صفحة ١٨٣ من مقال (جروهمان)، «الكوفي المزهري».

وهكذا تحقق التزهير في الخط الكوفي ، ولابد من الاعتراف بأن مرحلة التطور في الخط كانت متمشية مع التطور في الزخرفة ، فقد كان الخطاط ملازماً للمزوّق. وهكذا ظهرت الكتابة في مسجد الأزهر مرافقة لزخارفه النباتية ، متصلة بها اتصالاً «ودياً» ، إن صح هذا التعبير. وكان لهذا الاتصال أثر كبير في ظهور أنصاف الوريقات في حروف كثيرة، مثل الألف والتاء والراء والضاد والواو، شكل (٣٩ أ؛ ب؛ ج؛ د) ، بل وفي ظهور أشكال نباتية كاملة شكل (٣٩ هـ). هذه الأشكال الكاملة هي التي تميز التزهير عن التوريق، إذ أن الوريقات الثنائية والثلاثية الشحومات ، ظهرت منذ أوائل القرن الثالث الهجري شكل (٣٨ أ) ، أما الأشكال الكاملة ، أي التي تظهر فيها الورقة منبثقة من غصن ، سواء كان هذا الغصن امتداداً لذنب الحرف أو رأسه ، أو متصلاً به ، متفرعاً منه ، فهي التي يمتاز بها الكوفي المزهر في العصر الفاطمي.

ولم يقف التزهير عند هذا الحد ، إذ إن الخطاط لم يتخل عن فنه الأساسي ، وهو الخط ، وحرص على أن يكون «التزويق» تابعاً للكتابة ، مكملًا لها. صحيح أن الزخرفة النباتية أصبحت - نظرياً - قائمة بذاتها ، ولكنها تنبت من «الحرف» ، وإن كانت لا تنسبك فيه ، وهي تخرج منه كأنها باقة تنبثق من أصيص الأزهار. ثم إن أيدي الخطاط أخذت تلعب بالحروف ، وجعلت منها عناصر للتزويق ، كأن أهدابها وأطنايبها ، ونواجذها ومحاجرها ، هي الأخرى أغصان وأوراق وثمار.

واكتسب الخطاط بذلك مهارة في الرسم والكتابة تفوق مهارة المزوّق. وتتضح هذه المهارة من أنه لم يكن مقيداً فحسب في صياغة أشكاله بالإطار المستطيل والتقسيمات الهندسية ، أو برسم الحروف واختلاف مستويات أجسادها وأحجامها بل كان عليه ، وفوق كل هذا ، أن ينسق الكلمات والجمال في الإطار المحدود ، وأن يبرز منها الألفاظ والمعاني^(١).

كان الخطاط يحرص على أن يصيغ الحروف في أشكال رشيقة متناسقة ، وأخذت رقتها تزداد يوماً بعد يوم ، وشملت صياغته جميع الحروف ، المنتصبة منها والمنسطة ، والمستلقة والمنكبة ، بعد أن كانت الحروف المنتصبة هي التي تحظى بالنصيب الأوفر من عناية الخطاط في الزخرفة والتوريق. أما في الأسلوب المزهر فقد انتصبت الأسنان ، وانفتحت المحاجر ، واستدارت العروق والأهداب ، ونبتت السيقان في تشكيلات متناسقة من الرؤوس والأطراف ، وذلك في الحروف التي كان نصيبها ضئيلاً من الزخرفة ، مثل الراء والفاء والكاف والميم والنون والواو والياء. وتناول الخطاط الأطراف بالتطويل والتقويس ، وجعلها تنعطف يمنة أو يسرة ، حتى

(١) كان من المعتقد في تلك العصور أن لبعض الكلمات والجمال ، وخاصة القرآنية ، مفعولاً سحرياً. ولعل هذا الاعتقاد كان يدفع الخطاط إلى إبراز هذه الكلمات والعناية بزخرفها. والذي لا شك فيه أن تسجيل الآيات القرآنية كان يثير همة الخطاط في تجويد الخط وتزويقه.

تصل إلى مستوى الحروف المنتصبة. وصاغ الخطاط حروفاً، مثل الهاء المنتهية: فى هيئة رؤوس الطيور، وأخرى مثل أطراف الجيم والذال، فى هيئة رقابها، شكل (٣٩ ح) ^(١).

وأدخل الخطاط أشكالاً زخرفية على جسد الحرف نفسه، وأهمها الحنية، وهى التى تفصل بين تقويس أطراف بعض الحروف، مثل الراء والميم والنون والواو: وبين انتصاب الغصن منها، شكل (٣٨ ح). ومنها العروة، وخاصة فى حرف ا لهاء المنبتة والمتوسط، شكل (٣٩ أ) ومنها التعانق، وخاصة فى حرف لا، شكل (٣٨ د)، وظهرت منها نماذج بديعة زادهما التماثل إبداعاً. وهذا التعانق متصل بأشكال العروة، وقد أطلق عليه اسم الكوفى المعشق، أو الكوفى المضفر، ولا يصح اعتباره نوعاً من الخط قائماً بذاته، ولا عنصراً من الأسلوب المزهر. إذ إن العروة والتعانق كانا معروفين منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)، وتطورت أشكالها مع التزهير، مثلما تطورت حروف أخرى.

لقى الخط الكوفى المزهر فى العصر الفاطمى رواجاً متسعاً فى المجموعات الزخرفية ولم تخل مجموعة واحدة من المجموعات التى خلفت من مساجد القاهرة ومشاهدها فى ذلك العصر من نماذج منه، وفيرة عدداً، بديعة مظهراً، ولا شك فى أن مجموعة مسجد الحاكم هى أكثر هذه المجموعات تنوعاً وإبداعاً.

نلقى فى مسجد الحاكم أنواعاً كثيرة من أشكال الحروف المزهرة التى أشرت إليها، اللوحات (٧٧ إلى ٧٩). ونلقى فيه بصفة خاصة تعبيرين تنوعت تشكيلاتهما. أولهما الورقة المجنحة، وهى ورقة مدببة من خمس شحمات، أو سعفة نخيلية، تتفرع من ساق ينبت فى مواضع من رأس حرف العين أو الواو، وتنقسم نصفين، على هيئة جناحين، يمتد أحدهما عن يمين الساق والآخر عن يساره، شكل (٣٩ ب). وقد تطورت أشكال هذه الورقة المجنحة، فنجد طرفى الجناحين المدببين، قد استدارا فى موضع، واتخذتا شكل وريقة، وأصبح كل جناح يتكون من وريقتين، شكل (٣٩ ح)، وفى موضع آخر تفرع الساق إلى ساقين امتدا كالجناحين كذلك، ولكن الأيمن منهما انتهى بشكل نصف الورقة التقليدية، وانتهى الأيسر بورقة مقسومة إلى نصفين. وفى موضع ثالث امتد الجناحان يميناً ويسرة، ونبعت من نقطة التقائهما وريقة ثالثة مدببة من غير شحمات. وتفصح هذه التشكيلات عن خاصية من خصائص الزخرفة الإسلامية عامة، وهى التنوع فى التماثل.

(١) لا تقتصر «العروة» على حرف الهاء، بل قد تتوسط انتصاب الحرف، كما هو موضح فى الشكل، وأساس تركيبها أنها تمر مرة من فوق قوس ومرة من تحته، وتكون شريطاً يظهر مرتين أو ثلاث مرات فوق العروة، ومثلها تحته.

أما التعبير الثانى، فقد تنوعت تشكيلاته تنوعاً كبيراً، وهو الباقة الزهرية، وهى التى ترسم غصناً، على هيئة حلقة، تنبت وريقات من جانبيه وينتهى بورقة من ثلاث أو خمس شحومات تنتصب فى جوف الحلقة وتملؤها، شكل (٣٩ د). وتشكيلات الباقات فى مسجد الحاكم فيها أنواع مبسطة، وأخرى مركبة، تعددت فروعها ووريقاتها، أو اتسعت حلقاتها وانبسطت وريقاتها، وازداد عدد شحوماتها. والباقيات هى العنصر الواضح للتمييز بين الخط النورق والخط المزهري. ولعل المجموعة المتنوعة فى مسجد الحاكم، شكل (٣٩ هـ) اتخذت نماذج للخطوط من بعده. ثم إن هذه الباقات تطورت تطوراً كبيراً فى نوع آخر من هذا الخط المزهري سأشير إليه بعد قليل شكل (٤١).

وفى مسجد الحاكم كذلك، على واجهات مئذنتيه، إفريزان بديعان من الخط الكوفى المزهري، تعددت فيهما أشكال الباقات وتنوعت حركاتها وتموجاتها لوحة رقم (٧٩). ولكن الذى يجعل لهذين الإفريزين، بالإضافة إلى إبداع هذه الباقات، مكانة فريدة فى العالم الإسلامى من بين مجموعات الخطوط الكوفية المنحوتة على الحجارة، بل والمحفورة فى الجص كذلك، هو أجساد الحروف نفسها وسلاستها واعتدال أقسامها، إذ انتصبت الحروف فى هذين الإفريزين فى رقة فائقة، وفى قوام مشوق، قل أن نلقى نظيره، فى غير هذين الموضعين من الآثار. لقد قيل: إن فخر العصر القاطمى فى زخارفه، وليس من المغالاة أن يقال إن فخر الخط الكوفى فى هاتين المجموعتين^(١)، لوحة رقم (٧٩).



شكل (٤٠) - أنموذج من تطور الخط الكوفى المزهري (من رسم المؤلف)

بلغ الخط الكوفى المزهري غايته حينما اتحدت الحروف بالأغصان، وانسبكت فيها، واتخذت معها مظهراً يعبر عن الوحدة والتكامل. تبدو الحروف مع الأغصان فى هذه الوحدة، يانعة، تتهاذى فى سيرها، وتتناثر الوريقات من حولها، وتتراوح وتتموج كأنما يهزها النسيم. فانطبق عليها القول «خيل إنها تتحرك وهى ساكنة»^(٢). وهكذا أصبحت الكتابة العربية بحق

(١) انظر صفحة ٨٥ فيما سبق، وفيها ترجمة لتقدير (قلورى) عن إبداع الإزار الخطى للمئذنة الشمالية من مسجد الحاكم.

(٢) انظر صفحة ١٥ من الجزء السابع من كتاب «نهاية الأرب فى فنون الأدب»، مؤلفه النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، المتوفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).

زخرفاً فائقاً، شكل (٤٠)، وامتدت كالستائر الثمينة الغالية، المتدلّية على الواجهات في الأعياد، أو كأنها مواكب فخيمة، تجتذب الناظر إليها، وتثير الروعة أمامها، من دقة الصناعة وإبداع المظهر.



شكل (٤١) - نوع من أنواع الخط الكوفي المزهر - رسم منقول عن قبة البهو في مسجد الأزهر (من رسم المؤلف)

وثمة نوع آخر من الكوفي المزهر ظهر في أواخر القرن الخامس (الحاي عشر الميلادي)، ويمتاز بأنه كتب على مستويين، مستوى الحروف العريضة البارزة، ومستوى الأرضية من ورائها التي تحتشد بالزخارف النباتية والباقات، مستقلة في رسومها وحركاتها عن الكتابة، مرتبطة بها في الوقت نفسه. وتظهر هذه التشكيلات الجديدة على الزخارف الجصية بصفة خاصة، مثل محراب الجيوشي، شكل (١٢)، وقبة البهو في الأزهر، شكل (٤١). وكان يراعى في هذا النوع أن تكون الباقات الزهرية رقيقة خفيفة المظهر والحركة، بقدر ما تكون الحروف شامخة ثابتة عليها وقد استمر هذا النوع الذي يجمع بين التزيين والتذهيب والتوشيع فترة طويلة امتدت في عصر المماليك. وكان قد بدأ على الحجارة في مسجد الحاكم وفي بعض شواهد القبور والأخشاب بصورة أخرى لم تتخذ فيها الزخارف النباتية أرضية، بل صيغت أشكالها على مستوى الحروف، إما مستقلة عنها، وإما متداخلة فيها، لوحة رقم (٧٨ د). وكذلك اتخذ نفس الأسلوب في الجص، كما يشاهد على نافذة في مسجد الصالح طلائع.

ومن أشكال الخط الكوفي نوع أطلق عليه اسم الكوفي المنحصر، وهو تعبير يقصد به أن الكتابة تنحصر بين شريط أو إطار زخرفي يحيط بها، أو يعلوها ويحددها. وأمثلة ذلك النوع عديدة في الآثار الفاطمية، وخاصة في المحاريب^(١). ومن أبداع النماذج المتخلفة منه الدائرة الزخرفية على بوابة مسجد الأقمر، شكل (١٤). ولا يعد هذا الأسلوب نوعاً قائماً بذاته من الخط الكوفي، وكان أول ظهوره في شواهد القبور، وفيها تظهر الزخارف مستقلة تماماً عن الكتابة، خارجة عن حدود حروفها، ولهذا فهي لا تعتبر خاصية من خواص الخط الكوفي المزهر.

(١) يلاحظ أن معظم النقوش الخطية تنحصر في إطارات مستطيلة وكانت هذه تقتصر في أغلب الأحيان على شريطين كل منهما على هيئة عصاة.

الأشكال المعمارية

هذه أنواع جديدة من الزخارف اختص بها الفن الإسلامى وكان لها فيه شأن كبير، وهى الزخارف المقتبسة من العناصر المعمارية والتي ظهرت فى العمارة الإسلامية بالديار المصرية مع العصر الفاطمى. وقد يعترض على ذلك بأنه ظهرت بالمسجد الطولونى شرفات وأشكال تيجان زخرفية، غير أن شرفات المسجد الطولونى ليست مقتبسة من أشكال معمارية فهى «غريبة المظهر.. وتظهر كأنها أجسام أقزام صفت متجاورة متشابكة الأذرع»^(١). أما التيجان فى ذلك المسجد فهى ليست زخرفة بالمعنى الصحيح وإنما هى جزء من «مجموعة معمارية منسقة»، وقد حليت بالزخارف مثلها مثل العقود فى ذلك المسجد^(٢).

أما فى العصر الفاطمى فقد انتشر اقتباس عناصر كثيرة من العمارة فى تشكيلات زخرفة العمارة نفسها، ومن ذلك الشرفات والتجاويف والعقود والأعمدة والمحاريب والمقرنصات والقباب، أو أنصاف القباب، والصنج، والإطارات والأفاريز.

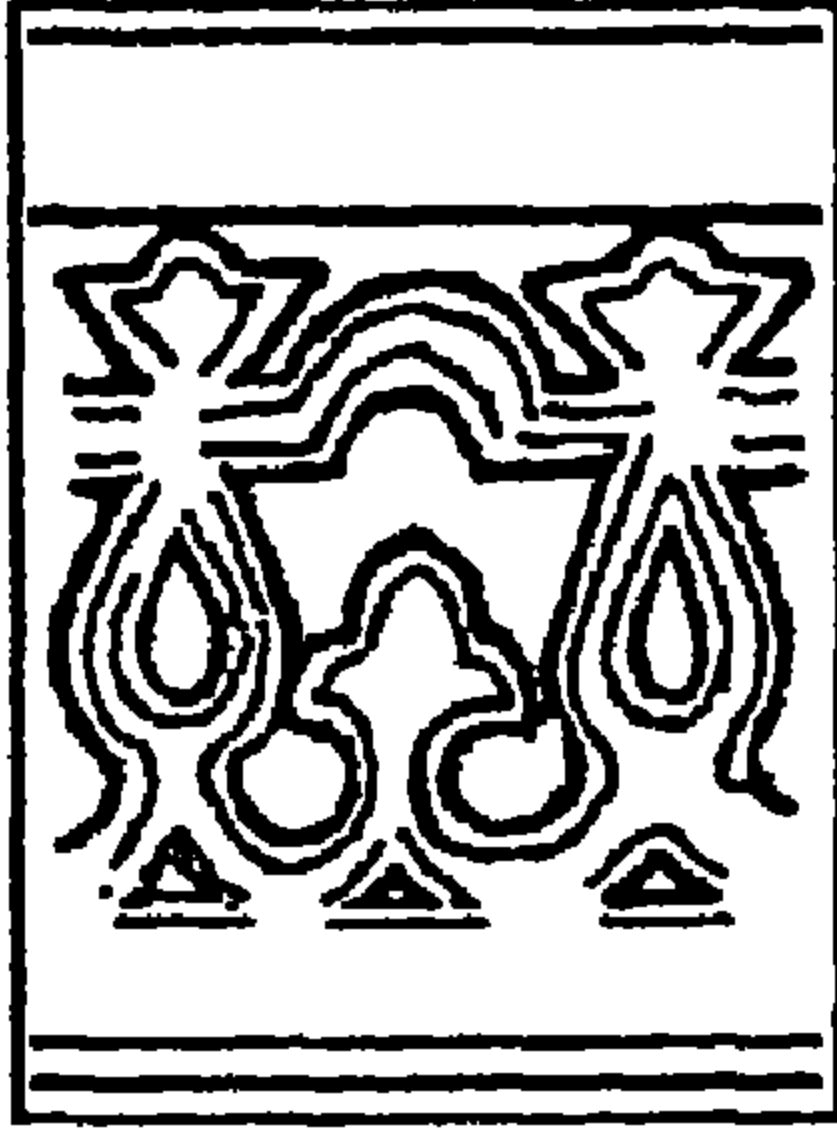
ولم يتخلف للأسف من الشرفات الفاطمية غير أجزاء فى مسجد الحاكم، لوحة رقم (٣٠ أ و ب). وهى تتكون من نوعين: نوع تتشابه فيه أشكال العقود على هيئة دوائر متماثلة، ونوع رصت فيه قطع الآجر على هيئة مدرج هرمى من خمس درجات. ويلاحظ فى هذا النوع الأخير أنه فتحت فى منتصف الشكل الهرمى فتحة على هيئة طاقة نافذة تنتهى بعقد منفرج^(٣).

وامتدت على إفريز من مثذنة الحاكم الغربية نقش على هيئة شرفات من نوع آخر نسقت فيه سيقان وأوراق نباتية فى أشكال هندسية متشابكة شكل (٤٢)، لوحة رقم (٧٢ أ).

(١) انظر شكل (٥٢) من «المدخل».

(٢) انظر شكل (٦٩) (صحه ٦١) من «المدخل».

(٣) هل كانت هذه الشرفات شبيهة بتلك التى كانت تحيط بصحن المسجد النبوى إذ كتب السهوى أن عمر بن عبد العزيز كان أول من أحدث المحراب والشرفات فى المسجد النبوى وأضاف أن «الشرفات ما على ما أحاط بجدران صحن المسجد من جوانبه الأربعة وبينها فرج شبه طاقات الشباك». انظر صفحة ٣٧٢ من الجزء الأول من كتاب «وفاء الوفى بأخبار دار المصطفى» لمؤلفه السهوى (نور الدين على بن احمد، المتوفى سنة ٩١١هـ / ١٥٠٦م جزءان. مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٩م).



وظهرت التجاويف، الشبيهة بالطاقات المتراجعة، على بوابة الحاكم وعلى واجهتي مسجدى الأقمر والصالح طلائع. وهى تجاويف يظهر قاع البعض منها مسطحاً، ويظهر قاع البعض الآخر غائراً مقوساً، وقد احتلتها أنواع أخرى من الزخارف، فيما عدا البعض منها الذى يظهر فى الأجزاء المجددة من واجهة هذا المسجد الأخير.

أما أشكال العقود فقد تنوعت منها شكل العقد المقوس،

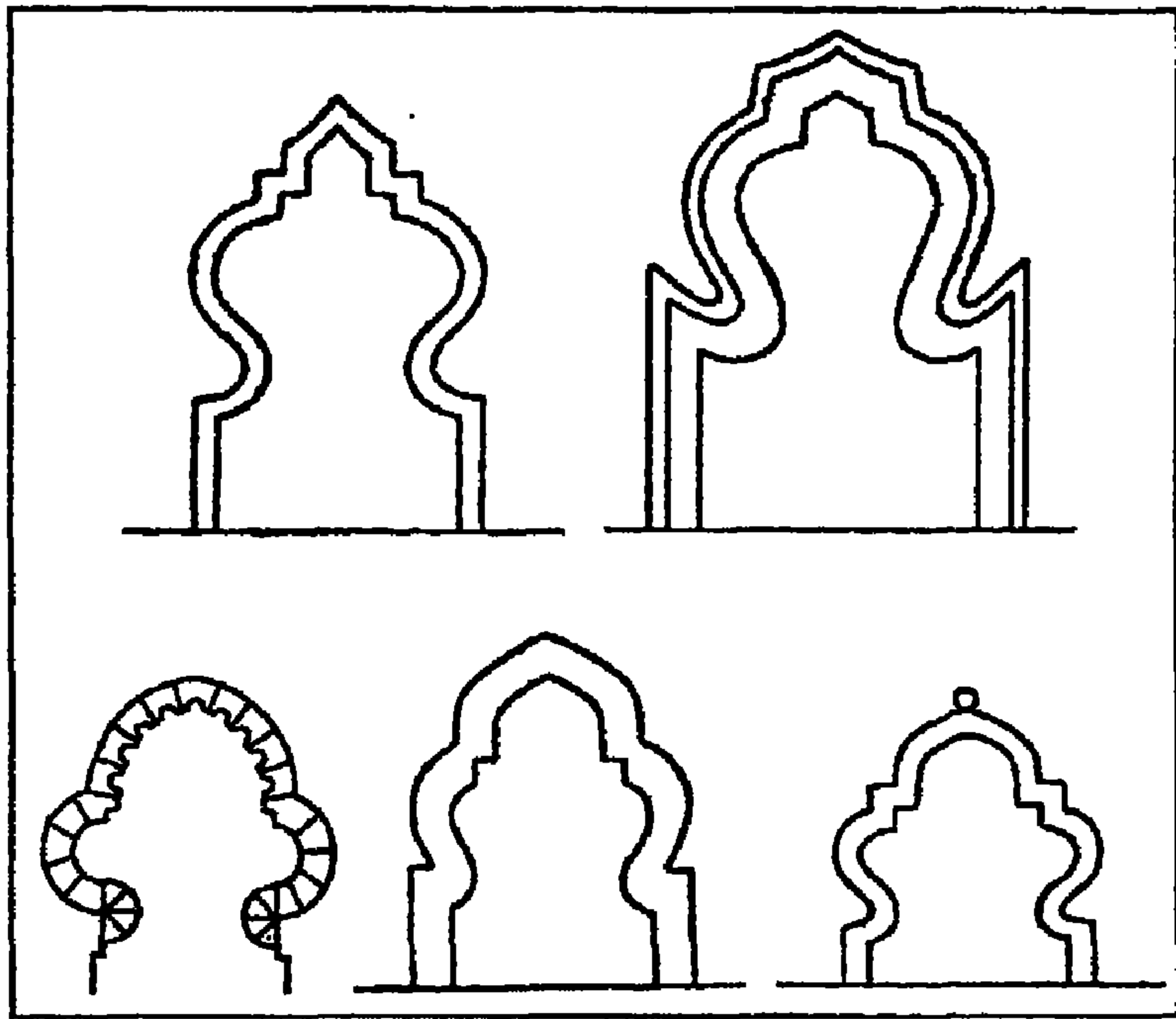
شكل (٤٢) - نقش على هيئة شرفات تمتد على إفريز من المئذنة الغربية لمسجد الحاكم

ويشاهد فى أشكال الطاقات الصماء الزخرفية فيما بين بعض عقود الأسكوب الخامس، فى نهاية بيت الصلاة بالأزهر. ومنها العقود المدببة، وهى منتشرة فى مواضع كثيرة، وخاصة فى أشكال المحاريب، ومنها العقود المنفرجة وتشاهد بصفة خاصة فى الطاقات الصماء المقامة بين العقود على واجهات الصحن فى مسجدى الأزهر والصالح طلائع، ومنها العقود المقصوفة التى تتناوب فتحاتها مع شكل زاوية حادة، ومنها العقود المتقابلة التى تظهر فى مسجد الأقمر وفى عقود المحاريب والمقرنصات. ومنها العقود ثلاثية الفتحات التى تتكون من عقد مدبب يتكئ على طرفى عقدين، بعد أن يرسم خطين متقابلين فى زاوية قائمة، وتشاهد أمثلة من هذه العقود فى مسجد السيدة رقية ومشهد عاتكة والجعفرى. ومنها أخيراً شكل من العقود المشتق من الشكل الثلاثى الفتحات والذى انتشرت أشكاله فى العمارة الفاطمية.

يتكون هذا الشكل من رأس عقد مدبب أو منفرج يتكئ على طرفى عقدين منقوخين، ويتصل بهما بخطين يرسمان كذلك زاوية حادة. وقد تنوعت أشكال هذا العقد المركب، ورسمت رأسه أحياناً عقداً منقوخاً، وانبعجت أحياناً أخرى طرفاه، ثم تقوست لترسم انبعاجاً آخر عكسياً، شكل (٤٣). وقد ظهر هذا الشكل فى مئذنة الحاكم وعلى بوابة زويلة، وعلى واجهة بلاطة المحراب فى صحن الأزهر، وعلى الواجهة الشمالية فى الصالح طلائع، وعلى نوافذ قبة السيدة رقية، وعلى الباب الأخضر من المشهد الحسينى. وتكونت منه مجموعة من ستة عقود مركبة أحاطت بداخل قبة البهو فى المسجد الأزهر لوحة رقم (١٨).

وكانت هذه العقود المركبة معروفة كأشكال زخرفية فى القيروان، رسمت على لوحة بجوار المحراب، من سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م، كما أنها تشاهد فى رسم طاقة من الطاقات الخارجية فى قبة البهو بمسجد الزيتونة بتونس وهى التى أقيمت فى سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م، لوحة رقم (٦٢ ب)، وكانت تشاهد كذلك فى غيرها من آثار المغرب والأندلس قبل رسمها على باب زويلة وداخل قبة الأزهر.

أما المحاريب فإن أشكالها اتخذت زخرفاً في مواضع كثيرة من عمارة المسجد، داخلها وخارجها. ولعل أجمل هذه الأشكال تلك التي مازالت تشاهد على واجهة مسجد الأقمر، على جانبي البوابة لوحة رقم (٤٣) وعلى طرف من القسم العلوي الشرقي للواجهة، لوحة رقم (٤٥ ب)، وكانت توجد على شكل هذا المحراب الأخير لوحات أخرى على الواجهة، ولكنها تآكلت. وما يزيد في روعة هذا الشكل أنه تدلت من رأس المحراب فيه صورة على هيئة مشكاة، وأنه يجرى فوقه إطار من الخط الكوفي المبسط كتب عليه «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، وحليت طاقة المحراب بزخارف من سيقان يرسم تشابكها نجمة من ستة أطراف، وأحاط بالمحراب إطار من حلقة ممتدة من الزخارف النباتية المتماثلة.



شكل (٤٣) — أشكال مختلفة من العقود الفاطمية الزخرفية ذات الفتحات الثلاثة (من رسم المؤلف)

وعلى واجهة الأقمر أيضاً اتخذت من الأعمدة أشكالاً زخرفية. وتشاهد الأعمدة في شكل هذا المحراب الأخير تتكون من خطوط حلزونية تنتهي في كل من طرفي العمودين بحلقتين، أما تاج العمود وقاعدته فقد رسما على هيئة ورقتين ممتدتين. ولكن الأعمدة ترى على أشكالها، مصغرة مجسمة، في المحرابين القائمين على جانبي البوابة، وفي الطاقات العليا المحيطة بالصحن وبجدران بيت الصلاة الداخلية في مسجد الصالح طلائع. وقد اتخذ كل من هذه الأعمدة تاجاً ناقوسياً، وقاعدة ناقوسية مقلوبة، مما يشعر بأن هذه التيجان والقواعد كانت

منتشرة فى العمارة الفاطمية، لا على هذه الهيئة الزخرفية فحسب، بل كعناصر معمارية. وهذا القاج الناقوسى يمثل مرحلة تطور للقاج الذى كان ممثلاً فى دعائم المسجد الطولونى.

وانتشرت أشكال الطاقات المحارية، التى تمثل أنصاف قباب مضلعة أو أشكال عقود مقصوفة. وتشاهد أمثلة بديعة منها على واجهتى الأقمر والأصالح طلائع، وخاصة تلك التى تتوج بوابة الأقمر وتنتهى ضلوع نصف القبة هذه بأشكال عقود مصفرة ثلاثية الفتحات. وتشع هذه الضلوع من دائرة كبرى داخلية تتكون من ثلاث حلقات، لوحة رقم (٤٣) امتدت على الحلقة الأولى والأخيرة منها زخارف نباتية ونقشت على الحلقة الوسطى بالخط الكوفى، وبالنحت المفرغ الآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُتُبَهُمْ ﴾ سورة الأحزاب الآية ٣٣. ويتوسط الدائرة لفظاً «محمد وعلى» منقوشين بالخط الكوفى وبالنحت المفرغ كذلك. هذا وتشاهد أشكال المحاريب والأعمدة والطاقات المحارية فى زخرفة قباب القيروان والزيتونة وغيرها من آثار بلاد المغرب والأندلس، كما تشاهد فى زخرفة المسجد الطولونى.

وتنتهى الضلوع فى أنصاف القباب الأخرى بأشكال المقرنصات، وهى التى انتشرت انتشاراً واسعاً فى الزخرفة الفاطمية، وكان لها شأن كبير فى العمارة الإسلامية ببلاد المغرب وصقلية والأندلس، ثم فى عمارة القاهرة فى العصور التالية. ومما لا شك فيه أن القاهرة كانت فى هذه المرة مصدر الإيحاء لهذه الأشكال الزخرفية، ولو أنها ظهرت فى تلك البلاد فى نفس الوقت تقريباً التى ظهرت فيه فى مسجد الأقمر^(١). غير أنها تظهر فى المسجد بشكل عام ومتطور يؤكد أن أمثلة أخرى كانت قائمة من قبلها فى آثار قاهرة اندثرت. وإذا كانت المقرنصات على واجهة الأقمر تعتبر أقدم أمثلة معروفة فى تاريخ العمارة، فهى لا شك ليست أول أمثلة استخدامها العمارة الإسلامية، ولا شك كذلك فى أن ابتكارها قد حدث فى القاهرة قبل بداية القرن السادس (الثانى عشر الميلادى) بسنوات طويلة.

وقد ظهرت على واجهة الأقمر وحدها أربعة أشكال مختلفة من المقرنصات الزخرفية. أكثرها شهرة هو ذلك المقرنص القائم على الشطف بين الواجهتين الشرقية والشمالية. وهو فى هذا الوضع يتخذ وظيفة معمارية بالإضافة إلى مظهره الزخرفى^(٢)، لوحة رقم (٤٦). والشكل

(١) أقدم مثال معروف للمقرنصات المعمارية الزخرفية فى تلك البلاد يظهر فى مسجد تلمسان بالجزائر، الذى تم بناؤه سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٦م، أى بعد إحدى عشرة سنة من بناء مسجد الأقمر. انظر صفحة ١١٣ وشكل (٩٦) من كتاب «القائيات الإسلامية» للمؤلف؛ وصفحة ١٩٢ وما يليها و ٢٣٧ - ٢٣٨ من كتاب (مارسيه) «العمارة الإسلامية فى الغرب».

(٢) من المستبعد أن يكون الشطف الذى أجرى فى ركن الجدارين من الأقصر قد أعد خصيصاً لإبراز الناحية الزخرفية لهذا المقرنص. إذ إن مثل هذا الشطف كان يعمل فى أركان المباني التى تقع عند انعطاف الطرق فى المدن العربية، حتى يسهل انعطاف الدواب المحملة بالأتقال ولا تحتك حمولتها بالأركان الحادة للجدران.

الثاني يتكون من مقرنصين صغيرين منفردين يقع كل منهما تحت منبت العقد المقرنص إلى يسار الواجهة، لوحة رقم (٤٥ أ). ويتكون من هذا العقد شكل ثالث يدور حوله صفان متدرجان من أشكال المقرنصات المصغرة، حفرت في كل منهما ثلاثة وعشرون مقرنصا. وفي واجهة الصالح طلائع شكل معادل لهذا العقد المقرنص تماما، غير أنه منفرج وليس مدبباً كما يبدو في الأقمر. كما أن على واجهة الصالح طلائع كذلك أمثلة أخرى تتكون من عقد مقرنص من صف واحد. أما الشكل الرابع من هذه المقرنصات الزخرفية فيظهر في كل من التجويفين الجانبيين لبوابة الأقمر، لوحة رقم (٤٤). وفيه صفت المقرنصات أفقيًا، لا دائريًا في أربعة صفوف، تتناوب منها مقرنصات صغيرة مع مقرنصات أصغر حجمًا منها في كل صف خمسة أو ستة منها، وتنحصر جميعًا في إطار مربع يحيط به شريط تمتد فيه خطوط زخرفية مجدولة.

وانتشرت أشكال العقود المقرنصة في عمارة القاهرة، وخاصة في زخرفة المحاريب وأكثر هذه العقود إبداعًا، هو مقرنص المحراب الوسيط في مسجد السيدة رقية، شكل (١٦). وفيه يلاحظ تطور العقد المقرنص في الأقمر. إذ إن عقد السيدة رقية يتكون من ثلاثة صفوف متدرجة أو ثلاث حطات، من المقرنصات، يقل حجمها ويزداد عددها في الصف الأول الداخلي، كما أنه في هذا الصف، تتناوب المقرنصات الصغيرة مع مقرنصات أصغر حجمًا منها، كما يشاهد في الأقمر.

وفي مسجد السيدة رقية عقود مقرنصة تتوج محاريبها الأربعة الأخرى ويشاهد فيها عقود من صف واحد من المقرنصات وأخرى مركبة من صفين متدرجين. وتشاهد مثل هذه العقود المقرنصة المركبة في محاريب أخرى فاطمية، مثل محاريب عاتكة والحصواتي ويحيى الشبيه. وفي محراب أم كلثوم ظهر شكل جديد، تتناول فيه أنصاف الدوائر مع الزوايا الحادة. وتظهر كذلك الإطارات المستطيلة في محراب السيدة رقية كما ظهرت في محراب الجيوشى وعلى واجهة الأقمر، وكما تظهر في محاريب الجعفرى وإخوة يوسف ومحراب الأفضل في المسجد الطولونى. وهذه الإطارات عناصر معمارية زخرفية معًا، وقد استخدمت أصلاً لتحديد معالم الأبواب والبوابات، مثلما يشاهد في باب مقصورة مسجد القيروان، وفي بوابة مسجد المهديّة، ومنها اشتقت لتحديد إطارات المحاريب. وقد استخدمت في أداة الوظيفتين، كما رأينا، في مساجد القاهرة الفاطمية. ويتبع هذه الإطارات عنصر معمارى آخر استخدم للزخرفة، وهو ما أطلقت عليه صفة القوالب. ووظيفة هذا العنصر المعمارية هو تحديد أجزاء البناء وطواقمه من الخارج. وهو عنصر قديم انتشر استخدامه وتعددت أشكاله في العمارة القديمة، خاصة العمارة

الإغريقية. واستخدم بصفة محدودة في العمارة الإسلامية واقتصرت أشكاله على قطاعات بسيطة. وقد ظهر أول ما ظهر بالقاهرة في مئذنتي الحاكم. ومعظم أشكاله ترسم أنصاف دوائر أسطوانية، تبدو كأنصاف العصي. وأحاطت بهذه العصي من كل جانب، في واجهة الأقمر، شرائط رفيعة يرسم قطاعها نصف مربع، وتنوعت بعض الشيء أشكال هذه القوالب في مئذنتي الحاكم شكل (٩ و ١٠).

وأخيرا ظهر في عمارة القاهرة الفاطمية ذلك العنصر المعماري الزخرفي الذي أشرت إليه فيما سبق، وهو عنصر الصنج المعشقة، وأشرت إلى أهمية ابتكاره في العمارة الإسلامية^(١).

وقد كان لهذا العنصر وظيفة معمارية محددة، ولكن أشكاله تنوعت وتطورت في العصور التالية بحيث أصبحت أهميته الزخرفية تفوق أهميته المعمارية. كان شكل هذه الصنج في بوابة النصر يقتصر على خطوط رأسية مائلة متدرجة، وكان هذا أقدم مثل معروف لهذه الصنج في العمارة الإسلامية. ثم تحول هذا الشكل في بوابة الفتوح وفي مسجد الأقمر والصالح طلائع، في عتبات الأبواب، واتخذ شكلا يتكوّن من نصف دائرة عكسيتين يربطهما خط قصير مستقيم. وتقتصر الصنجة على ثلاثة أنصاف دوائر، اثنتان في اتجاه وواحد في الاتجاه العكسي، شكل (٢٦).



(١) انظر صفحة ١٥١ وما يليها فيما سبق.

خاتمة

حاولت فى الفصل الثانى من «المدخل» أن أوضح المبادئ الرئيسية لدراسات الآثار العربية الإسلامية^(١). ويبدو لى أن النتائج التى أسفرت عنها دراسات آثار القاهرة فى العصر الفاطمى تؤيد الآراء التى أبديتها فى إيضاح هذه المبادئ. ومن ذلك مثلاً العقد المنفرج الذى ظهر أول ما ظهر فى العمارة الفاطمية، والذى أثبتت الأبحاث الأثرية أنه لا يمت بصلة إلى «العقد الفارسي» المزعوم. إذ إن هذا العقد الأخير لاحق، لا سابق، للعقد الفاطمى. وهذا يؤيد نظيرتى فى دراسة الأصول والمصادر. وكذلك تؤيدها الدراسات التى أجريتها وأجراها غيرى من علماء الآثار عن بلاطة المحراب فى المسجد الأزهر، وعن الزعم بأن مصدرها يرجع إلى فناء الكنائس البازيليكية أو قاعات الاستقبال فى القصور الرومانية.

وفى آثار القاهرة الفاطمية عناصر عديدة، تخطيطية ومعمارية وزخرفية، تؤيد نظرية الاستنباط وهى التى تحدد المبدأ الثانى من مبادئ الآثار العربية الإسلامية. وكان (هوتكور) يظن أن آثار القاهرة الفاطمية تفصح عن مصادرها «القبطية والسورية والبيزنطية والميزوبوتامية والفارسية والمغربية»^(٢)، وقد ذهب (فييت) فى نفس الكتاب إلى ما ذهب إليه زميله وادعى أن للمصادر البيزنطية والفارسية أثراً فى تطور الزخارف الفاطمية^(٣). ولكن (هوتكور) لم يستطع أن ينكر مقدرة البناء والفنان العربى على تحويل الأشكال، وقوته فى الاستنباط الفكرى^(٤). والواقع أن تلك المصادر المزعومة، التى كان بعضها ملموساً فى العصر الطولونى، قد تلاشت فى العصر الفاطمى، ولم يعد لها مظهرٌ أو أثر. ومن ذلك القباب والمقرنصات، فقد اختفت تماماً مظاهر مصادرها الفارسية، وبدت فى عمارة القاهرة ابتكارات أصيلة. ومن ذلك المآذن، توارت مصادرها السورية، وانتصبت فى مساجد القاهرة فريدة البناء والمظهر. ومن ذلك زخرفة التوريق، ذبلت

(١) انظر «المدخل».

(٢) انظر صفحة ٢٥١ من كتاب «مساجد القاهرة».

(٣) انظر صفحة ١٦٢ من كتاب «مساجد القاهرة».

(٤) انظر شرحه، صفحة ٢٥١.

أزهارها القبطية والبيزنطية، وأينعت أوراقها وثمارها العربية. وقد استعرضت من خصائص العناصر المعمارية ومميزات الزخارف ما لم يكن له نظير أو شبيه فى الفنون السابقة للإسلام، وما اشتق أصالته من القوة الخلاقة فى الاستنباط الفكرى عند البناء والقنان العربى من جهة، ومن مسيرته، من جهة أخرى، للتطور الطبيعى وتأثره بازدهار الحياة الاجتماعية والسياسية.

وتبعاً لنظرية التطور هذه، وهى التى جعلت منها المبدأ الثالث من مبادئ الآثار العربية الإسلامية، ظهرت فى عمارة القاهرة الفاطمية وزخارفها عناصر أصيلة مبتكرة، مثل العقد المنفرج والمقرنصات والصنج المعشقة وتعدد المحاريب وتطور أشكالها، ومثل أشكال التوريق والتوشيح العربى والكوفى المزهر، وغيرها مما أوضحت أصوله وتكوينه فى الفصول السابقة.

وآثار القاهرة الفاطمية برهان قوى على صحة المبدأ الرابع من المبادئ التى أشير إليها هنا، وهو الوحدة العربية. فقد تردد ذكر بلاد المغرب مراراً فى صفحات هذا الكتاب.

وبلاد المغرب بلاد عربية نشأت فيها تلك الأسرة الحاكمة التى قدمت إلى الديار المصرية وأنشأت فيها القاهرة، واستقدمت معها من تلك البلاد عناصر فنية لم تكن غريبة فى كيانها ومظاهرها عن أهل هذه الديار ورجال البناء والفن فيها، فاندمجت فى التقاليد الفنية التى كانت متبعة فيها من قبل، واتبعت مسيرتها التطورى الطبيعى، مندفعة بروح واحدة، مستظلة بقومية واحدة معبرة عن الشاعر نفسها.

بهذا كله امتازت آثار القاهرة فى العصر الفاطمى، وانطبعت عليها صورة من فيض الحياة فيه بالثراء والنعيم، وارتقاء التفكير فيه وارتقاء جمع بين الحقيقة والخيال، وهى أسباب الازدهار الفنى الذى استعرضنا آثاره فى هذا الجزء الأول، والتى ستمتد حلقاته فى العصر التالى، العصر الأيوبي، وهو موضوع الجزء الثانى من هذا الكتاب.



الكشافات

١- الأعلام

(أ)

إبراهيم «عليه السلام» ٣٦

إبراهيم بن الأغلب ١٢١

إبراهيم بن اليسع بن العيص ٣٦

إبراهيم «بك» ٤٦

أحمد بن طولون ٣٥، ١١٣، ١١٤، ١١٥

١٢٩، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٣، ١٥٢، ١٥٥

١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٧١، ١٨٠، ١٨٣

١٨٤، ١٨٧

أحمد بن عبد الوهاب «النويري» ١٧٨

أحمد بن علي بن عبد القادر «تقي الدين

المقريزي» ٧

أحمد بن عمر ١١٨

أحمد فكري ٣، ٦٣، ٧٠، ١٠٤، ١١٣

١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢١

١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٦

١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨

١٤٩، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠

١٦٨، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨

١٨٥

أحمد محمد عيسى ١٥

أحمد بن محمد ١٢٠

أحمد بن يحيى بن جابر ١١٧

أسد الدين شيركوه ٩

آغا السلحدار ٨٩

الأغلب ١٤٧، ١٤٨

الأفضل بن بدر الجمالي ٩، ١٤٦

الأفضل شاهنشاه ٣٠، ١٤٣

آقيفا «علاء الدين» ٤٦

الأقمر ٣٠، ٨١، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢

٩٣، ٩٤، ١١٣، ١١٤، ١٢٥، ١٢٨

١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤

١٤٥، ١٤٦، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٧٩

١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥

الأكمل «كتيفات» بن الأفضل ٩، ١٨٤

أم العزيز ٣١

الامر بأحكام الله ٩، ١٨، ٤٢، ٨٨، ٩٥

٩٦، ١٢٩

الأمرية ٩٥

أنلار ٢٩، ٣٠

أنوتشتكين «أبو منصور» ١٢٩

أولر ١٤

ابن إياس ٤١، ٤٥

آيبك التركمانى «المعز» ٣٢، ١٠١

(ب)

بتلر ١٤٦

البخارى ١٢٧

بدر الجمالى ٩، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٥

٦١، ٧٠، ٧٩، ٨٤، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٦

برجوان ٢٤

برشم ٢٧، ٢٨، ٤٤، ٨٣، ١٣٩، ١٤٠

١٧٣

برقوق ٣٣، ٨٨

بريجز ١٤١

بكتمر «سيف الدين» ١٠١

البلاذرى ١١٧

بلال ١٢٧

بوتى ١٧، ٩٦، ١٠٣، ١٠٩، ١٢٣، ١٢٤،

١٢٥، ١٥٦، ١٥٧

بيبرس الجاشنكير ٦٢، ٧٠، ٧٢، ٧٤،

١٤٨، ١٥١.

بيبرس «الظاهر» ٤٢

(ت)

تاج الدين ابن شكر ٦٢

أبو تراب ٩٥

ابن تغرى بردى ٨، ٤١، ١٠٢

توفيق «الخدوي» ٤٧

(ث)

(ج)

الجيرتى ٤١، ٤٥، ٤٦، ٨٩

ابن جبير ١١٨، ١٢٠

جروهمان ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥

الجعفرى ١٢٩، ١٤٤، ١٤٨، ١٨١، ١٨٤

جفنسكى «شترز» ١٧٣

جورج ١٧٣

جوهر الصقلى ٧، ٩، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦،

٤١، ٤٩، ٥٣، ٦١، ١٣٣

جوهر القنقباثى ٢٤، ٤٤

الجيوشى ٣٠، ٣٨، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥،

٨٦، ٨٧، ٩٣، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٣،

١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦،

١٤٨، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٨، ١٦٤، ١٧٩،

١٨٤

(ح)

الحافظ لدين الله ٩، ٤٢، ٤٧، ٤٩، ٥٠،

٥٣، ٥٤، ٥٧، ١٢٦، ١٤٠

الحاكم بأمر الله ٩، ١٧، ١٨، ٣٢، ٣٣،

٤١، ٤٢، ٥٤، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣،

٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧١، ٧٢،

٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩،

١١٣، ١١٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٣،

١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٥،

١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١،

١٥٢، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١،

١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩،

١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٥

حسن ١٢٤، ١٢٥

أبو الحسن بن الفاضلى ٩٥

حسن بن محمد بن قلاوون ٦٢

حسن (الناصر) ٦٢

أبو الحسن مكنون ٩٥

حسن هوارى ١٥٦

حسين راشد ١٥٦

الحسين بن على ١٠١، ١٢٩

الحسين بن المغربى «أبو القاسم» ٣٣

حسين نصار ١١٨

الحصواتى ٣٦، ١٢٩، ١٤٤، ١٤٨.

حيدر بن أبى الفتح ٩٥.

(خ)

خسرو «ناصر» ١٠، ١١، ٣١، ١٥.

أبو الخير «الكلبياتى» ٣٢.

(د)

ابن دقماق ٣٤.

أبو دلف ١٢٣.

ده خوخه ١١٨.

ديماند ١٥، ١٧، ١٨، ١٥٦.

(ذ)

(ر)

راشدة ٣٠.

رافيس ٧.

ابن رسته ١١٧، ١١٨،

السيدة رقية ١٨، ٣٠، ٣٧، ٣٨، ٨١، ٨٣،

٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١١٣،

١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٨،

١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٧،

١٥٩، ١٦٤، ١٦٧، ١٨١، ١٨٤.

رونار ١٧٠.

ريفويرا ١٤١.

(ز)

ابن زبالة ١١٨

زكي محمد حسن ١٥، ١٦، ١٧.

زياد بن ابيه ١١٧.

زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ١٢١،

١٢٢، ١٥٦.

زينب «السيدة» ٣٤.

(س)

سانت آن ١٧.

سبع بنات ١٤٨، ١٤٩.

ست القصور ٩٥.

السخاوي ١٠٢.

سعاد ماهر ١٤٠.

سعد «فنان» ١٥.

سلادان ١٣٩، ١٤٠.

سلار ٤٤.

سليمان أغا السلحدار ٨٩.

السمهودي ١١٨، ١٢٠، ١٨٠.

سوفاجيه ٤١، ٤٢، ١١٧، ١١٨، ١١٩،

١٢٠، ١٢١.

السيد محمود عبد العزيز سالم ١٥٠.

سيف الدين «يكتمر» ١٠١.

السيوطي ٤١.

(ش)

أبو شامة ١٢.

شاوور ١١، ٣٠.

شترز جفسكي ١٧٣.

الشرقاوي ٤٦.

شلومبرجر ١١.

شمس الدين ١٠٢.

شيخ «الملك المؤيد» ٢٩.

(ص)

الصالح «طلائع» ٢٤، ٣٠، ٨١، ٨٣، ١٠١،

١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧،

١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١٢٥،

١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦،

١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٤،

١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥.

صلاح الدين «يوسف بن أيوب» ٩، ١٢،

٣٠، ٤٢، ٦٢.

(ض)

ابن ضورة ١٢.

(ط)

الطبري ١١٨، ١٢١.

طلائع بن رزيك «الصالح» ٢٤، ٣٠، ٨١،

٨٣، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥،

١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٣، ١١٤،

١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦،

١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٤،

١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥.

ابن طولون ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣٦ ،
١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ،
١٨٧ .

الظافر بأمر الله ٩ ، ٢٤ ، ٣٠ .
الظاهر لإعزاز دين الله ٩ ، ٣٢ .

(ع)

عاتكة «رضى الله عنها» ٣٥ ، ١٢٩ ، ١٤٣ ،
١٤٨ ، ١٨١ ، ١٨٤ .

العاقد لدين الله ٩ ، ١١ ، ٣٠ .

عباس «الخديوى» ٤٦ ، ٤٧ .

عباس «الوزير» ٢٤ .

عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ١٢ .

عبد الرحمن بن حسين ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

عبد الرحمن كتخدا ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ .

عبد الرحيم بن على ١٢ .

ابن عبد الظاهر ١٠١ .

عبد الله بن على بن شكر ٦٢ .

عبد الله بن القاسم ٣٧ .

عثمان بن عفان ١١٩ .

العزیز بالله ٩ ، ١٠ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣١ ، ٤١ ،
٤٩ ، ٦١ .

عضد الله به الدين ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١٠١ .

عقبة بن نافع ١٢٢ .

علاء الدين آقبا ٤٦ .

على بن أبى طالب ٨٧ ، ٩٥ ، ١٠١ .

على بن أحمد ١١٨ ، ١٨٠ .

على بهجت ١٥ .

على بن الحسين «زين العابدين» ٣٧ .

على مبارك ٢٣ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٦٢ ،
٦٤ ، ١٠٢ .

عمر بن عبد العزيز ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٨٠ .

عمر مكرم ٦٢ ، ٦٤ .

عمرو بن العاص ١٢ ، ٣٠ ، ١١٣ ، ١٢٩ ،
١٣٦ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .

(غ)

الغزولى ١٦ .

أبو الغضنفر ٣٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ .

الغورى «قانسوه» ٤٥ ، ٤٦ .

(ف)

الفائز بنصر الله ٩ ، ٣٠ ، ١٠١ .

الفائزى الصالحى ٣٨ .

الفاضل «القاضى» ١٢ .

فان «برشم» ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٤ ، ٨٣ ، ١٣٩ ،
١٤٠ ، ١٧٣ .

فايل ١٥٦ .

فرج بن برقوق ٣٣ ، ١٨٠ .

فريد شافعى ١١٥ ، ١٧٠ .

فلورى ٤٩ ، ٥٤ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٨ .

فند ١٧١ .

فييت ١٦ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٩٦ ، ١٣٧ ،
١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٨٧ .

فييل ١٧ .

(ق)

أبو القاسم «الحسين بن المغربى» ٣٣ .

القاضى «الفاضل» ١٢ .

قانسوه «الغورى» ٤٥ ، ٤٦ .

قايتباى ٤٤ ، ٤٦ .

القضاعى ٣١ .

القلقشندى ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ،
٤٣ .

(ك)

الكامل «الملك» ٢٩.

كتخدا ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٢

كتيفات بن الأفضل «كفيقات» ٩.

ابن كرسون ٦٢.

كريسويل ٢٣، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥،

٣٦، ٤٩، ٥٧، ٦٤، ٧٨، ٧٩، ٨٣،

٨٤، ١٠٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٢٢،

١٣٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٦، ١٤٨،

١٥٦، ١٥٧، ١٥٩.

أم كلثوم ٣٤، ١٢٩، ١٨٤.

كومب ٣٦، ٤١، ٤٢، ٦١.

كونيل ١١٩، ١٦٤.

(ل)

لاجين «السلطان» ٧٠، ١٢٩، ١٤٣.

لامبير ١١٥

لين بول ١١.

(م)

مارسية ٣٣، ١١٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٧٢،

١٧٣.

ماسول ١٥.

ماسية ٨٤.

مأمون البطائجي ٩، ٣٤، ٨٨.

مايلز ١٢٧.

التوكل على الله ١٤١.

أبو المحاسن ٨، ٤١، ١٠٢.

محمد بن أحمد بن إياس ٤٥.

محمد أسعد أطلس ٣٢.

محمد بن جرير ١١٨.

محمد بن جعفر الصادق ٣٥.

محمد جمال الدين سرور ٧.

محمد حلمي محمد أحمد ١٢.

محمد بن عبد الرحمن ١٠٢.

محمد علي ٤٧.

محمد بن علي بن يوسف ٨٤.

محمد بن قلاوون ٤٤، ٤٦.

محمد مصطفى زيادة ١٢.

مروان بن الحكم ١١٩.

مري ١١.

المستعلي بالله ٩، ١٧، ٤٢، ٨٨.

المستنصر بالله ٩، ١٠، ١٦، ١٨، ٢٤، ٢٦،

٤٢، ٨٣، ٨٤، ١٢٠، ١٢٩، ١٤٣.

المستوعب ٣٢.

مسلم «فنان» ١٥.

المظفر بن أمير الجيوش ٢٤.

سيدي معاذ ٣٧، ٣٨.

معاوية بن أبي سفيان ٩٥، ١١٧، ١١٩.

المعتمد ١٤١.

المعز «آبيك» ٣٢، ١٠١.

المعز بن باديس ١١٩.

المعز لدين الله ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٧، ٢٥،

٣١، ٤١، ٤٢، ٥٢، ١٠١.

أبو منصور «أنوتشتكين» ١٢٩.

المهدي العباسي ١١٨، ١٢٠، ١٢١.

موفي الدين ١٤٨.

المؤيد ٢٣، ٢٩.

«الملك» المؤيد شيخ ٢٩.

ابن ميسر ٨٤.

(ن)

ناصر «خسرو» ١٠، ١١، ١٥، ٣٠، ٣١.

أبي نجاح الراهب ٩.

٢ - الأماكن الجغرافية

(أ)

- أبراج المهدية ١٢٩.
 - أثينا ١٧.
 - إسبانيا ١١٥ ، ١٣٤.
 - الإسكندرية ٤ ، ٨ ، ١٥.
 - أسوار بدر الجمالى ١٣٣.
 - أسوان ١٥٠.
 - آسيا ١٤٠ ، ١٧٢.
 - إشبيلية ١١٥.
 - أصفهان ١٤٠.
 - آلت ١٧.
 - أمريكا ١٧ ، ١٨.
 - أيدا ١٧٢.
 - الأندلس ٢٤ ، ٩٥ ، ١١٥ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٨٣ ، ١٨١ ، ١٧٣ ، ١٥٢.
 - أورانج ١٣٤.
 - أوربا ١٧ ، ١٨.
 - أورجند ١٤٠.
 - إيران ١٧٠.
 - إيطاليا ١٠٦ ، ١٣٤.
- (ب)
- باب الأخضر ١٨١.
 - باب الأزهر ١٥٧.
 - باب الأقمر ١٥٧ ، ١٨٤.
 - باب البحر ٣٠.
 - الباب البحرى ٤٤.
 - باب البرقية ٢٣ ، ٢٤.
 - باب جوهر ٢٤.
 - باب الخوخة ٢٣.

نجم الدين الأيوبي ٣٢.

نصيف الدولة أبو الحسن ٩٥.

ابن نعيم ٣٢.

نفيسة «السيدة» ١٨ ، ١٥٧.

النويرى ١٧٨.

(هـ)

- هشام بن عبد الملك ١٣٤.
- هوتكور ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٨٧.

(و)

- الوليد بن عبد الملك ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١.
- الوليد بن يزيد ١٥٦.
- وليام مارسية ١٧٣.
- وليم الصورى ١١١.

(ى)

- اليافعى ١٠.
- يحيى الخشاب ١٠.
- يحيى الشبيه ٣٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٨٤.
- يحيى بن القاسم ٣٧.
- يلبغا بن عبد الله السالى ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢.
- يوسف «سيدى» ٣٦ ، ٩١ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٨٤.
- يوسف بن أيوب ٩ ، ١٢ ، ٣٠ ، ٤٢.
- يوسف بن تغرى بردى ٨.
- يوسف بن عيد الهادى ٣٢.
- يونس «الشيخ» ٣٥ ، ٣٦ ، ٩١ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨.

باب زويلة ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٠١ ، ١٨١ ، ١٣٥

باب سعادة ٢٣ ، ٢٤

باب الشربة ٤٦

الباب الشمالى ٤٤

باب الصعايدة ٤٦

باب العتيق ٤٦

باب العيد ٢٤

باب الفتوح ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٦١ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٩١ ، ١٣٥ ، ١٨٥

باب الفرع ٢٣

باب القراطين ٢٣

باب القصر ١٣

باب الكبير ٤٦ ، ٤٧

باب المحروق ٢٣

باب المزينين ٤٦

باب الهدية ١٢٩

باب النصر ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٦١ ، ٩٢ ، ١٣٥

باريس ١٧

بخارى ١٤٠

برلين ١٧

بروكسل ١٧

البستان الكافورى ١٠

البصرة ١١٧

بغداد ٤

بولاق ٤٥ ، ٨٤ ، ١٢٠

بيروت ٣٢

بيزا ١٦

بين القصرين ٢٤

(ت)

تازا ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤

تربة بدر الدين الجمالى ٣٥

تركستان ١٧٣ ، ١٧٤

تلمسان ١٤٧ ، ١٨٣

تنمال ١٢٥

تونس ٢٩ ، ١٠٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨

١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٢

١٥٧ ، ١٧١ ، ١٨١

تيفودوريك ١٣٤

(ث)

(ج)

الجامع الأزهر ١٠ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٤١ ، ٤٢

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧

٦٢

جامع الأقمر ٨٨

جامع الأنوار ٣٠

جامع الحاكمى ٤٢ ، ٤٨ ، ٦٢

جامع الروضة ٨٤

الجامع الظافرى ٣٠

الجامع العتيق ١٢

جامع عمرو بن العاص ١٢ ، ٤٩

جامع الفكهانى ٣٠

جامع المقس ٤٨

جامع المقياس ٨٤

جامع المؤيد ٢٣

جامعة القاهرة ١١٥ ، ١٧٠

جبانة ٣٩

الجزائر ١٢٥ ، ١٨٣

جزيرة الروضة ٨٤

(ج)

حارة أرض الطبالة ٢٤

حارة الباطلية ٢٤

حارة البرقية ٢٤

حارة التبانة ٢٤

حارة الحيرة ١٣٤

حارة الجوزرية ٢٤

حارة الخرنفش «الخرنفش» ٢٤

حارة الديلم ٢٤

حارة الروم ٢٤

حارة اللوق ٢٤

حارة المحمودية ٢٤

حارة المقس ٢٤

حارة الوزيرية ٢٤

حارة اليانسية ٢٤

حارة برجوان ٢٤

حارة زويلة ٢٤

حارة كتامة ٢٤ ، ٤٧

الحسينة ٢٤

(خ)

خانقاة بيبرس ١٤٨

خانقاة فرج بن برقوق ٣٣

خزانة الشراب ١٢

خزانة الطعام ١٢

خزانة الكتب ١٢

خزانة الكسوة ١٢

(د)

دار الآثار العربية ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٦٢

دار الصالح طلائع بن رزيك ٢٤

دار العلم ٤٨

دار الكتب المصرية ٨

دار المظفر ٢٤

دار المعارف ١٥

دار عباس ٢٤

دجلة «نهر» ١٤١

دمشق ٣٢ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٦

دور الديباج ١٦

دور الطراز ١٦ ، ١٧

ديار بكر ١٧٢

دير سانت كاترين ١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٥٠

(ز)

(ر)

رأس الخليج ١٠

رافنا ١٣٤

رباط ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٤٥

رحبة باب العيد ٢٤

الرقعة ١٤٢ ، ١٤٣

رواق السنارية ٤٦ ، ٤٧

رواق الشرقاوية ٤٦

رواق عباس «الخديوى» ٤٧

رواق العباسى ٤٦ ، ٤٧

الروضة «جزيرة» ٨٤

(ز)

زاوية أبو الخير الكليباتى ٣٢

الزيتونة ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٦

١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٨١ ، ١٨٣

(س)

سارقيستان ١٤٧

سانراء ١٢٣ ، ١٤١

سانت آن ١٧

سفاقص ١٥١ ، ١٥٢

سورية ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٨٧

سوسة ١٠٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٢ .

سيناء ١٥٠ .

(ش)

الشام ٩ ، ٦٢ ، ١٢٩ .

(ص)

صقلية ١٨٣ .

الصلاحية ١٢ .

ضريح السيد الحسين ١٢٩ .

(ض)

ضريح السيد الحسين ١٢٩

ضريح يونس ٣٥

(ط)

طشقند ١٧١

(ظ)

(ع)

عتبة باب النصر ١٣٥

العراق ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣

عسقلان ١٠١ .

العسكر ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٢٣

(غ)

(ف)

فارس ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٧٣ .

فاس ١١٥ ، ١٢٥

الفرات ١٣٤ .

فرنسا ١٧ ، ٢٩ ، ١٣٤ .

القسطاط ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٣

١٧٣

فند ١٧١

فيروز آباد ١٤٧ .

الفيوم ١٥ .

(ق)

القاهرة ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ،

١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ،

٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ،

٤٧ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،

٦٩ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٢ ،

٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،

١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٤ ،

١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦٩ ،

١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ،

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .

قبر إبراهيم "عليه السلام" ٣٦ .

القبلة العتيقة ٥٣ ، ٥٤ .

قبة البهو ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ١١ ، ١٢٦ ،

١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٦٤ ، ١٧٩ ، ١٨١ .

قبة أبو الغنضفر ١٤٩ .

قبة الجعفرى ١٢٩ ، ١٤٨ ،

قبة الجيوشى ١٤٩ .

قبة الحافظ ٥٣

قبة القاهرة ٨ .

قبة المحراب ٥٠ ، ٦٧ ، ٦٨ .

قبة المسجد الأموى ١٢٦ .

قبة راقية ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،

قبة سبع بنات ٣٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .

قبة عاتكة ٣٧ ، ١٢٩ ، ١٤٨ .

قبة سيدى معاذ ٣٨ .

قبة يحيى الشبية ٣٧ ، ١٤٨ .

قبة يونس «الشيخ» ٣٦ ، ٣٧ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٨ .

قبوات السورية ١٤٦

قبوات الفاطمية ١٤٦

القرافة الصغرى ٩٥ .

القرافي الكبرى ٣١

قرطبة ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٤٧ .

قصر البحر ١٠ ،

قصر الجوهرة ١٠ .

قصر الحريم ١٠

قصر الخلافة ١١ .

قصر الذهب ١٠ .

قصر الزمرد ١٠ .

قصر الشرقى الغربى ١٠ .

قصر الظفر ١٠ .

قصر العاشق ١٤١

قصر الغربى ١٠ ، ١٨

القصر الكبير ٩ ، ١٠ ، ١١

قصر اللؤلؤ ١٠ .

قصر المشى ١٥٦

قصر المعز ١٠ .

قصر الورد ٢٤ .

القصر اليافعى ١٠ .

القصور الرومانية ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٥ .

القصور الزاهرة ١٠ ، ١٠١ .

القصور الفاطمية ١٢ ، ١٦ .

القطائع ٧ ، ٨ .

القيروان ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ،

١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،

١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

(ك)

كاتدرائية باريس ١٧

كلونى ١٧

كلية الآداب ١٧٠

الكنيسة البازبليكية ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ،

١٢٥ ، ١٨٩ .

كنيسة سانت آن ١٧ .

كنيسة واسط ٢٩ ، ٣٠ .

الكوفة ١٤٣ ، ١٨٨

(ل)

لجنة التأليف والترجمة ١٠ .

لجنة حفظ الآثار العربية ٤٧ ، ٧٠ ، ٩٦ ،

١٠٣ ، ١٠٥ .

اللوفر ١٧

ليدن ١١٧ ، ١١٨ .

(م)

المتاحف العالمية ١٥ ، ١٩

متحف أثينا ١٧ .

المتحف الإسلامى ١١ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٤١ ،

٤٢ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

متحف الفن الإسلامى ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ،

٣٠ ، ١٠٩ ، ١٥٦ .

متحف اللوفر ١٧ .

متحف برلين ١٧ .

متحف بروكسل ١٧ .

متحف كلونى ١٧ .

متحف لدار الآثار ٦٢ .

متحف المتروبوليتان ١٧ .

متحف نيويورك ١٧

المتروبوليتان ١٧ .

مجلة كلية الآداب ١١٥ ، ١٧٠ .

محراب الأزهر ١٢٤.

محراب الأمر "الخليفة الفاطمي" ١٨.

محراب البحري ٩٢.

محراب الجيوشي ٣٠، ٩١، ١٤٠، ١٥٨، ١٦٤، ١٧٩، ١٨٤.

محراب الحاكم ١٤٣، ١٥٦.

محراب العتيق ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٦٧، ٧٠، ٧٦، ١٢٤.

محراب القيروان ١٥٦.

محراب المعز ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤.

محراب أم كلثوم ١٨٤.

محراب رقية «السيدة» ١٨، ٣٥، ١٤٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٧، ١٨٤.

محراب عاتكة ١٨٤.

محراب عقبة بن نافع ١٢٢.

محراب فاطمي في مسجد ابن طولون ١١٥.

محراب نفيسة «السيدة» ١٨، ١٥٧، ١٦٧.

محراب يوسف ٩١، ١٤٠، ١٨٤.

محراب الشيخ يونس ٩١.

المدرسة الأقبغاوية ٤٤، ٤٦.

المدرسة الجوهرية ٤٤، ٤٦.

المدرسة السلحدار الابتدائية ٦٣.

المدرسة الطبرسية ٤٤، ٤٦.

المدرسة الفاضلية ١٢.

المرينخ ٨.

المساجد السورية ١١٧.

مساجد القاهرة ٣٣، ١١٤، ١٢٦.

مسجد ابن طولون ٦٣، ٦٥، ١٢٩، ١٣٨.

١٤٣، ١٤٤، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.

١٥٨، ١٧١، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٤.

مسجد أبو الغنضفر ١٥٠.

مسجد أبو دلف ١٢٣.

مسجد الأزهر ٩، ١٠، ٢٤، ٣٠، ٣٩، ٤١.

٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩.

٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦.

٥٧، ٦٢، ٦٣، ٧٦، ٧٩، ١١٣، ١١٤.

١١، ١١٦، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣.

١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣.

١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠.

١٦١، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٦، ١٧٩.

١٨١.

مسجد الأقصى ١٢١.

مسجد الأقمر ٣٠، ٨١، ٨٣، ٨٨، ٨٩.

٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١١٣، ١١٤.

١٢٥، ١٢٨، ١٣٦، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣.

١٤٦، ١٥٦، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣.

مسجد الأموي ١١٨، ١٢٦.

مسجد الأندلس ٩٥.

مسجد الأنوار ١٢.

مسجد الجيوشي ٣٠، ٣٨، ٨١، ٨٣، ٨٤.

٨٥، ٨٦، ٨٧، ١١٣، ١١٤، ١٢٨.

١٢٩، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣.

١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٨.

مسجد الحاكم ٣٠، ٣٢، ٤٩، ٥٩، ٦١.

٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨.

٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥.

٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ١١٣، ١١٤.

١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٣.

١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥١، ١٥٩، ١٥١.

١٥٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١.

١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٧، ١٧٨.

١٧٩، ١٨٠، ١٨١.

مسجد دير سانت كاترين ١٢٩

مسجد الرباط ١٠٢

مسجد رقية ٣٠، ٩٥، ٩٦، ٩٧.

مسجد الزيتونة ١١٤، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦،

١٢٩، ١٣٦، ١٨١.

مسجد الصالح طلائع ٣٠، ٨١، ٨٣، ١٠١،

١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩،

١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٣،

١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٤٥،

١٤٨، ١٥٧، ١٦٤، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢،

١٨٣، ١٨٤، ١٨٥.

مسجد الطولوبى ٣٥، ٥١، ٦٣، ٦٦، ٧٠،

١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٢٩، ١٤٣، ١٥٥،

١٥٨، ١٧١، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٧.

مسجد العتيق ٤٩، ٥٩.

مسجد الفاكهيين ٣٠، ١٥٧.

مسجد الفيلة ٣٠.

مسجد القرافة الكبرى ٣١.

مسجد القرويين ١٢٥.

مسجد القيروان ١١٤، ١١٥، ١١٩، ١٢١،

١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٦، ١٤٧، ١٤٨،

١٥١، ١٥٦، ١٨٤.

مسجد الكتبية ١٢٣، ١٢٤.

مسجد اللؤلؤة ٣٢، ٣٨، ٨٤.

مسجد القس ٣٠.

مسجد المقياس ٣٠.

مسجد المنستر ١٠٢.

مسجد الهدية ١٢٨، ١٨٤.

مسجد النبوى ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠،

١٢١، ١٨٠.

مسجد بوقتاته ١٢٩، ١٤٥.

مسجد تازا ١٢٣، ١٢٤.

مسجد تنمال ١٢٥، ١٢٦.

مسجد حسن ١٢٤، ١٢٥.

مسجد دمشق ١٢٠.

مسجد دير سانت كاترين ١٢٩، ١٤٤،

١٥٠.

مسجد راشدة ٣٠.

مسجد رقية ٣٧، ٣٨، ٨١، ٨٣، ٩٥، ٩٦،

٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١١٣، ١٢٨،

١٢٩، ١٣٦، ١٣٨، ١٤١، ١٤٤، ١٤٦،

١٤٩، ١٨١، ١٨٤.

مسجد سامراء ١٢٣.

مسجد سفاقس ١٥١.

مسجد سوسة ١٢٣، ١٤٥، ١٤٦.

مسجد عمرو بن العاص ٣٠، ١١٣، ١١٤،

١٣٦، ١٥٥، ١٥٦.

مسجد قرطبة ١٢٠، ١٢٣، ١٤٧.

المرح الرومانى ١٣٦.

مشهد اخوة يوسف ٣٦.

مشهد الجعفرى ٣٥، ١٤٤، ١٨١.

مشهد الحصواتى ٣٦، ١٢٩، ١٤٤، ١٤٨.

مشهد أم كلثوم ٣٤، ١٢٩، ١٣٢.

مشهد جلال الدين حسين ١٤٠.

مشهد رقية «السيدة» ٣٠، ٩٥، ٩٦، ٩٧،

٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١١٣، ١٣٠.

مشهد زينب «السيدة» ٣٤.

مشهد عاتكة ٣٥، ١٤٣، ١٨١.

مشهد «سیدی» معاذ ٣٧.

مشهد يحيى الشبيه ٣٧، ١٢٩، ١٣٠،

١٤٤، ١٤٨.

مكتبة القدسي ١٠٢.	مشهد يوسف ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٣ ، ١٥٩ ، ١٤٨.
مكتبة القصر ١٢.	مشهد الشيخ يونس ١٤٧.
مكتبة النهضة المصرية ٧	مصر ٤ ، ١٠٧ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٠.
مكتبة مصر ١١٨	مصلحة الآثار ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ٩٨.
مكنون ٩٥.	مطبغ الجامع ٤٥.
مكة ٣٣.	المطبعة الحسينية ١١٨
المناخ ٧.	مطبعة الاداب ١١٨ ، ١٨٠.
منازل العز ٢٤.	المطبعة الأميرية ٨ ، ٢٣ ، ٣٤.
منبر الزيتونة ١٥٧.	المطبعة المؤيد ١١٨ ، ١٨٠.
منبر القيروان ١٥٧.	المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ٣٢ ، ٨٤.
المنصورية ٨.	المعهد للمصري ٨٤.
منظرة الأزهر ٢٤.	مغازل الحرير ٦٢
منظرة الأندلس ٢٤.	مغازل الزجاج ٦٢
منظرة التاج ٢٤	المغرب ٧ ، ٢٩ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٨٣.
منظرة اللؤلؤ ٢٤.	المغرب الأقصى ١٢٤.
مئذنة الحاكم ١١٤ ، ١١٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٨٥ ، ١٨٠.	المغربية «جيوش» ٧.
مئذنة أبو الغنضر ١٥٢.	المقس ٢٤.
مئذنة الجيوشى ١٥٢.	المقطم «تلال» ٨٣.
مئذنة القيروان ١٥١.	المكتبة الجغرافية ١١٨.
المهدية ١٢٩ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٨٤.	
(ن)	
النورية ١٢	
النيل «نهر» ٧ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٣٩.	
نيويورك ١٧.	
(هـ)	
الهند ١٤٠	
(و)	
وادي النيل ١٣٩.	
واسط ٣٠.	

الفاطميون ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ،
 ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ،
 ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ،
 ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
 ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،
 ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٦ ،
 ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ،
 ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
 ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
 ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
 ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
 ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
 ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ،
 ١٦٩ ، ١٧ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
 ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،
 ١٨٧ ، ١٨٨ ،
 الفرس ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ،
 ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٧٣ ، ١٨٧ ،
 الفرنج ١١ ، ١٠١ ، ١٦٤ ،
 الفرنسيين ٦٢ ، ٦٤ ،
 القبط «الأقباط» ١٥٧ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٧ ،
 ١٨٨ ،
 كتامة ٢٤ ، ٣١ ،
 اللوق ٢٤ ،
 المسلمون ٤٥ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١٥٦ ،
 المسيحيون ١١٤ ، ١١٥ ،
 المغاربة ١٨٧ ،
 الماليك ٥٣ ، ٨٨ ، ١٠١ ، ١٥٦ ، ١٧٩ ،
 الماليك الظاهرية ٨٨ ،
 الميزوبوتامية ١٨٧ ،
 النازوك ٣١ ،

وزارة الأوقاف ١٤٠ .

وزارة الثقافة ١٥٠ .

(٥)

اليانسية ٢٤

٣ - القبائل والبطون

الإخشيد ٤

الإسماعلية ١٣٩

الأغالبة ١٤٥ ، ١٤٦ .

الأغريق ١٨٥ .

الأمويين ١١٧ ، ١١٨ .

الأوربيين ٢٩ .

الأيوبيين ١٤ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ،

١٨٨ ، ١٥٧ .

البصريين ٣١ .

البيزنطيون ١٧٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .

الديلم ٢٤

راشدة ٣٠ .

الروم ١١٧ ، ١١٨ ، ١٤٧ .

زويلة ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ١٠١ ، ١٣٥ ، ١٨١ .

ساسان ١٤٠ ، ١٥٧ .

الشيعة ٢٧ ، ١٣٩

الصليبيون ٢٩ ، ١١٥ .

الطبالة ٢٤ .

الطولونيين ١٣٦ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ،

١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٨٧ .

العباسيون ١٧٠ .

العثمانيون ٣٩ ، ١٥٠ .

العرب ١١ ، ٣٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٣ ،

١٢٣ ، ١٤٧ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،

١٧٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .

الهينستية ١٥٧ ، ١٧٠ .

اليهود ١٧٢ .

اليونانيون ١٧٢ .

٤ - الآيات القرآنية

سورة الأحزاب ٩٣ ، ١٨٣ .

سورة الإسراء ٧٤ .

سورة الأعراف ٩٥ .

سورة الأنعام ٥٥ .

سورة الروم ٨٨ .

سورة الفتح ٨٧ .

سورة القصص ٧٠ .

سورة المؤمنون ٥٥ .

سورة النور ٩٤ .

سورة يونس ٩٣ .

٥ - الأحاديث النبوية

والعنزة ١٢٧ .

٦ - الأشعار

٧ - الكتب الواردة في الكتاب

أخبار مصر ٨٤ .

الأخشاب الفاطمية ٢٧ .

الأخشاب الكتابية حتى عصر المماليك ١٥٦ .

الأخشاب المنحوتة ١٧ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ،

١٥٧ ، ١٥٦ .

الأخشاب المنقوشة ١٧ .

الأزات الكتابية الإسلامية ٧٩ .

الأعلاق النفسية ١١٨ .

الانتصار بواسطة عقد الأمصار ٣٤ .

الأواني النحاسية ١٦ .

الباب العربي ٣٠ .

بحث عن تاريخ القاهرة ٧

بدائع الزهور ٤٥ .

التأثيرات الإسلامية ١٤٧ ، ١٨٣ ، ١٨٥ .

تاريخ الرسل والملوك ١١٨ .

تاريخ مصر في العصور الوسطى ١١ .

تخطيط مسجد الصالح طلائع ١٠٣ .

تطور شكل التاء في نظام المسجد ١٢٣ .

ثمار المقاصد ٣٢ .

الجامع الصحيح ١٢٧ .

الخزف الإسلامي في مصر ١٥ .

الخطط الجديد «التوفيقية» ٢٣ ، ٤١ ، ٤٤ ،

٤٥ ، ٤٨ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ١٠٢ .

الخطط والآثار ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ،

٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ،

٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٦١ ، ٦٢ ،

٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ،

٩٥ ، ١٠٢ .

خلاصة الوفي ١١٨ .

دائرة المعارف الإسلامية ١٦٤ .

دائرة معارف الحضارة العربية ١٧٠ .

رحلة ابن جبير ١٢٠ ، ١٢١ .

الروضتين في أخبار الدولتين ١٢ .

الزخارف الكتابية في آثار القاهرة الفاطمية

٥٤ .

زخارف مسجدى الحاكم والأزهر ٤٩ ، ٥٤ ،

٧٦ ، ٧٩ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٨ .

سفرنامه ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٠ ، ٣١ .

شبابيك القل ١٤ .

شواهد القبور ١٥٦ .

صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١٣ ، ٢٤ ،

٣١ ، ٣٢ ، ٤٣ ، ١٢٨ .

صحيح البخارى ١٢٧ .

الضوء اللامع ١٠٢ .

مذكرات فى الآثار العربية ١٣٩ .
مرجع الكتاب العربية ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ ،
١٣٩
المساجد الإسبانية فى المغرب ١١٥ .
مساجد القاهرة ٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٩ ،
١١٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٩٨ .
مساجد القاهرة ومدارسها ٦٣ ، ١١٤ ، ١٨٧ .
مسجد مصر ١٤٠ .
مسجد الأموى فى المدينة ١١٧ ، ١١٨ .
مسجد الجامع بالقىروان ١١٤ ، ١١٩ ،
١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ،
١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٠ .
مسجد الزيتونة الجامع ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٧ .
مسجد من عهد الفاطميين ٨٣ .
المستوعب ٣٢ .
المشكاوات والقنانى الزجاجية ١٦ .
مصر فى عصر الدولة الفاطمية ٧ .
مطالع البدور فى منازل السرور ١٦ .
مغازى الملك مرى ١١ .
مميزات الأخشاب المزخرفة ١٧٠ .
موارد موسوعة كتابات عربية ٩٦ .
المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطوط والآثار ٧ .
موسوعة النقوش العربية ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٤ ،
٨٣ ، ٩٨ .
النجوم الزاهرة ٨ ، ١٠٢ .
نفح الطيب ١٢٠ .
نهاية الأرب ١٧٨ .
وصف مصر ٦٤ ، ٨٤ .
وفاء الوفى ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٨٠ .

عجائب الآثار ٤٥ ، ٤٦ ، ٨٩ .
العمارة الإسلامية الأولى ١٤١ ، ١٥٩ .
العمارة الإسلامية فى الغرب ١٧٢ ، ١١٥ ، ١٨٣ .
العمارة الإسلامية فى مصر العصرين الإخشيدى
والفاطمى ٤ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،
٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٧٠ ،
٧٢ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٧٤ ، ١٠٣ ، ١١٤ ،
١١٦ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ .
العمارة فى سوريا ١٤٦ .
العمارة المحمدية ١٤١ .
فتوح البلدان ١١٧ .
فن الإسلام ١١٧ .
الفن الإسلامى ٣٣ ، ١٣٩ ، ١٧٠ .
الفن الإسلامى فى المغرب والأندلس ١١٥ .
الفن المغربى ١١٩ .
الفنون الإسلامية ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٥٦ .
الكتابات العربية فى أميدا وديار بكر ١٧٢ .
كنوز الفاطميين ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .
الكوفى المزهى ١٧٢ ، ١٧٥ .
المآذن المصرية ١٥٠ .
محاضرات لجنة حفظ الآثار العربية ٤٦ .
محراب فاطمى ١١٥ .
المحراب والعنزة ١٢٧ .
مختصر العمارة الإسلامية الأولى ١١٦ ،
١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٥٦ .
المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ٤ ، ٤٢ ،
٦٣ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،
١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
١٣٤ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٧ .

الكشاف التاريخي

١ - ولاية مصر فى عهد الخلفاء الراشدين

- ١ - أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل فى مستهل المحرم سنة ٢١ هـ
- ٢ - عبدالله بن سعد بن أبى سرح بن الحارث فى سنة ٢٥ هـ
- ٣ - قيس بن سعد بن عبادة فى سنة ٣٥ هـ
- ٤ - عبدالله بن سعد «المرّة الثانية» توفى باندينة المنورة سنة ٨٠ هـ
- ٥ - محمد بن أبى بكر الصديق فى سنة ٣٥ هـ
- ٦ - الأشتر النخعى مالك بن الحارث فى سنة ٣٧ هـ لم يصل إلى مقر ولايته لأنه قتل فى الطريق

٢ - فى عهد الدولة الأموية

- ١ - عمرو بن العاص للمرة الثانية فى ربيع الأول سنة ٣٨ هـ
- ٢ - عتبة بن أبى سفيان «أخو معاوية» فى شهر ذى القعدة سنة ٤٣ هـ
- ٣ - أبو مسعود عقبة بن عامر بن عبس فى سنة ٤٤ هـ
- ٤ - معاوية بن حديج الكندى فى سنة ٤٧ هـ
- ٥ - مسلمة بن مخلد فى ٢٠ ربيع الأول سنة ٤٧ هـ، توفى فى ٢٥ رجب سنة ٦٢ هـ
- ٦ - محمد بن مسلمة فى سنة ٦٢ هـ
- ٧ - سعيد بن يزيد بن علقمة فى مستهل رمضان سنة ٦٢ هـ
- ٨ - عبدالرحمن بن عتبة بن جحدم من قبل عبدالله بن الزبير فى شعبان سنة ٦٥ هـ
- ٩ - عبدالعزيز بن مروان بن الحكم فى مستهل رجب سنة ٦٥ هـ
- ١٠ - عبدالله بن عبدالملك بن مروان فى ١١ جمادى الآخرة سنة ٨٤ هـ
- ١١ - قرة بن شريك العبسى فى ١٣ ربيع الأول سنة ٩٠ هـ
- ١٢ - عبدالملك بن رفاعة فى مستهل ربيع الأول سنة ٩٦ هـ
- ١٣ - أيوب بن شرحبيل فى ربيع الأول سنة ٩٩ هـ
- ١٤ - بشر بن صفوان فى ١٧ رمضان سنة ١٠١ هـ
- ١٥ - أسامة بن زيد فى سنة ١٠٢ هـ
- ١٦ - حنظلة بن صفوان أخو بشر فى شوال سنة ١٠٢ هـ
- ١٧ - محمد بن عبدالملك بن مروان فى ١١ شوال سنة ١٠٥ هـ
- ١٨ - الحر بن يوسف بن يحيى فى ٣ ذى سنة ١٠٥ هـ
- ١٩ - حفص بن الوليد بن يوسف فى ٣٠ ذى الحجة سنة ١٠٨ هـ

- ٢٠ - عبد الملك بن رفاعه «للمرة الثانية»
 ٢١ - الوليد بن رفاعه أخو السابق
 ٢٢ - الحكم بن قيس بن مخزومة
 ٢٣ - نائبه عبيد الله بن الحبحاب الموصلى
 ٢٤ - عبدالرحمن بن خالد بن مسافر
 ٢٥ - حنظلة بن صفوان «للمرة الثانية»
 ٢٦ - حفص بن الوليد «للمرة الثانية»
 ٢٧ - حسان بن عتاهية بن عبدالرحمن التجيبى
 ٢٨ - حفص بن الوليد «للمرة الثانية»
 ٢٩ - الحوثة بن سهيل الباهلى
 ٣٠ - المغيرة بن عبيد الله القزازى
 ٣١ - عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير
- فى ١٨ المحرم سنة ١٠٩ هـ
 توفى فى مستهل جمادى الآخرة سنة ١١٧ هـ، وتقلد
 فى ٣ صفر سنة ١٠٩ هـ
 فى سنة ١١١ هـ
 فى سنة ١١١ هـ
 فى جمادى الآخرة سنة ١١٧ هـ
 هـ المحرم سنة ١١٩ هـ
 فى ١٣ شعبان سنة ١٢٤ هـ
 ١٦ يومًا ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٧ هـ
 فى ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٧ هـ
 ٢ المحرم فى سنة ١٢٨ هـ
 فى ٢٣ رجب سنة ١٣١ هـ
 فى جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ

٣ - فى عهد الدولة العباسية «العصر الأول»

- ١ - صالح بن على بن عبدالله بن العباس
 ٢ - أبوعون عبد الملك بن يزيد الخراسانى مولى هناء
 ٣ - صالح بن على للمرة الثانية
 ٤ - أبو عون «للمرة الثانية»
 ٥ - موسى بن كعب
 ٦ - محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعى
 ٧ - نوفل بن محمد بن الفرات
 ٨ - حميد بن قحطبة بن شبيب
 ٩ - أبو خالد يزيد بن قبيصة المهلبى
 ١٠ - نائبه عبدالرحمن بن يزيد
 ١١ - محمد بن سعيد
 ١٢ - عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية
 ١٣ - محمد بن عبدالرحمن «أخو السابق»
 ١٤ - عبدالصمد بن على بن عبد الله
 ١٥ - موسى بن على بن رباح اللخمي
- فى مستهل المحرم سنة ١٣٣ هـ
 فى مستهل شعبان سنة ١٣٣ هـ
 ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٣٦ هـ
 فى ٤ رمضان سنة ١٣٧ هـ
 فى ١٦ ربيع الثانى سنة ١٤١ هـ
 فى ٢٥ ذى الحجة سنة ١٤١ هـ
 فى سنة ١٤٢ هـ
 فى رمضان سنة ١٤٣ هـ
 فى ١٥ ذى القعدة سنة ١٤٤ هـ
 فى سنة ١٤٧ هـ
 فى ربيع الثانى سنة ١٥٢ هـ
 فى ١٨ ربيع الثانى سنة ١٥٢ هـ
 فى صفر سنة ١٥٥ هـ
 فى ١٥ شوال سنة ١٥٥ هـ
 فى شوال سنة ١٥٥ هـ

- ١٦ - مطر مولى المنصور في سنة ١٥٩ هـ
- ١٧ أبو ضمرة محمد بن سليمان في سنة ١٥٩ هـ
- ١٨ - عيسى بن لقمان بن محمد في ١٦ ذى الحجة سنة ١٦١ هـ
- ١٩ - أبو ضمرة محمد بن سليمان «للمرة الثانية» في سنة ١٦٢ هـ
- ٢٠ - سلعة بن رجا في سنة ١٦٢ هـ
- ٢١ - واضح مولى المهدي «توفي سنة ١٦٩ هـ» في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٦٢ هـ
- ٢٢ - منصور بن يزيد بن منصور الرعيني في ١١ رمضان سنة ١٦٢ هـ
- ٢٣ - أبو صالح يحيى بن داود بن ممدود الحرشي في ذى الحجة سنة ١٦٢ هـ
- ٢٤ - سالم بن سودة التميمي في ١٠ المحرم سنة ١٦٤ هـ
- ٢٥ - إبراهيم بن صالح بن علي في ١١ المحرم سنة ١٦٥ هـ
- ٢٦ - موسى بن مصعب بن الربيع في ٧ ذى الحجة سنة ١٦٧ هـ
- ٢٧ - عسامة بن عمرو بن علقمة المعافري في ٢٦ ذى الحجة سنة ١٦٨ هـ
- ٢٨ - الفضل بن صالح بن علي في ٢٩ المحرم سنة ١٦٩ هـ
- ٢٩ - علي بن سليمان بن علي بن عبدالله في شوال سنة ١٦٩ هـ
- ٣٠ - موسى بن عيسى بن موسى في ٢٦ ربيع الأول سنة ١٧١ هـ
- ٣١ - مسعدة بن يحيى بن قرّة في ١٤ رمضان سنة ١٧٢ هـ
- ٣٢ - محمد بن زهير بن المسيب في ٥ شعبان سنة ١٧٣ هـ
- ٣٣ - داود بن يزيد بن حاتم المهلبى في ١٤ المحرم سنة ١٧٤ هـ
- ٣٤ - موسى بن عيسى «للمرة الثانية» في ٧ صفر سنة ١٧٥ هـ
- ٣٥ - إبراهيم بن صالح «للمرة الثانية» في صفر سنة ١٧٦ هـ
- ٣٦ - جعفر بن يحيى بن برمك حاكم فخرى في سنة ١٧٦ هـ
- نائب عمر بن مهران
- ٣٧ - عبدالله بن المسيب بن الزبير الضبي في ١٩ رمضان سنة ١٧٦ هـ
- ٣٨ - إسحاق بن سليمان بن علي في مستهل رجب سنة ١٧٧ هـ
- ٣٩ - هرثمة بن أعين في ٢ شعبان سنة ١٧٨ هـ
- ٤٠ - عبدالله بن صالح بن صالح بن علي في ١٢ شوال سنة ١٧٨ هـ
- ٤١ - نائبه للمرة الثانية عبدالله بن المسيب في سنة ١٧٨ هـ
- ٤٢ - عبيد الله بن المهدي في ١٢ المحرم سنة ١٧٩ هـ

- ٤٣ - موسى بن عيسى «للمرة الثانية»
 ٤٤ - نائبه ولده يحيى بن موسى
 ٤٥ - عبيد الله بن المهدي «للمرة الثانية»
 ٤٦ - إسماعيل بن صالح بن علي
 ٤٧ - إسماعيل بن عيسى بن موسى
 ٤٨ - الليث بن الفضل الأبيوردي
 ٤٩ - أحمد بن إسماعيل بن علي
 ٥٠ - عبيد الله بن محمد بن إبراهيم
 ٥١ - الحسين بن جميل
 ٥٢ - مالك بن دلهم بن عيسى الكلبى
 ٥٣ - الحسن بن التختاح
 ٥٤ - حاتم بن هرثمة بن أعين
 ٥٥ - جابر بن الأشعث بن يحيى
 ٥٦ - ربيعة بن قيس
 ٥٧ - عباد بن محمد بن حيان
 ٥٨ - المنظلب بن عبد الله بن مالك
 ٥٩ - العباس بن موسى بن عيسى «توفى في جمادى الآخرة سنة ١٩٩هـ» تقلد في ٢٧ شوال ١٩٨هـ
 ٦٠ - المنظلب بن عبد الله «للمرة الثانية»
 ٦١ - السرى بن الحكم بن يوسف
 ٦٢ - أبو نصر محمد بن السرى
 ٦٣ - عبد الله بن طاهر بن الحسين
 ٦٤ - المعتصم «حاكم فخرى»
 ٦٥ - عيسى بن يزيد الجلودى
 ٦٦ - عمير بن الوليد التميمى «توفى في ١٦ ربيع الثانى سنة ٢١٤هـ» تقلد في ١٩ صفر سنة ٢١٤هـ
 ٦٧ - عيسى بن يزيد «للمرة الثانية» ٤ رجب سنة ٢١٤هـ دخل المعتصم القسطنطينية ٢١ شعبان ٢١٤هـ
 ٦٨ - عبدوية بن جبلة
 فى ٣ رمضان سنة ١٧٩هـ
 فى سنة ١٧٩هـ
 فى ٧ جمادى الآخرة سنة ١٨٠هـ
 فى ٧ رمضان سنة ١٨١هـ
 فى ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٨٢هـ
 فى ٢٥ شوال سنة ١٨٢هـ
 فى ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٨٧هـ
 فى ١٥ شوال سنة ١٨٩هـ
 فى ١٠ رمضان سنة ١٩٠هـ
 فى ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٩٢هـ
 فى ٣ ربيع الأول سنة ١٩٣هـ
 فى ٢٢ ربيع الأول سنة ١٩٤هـ
 فى ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٩٥هـ
 «من قبيل الخليفة الأمين» سنة ١٩٦هـ
 «من قبل المأمون» ٨ رجب سنة ١٩٦هـ
 فى ١٥ ربيع الأول سنة ١٩٨هـ
 فى ١٤ المحرم سنة ١٩٩هـ
 فى مستهل رمضان سنة ٢٠٠هـ
 فى ٩ شعبان سنة ٢٠٦هـ
 فى ٥ المحرم سنة ٢١١هـ
 فى ١١ من ذى القعدة سنة ٢١٣هـ
 فى ١٧ من ذى القعدة سنة ٢١٣هـ
 فى ١٦ ربيع الثانى سنة ٢١٤هـ
 فى مستهل المحرم سنة ٢١٥هـ

- ٦٩ - عيسى بن المنصور بن موسى في مستهل المحرم سنة ٢١٦ هـ
- ٧٠ - عبد الملك بن نصر بن عبدالله «الصفدى» المعروف بكيدر في صفر سنة ٢١٧ هـ
- ٧١ - المظفر بن نصر بن عبدالله كيدر في جمادى الأولى سنة ٢١٩ هـ
- ٧٢ - أبو جعفر أشناش في سنة ٢١٩ هـ إلى سنة ٢٣٠ هـ
- ٧٣ - موسى بن أبي العباس ثابت الحنفى في مستهل رمضان سنة ٢١٩ هـ
- ٧٤ - مالك بن كيدر الصفدى في ٢٢ بيع الأول سنة ٢٢٤ هـ
- ٧٥ - على بن يحيى أبو الحسن الأرمنى في ٩ ربيع الثانى سنة ٢٢٦ هـ
- ٧٦ - عيسى بن المنصور الرافعى «للمرة الثانية» في ١٧ المحرم سنة ٢٢٩ هـ
- ٧٧ - إيتاخ التركى من سنة ٢٣٠ هـ إلى سنة ٢٣٥ هـ
- ٧٨ - هرثمة بن النضر الجبلى في ٦ رجب سنة ٢٢٣ هـ
- ٧٩ - حاتم بن هرثمة بن النضر «ابن السابق» في ٦ رمضان سنة ٢٣٤ هـ
- ٨٠ - على بن يحيى أبو الحسن الأرمنى «للمرة الثانية» في ٦ شوال سنة ٢٣٤ هـ
- ٨١ - محمد بن جعفر المنتصر من سنة ٢٣٥ هـ إلى سنة ٢٤٢ هـ
- ٨٢ - إسحاق بن يحيى بن معاذ في ١١ ذى القعدة سنة ٢٣٥ هـ
- ٨٣ - خوط بن عبد الواحد بن يحيى بن المنصور في ٢٢ ذى القعدة سنة ٢٣٦ هـ
- ٨٤ - عنبة بن إسحاق بن شامر الضبى في ٥ ربيع الثانى سنة ٢٣٨ هـ
- ٨٥ - الفتح بن خاقان بن أرتق التركى من سنة ٢٤٢ هـ إلى سنة ٢٤٧ هـ
- ٨٦ - يزيد بن عبدالله بن دينار التركى من سنة ٢٤٢ هـ إلى سنة ٢٤٧ هـ
- ٨٧ - مزاحم بن خاقان بن أرتق التركى «توفى في ٩ ربيع الثانى سنة ٢٥٤ هـ
- تقلد في ٣ ربيع الاول سنة ٢٥٣ هـ
- ٨٨ - أحمد بن مزاحم بن خاقان التركى في ٩ ربيع الثانى سنة ٢٥٤ هـ
- ٨٩ - يركوج «أوارجو» أو «أرغور» بن أولع طرخان التركى في جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ هـ ظل في هذا المنصب حتى ٢٣ رمضان سنة ٢٥٤ هـ وتوفى بمصر سنة ٢٥٨ هـ

٤- مصر وال طولونيين

- ١ - أحمد بن طولون أبو العباس أعلن استقلاله وضرب السكة سنة ٢٣٦هـ ،
تقلد في ٢٣ رمضان سنة ٢٥٤هـ
- ٢ - أبو الجيش خماروية بن أحمد، أعتيل قرب دمشق في ذى الحجة سنة ٢٨٢هـ تقلد سنة ٢٧٠هـ
- ٣ - أبو العساكر جيش بن خماروية، خلع في ١٠ جمادى الآخرة سنة ٢٨٣هـ قتل ، تقلد سنة ٢٨٢هـ
- ٤ - أبو موسى هارون بن خماروية توفى في ١٨ صفر سنة ٢٩٢هـ، تقلد في جمادى الأولى ٢٨٣هـ
- ٥ - أبو المناقب شيبان بن أحمد تقلد في ١٨ صفر سنة ٢٩٢هـ

٥- مصر بعد الطولونيين

- ١ - أبو موسى عيسى بن محمد النوشري «توفى في ٢٥ شعبان سنة ٢٩٧هـ»
تقلد في ١٤ جمادى الأولى سنة ٢٩٢هـ
- ٢ - أبو عبد الله بن محمد بن علي الخلنجي «ثائر» في ٢٦ ذى القعدة سنة ٢٩٢هـ
- ٣ - أبو العباس بن بسطام «توفى بعد تنصيبه بعشرة أيام» في مستهل شوال سنة ٢٩٧هـ
- ٤ - أبو منصور تكين بن عبد الله الخزري «توفى سنة ٣٢١هـ» تقلد في ١١ شوال سنة ٢٩٧هـ
- ٥ - أبو الحسن ذكا الأعور الرومي في ١٢ صفر سنة ٣٠٣هـ
- ٦ - تكين بن عبد الله «المرّة الثانية» في ٨ ربيع الأول سنة ٣٠٧هـ
- ٧ - أبو قابوس محمود بن حمك «أو حمل» مكث ثلاثة أيام تقلد في ١٤ ربيع الأول سنة ٣٠٧هـ
- ٨ - تكين بن عبد الله «المرّة الثالثة» في ١٦ ربيع الأول سنة ٣٠٩هـ
- ٩ - أبو الحسن بن هلال بن بدر في ٦ ربيع الثاني سنة ٣٠٩هـ
- ١٠ - أبو العباس بن كيلغ في مستهل جمادى الأولى سنة ٣١١هـ
- ١١ - تكين بن عبد الله «المرّة الرابعة» توفى في ١٦ ربيع الأول سنة ٣٢١هـ
تقلد في ٣ ذى القعدة سنة ٣١١هـ
- ١٢ - محمد بن تكين في ١٦ ربيع الأول سنة ٣٢١هـ
- ١٣ - أبو بكر محمد بن طنج الإخشيد في ٧ رمضان سنة ٣٢١هـ
- ١٤ - أحمد بن كيلغ «المرّة الثانية» في ٧ شوال سنة ٣٢١هـ

٦ - مصر فى عهد الإخشيديين

- ١ - أبوبكر محمد بن الإخشيد بن طنج «توفى فى ٢١ ذى الحجة سنة ٣٣٤هـ تقلد فى ٢٣ رمضان سنة ٣٣٣هـ
- ٢ - أبوالقاسم أنوجور بن الإخشيد «توفى فى ٧ ذى القعدة سنة ٣٤٩هـ تقلد فى ٢١ ذى الحجة سنة ٣٣٤هـ
- ٣ - أبو الحسن على بن الإخشيد توفى فى ١١ من المحرم سنة ٣٥٥هـ تقلد فى ٢٠ ذى القعدة سنة ٣٤٩هـ
- ٤ - أبوالمسك كافور «خادم الإخشيد» توفى فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ٣٥٧هـ تقلد فى جمادى الأولى سنة ٣٥٧هـ
- ٥ - أبوالقوارس أحمد بن على
استولى جوهر القائد الفاطمى على مصر فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨هـ

٧ - الفاطميون

- ١ - المهدي أبو عبيد الله «توفى فى ١٤ ربيع الأول سنة ٣٢٢هـ تقلد فى ٢٤ ربيع الثانى سنة ٢٩٧هـ
- ٢ - القائم أبوالقاسم محمد «عبدالرحمن» توفى فى ١٤ ربيع الأول سنة ٣٢٢هـ تقلد فى ٢٤ ربيع الثانى سنة ٢٩٧هـ
- ٣ - المنصور أبوطاهر إسماعيل
توفى فى ٢٩ شوال سنة ٣٤١هـ
- ٤ - المعز أبو تميم معد
توفى فى ٣ ربيع الثانى سنة ٣٦٥هـ
تقلد فى مستهل ذى القعدة سنة ٣٤١هـ
- فتحت مصر فى شعبان سنة ٣٥٨هـ ودخل المعز لدين الله الفاطمى فى رمضان سنة ٣٥٨هـ
- ٥ - العزيز: أبو منصور نزار
«توفى فى ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦هـ تقلد فى سنة ٣٥٨هـ
- ٦ - الحاكم: أبو على المنصور
«اختفى فى ٢٧ شوال سنة ٤١١هـ تقلد فى رمضان سنة ٣٨٦هـ
- ٧ - الظاهر: أبو الحسن على
«توفى فى ١٥ شعبان سنة ٤٢٧هـ تقلد فى ذى الحجة ٤١١هـ
- ٨ - المستنصر: أبو تميم معد
توفى فى ١٨ ذى الحجة سنة ٤٨٧هـ

- ٩ - المستعلي: أبو القاسم أحمد
«توفى في ١٤ صفر سنة ٤٩٥ هـ»
تقلد في ذى الحجة سنة ٤٨٧ هـ
- ١٠ - الأمر: أبو علي المنصور
«اغتيال في ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ»
تقلد في ١٤ صفر سنة ٤٩٥ هـ
- فترة شغور من ٢ ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ إلى ١٥ المحرم سنة ٥٢٦ هـ والخليفة المزعوم
أبو القاسم المنتظر «القائم في آخر الزمان أو المهدي حجة الله على العالمين» تحت وصية
الوزير أبي علي أحمد بن الأفضل
- ١١ - الحافظ: أبو الميمون عبد المجيد
«توفى في ٥ جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ»
تقلد في ١٥ المحرم سنة ٥٢٥ هـ
- ١٢ - الظافر: أبو المنصور إسماعيل
«اغتيال في ٣٠ المحرم سنة ٥٤٩ هـ»
تقلد في ٦ جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ
- ١٣ - الفائز: أبو القاسم عيسى
«توفى في ١٧ رجب سنة ٥٥٥ هـ»
تقلد في مستهل صفر سنة ٥٤٩ هـ
- ١٤ - العاضد: أبو محمد عبدالله
«خلع في ٣ المحرم سنة ٥٦٧ هـ»
تقلد في رجب سنة ٥٥٥ هـ

أقيمت بعد ذلك الخطبة للعباسيين

٨- وزراء الفاطميين في عهد العزيز

- ١ - أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلثوم اليهودي
ولد سنة ٣١٨ هـ أسلم في ١٨ شعبان سنة ٣٥٦ هـ،
تقلد في سنة ٣٦٥ هـ
- ٢ - جبر بن القاسم
تقلد في شوال سنة ٣٧٣ هـ
- ٣ - ابن كلثوم «اللمر الثانية»
توفى في ٥ ذى الحجة سنة ٣٨٠ هـ
تقلد في المحرم سنة ٣٨١ هـ
- ٤ - أبو الحسن علي بن عمر العداس «دون لقب وزير» تقلد في المحرم سنة ٣٨١ هـ
- ٥ - أبو الفضل جعفر بن الفرات «الثالث»
تقلد في المحرم سنة ٣٨٣ هـ
- ٦ - أبو عبدالله الحسين بن الحسين بن بازيار الموصلی تقلد في سنة ٣٨٤ هـ
- ٧ - أبو محمد الحسن بن عمار بن أبي الحسين أمين الدولة تقلد في سنة ٣٨٥ هـ
- ٨ - الفضل بن الصالح الوزيري
تقلد بضعة أيام
- ٩ - عيسى بن نسطورس «نصراني» حتى رمضان سنة ٣٨٦ هـ، تقلد في ذى القعدة سنة ٣٨٥ هـ

٩- فى عهد الحاكم بأمر الله

- ١ - الأستاذ أبو الفتوح برجوان الصقلبي «الصقلبي» اغتيل فى ٢٦ ربيع الآخر سنة ٣٩٠ هـ
تقلد فى رمضان سنة ٣٨٦ هـ
- ٢ - أبو العلاء فهد بن إبراهيم الرئيس «اغتيل فى ٨ جمادى الآخرة سنة ٣٩٣ هـ
تقلد فى ربيع الآخر سنة ٣٩٠ هـ
- ٣ - أبو الحسن على بن عمر العداس «للمرة الثانية» ولى شهرا ثم اغتيل فى رجب ٣٩٣ هـ
- ٤ - أبو الحسن على بن الحسين بن المغربى الثانى اغتيل فى ٣ ذى الحجة سنة ٤٠٠ هـ
- ٥ - الحسين بن طاهر الوزان أمين الأمناء «اغتيل فى جمادى الآخرة سنة ٤٠٥ هـ
تقلد فى ١٩ ربيع الأول سنة ٤٠٣ هـ
- ٦ - عبد الرحمن بن أبى السيد «اغتيل بعد اثنتين وستين يوما من توليته»
تقلد فى جمادى الآخر سنة ٤٠٥ هـ
- ٧ - أبو العباس الفضل بن جعفر بن الفرات «الرابع» اغتيل بعد خمسة أيام من توليته
- ٨ - أبو الحسن على بن جعفر بن فلاح الكتامى قطب الدين سيف الدولة ذو الرياستين

١٠- فى عهد الظاهر

- ١ - أبو الحسين عمارة بن محمد خطير الملك رئيس الرؤساء تقلد فى ذى الحجة سنة ٤١١ هـ
- ٢ - أبو الفتوح موسى بن الحسين بدر الدولة «خلع ثم اغتيل فى ٢٠ شوال سنة ٤١٣ هـ
تقلد فى ربيع الأول ٤١٢ هـ
- ٣ - أبو الفتوح المسعود بن طاهر الوزان شمس الملك المنكين، تقلد فى المحرم سنة ٤١٣ هـ
- ٤ - أبو محمد الحسن بن صالح الروذيارى عميد الدولة
- ٥ - أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى نجيب الدولة تقلد فى سنة ٤١٨ هـ

١١- فى عهد المستنصر

- ١ - الجرجرائى استبقى تقلد فى شعبان سنة ٤٢٧ هـ
- ٢ - ابن الأنبارى قتل فى ٥ المحرم سنة ٤٤٠ هـ
- ٢ - أبو منصور أو نصر بن صدقة بن يوسف الفلاحى «كان يهوديا ثم أسلم مات مقتولا»
تقلد فى سنة ٤٤٠ هـ

- ٤ - أبو البركات الحسين «أو الحسن» بن عماد الدولة محمد ابن أخى الجرجرائى
تقلد فى سنة ٤٤٠ هـ
- ٥ - أبو الفضل سعيد بن مسعود
تقلد فى شوال سنة ٤٤١ هـ
- ٦ - أبو محمد الحسن أو «الحسين» بن على بن عبدالرحمن البازورى
تقلد فى المحرم سنة ٤٤٢ هـ
- ٧ - أبو الفرج عبدالله بن محمد البابلى شرف الملة كقيل الدين
تقلد فى المحرم سنة ٤٥٠ هـ
- ٨ - أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على تقلد فى ٢٥ ربيع الآخر سنة ٤٥٠ هـ
- ٩ - البابلى «للمرة الثانية»
تقلد فى ٩ رمضان سنة ٤٢٥ هـ خلفه وزراء لم تطل أيامهم
- ١٠ - أبو النجم بدر الجمالى المستنصرى أمير الجيوش «مولى جمال الدولة بن عمار»
توفى فى ٢٨ رمضان سنة ٤٦٦ هـ
- ١١ - أبو القاسم شاهشاه الأفضل بدر الجمالى أمير الجيوش
توفى فى رمضان سنة ٥١٥ هـ
تقلد فى ربيع الأول سنة ٤٨٧ هـ

١٢- فى عهد المستعلى

- ١ - الأفضل : استبقى
- ٢ - شرف المعالى بن الأفضل

١٣- فى عهد الأمر

- ١ - شرف المعالى استبقى
- ٢ - «اغتيال فى ٢٣ رمضان سنة ٥١٥ هـ»
تقلد فى صفر سنة ٤٩٥ هـ
- ٢ - أبو عبيد الله محمد المأمون بن فاتك بن مختار البطائحي ولد فى سنة ٤٧٨ هـ، وصلب فى ٤ رمضان سنة ٥١٩ هـ تقلد فى مستهل ذى القعدة

١٤- فى عهد الحافظ

- ١ - أبو على أحمد بن الأفضل المسمى «كنيفات» اغتيل فى ١٦ المحرم سنة ٥٢٦ هـ،
تقلد فى المحرم سنة ٥٢٥ هـ

- ٢ - يانس «مملوك أرمنى» دس له السم فى ٢٦ ذى القعدة سنة ٥٢٦ هـ ، تقلد فى سنة ٥٢٦ هـ.
 - ٣ - أبوعلى الحسن بن الحافظ «وولى العهد وزير أبيه» تقلد فى ذى الحجة سنة ٥٢٦ هـ.
 - ٤ - أبوالربيع سليمان «ابن الخليفة» مات بعد شهرين تقلد سنة ٥٢٨ هـ.
 - ٥ - أبو المظفر بهرام تاج الملوك سيف الإسلام «مسيحي أرمنى انتخبه الجند»
تقلد فى ١١ جمادى الآخرة سنة ٥٢٩ هـ.
 - ٦ - رضوان بن الولخشى
توفى فى ١٤ شوال سنة ٥٣٣ هـ
تقلد فى ١٢ جمادى الأولى سنة ٥٣١ هـ
- الفترة من سنة ٥٣٣ هـ إلى سنة ٥٤٤ هـ لا يوجد وزراء

١٥ - فى عهد الظافر

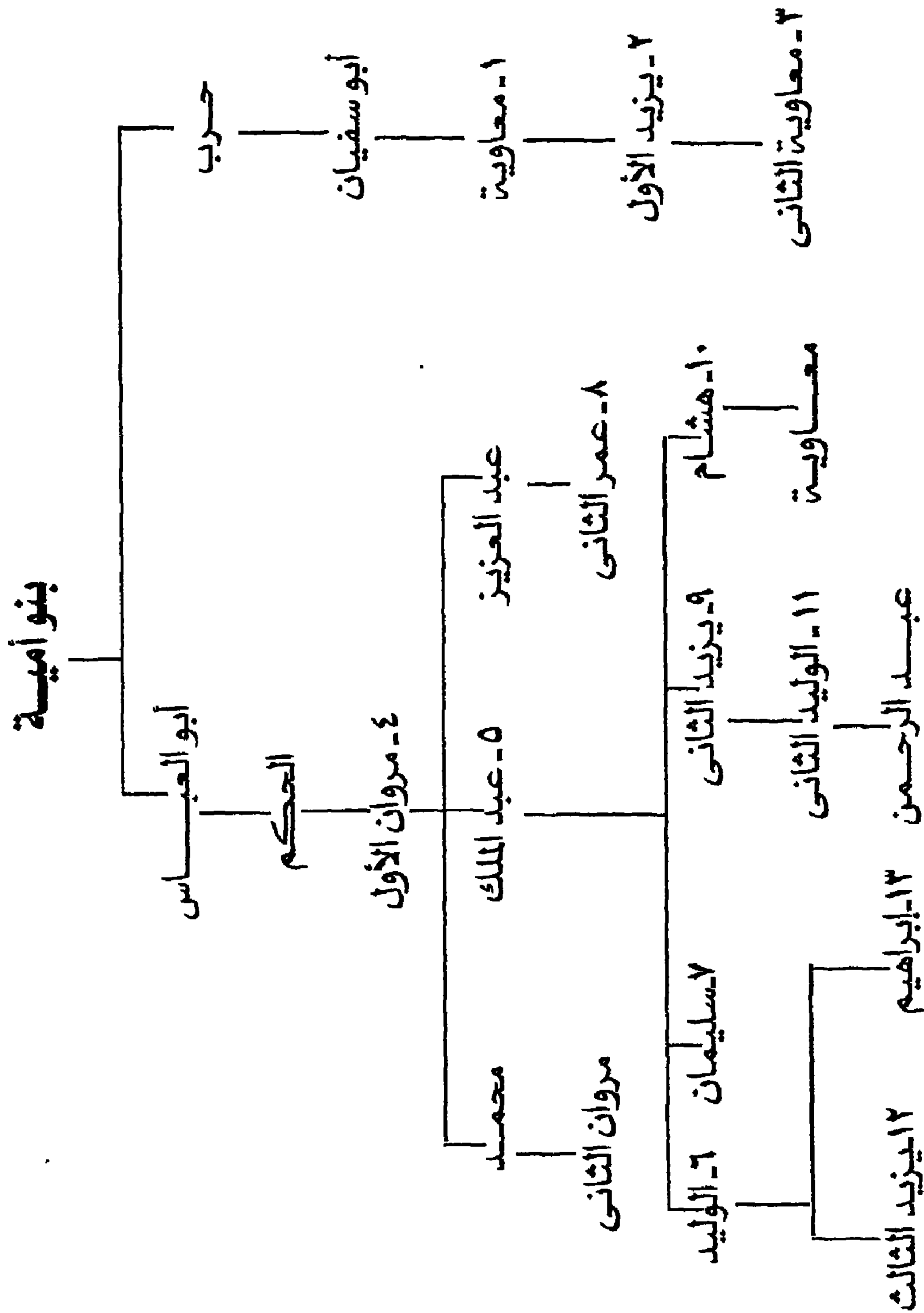
- ١ - أبوالفتح نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال توفى فى ذى القعدة ،
تقلد فى رجب سنة ٥٤٤ هـ.
- ٢ - أبوالحسن على بن سلار الملك العادل سيف الدين ابن السلار «قتله زوج ابنته وخليفته العباس
فى ٦ المحرم سنة ٥٤٨ هـ ، تقلد فى ١٥ شعبان سنة ٥٤٤ هـ.
- ٣ - العباس بن أبى الفتوح بن تميم الأفضل ركن الدين «أمير زيرى» تقلد فى المحرم سنة ٥٤٨ هـ.

١٦ - فى عهد الفائز

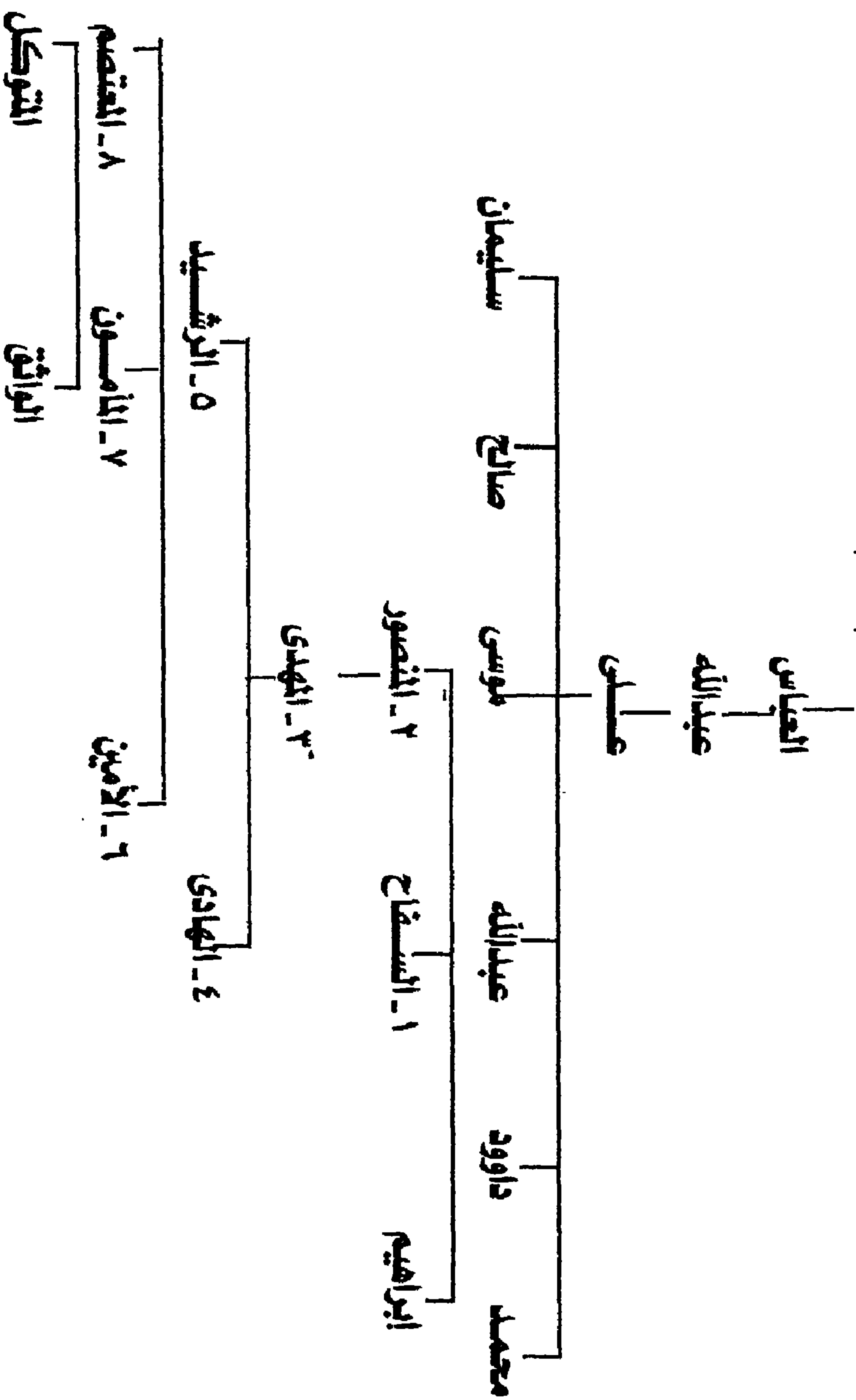
- ١ - الملك الصالح طلائع بن رزك أبوالفارات ولد سنة ٤٦٠ هـ وتوفى فى ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ هـ.

١٧ - فى عهد العاضد

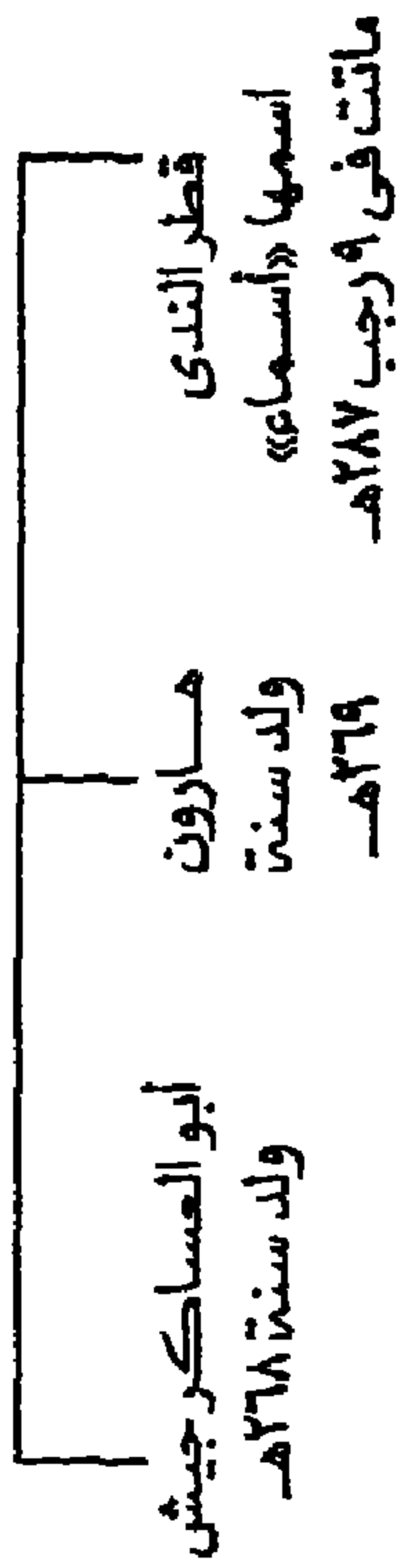
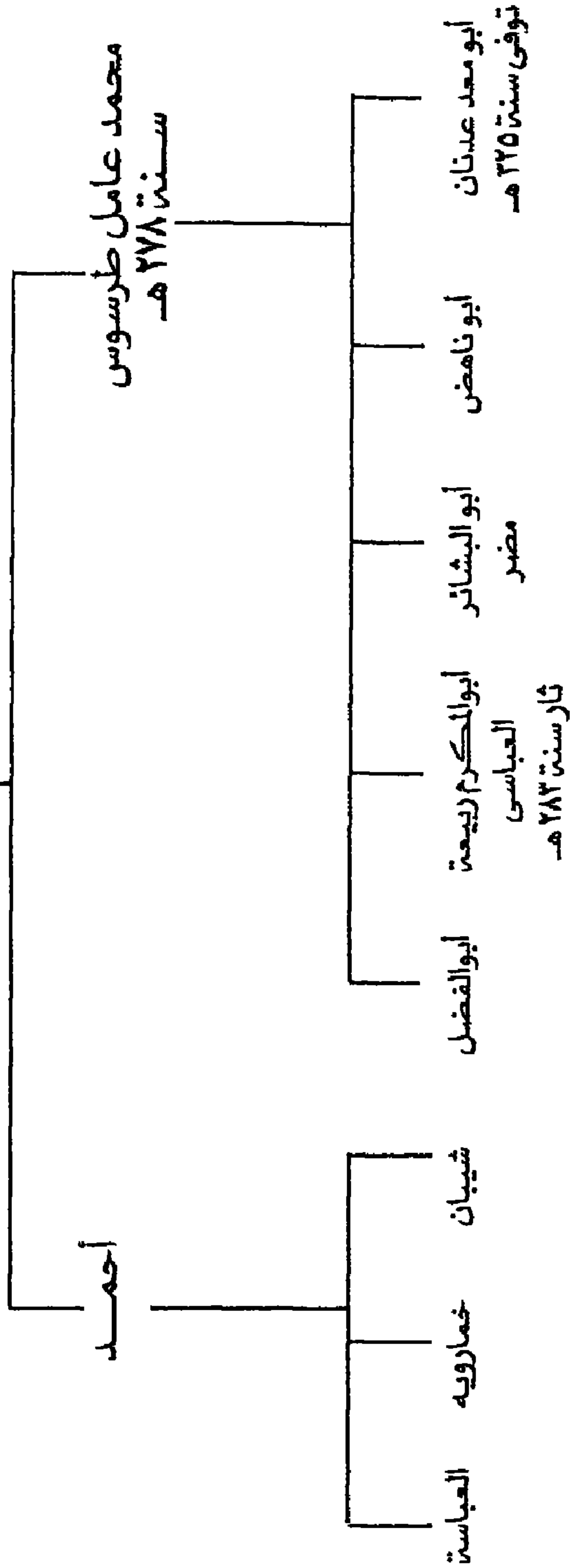
- ١ - أبوشجاع العادل يحيى الدين رزك بن طلائع تقلد فى رجب سنة ٥٥٥ هـ.
- ٢ - أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار تقلد فى ٢٢ المحرم سنة ٥٥٨ هـ.
- ٣ - أبوالأشبال ضرغام بن عامر
توفى سنة ٥٥٩ هـ ، تقلد فى رمضان سنة ٥٥٨ هـ.
- ٤ - شيركوه
توفى فى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ هـ
تقلد سنة ٥٦٣ هـ.
- ٥ - صلاح الدين الأيوبي
تقلد فى جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ هـ.

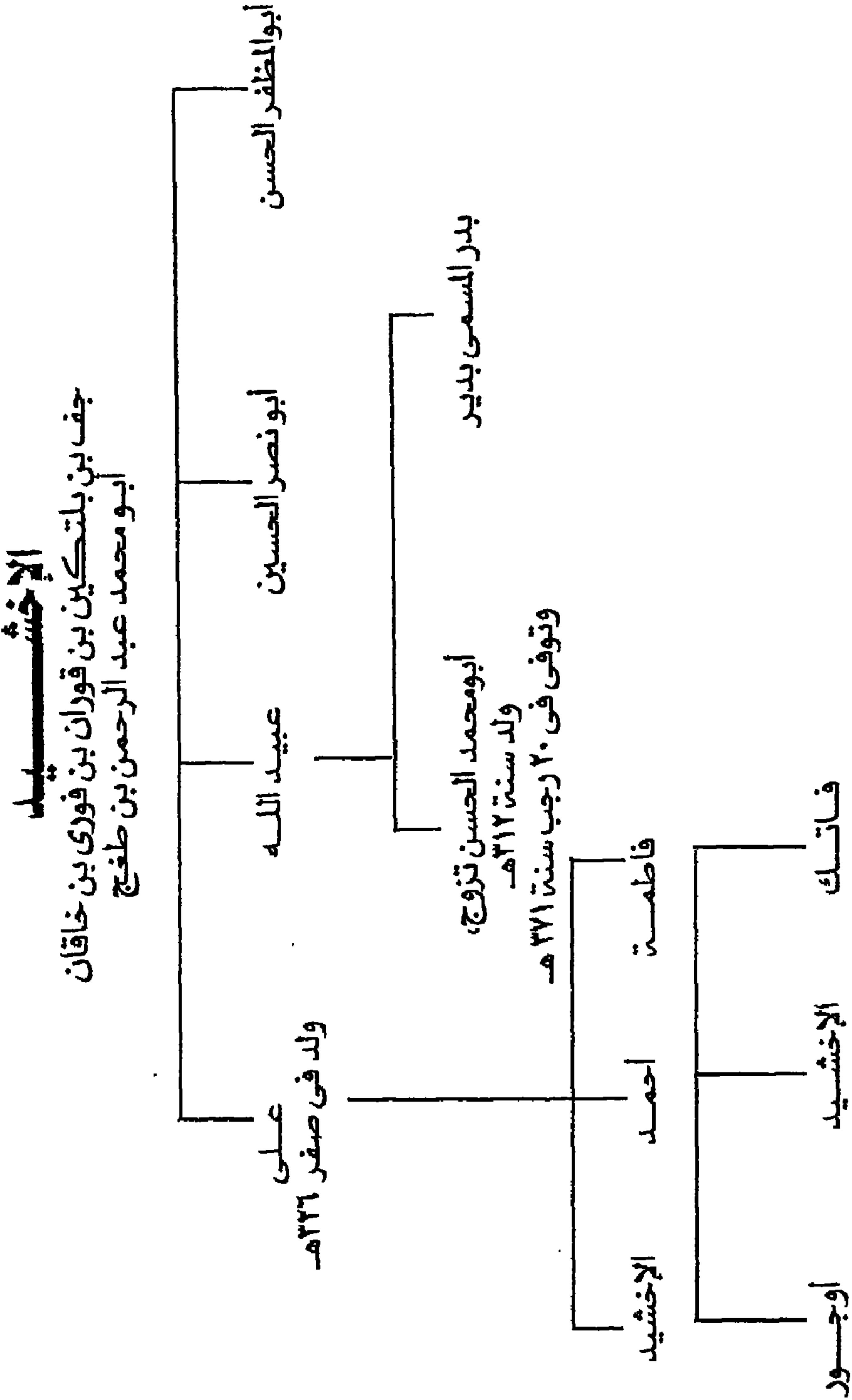


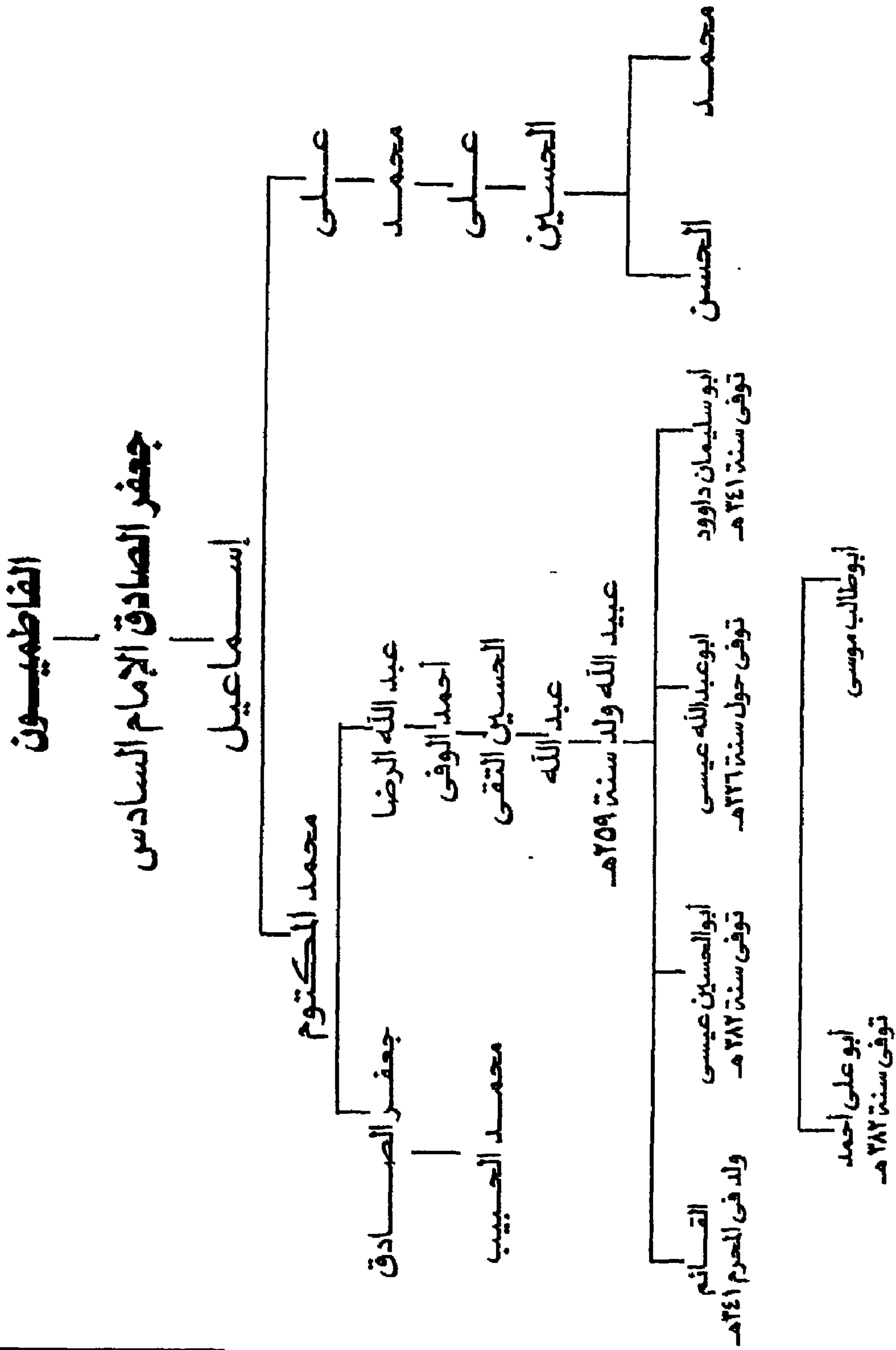
العصر العباسي الأول
١٣٢ - ٢٣٢ هـ - ٧٥٠ - ٨٤٧ م



بنو طولون







بيان مفصل بأسماء الكتب والبحوث المشار إليها في صفحات الجزء الأول

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، المتوفى سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٢م، «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، ثلاثة أجزاء، مطبعة بولاق، القاهرة سنة ١٣١١هـ / ١٨٨٩م.
- (٣) ابن دقماق (إبراهيم بن محمد أيدمر العلائي الشهير بابن دقماق، والمتوفى حوالى سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٩م، «كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار»، طبع الجزء الرابع والخامس بالمطبعة الأميرية، القاهرة، سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩٢م).
- (٤) ابن عبد الهادى (يوسف بن عبد الهادى، المتوفى سنة ٩٠٩هـ / ١٥٠٥م، «ثمار المقاصد فى ذكر المساجد»، نشره محمد أسعد أطلس، الجزء الثالث من «مجموعة النصوص الشرقية»، مطبوعات المعهد الفرنسى بدمشق، بيروت سنة ١٩٤٣م.
- (٥) ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف بن ميسر، المتوفى سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٥م، «أخبار مصر»، نشر (هنرى ماسيه)، القاهرة سنة ١٩١٩م، مطبوعات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية.
- (٦) أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى، المتوفى سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م، «كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية»، تحقيق الدكتور محمد حلمى محمد أحمد ومراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة، القاهرة سنة ١٩٦٢م.
- (٧) أبو المحاسن (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى، المتوفى سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م، «النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة»، صدر منه ١٢ جزءاً، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٩م - ١٩٥٦م.
- (٨) (أنلان)، «الباب العربى لكنيسة واسط».

Enlart (Camille), *L'Eglise du Wast en Boulonais et son Portail Arabe*, Gazette des Beaux Arts, Tome II, pp, 9, 10, Paris, 1927.

(٩) (أولر)، «شبابيك القلل»:

Olmer (Pierre), *Les Filters de Gargoulettes*, (Catalogue Général du Musée Arabe du Caire), Le Caire, 1932.

(١٠) البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخارى الجعفى، المتوفى سنة ٢٥٥هـ / ٨٧٠م، «كتاب الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخارى»، تسعة أجزاء، مطابع الشعب، القاهرة سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م.

(١١) (بريجن)، «العمارة المحمدية»:

Briggs (M.S.), *Muhammadian Architecture in Egypt and Palestine*, Oxford, 1924.

(١٢) بهجت (على) و (ماسول)، «الخزف الإسلامى فى مصر»:

Bahgat (Aly) et Massoul (Félix), *La Céramique Muslmane de l'Egypte*, (Publications du Musée Arabe du Caire), Le Caire, 1930.

(١٣) (بوتى)، «الأخشاب المنحوتة»:

Pauty (Edmond), *Les Bois Sculptés jusqu'a l'Epogue Ayyoubide*, (Catalogue General du Musée Arabe du Caire), Le Caire, 1931.

(١٤) ...، «تخطيط مسجد الصالح طلائع»:

-, *Le Plan de la Mosquée d'as-Salih Talâyi*, Bulletin de la Société Royale de Géographie, Tome XVII.

(١٥) ...، «تطور شكل التاء فى نظام المساجد»:

-, *L'Evolution du Dispositif en T dans les Mosquées à portiques*, Bulletin d'Etudes Orientales, Institut Francais de Damas, Tome II, 1932, pp. 91-124.

(١٦) الجبرتى (الشيخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتى، المتوفى سنة ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م، «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار»، أربعة أجزاء، مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٧٥م.

(١٧) (جروهمان)، «الكوفى المزهر»:

Grohman (Adolf), *The Origin and Early Development of Floriated Kufic*, Ars Orientalis, Vol. II, pp. 183-213, Michigan, 1957.

(١٨) حسن (زكى محمد)، «كنوز الفاطميين»، مطبوعات «دار الآثار العربية»، القاهرة سنة ١٩٣٧م.

(١٩) خسرو (ناصر)، «سفرنامه»، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٥م.

(٢٠) (ديماند)، «الفنون الإسلامية»:

الترجمة العربية، طبع مؤسسة فرانكلين ودار المعارف بالقاهرة ١٩٥٤م.

Dimand (M.S.), *A Handbook of Muhammadan Art*, Metropolitan Museum of Art, New York, 1947.

راشد، انظر هوارى (مرجع رقم ٧١).

(٢١) (رافيس)، «بحث عن تاريخ القاهرة»:

Ravaissé (Paul), *Essai sur l'Histoire et sur la Topographie du Caire*, Mémoires publiés par les Membres de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire. Tomes I et III, 1887, et 1890.

(٢٢) (رونان)، «دائرة معارف الحضارة العربية»:

Ronart (Stephen and Nendy), *Concise Encyclopaedia of Arabic Civilization The Arab East*. Djambatan, Amsterdam, 1959.

(٢٣) (ريفويرا)، «العمارة الإسلامية»:

Rivoire (G.T.), *Moslem Architecture*, Oxford, 1925.

(٢٤) سالم (الدكتور السيد محمود عبد العزيز)، «المآذن المصرية، نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى»، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٩م.

(٢٥) السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، المتوفى سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م، «الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع»، ١٢ جزءاً، مكتبة القدسى، القاهرة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٥م.

(٢٦) سرور (الدكتور محمد جمال الدين)، «مصر فى عصر الدولة الفاطمية»، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة سنة ١٩٦٠م.

(٢٧) (سلادان)، «الفن الإسلامى - العمارة»:

Saladin (Henri), *Manuel d'Art Musulman, L'Architecture*, Paris. 1908.

(٢٨) السهوى (نور الدين على بن أحمد، المتوفى سنة ٩١١هـ / ١٥٠٦م، «وفاء الوفى بأخبار دار المصطفى»، جزءان، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٩م.

(٢٩) (سوفاجيه)، «المسجد الأموى بالمدينة»:

Sauvaget (Jean), *La Mosquée Omeiyade de Médine*, Paris. 1947.

وانظر (كومب)، «مرجع الكتابات العربية، مرجع رقم (٥٣).

(٣٠) شافعى (فريد)، «محراب فاطمى فى المسجد الطولونى»:

Shafii (Farid), *An Early Fatimid Mihrab in the Mosque of Ibn Tulun*. Bulletin of the Faculty of Arts, University of Cairo, Vol. XV, Part I, 1953.

(٣١) - ... ، «مميزات الأخشاب المزخرفة فى الطرازين العباسى والفاطمى فى مصر»، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السادس عشر، الجزء الأول، مايو ١٩٥٤م، صفحات ٥٧ إلى ٩٤.

(٣٢) (شلومبرجر)، «مغازى الملك مرقى»:

Schlumberger (Gustave), *Campagnes du roi Amaury Ier de Jérusalem en Egypte au XII siècle*, Paris, 1906.

(٣٣) (فان برشم)، «موسوعة النقوش العربية»:

Van-Berchem, (Max), *Corpus Inscriptionum Arabicorum, Iere Partic, Egypte*, Mémoires publiés par les Membres de la Mission Archéologique Française au Caire, Tome XIX, Paris, 1894.

(٣٤)..... ، «مسجد من عهد الفاطميين»:

-, *Une Mosquée du temps des Fatimides*, Mémoires de l'Institut d'Egypt, Tome II, pp. 606 – 619, 1889.

(٣٥) ... ، «مذكرات فى الآثار العربية»:

-, *Noted d'Archéologie Arabe*, Journal Asiatique, 8eme série, Tomes XVII, XIX, Paris, 1891.

(٣٦) (فايل)، «الأخشاب المنقوشة بالكتابات»:

Weill (Jean David), *Les Bois à Epigraphes jusqu'à l'Epoque Mamlouke*. (Catalogue Général du Musée Arabe du Caire), La Caire, 1931.

(٣٧) فكرى (أحمد)، «مساجد القاهرة ومدارسها - المدخل»، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١م.

(٣٨) ... ، «المسجد الجامع بالقىروان»، مطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩٣٦م.

(٣٩) ... ، «مسجد الزيتونة الجامع في تونس». مقال في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الرابع، العدد الثاني سنة ١٩٥٢م.

(٤٠) ... ، «التأثيرات الإسلامية»:

Fikry, (Ahmad), *L'Art Roman du Puy et les Influences Islamiques*, Paris, Leroux, 1934.

(٤١) ... ، «زخارف مسجدى الحاكم والأزهر»:

Flury, (Samuel), *Die Ornamente der Hakim-und Azhar-Moschee*, Heidelberg, 1912.

(٤٢) ... ، «الزخارف الكتابية في آثار القاهرة الفاطمية»:

-, *Le Décor Epigraphique des monuments Fatimides du Caire*, Syrie, XVII, 1936, pp. 36 – 76.

(٤٣) ... ، «الإجازات الكتابية الإسلامية»:

-, *Islamische Schriftbänder, Amida – Diarbeker, XI Jahrhundert*, Basel-Paris, 1920.

(٤٤) (فييت)، «المشكاوات والقناني الزجاجية»:

Wiet, (Gaston), *Lampes et Bouteilles en Verre Emaillé*, (Catalogue Général du Musée Arabe du Caire), Le Caire, 1929.

(٤٥) ... ، «الأواني النحاسية»:

-, *Les Objets en Cuivre*, (Catalogue Général du Musée Arabe du Caire). Le Caire, 1932.

(٤٦) ... ، «شواهد القبور»:

-, *Stèles Funéraires*. (Catalogue Général du Musée Arabe du Caire, 10 vols, La Caire, 1932 – 1942.

(٤٧) ... ، «مواد لموسوعة كتابات عربية»:

-, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicorum*, Ière Partie, Egypte, Tome II, Memoires publiés par les Membres de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, Tome LII, 1930.

(٤٨) (فييت) و (هوتكوك)، «مساجد القاهرة»:

Wiet et Hauteceur (Louis), *Les Mosquées du Caire*, 2 vols., Paris, Leroux, 1932.

وانظر (كومب)، «مرجع الكتابات العربية» مرجع رقم (٥٣).

(٤٩) القلقشندى (الشيخ أبو العباس أحمد، المتوفى سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م، «صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء»، ١٤ جزءاً، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة، سنة ١٩١٣هـ / ١٩١٩م.

(٥٠) (كريسويل)، «العمارة الإسلامية فى مصر»:

Creswell (K.A.C), *Muslim Architecture, of Egypt*. 2 vols. Clarendon Press, Oxford, 1952 - 1959.

(٥١) ... ، «العمارة الإسلامية الأولى»:

-, *Early Muslim Architecture*, 2 vols. Clarendon Press, Oxford, 1932 – 1940.

(٥٢) ... ، «مختصر العمارة الإسلامية الأولى»:

-, *A Short Account of Early Muslim Architecture*. Penguin & Pelican Books, 1958.

(٥٣) (كومب) و (سوفاجيه) و (فييت)، «مرجع الكتابات العربية»

Combe, Sauvaget & Wiet, *Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe*, 12 vols., Le Caire, 1931 – 1950.

(٥٤) (كونيل)، «الفن المغربى»:

Kühnel (Ernst), *Maurische Kunst*, Berlin, 1924.

(٥٥) ... ، «التواشيح العربية»:

-, *Die Arabeske, Sinn und Wandlung Eines Ornaments*, Wiesbaden, 1949.

(٥٦) ... ، «التواشيح العربية»:

-, Arabesque, in *The Encyclopaedia of Islam*, New Edition, vol. I pp. 558-561. Leiden, 1957-1960.

(٥٧) (لام)، «الأخشاب الفاطمية»:

Lamm (Carl Johan), *Fatimid Wordwork, Its Style and Chronology*, Bulletin de l'Institut d'Egypt, Vol. XVIII, 1934-1936, pp. 59-91.

(٥٨) (لامبين)، «المساجد الإسبانية فى المغرب»:

Lambert, *Les mosquées du type Andalou en Espagne et en Afrique du Nord*. Al-Andalus, Vol. XIV, Madrid, 1949, pp. 273-289.

(٥٩) (لين بول)، «تاريخ مصر فى العصور الوسطى»:

Lane-Poole (Stanley), *A History of Egypt in the Middle Ages*, London, 1936.

(٦٠) (مارسيه)، «الفن الإسلامى فى المغرب والأندلس»:

Marcais (Georges), *Manuel d'Art, Muslman, L'Architecture*, 2 vols, Paris, Picard, 1926-1927.

(٦١) ... ، «العمارة الإسلامية فى الغرب»:

-, *L'Architecture Musulmane d'Occident*, Paris, 1954.

-, *Les Mosquées du Caire*, d'après un livre récent,

(٦٢) .. ، «مساجد القاهرة»:

Revue Africaine, Tome LXXIV, 1933.

(٦٣) ... ، «فن الإسلام»:

-, *L'Art de l'Islam*, Larousse, Paris, 1946.

(ماسول)، انظر بهجت، (مرجع رقم ١٢).

(٦٤) (مايلن)، «المحراب والعنزة»:

Miles (George C.), *Mihrab and Anazah*, A study in Early Islamic Iconography, in *Archaeologica Orientalia in Memoriam Ernst Herzfeld*, pp. 156-171, New York, 1952.

(٦٥) مبارك (على مبارك)، «الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلانها القديمة والشهيرة»، ٢٠ جزءاً، المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٠٥هـ - ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م - ١٨٨٩م.

(٦٦) «محاضر لجنة حفظ الآثار العربية»، ظهر منها ٤١ جزءاً من سنة ١٨٨٢م إلى سنة ١٩٦٣، بعضها باللغة العربية ومعظمها باللغة الفرنسية. كما ظهر منها فهرس عام باللغة الفرنسية للأعداد الـ ٢٧ الأولى من سنة ١٨٨٢م إلى ١٩١٠م.

(٦٧) المنقرى (أحمد بن محمد، المتوفى سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣٣م، «نقح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب»، ٤ أجزاء، طبع المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة سنة ١٨٦٢م.

(٦٨) المقرئ (الشيخ تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر المعروف بالمقرئى والمتوفى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م، «المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، فى مصر والقاهرة والنيل، وما يتعلق بها من الأخبار»، المشهور بـ «الخطط». جزءان، طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م.

(٦٩) «مساجد مصر»، جزءان: وزارة الأوقاف بالقاهرة ١٩٥٢م.

(٧٠) النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، المتوفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م، «نهاية الأرب فى فنون الأدب»، صدرت جملة أجزاء منه، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة، من سنة ١٩٢٣م إلى ١٩٦٠م.

(٧١) هوارى (حسن) وراشد (حسين)، «شواهد القبور»:

Hawary (Hassan) & Rached (Hussein), Stèles Funeraires, Vol. 1, (Catalogue Général du Musée Arabe du Caire), Le Caire, 1932.

(هوتكور)، انظر فييت (مرجع رقم ٤٨).

(٧٢) «وصف مصر»:

Description de l'Egypte, Etat Moderne, Mémoires de l'Institut d'Egypt, Tome VII., Seconde Edition, Imprimerie de C.L.F. Panckoucke, Paris, 1826.

□□□

بيان الأشكال

صفحة

شكل

- ١ - موقع القاهرة في مصر الفسطاط والعسكر والقطائع (من رسم المؤلف) ٨
- ٢ - حدود القاهرة على عهدى المعز و بدر الجمالى (من رسم المؤلف) ٢٥
- ٣ - رسم تخطيطى لمسجد الأزهر الجامع فى منتصف القرن العشرين (عن مصلحة الآثار) ٤٣
- ٤ - رسم تخطيطى لمسجد الأزهر الجامع فى العصر الفاطمى (من رسم المؤلف) ٤٨
- ٥ - قطاع رأسى لمسجد الأزهر عند حدود واجهة المقدم على الصحن (عن مصلحة الآثار) ٥٠
- ٦ - زخرفة رأس المحراب العتيق فى مسجد الأزهر (من رسم المؤلف) ٥٦
- ٧ - رسم تخطيطى لمسجد الحاكم الجامع (عن مصلحة الآثار) ٦٤
- ٨ - قطاع رأسى لمربعة المحراب وقبته وبلاطته (عن مصلحة الآثار) ٦٩
- ٩ - قطاع رأسى لمئذنة مسجد الحاكم الغربية ومعطفها (عن مصلحة الآثار) ٧١
- ١٠ - قطاع رأسى لمئذنة مسجد الحاكم الشمالية ومعطفها (عن مصلحة الآثار) ٧٣
- ١١ - رسم تخطيطى لمسجد الجيوشى (عن مصلحة الآثار) ٨٥
- ١٢ - آية كريمة منقوشة بالخط الكوفى على إطار من الجص فى مسجد الجيوشى (عن مصلحة الآثار) ٨٧
- ١٣ - رسم تخطيطى لمسجد الأقمر (من رسم المؤلف) ٩٠
- ١٤ - حلقة زخرفية على واجهة مسجد الأقمر (عن مصلحة الآثار) ٩٤
- ١٥ - رسم تخطيطى لمسجد السيدة رقية بعد تجديده (عن مصلحة الآثار) ٩٧
- ١٦ - الزخارف الجصية تحشو رأس المحراب الأوسط فى مسجد السيدة رقية (عن مصلحة الآثار) ٩٩
- ١٧ - رسم تخطيطى لمسجد الصالح طلائع بن رزيك عند إنشائه فى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م (من رسم المؤلف) ١٠٤
- ١٨ - رسم منظور خيالى لمقصورة الوليد فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة (عن سوفاجيه) ١١٩
- ١٩ - رسم تخطيطى لبيت الصلاة فى مسجد الزيتونة الجامع (رفع المؤلف ورسمه) ١٢٢
- ٢٠ - رسم إيضاحى لتخطيط بيت الصلاة فى مسجد الكتبية بمراكش (عن بوتسى) ١٢٤
- ٢١ - رسم إيضاحى لتخطيط بيت الصلاة فى مسجد تازا بالمغرب الأقصى (عن بوتسى) ١٢٤
- ٢٢ - رسم إيضاحى لتخطيط بيت الصلاة فى مسجد تنال بالجزائر (عن بوتسى) ١٢٥
- ٢٣ - رسم إيضاحى لتخطيط بيت الصلاة فى مسجد حسن بالرباط (عن بوتسى) ١٢٥

- ٢٤ - رسم إيضاحي لتخطيط بيت الصلاة في مسجد الحاكم بالقاهرة (من رسم المؤلف) ١٢٥
- ٢٥ - رسم للصنح المشقة في بوابة النصر بالقاهرة من عصر بدر الجمالي (من رسم المؤلف) ١٣٥
- ٢٦ - رسم للصنح المشقة في عتبة مسجدى الأقمر والصالح طلائع (من رسم المؤلف) ١٣٥
- ٢٧ - رسوم إيضاحية لأمثلة من العقود المستخدمة في العمارة الفاطمية (من رسم المؤلف) ١٣٨
- ٢٨ - رسم إيضاحي لشكلين من أشكال العقود المنفرجة (من رسم المؤلف) ١٣٩
- ٢٩ - زخارف على المئذنة الشمالية من مسجد الحاكم - صرر وتشابكات هندسية ومضلعات نجمية
- ٣٠ - زخرفة من مئذنة مسجد الحاكم - باقات متماثلة من التوريق (من رسم المؤلف) ١٦٠
- ٣١ - رسم لشكلين من زخرفة التوريق الفاطمية (من رسم المؤلف) ١٦٢
- ٣٢ - أشكال منسقة من زخرفة التوريق الفاطمية (من رسم المؤلف) ١٦٢
- ٣٣ - مجموعة زخرفية متطورة من أشكال التوريق (من رسم المؤلف) ١٦٣
- ٣٤ - زخارف من مسجد الحاكم تظهر فيها بداية أسلوب التوشيح العربى (من رسم المؤلف) ١٦٨
- ٣٥ - زخرفة إفريز من مئذنة مسجد الحاكم الغربية تتجمع فيها المبادئ الرئيسية لأسلوب التوشيح العربى (من رسم المؤلف) ١٦٨
- ٣٦ - زخرفة حرفين من الحروف الرمزية فى مخطوطة يونانية (عن جروهمسان) ١٧٢
- ٣٧ - نماذج لتطور الخط الكوفى من البسيط إلى المورق (من رسم المؤلف) ١٧٣
- ٣٨ - نماذج لتطور الخط الكوفى المورق (من رسم المؤلف) ١٧٤
- ٣٩ - نماذج لتطور الخط الكوفى من المورق إلى المزهى (من رسم المؤلف) ١٧٥
- ٤٠ - أنموذج من تطور الخط الكوفى المزهى (من رسم المؤلف) ١٧٨
- ٤١ - نوع من أنواع الخط الكوفى المزهى - رسم منقول عن قبة البهو فى مسجد الأزهر (من رسم المؤلف) ١٧٩
- ٤٢ - نقش على هيئة شرفات تمتد على إفريز من المئذنة الغربية لمسجد الحاكم (من رسم المؤلف) ١٨١
- ٤٣ - أشكال مختلفة من العقود الفاطمية الزخرفية ذات الفتحات الثلاثة (من رسم المؤلف) ١٨٢

بيان اللوحات

٢٠٤	١ - لوحة خشبية منحوتة من آثار القصر الغربى الصغير (متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)
٢٠٥	٢ - شباك قلة من الفخار - (متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)
٢٠٦	٣ - لوحات خشبية منحوتة من آثار القصر الغربى. قصر العزيز بالله
٢٠٧	٤ - بوابة زويلة
٢٠٨	٥ - بوابة الفتوح - (٤٨٠هـ - ٤٨٥هـ / ١٠٨٧م - ١٠٩٢م)
٢٠٩	٦ - تفصيل من عمارة بوابة الفتوح وزخارفها
٢١٠	٧ - بوابة النصر - من أعمال بدر الجمالى
٢١١	٨ - المنارات العليا فى أسوار القاهرة والمنذنة الشمالية من مسجد الحاكم
٢١٢	٩ - مشاهد السبع بنات
٢١٣	١٠ - بيت الصلاة فى مسجد الأزهر من عهد المعز لدين الله
٢١٤	١١ - بلاطة المحراب فى مسجد الأزهر
٢١٥	١٢ - عقود أسكوب فى مسجد الأزهر
٢١٦	١٣ - أ - زخارف من الجزء العلوى من نهاية بلاطة المحراب فى مسجد الأزهر
٢١٦	ب - زخارف من الجزء العلوى من جدار القبلة فى مسجد الأزهر
٢١٧	١٤ - المحراب العتيق فى مسجد الأزهر
٢١٨	١٥ - واجهة بيت الصلاة على الصحن فى مسجد الأزهر
٢١٩	١٦ - واجهة المؤخر على الصحن فى مسجد الأزهر
٢٢٠	١٧ - مقرنص معقود فى قبة البهو بالأزهر من عهد الحافظ لدين الله
٢٢١	١٨ - مسجد الأزهر - منظر لقبة البهو من الداخل
٢٢٢	١٩ - زخارف عتيقة أو مجددة على النظام العتيق فى جدار الأسكوب الخامس عند نهاية بيت الصلاة بمسجد الأزهر

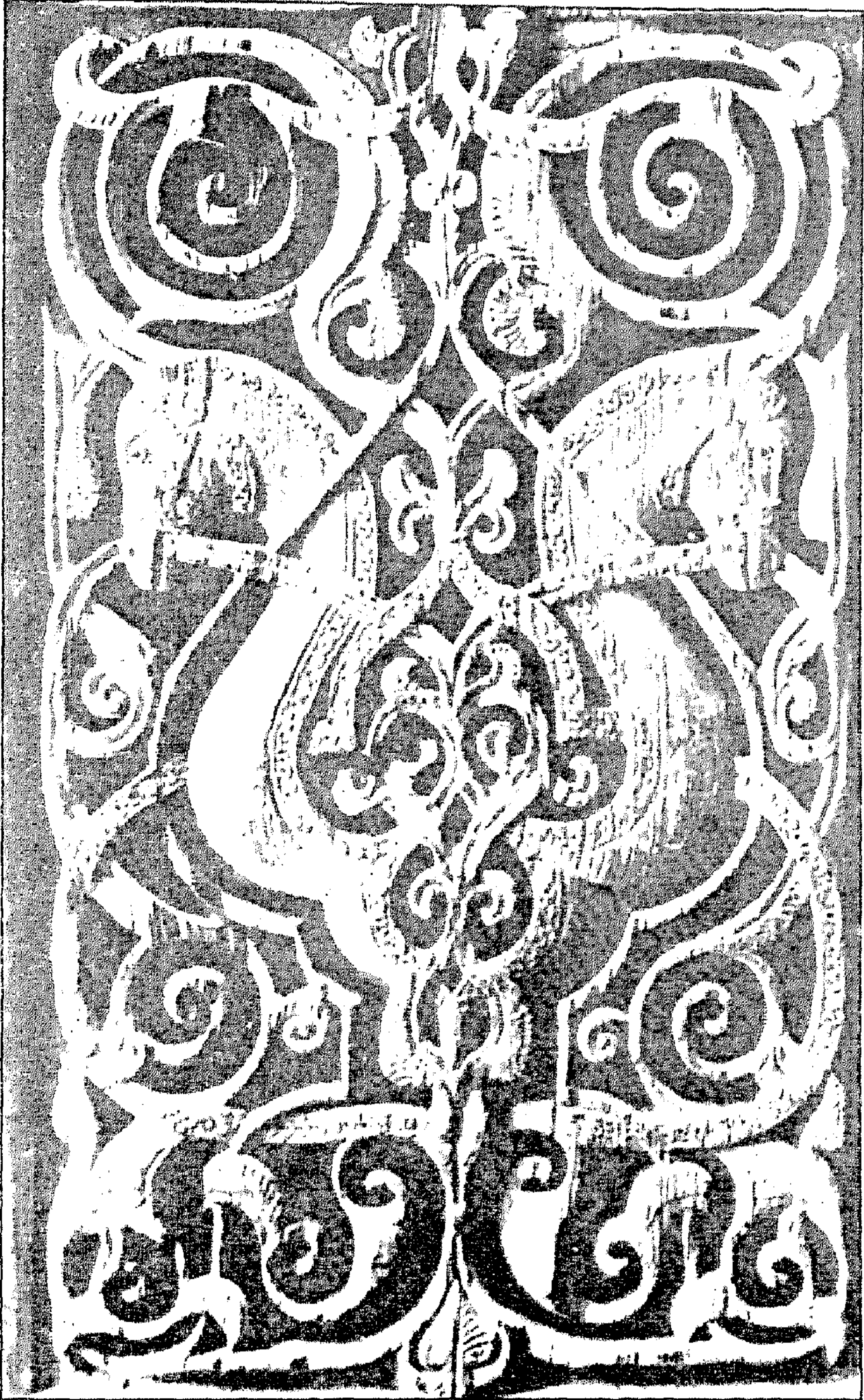
٢٢٣	٢٠ - زخارف عتيقة على جانبي بلاطة المحراب بالأزهر
٢٢٤	٢١ - مسجد الحاكم - بلاطة المحراب
٢٢٥	٢٢ - مسجد الحاكم - المحراب وقبة المحراب
٢٢٦	٢٣ - عقود ودعامات متخلقة عن مسجد الحاكم
٢٢٧	٢٤ - عقود ودعامات في مسجد الحاكم
٢٢٨	٢٥ - عقود ودعامات من بيت الصلاة في مسجد الحاكم
٢٢٩	٢٦ - مسجد الحاكم - (أ و ب) - عقود ودعامات وطاقت بين العقود فوق الدعامات
٢٣٠	٢٧ - مسجد الحاكم - (أ) بقايا قبة أسكوب المحراب - (ب) نافذة في جدار القبلة
٢٣١	٢٨ - مسجد الحاكم (أ) قبة المحراب من الخارج - (ب) قبة المحراب من الداخل
٢٣٢	٢٩ - مسجد الحاكم - نوافذ القبة المطلة على بلاطة المحراب وطاقاتها
٢٣٣	٣٠ - مسجد الحاكم (أ، ب) - شرفات - (ج) - الجانب الشرقي من البوابة
٢٣٤	٣١ - مسجد الحاكم - المنذنة الغربية
٢٣٥	٣٢ - مسجد الحاكم - المنذنة الشمالية
٢٣٦	٣٣ - منظر عام لمسجد الجيوشى
٢٣٧	٣٤ - مسجد الجيوشى - المحراب والقبة
٢٣٨	٣٥ - مسجد الجيوشى - المحراب وعقد بطل على الأسكوب الثانى
٢٣٩	٣٦ - مسجد الجيوشى - الصحن
٢٤٠	٣٧ - مسجد الجيوشى - (أ) - مقرنص القبة. (ب) - واجهة المحراب
٢٤١	٣٨ - منذنة مسجد الجيوشى
٢٤٢	٣٩ - واجهة مسجد الأقمر
٢٤٣	٤٠ - مسجد الأقمر - بيت الصلاة
٢٤٤	٤١ - منظر لصحن مسجد الصالح طلائع بعد تجديده، (المؤخر والمجنبه الغربية)
٢٤٥	٤٢ - مسجد الأقمر - مؤخر المسجد
٢٤٦	٤٣ - مسجد الأقمر - البوابة

٢٤٧	٤٤ - مسجد الأقمر - تفصيل من زخارف الواجهة
٢٤٨	٤٥ - مسجد الأقمر - (أ) - تفصيل من زخارف الواجهة - (ب) - مشكاة على الواجهة
٢٤٩	٤٦ - مسجد الأقمر - مقرنص الركن بين الواجهتين الشرقية والشمالية
٢٥٠	٤٧ - مسجد السيدة رقية رضى الله عنها - منظر عام للصحن والقبّة
٢٥١	٤٨ - مسجد السيدة رقية رضى الله عنها - منظر للقبّة من الداخل
٢٥٢	٤٩ - المحراب اليميني من رواق الصحن في مسجد السيدة رقية والمحراب اليسارى
٢٥٣	٥٠ - مسجد السيدة رقية: (أ) المحراب الأوسط (ب) - محراب جانبي في بيت الصلاة
٢٥٤	٥١ - مسجد الصالح طلائع - عقود الصحن قبل تجديدها
٢٥٥	٥٢ - مسجد الصالح طلائع - منظر عام قبل تجديده
٢٥٦	٥٣ - مسجد الصالح طلائع - قسم من الواجهة قبل إتمام تجديدها
٢٥٧	٥٤ - مسجد الصالح طلائع - بيت الصلاة
٢٥٨	٥٥ - مسجد الصالح طلائع - منظر ثان لبيت الصلاة
٢٥٩	٥٦ - مسجد الصالح طلائع - المحراب
٢٦٠	٥٧ - مسجد طلائع - الواجهة بعد إعادة بنائها
٢٦١	٥٨ - مسجد الصالح طلائع - صرر على عقود بيت الصلاة
٢٦٢	٥٩ - (أ) قبة السيدة رقية رضى الله عنها - (ب) - قبة مشهد يحيى الشيبه رضى الله عنه
٢٦٣	٦٠ - قبة مشهد أبى الغضنفر (سيدى معاذ) رضى الله عنه
٢٦٤	٦١ - قبتا مشهدى عاتكة وجعفر رضى الله عنهما
٢٦٥	٦٢ - (أ) - قبة المحراب في مسجد القيروان. (ب) - قبة البهو في مسجد الزيتونة بتونس
٢٦٦	٦٣ - (أ) - مئذنة مسجد القيروان. (ب) - مئذنة مسجد سفاقص بتونس
٢٦٧	٦٤ - (أ) - محراب مشهد عاتكة رضى الله عنها. (ب) - محراب مشهد إخوة يوسف
٢٦٨	٦٥ - (أ) - محراب مشهد الجعفرى (ب) - محراب مشهد يحيى الشيبه رضى الله عنه
٢٦٩	٦٦ - (أ - د) - زخارف جصية على أربع نوافذ في مسجد الحاكم
٢٧٠	٦٧ - (أ - د) - زخارف في المئذنة الغربية بمسجد الحاكم

٢٧١	٦٨ - مسجد الحاكم-(أ)زخرفة من المئذنة الغربية. (ب، ح) مسجد الحاكم- زخارف من البوابة
٢٧٢	٦٩ - مسجد الصالح طلائع - (أ و ب) - زخارف حدارات في بيت الصلاة
٢٧٣	٧٠ - مسجد الحاكم - (أ، ب) - قسما الواجهة الشرفية للبوابة
٢٧٤	٧١ - مسجد الحاكم - (أ - د) - زخارف من المئذنتين
٢٧٥	٧٢ - مسجد الحاكم - (أ - هـ) - زخارف من المئذنتين
٢٧٦	٧٣ - مسجد الحاكم - زخارف طاقة من قبة المحراب
٢٧٧	٧٤ - مسجد الحاكم - زخارف طاقة من قبة المحراب
٢٧٨	٧٥ - مسجد الحاكم (أ و ب) - زخارف نافذتين في جدار أسكوب المحراب
٢٧٩	٧٦ - تفاصيل زخرفية من محراب السيدة رقية رضى الله عنها بمتحف الفن الإسلامى
٢٨٠	٧٧ - مسجد الحاكم - (أ و ب) - تفاصيل من نقوش قرآنية بالخط الكوفى
٢٨١	٧٨ - مسجد الحاكم - (أ - د) - شرائط من نقوش قرآنية بالخط الكوفى
٢٨٢	٧٩ - تفاصيل من النقوش الكوفية فى مسجد الحاكم- (أ)المئذنة الغربية - (ب) المئذنة الشمالية
٢٨٣	٨٠ - مسجد الحاكم - (أ - ج) - تفاصيل من الخط الكوفى

اللوحة

لوحة رقم (١)



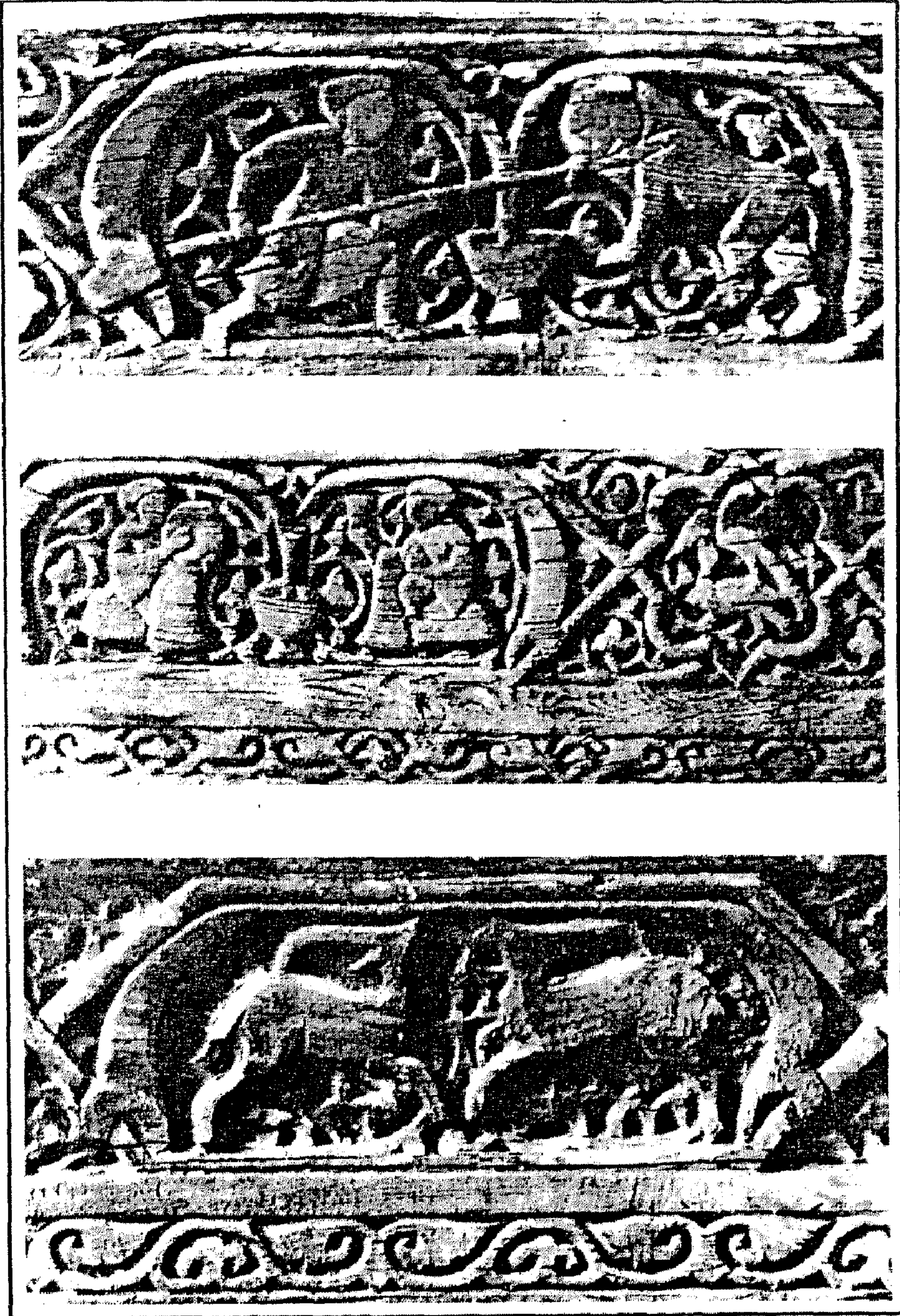
لوحة خشبية منحوتة من آثار القصر الغربى الصغير (متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

لوحة رقم (٢)



شباك قلة من الفخار (متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

لوحة رقم (٣)



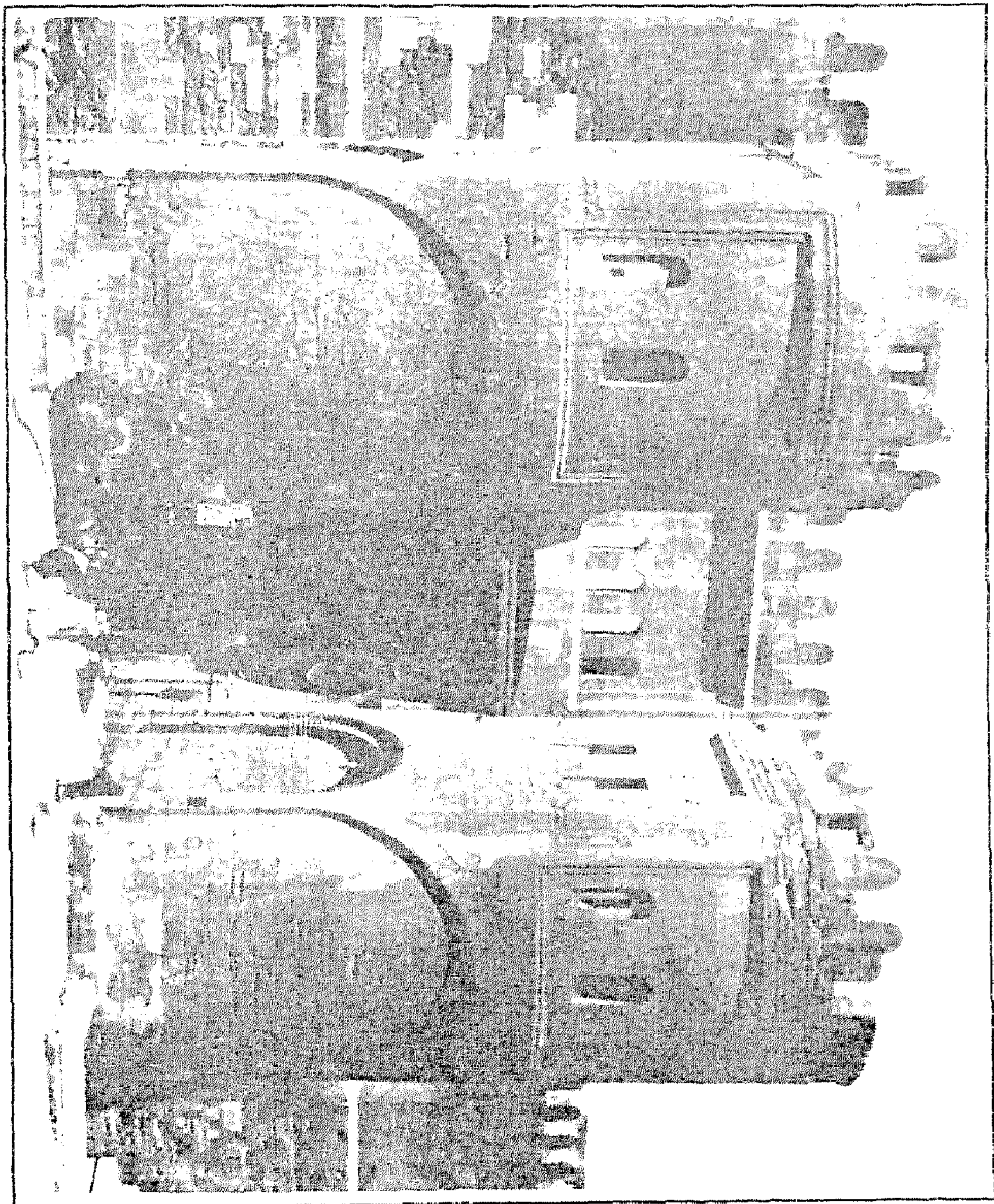
لوحات خشبية منحوتة من آثار القصر الغربي. قصر العزيز بالله

لوحة رقم (٤)

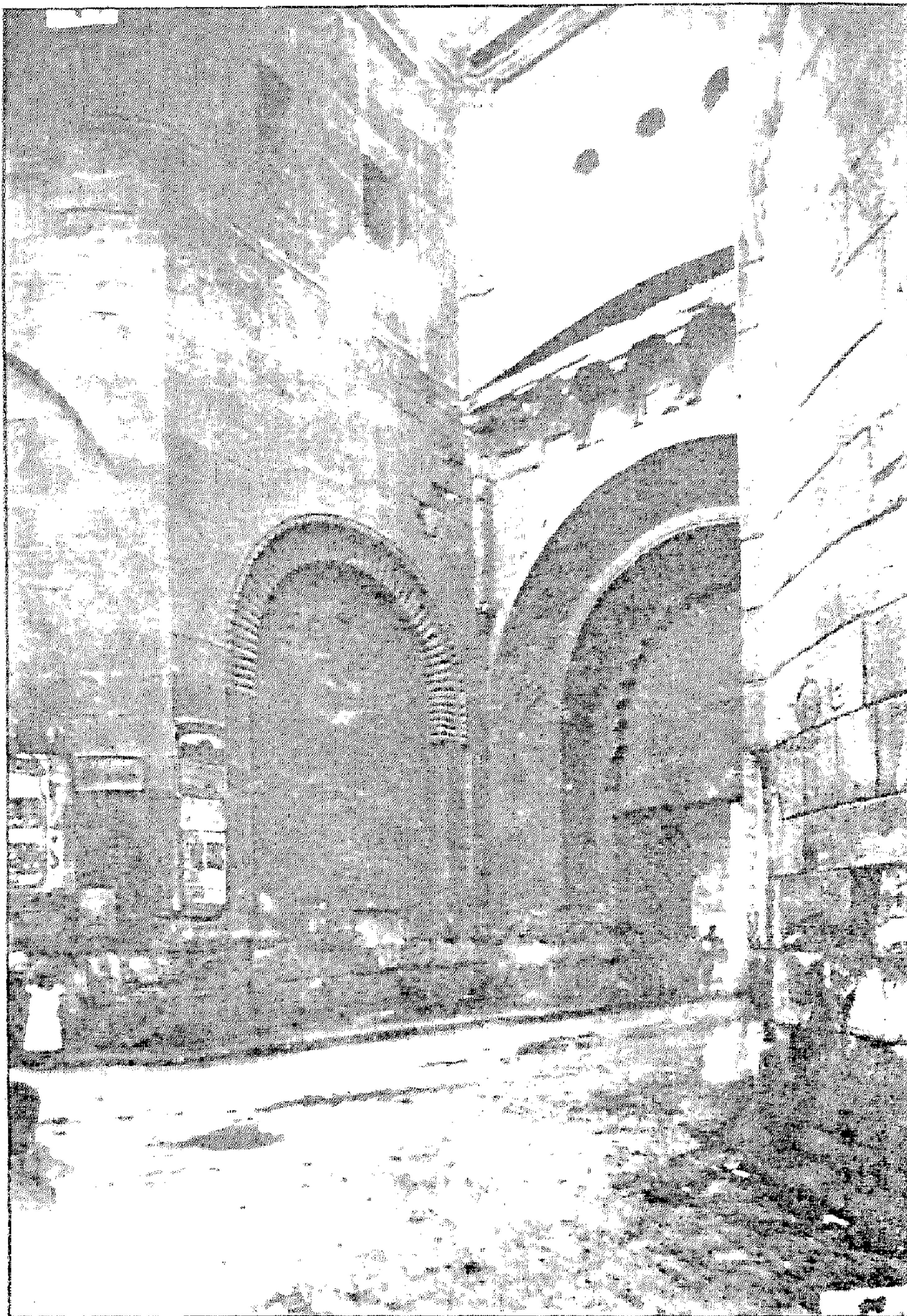


بوابة زويلة

لوحة رقم (٥)

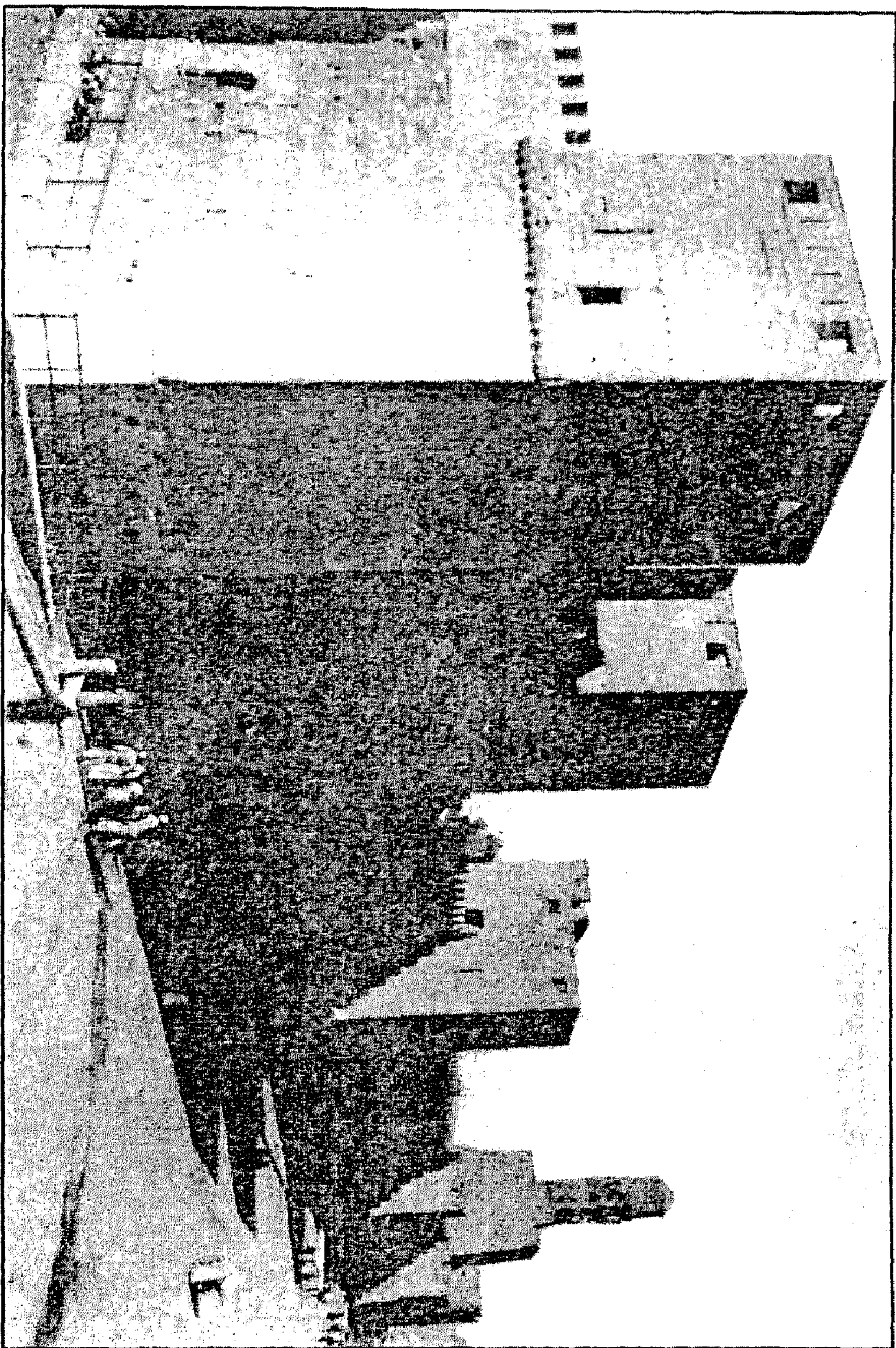


بوابة القنوج (١٤٨٠هـ - ١٥٣٥هـ / ١٠٨٧م - ١٠٩٢م)

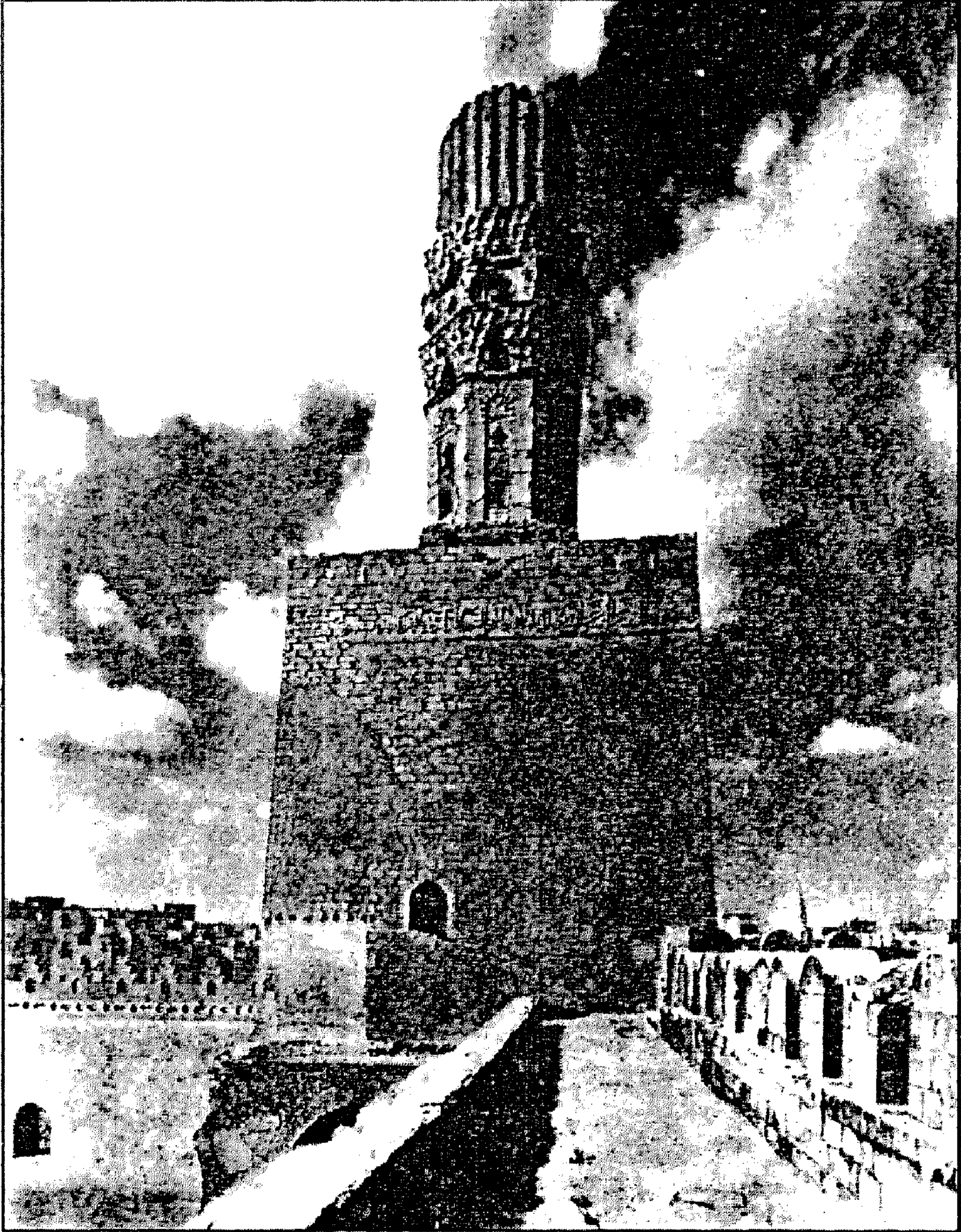


تفصيل من عمارة بوابة الفتوح وزخارفها

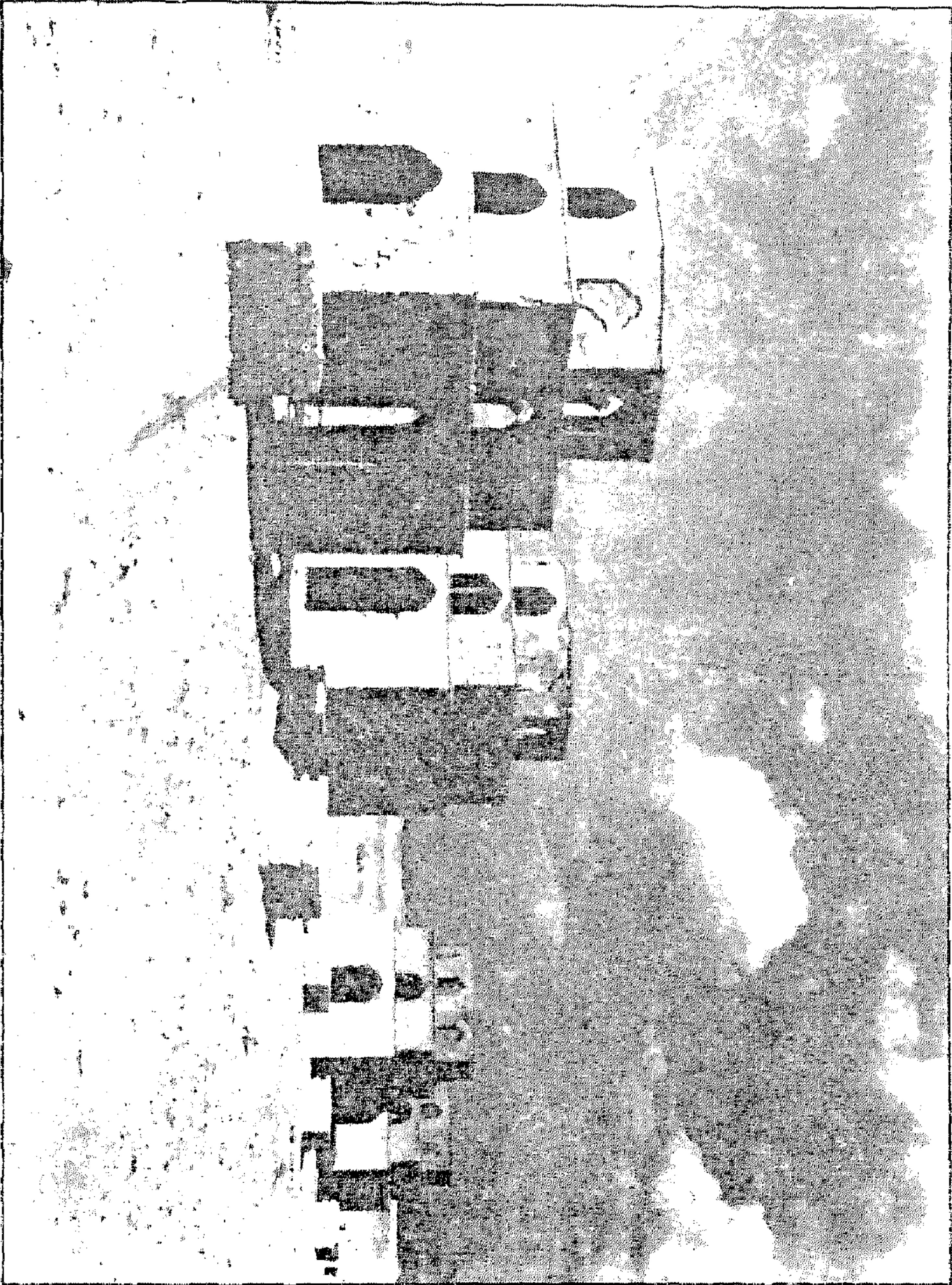
لوحة رقم (٧)



بوابة النصر — من أعمال بدر الجمالي



المعرات العليا في أسوار القاهرة والمقننة الشمالية من مسجد الحاكم



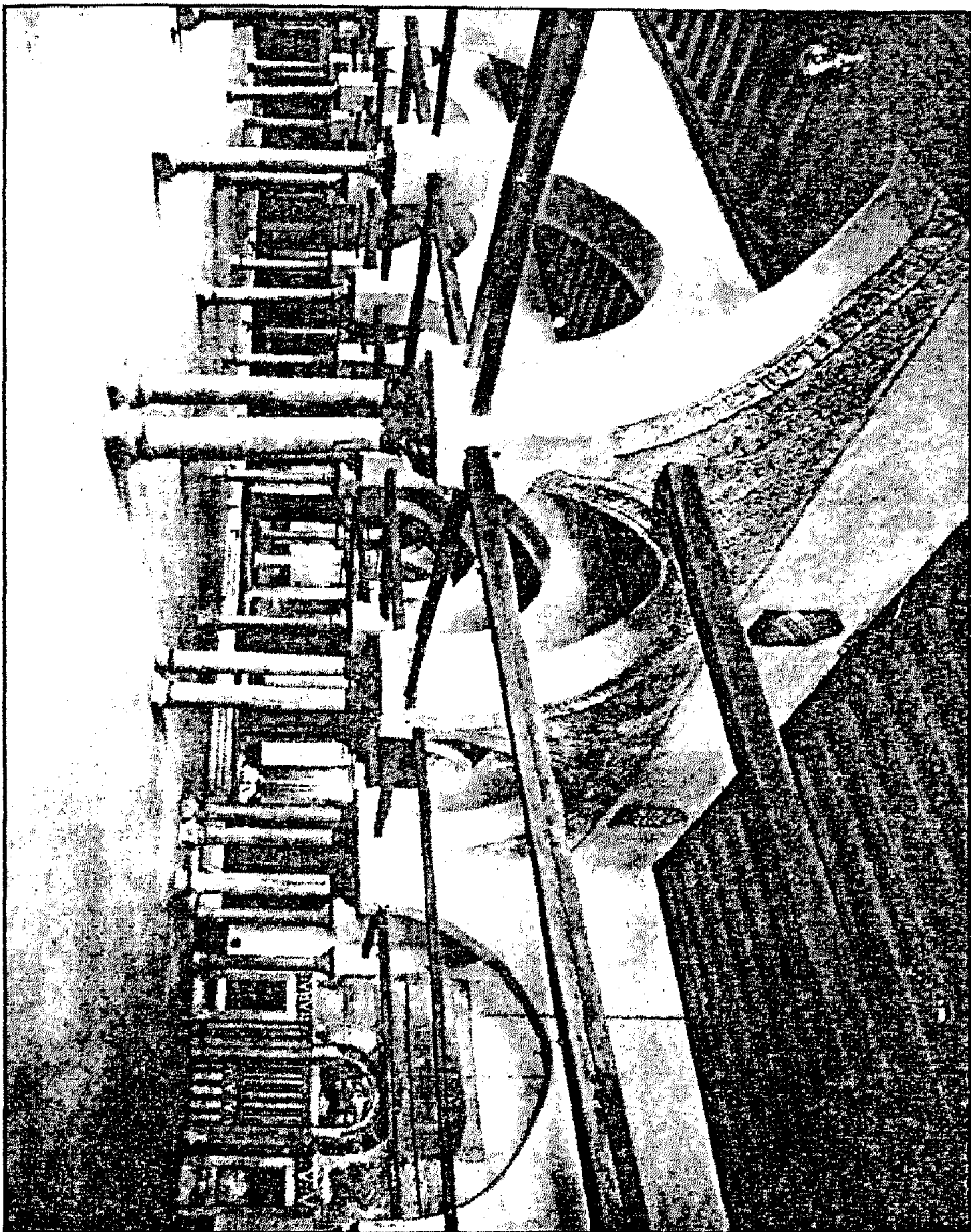
مشاهد السبع بنايات

لوحة رقم (١٠)



بيت الصلاة في مسجد الأزهر من عهد المعز لدين الله

لوحة رقم (١١)

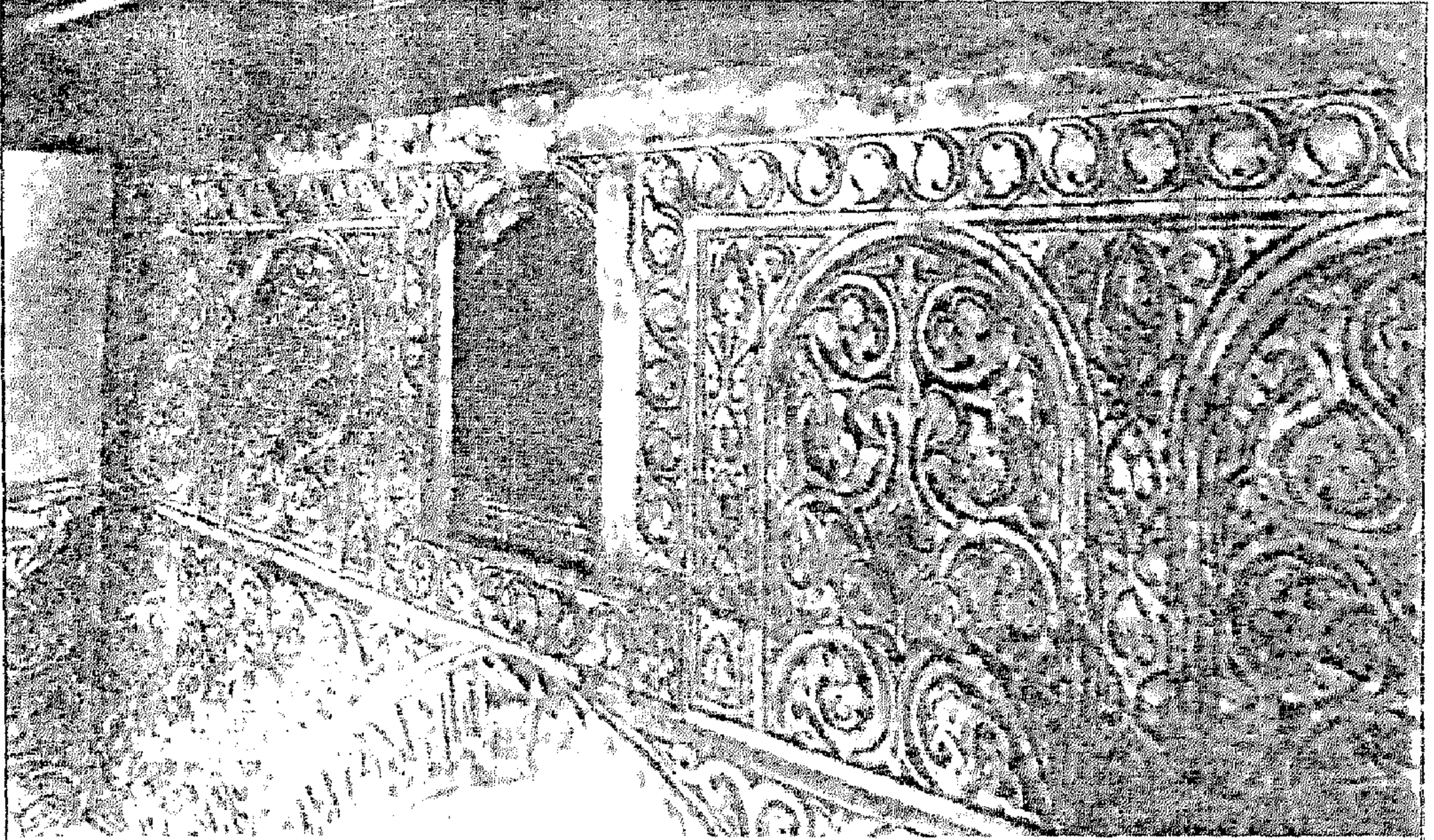


بلاطة المحراب في مسجد الأزهر

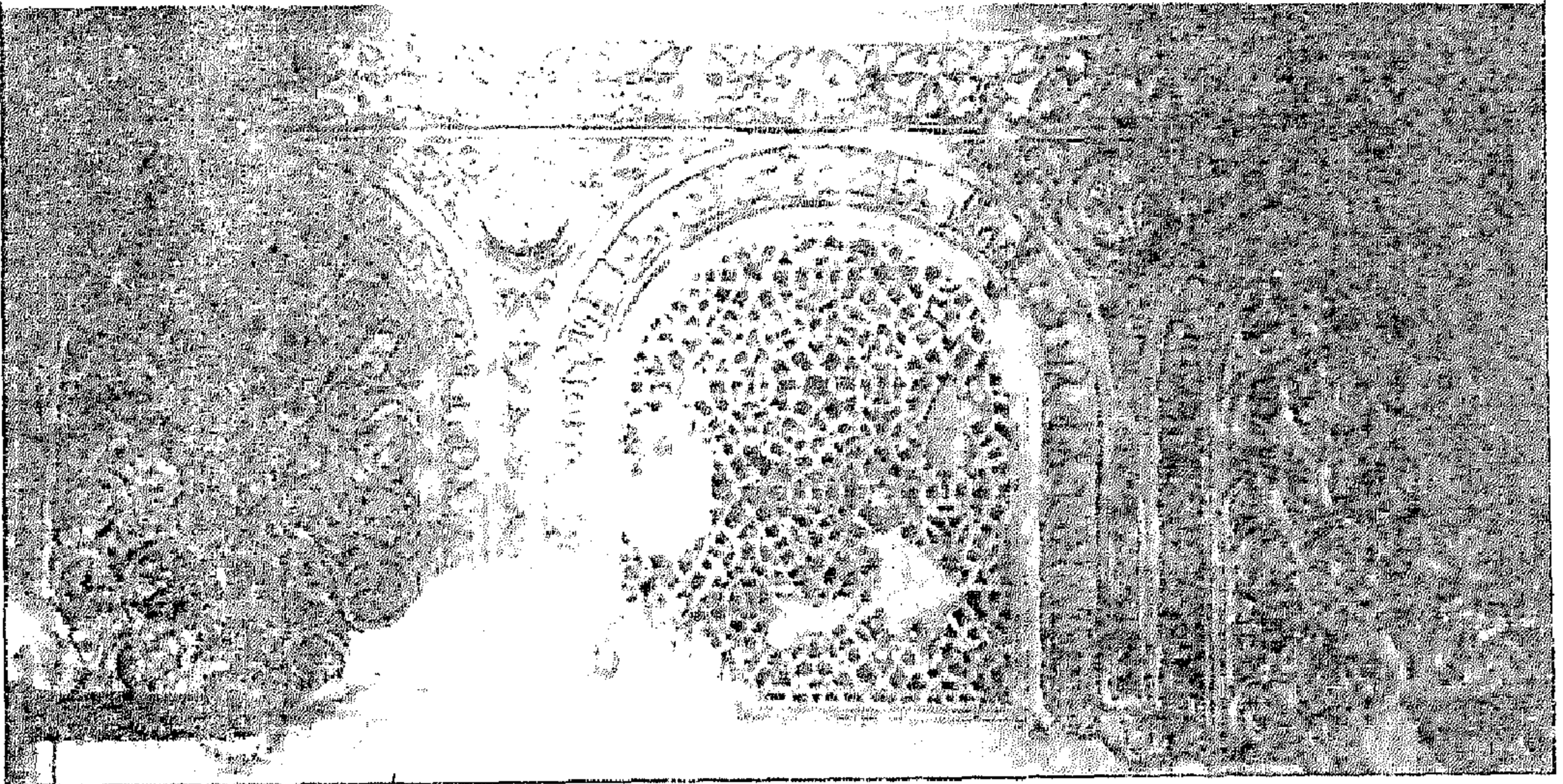
لوحة رقم (١٢)



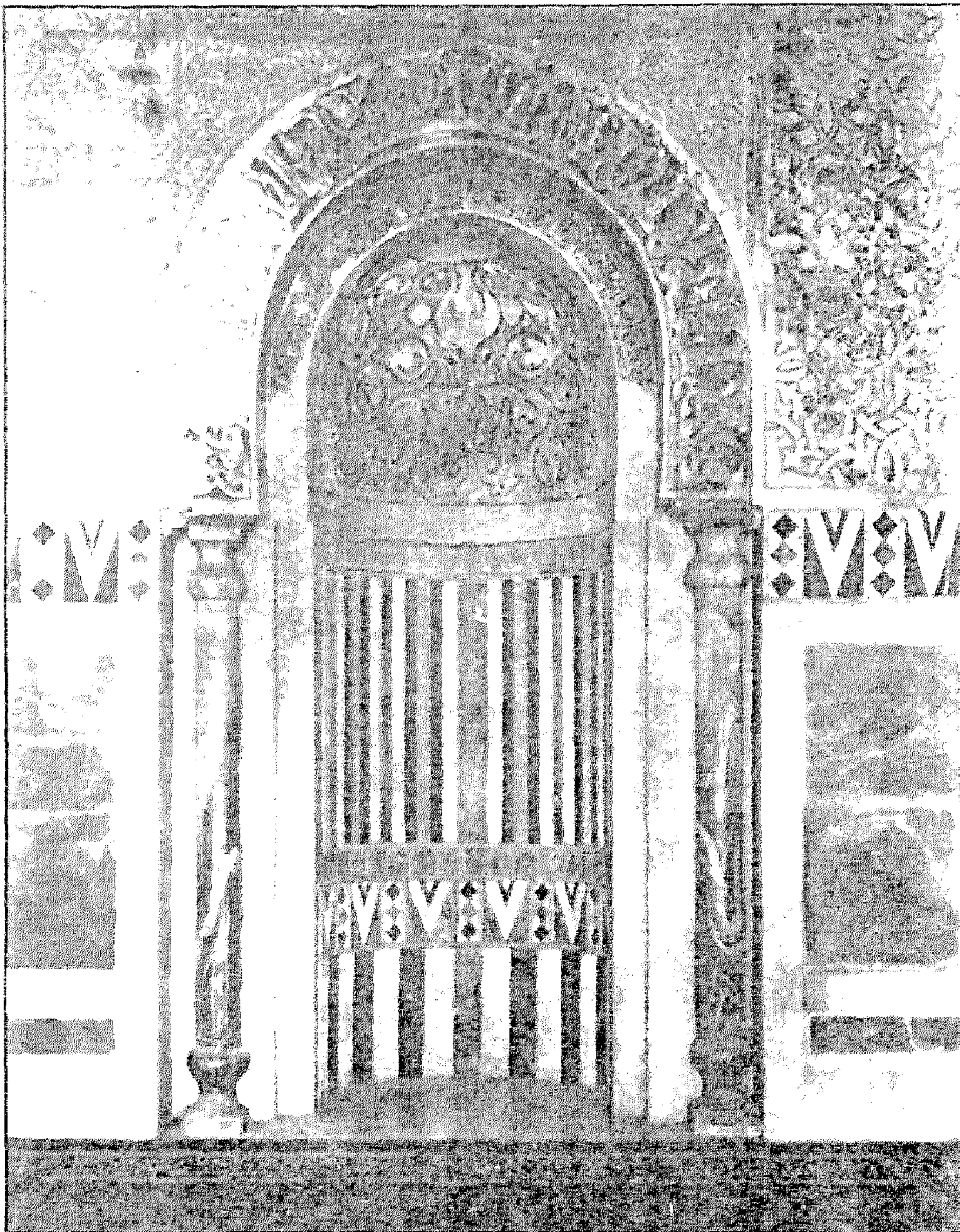
عقود أسكوب في مسجد الأزهر



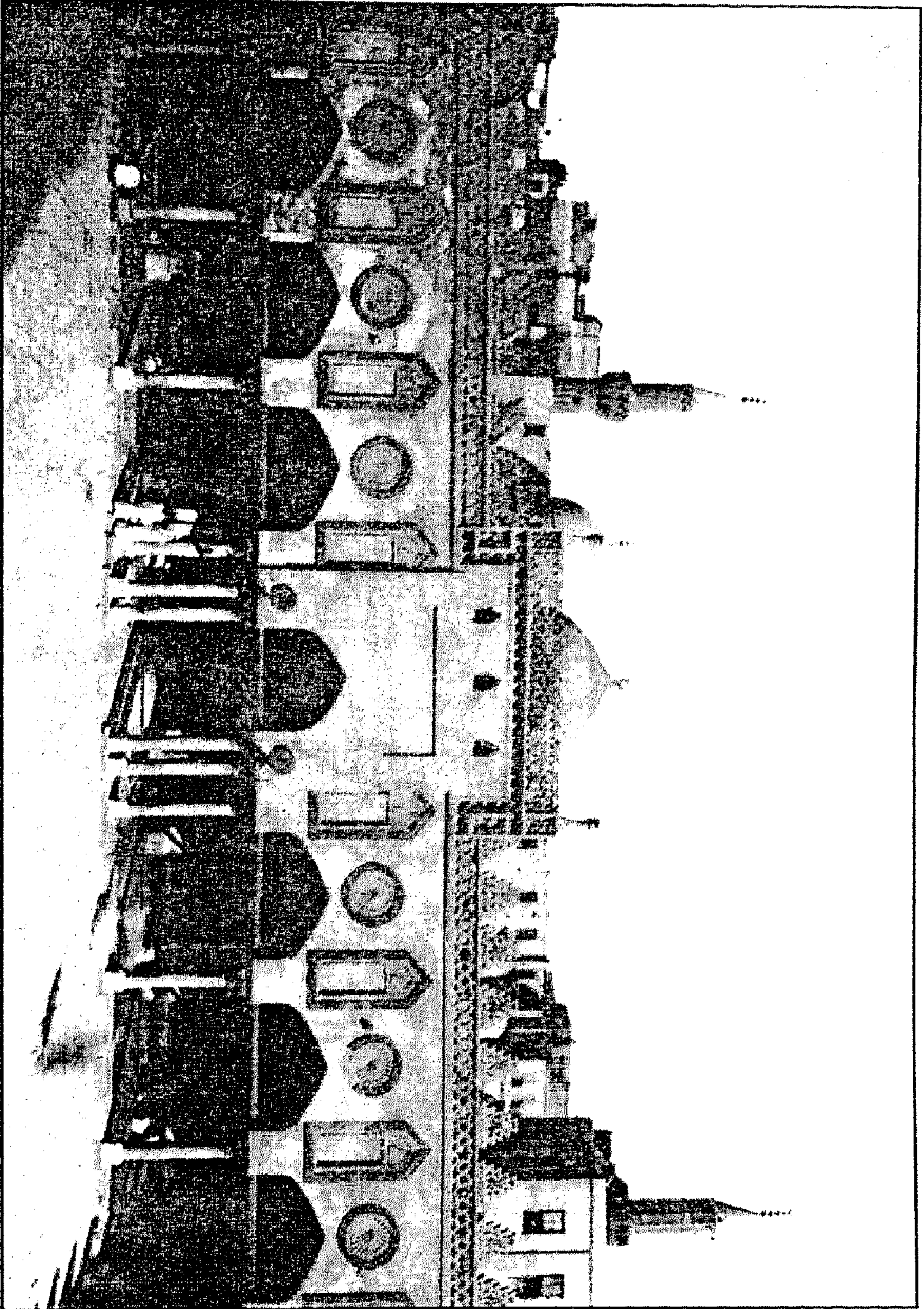
(أ) زخارف من الجزء العلوى من نهاية بلاطة المحراب فى مسجد الأزهر



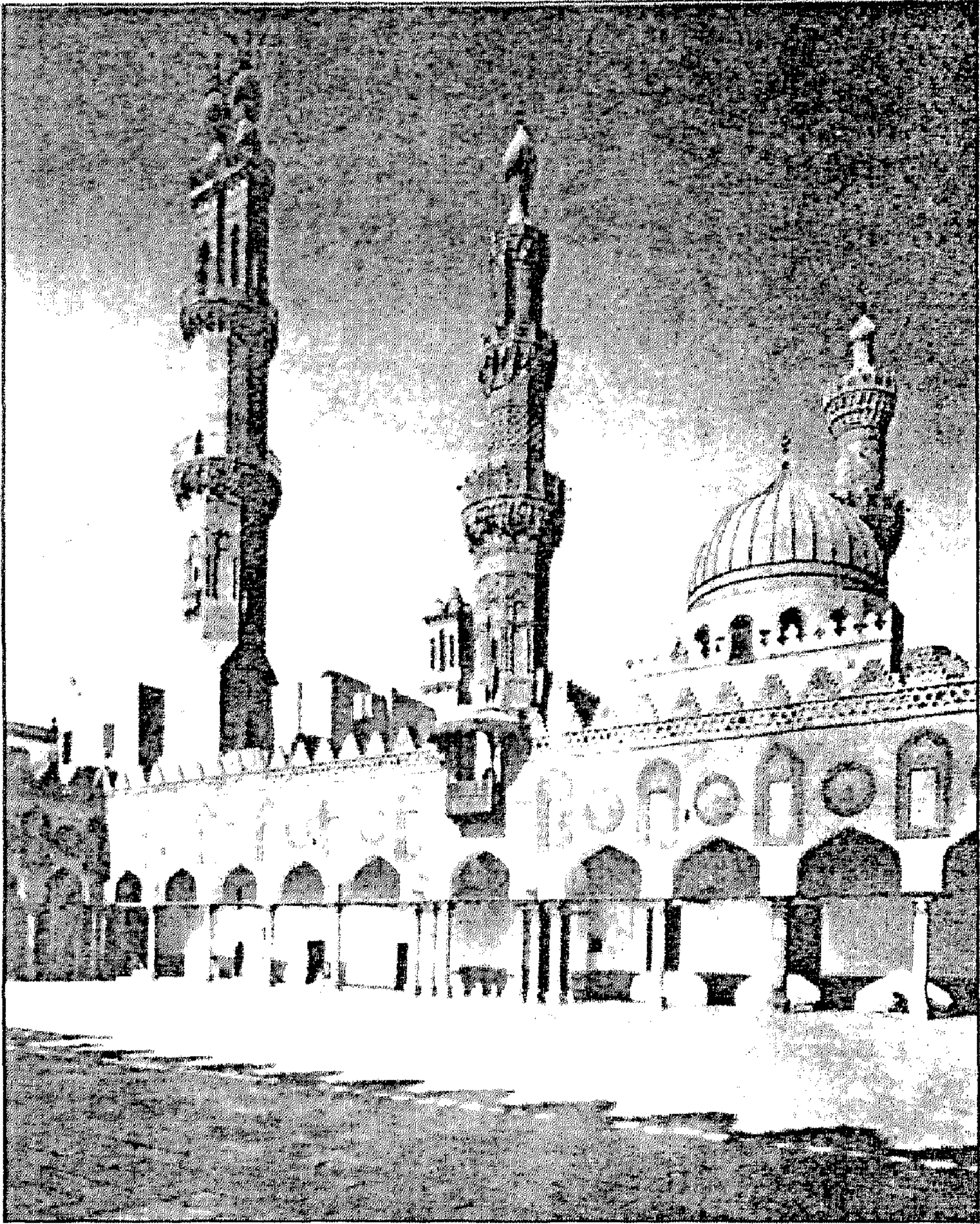
(ب) زخارف من الجزء العلوى من جدار القبلة فى مسجد الأزهر



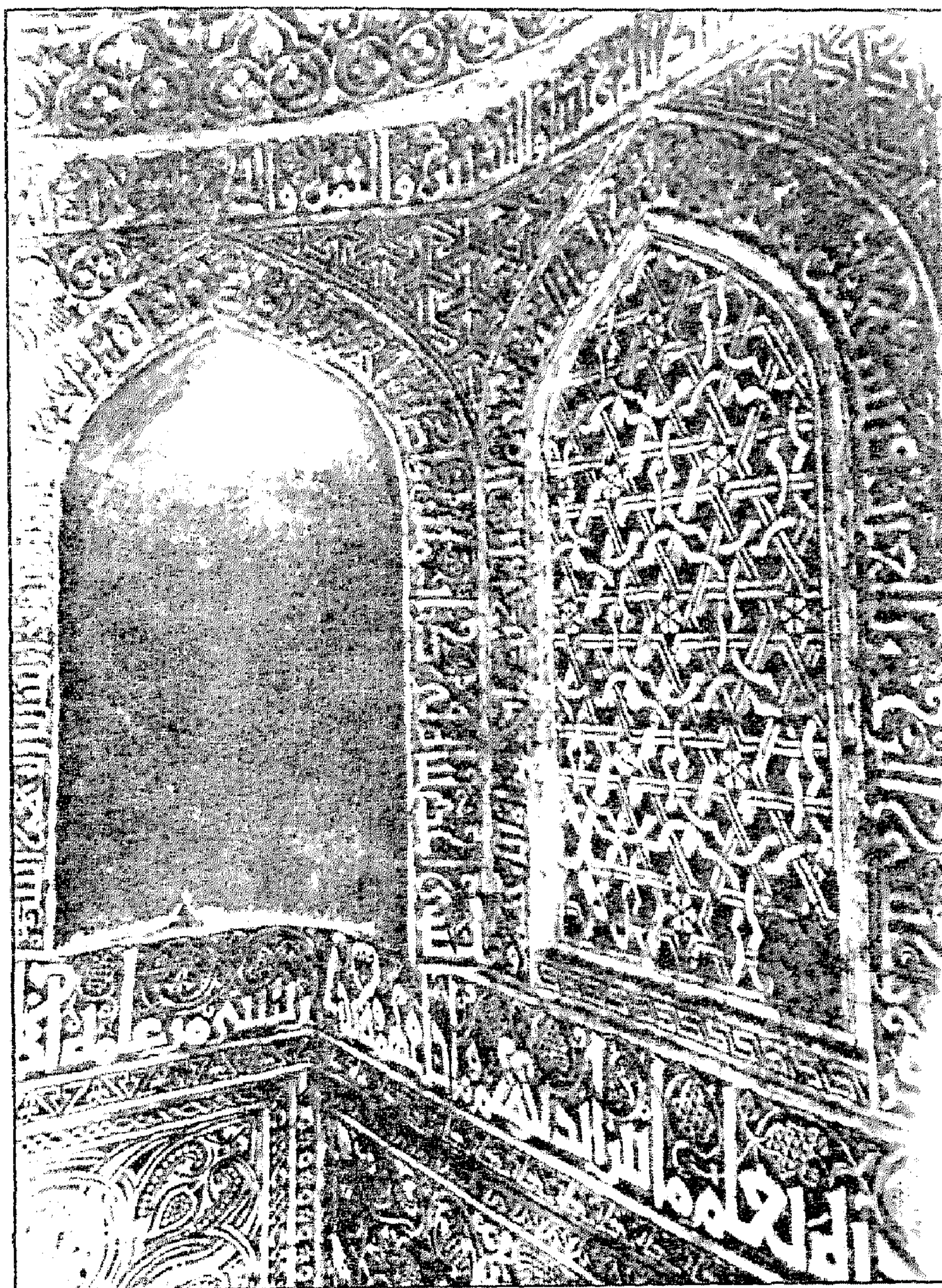
المحراب العتيق في مسجد الأزهر



واجهة بيت الصلاة على الصحن في مسجد الأزهر



واجهة المؤخر على الصحن في مسجد الأزهر

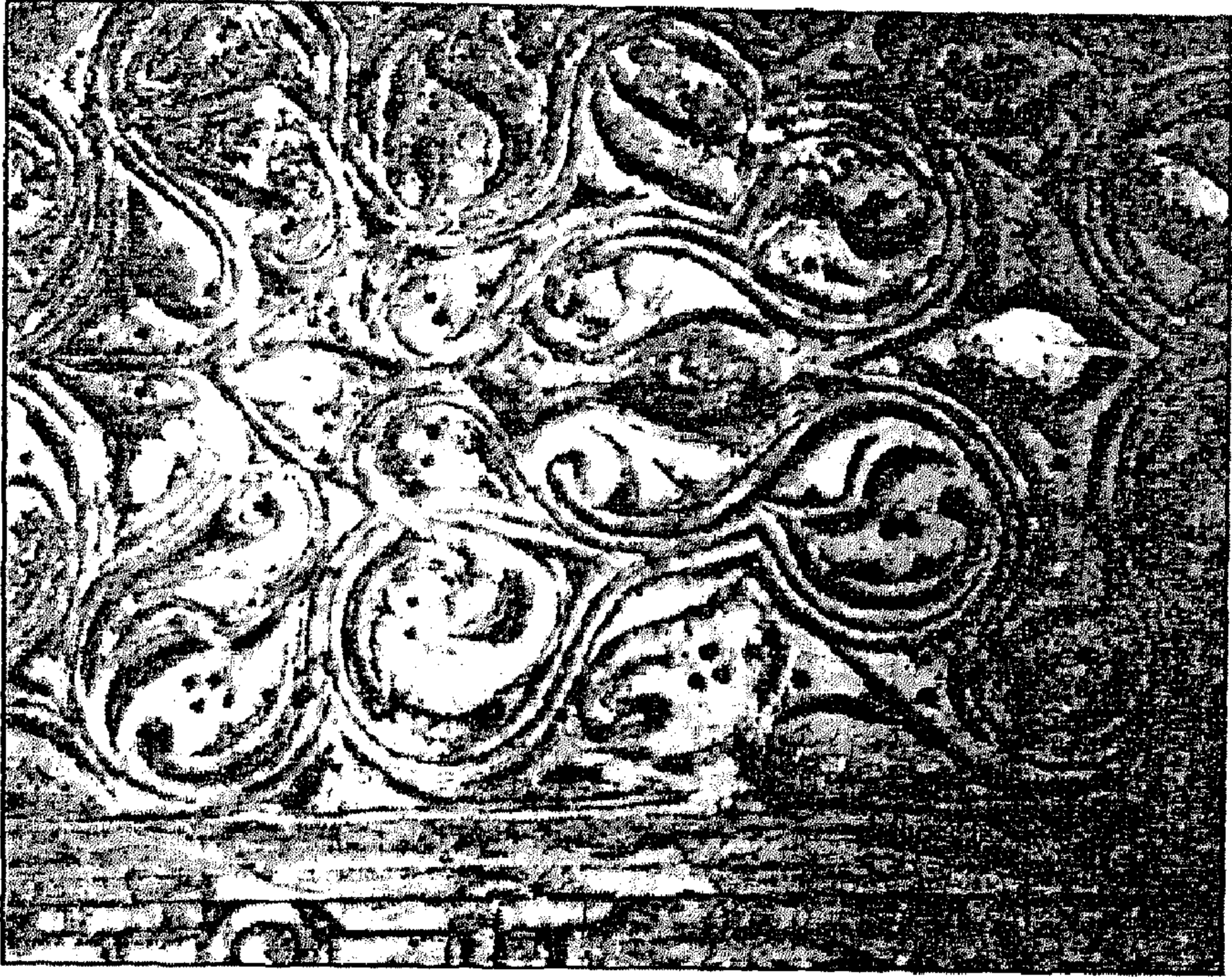


مقرنص معقود في قبة البهو بالأزهر من عهد الحافظ لدين الله



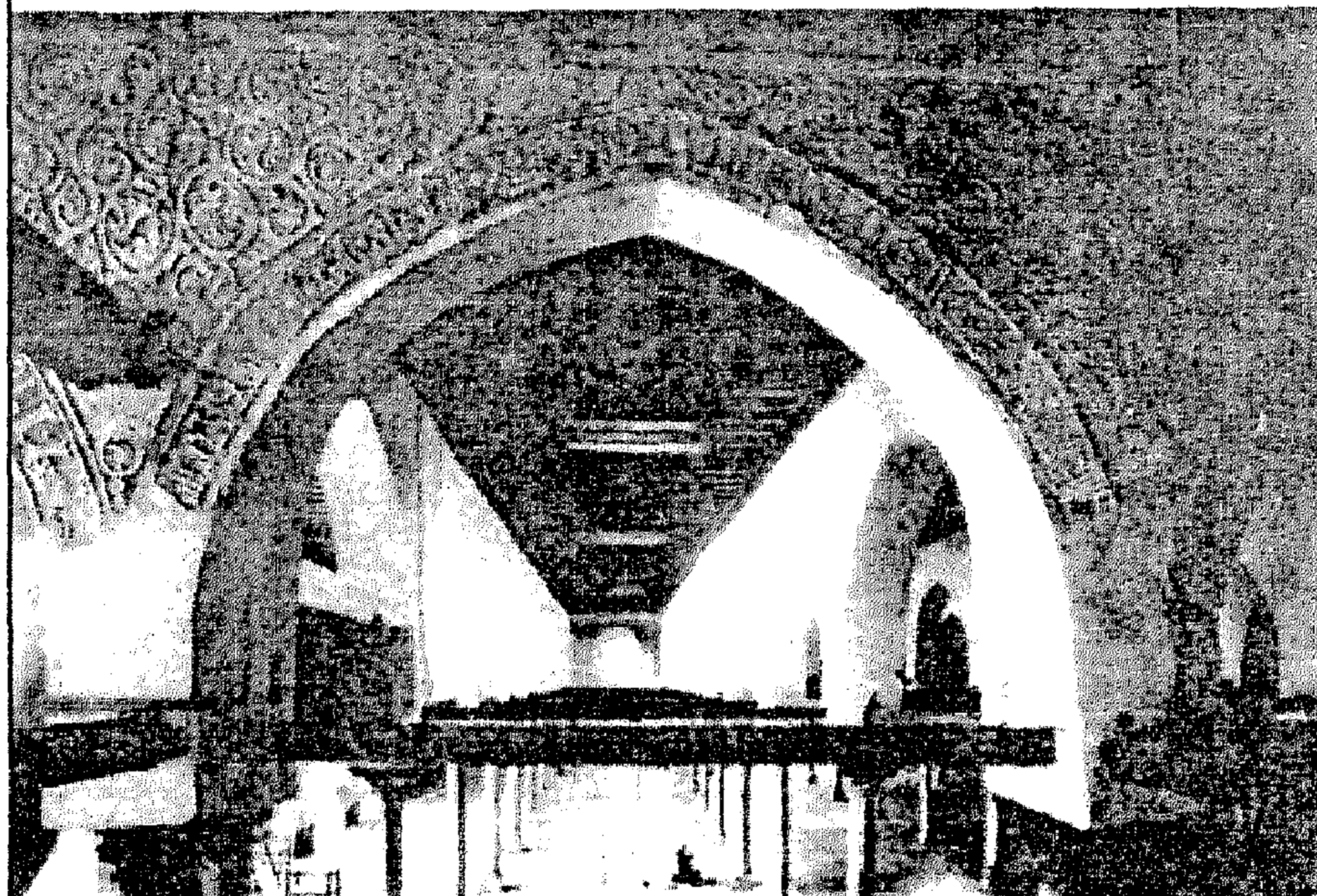
مسجد الأزهر - منظر لقبة البهو من الداخل

لوحة رقم (١٩)



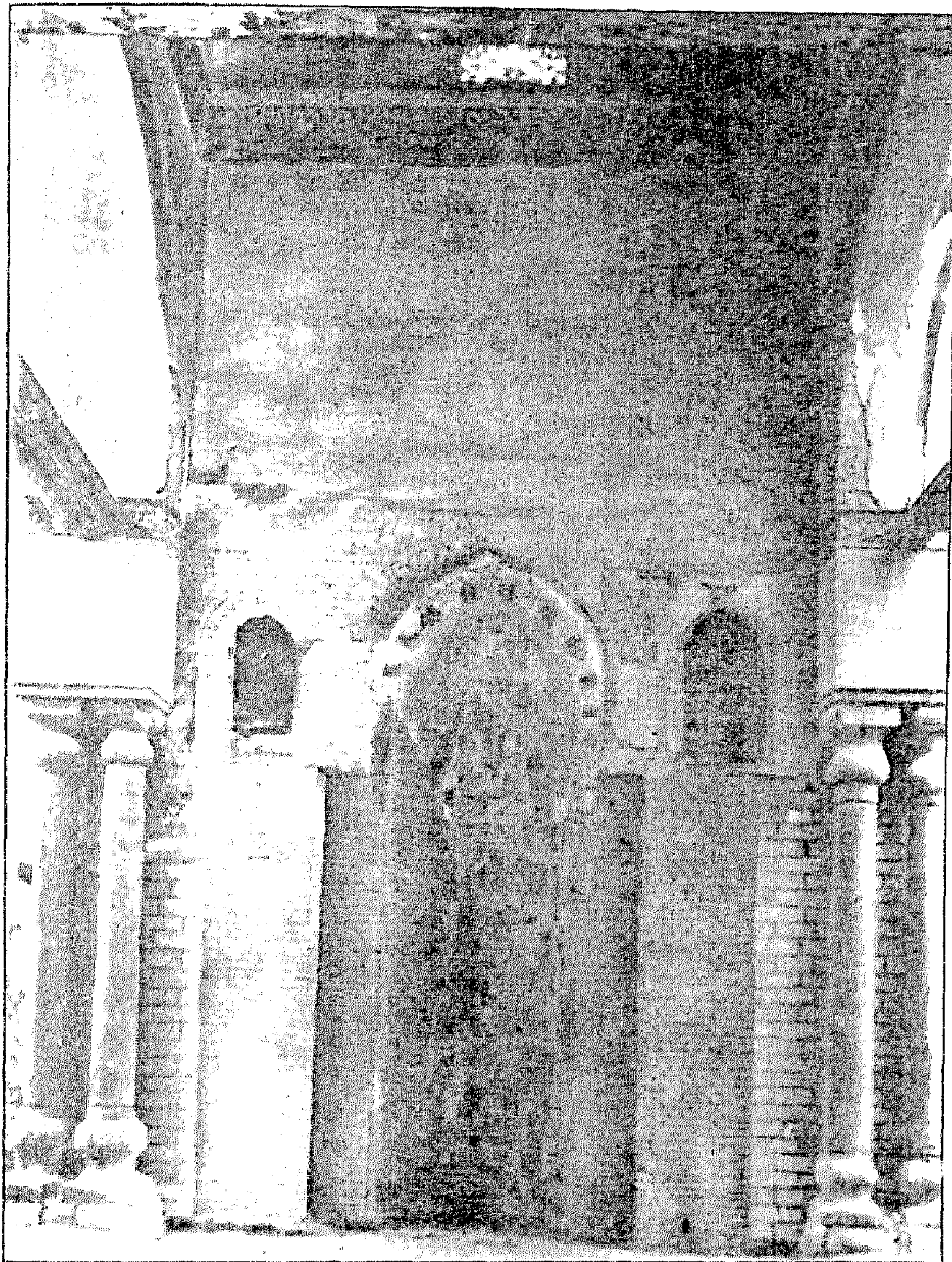
زخارف عتيقة أو مجددة على النظام العتيق في جدار الأسكوب الخامس
عند نهاية بيت الصلاة بمسجد الأزهر

لوحة رقم (٢٠)

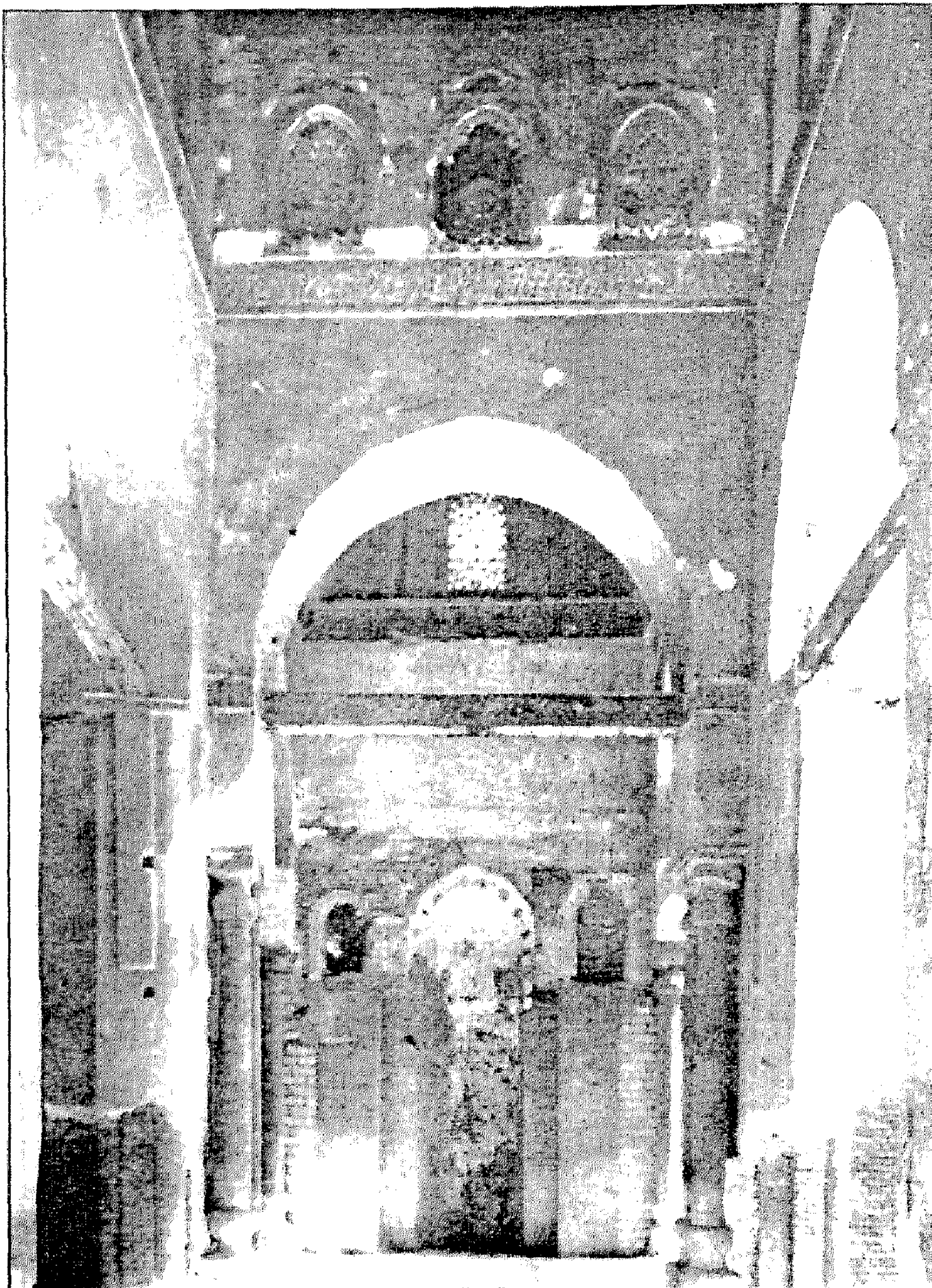


زخارف عتيقة على جانبي بلاطة المحراب بالأزهر

لوحة رقم (٢١)



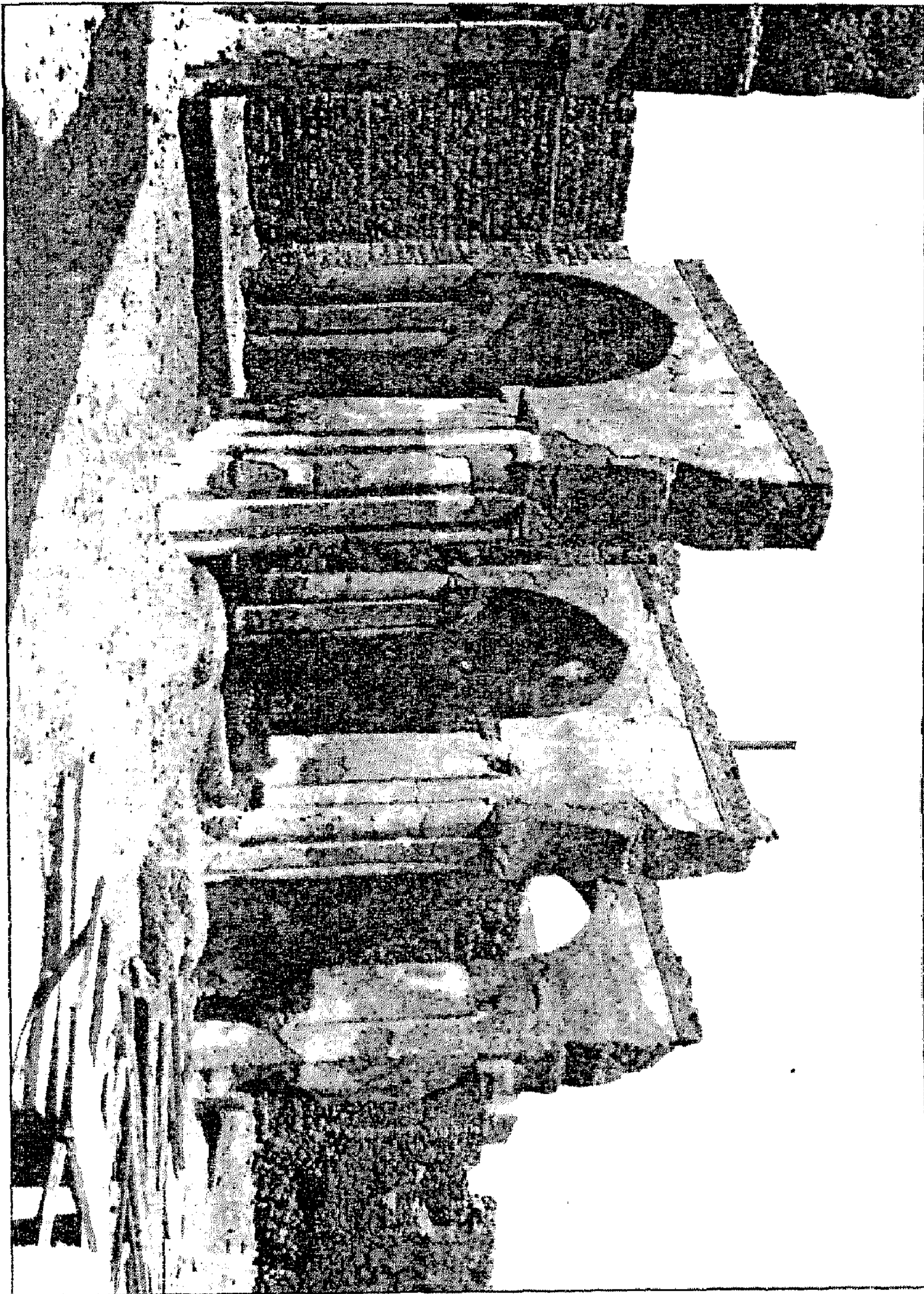
مسجد الحاكم — بلاطة المحراب



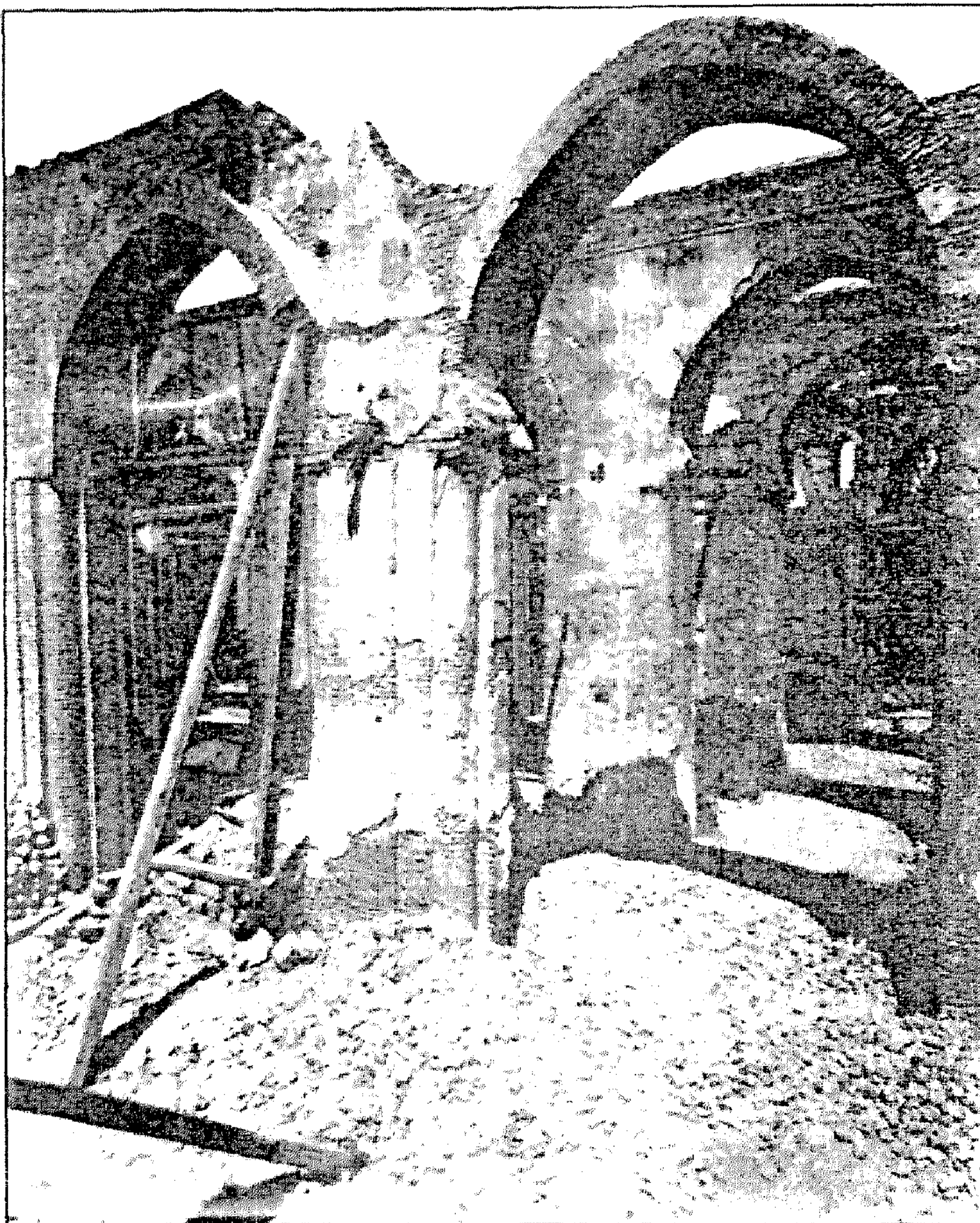
مسجد الحاكم - المحراب وقبة المحراب

لوحة رقم (٢٣)

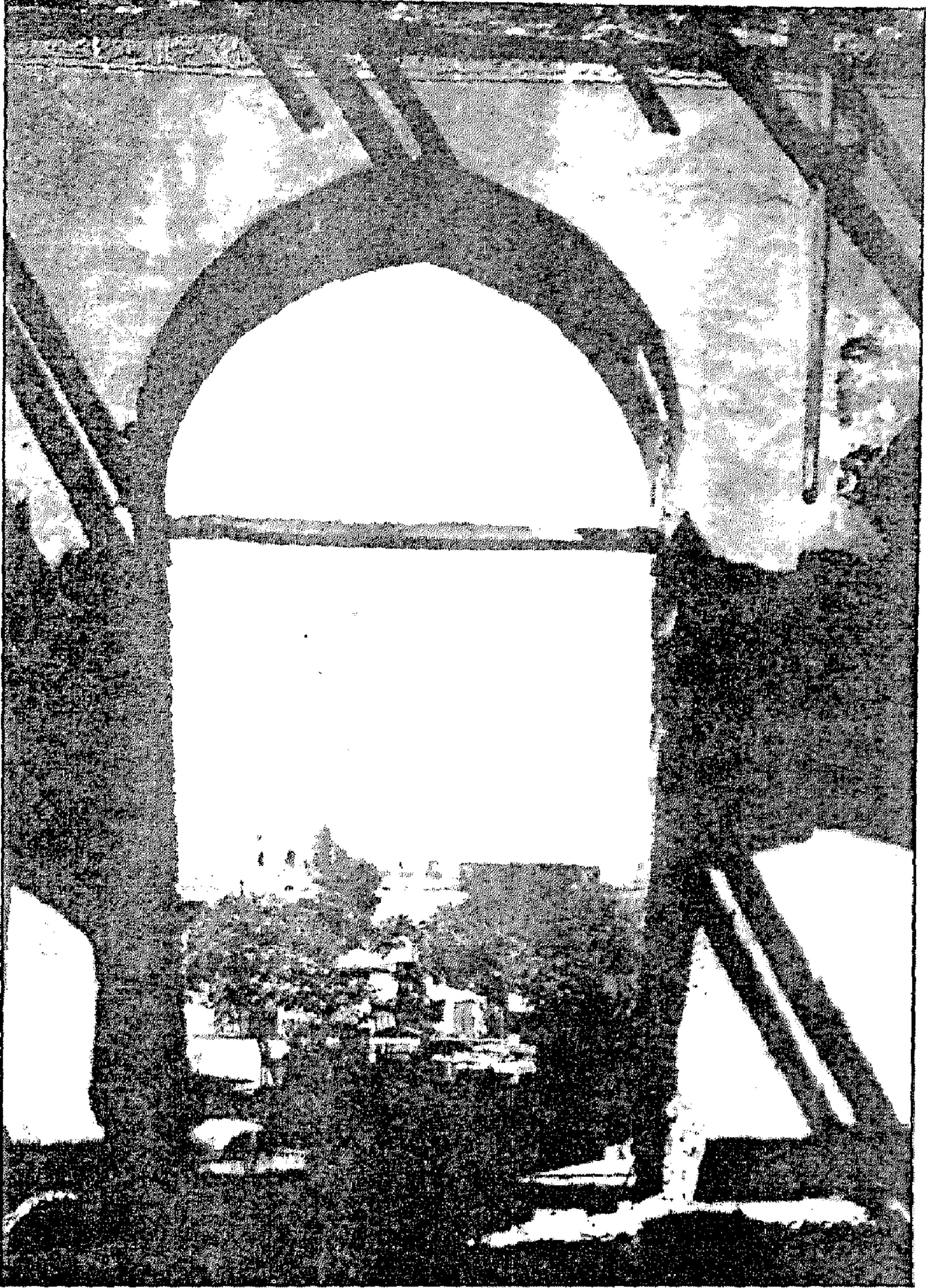
عقود ودعامات متخلفة عن مسجد الحاكم



لوحة رقم (٢٤)

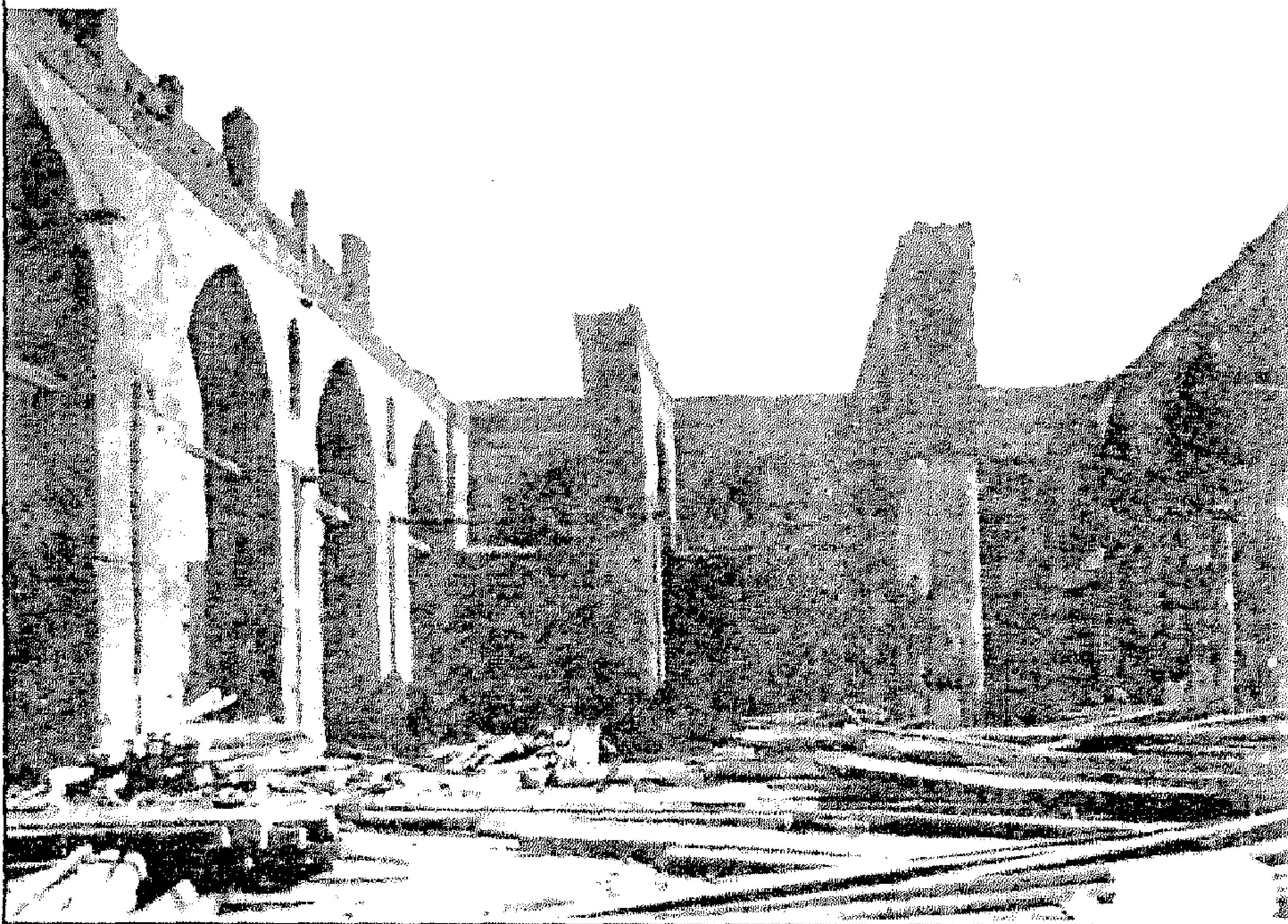
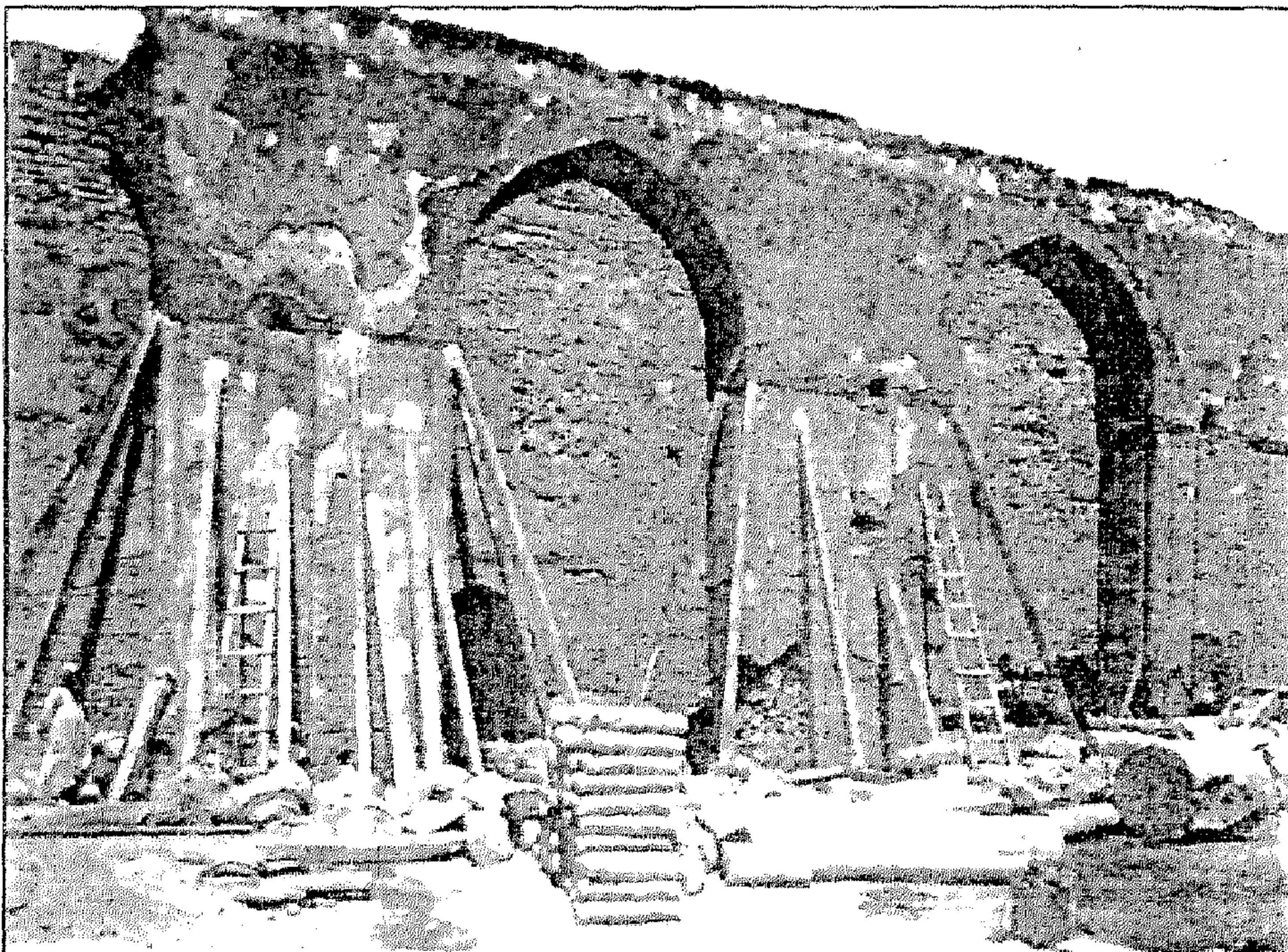


عقود ودعامات في مسجد الحاكم



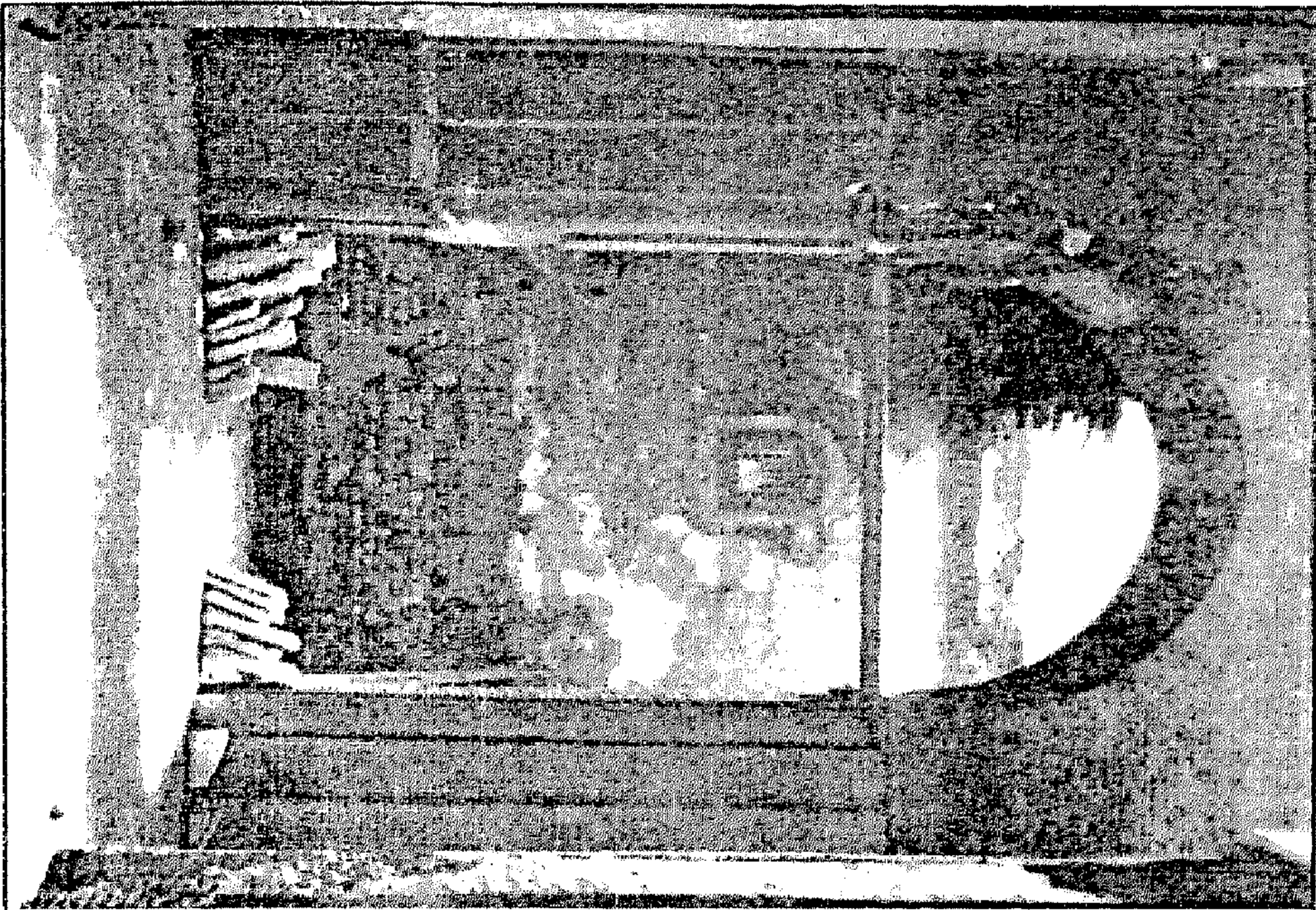
عقود ودعامات من بيت الصلاة في مسجد الحاكم

لوحة رقم (٢٦)

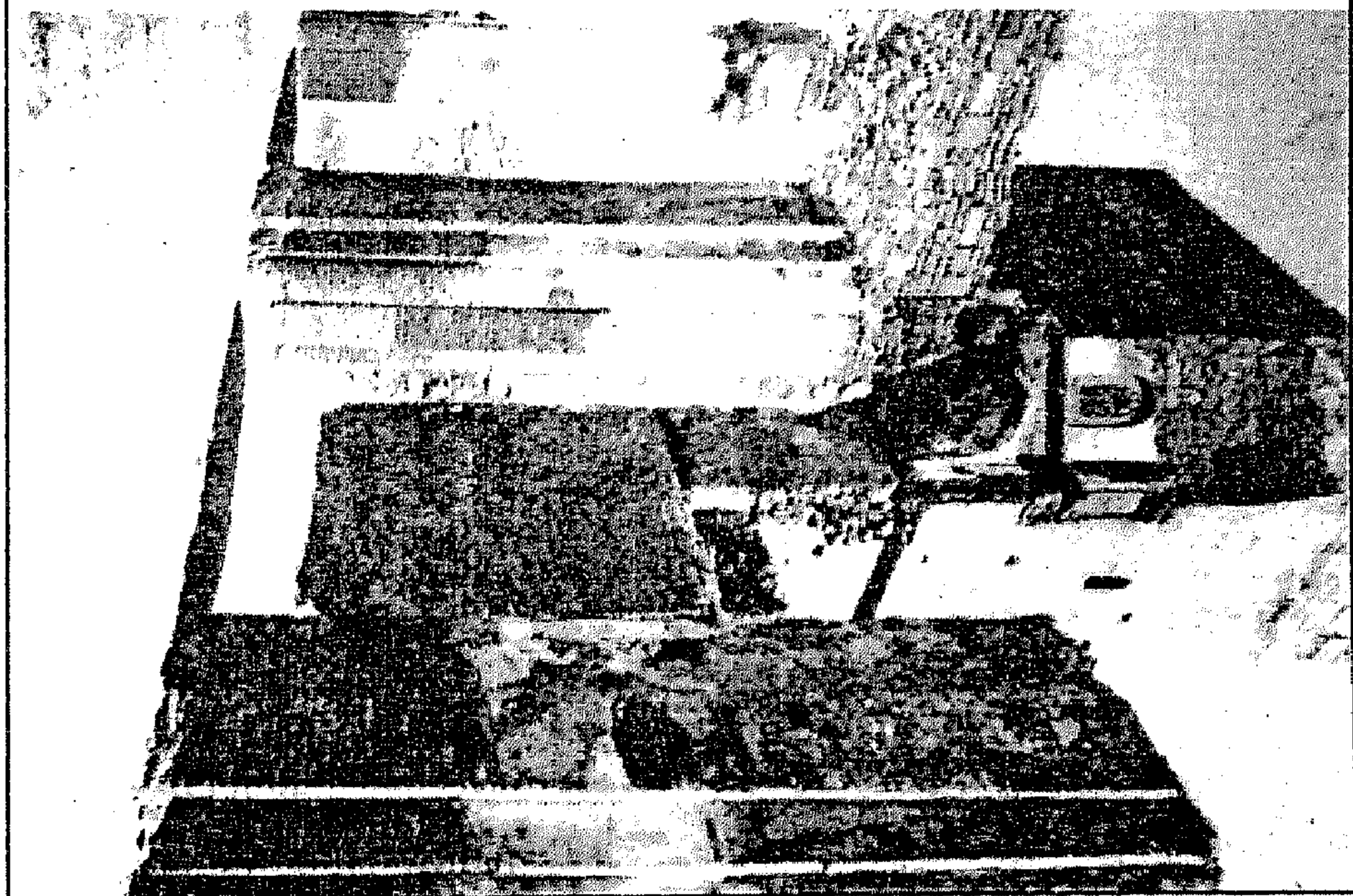


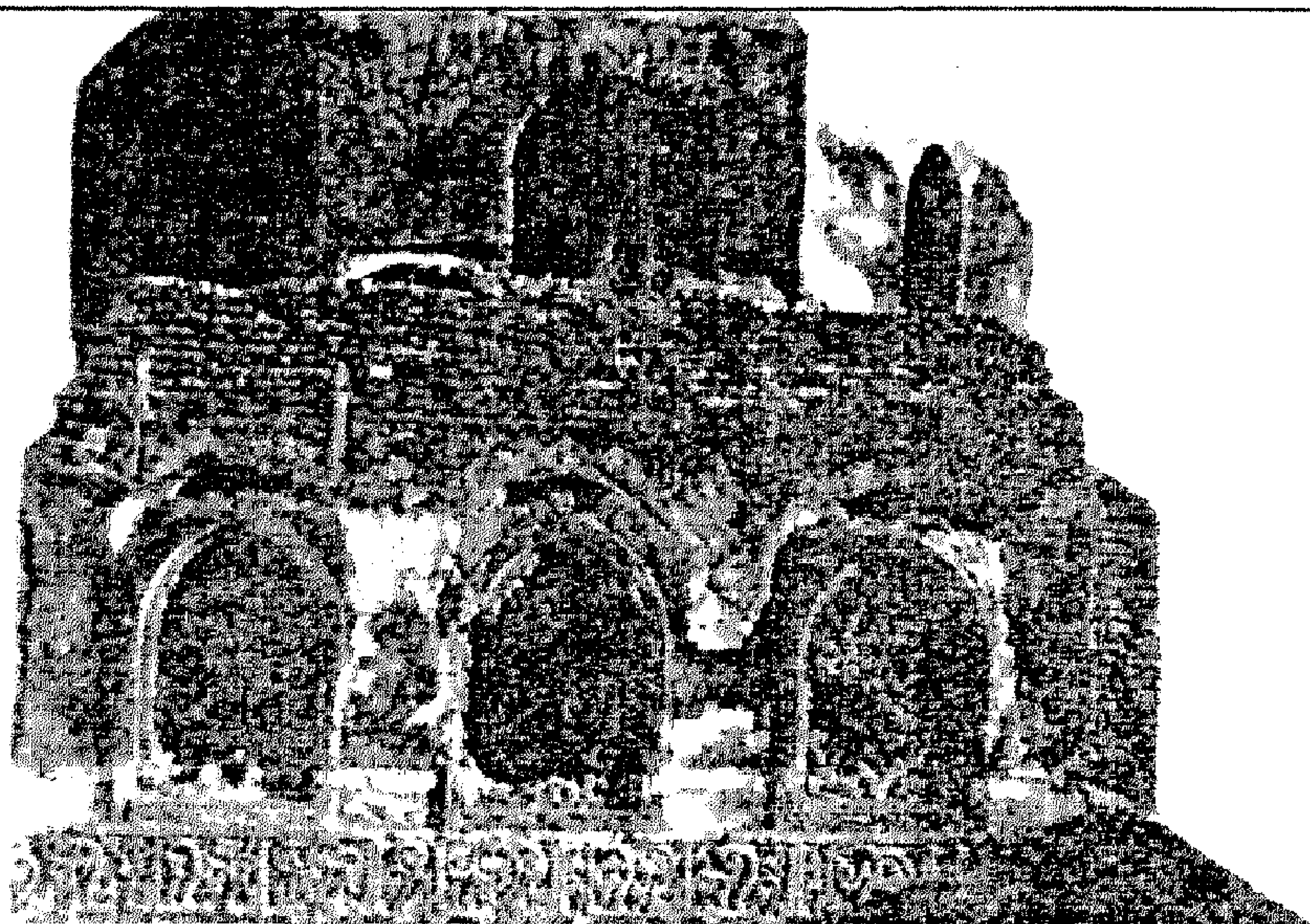
مسجد الحاكم - عقود ودعامات ومطافات بين العقود فوق الدعامات (لوحة أ ، ب)

(ب) نافذة في جدار القبلة

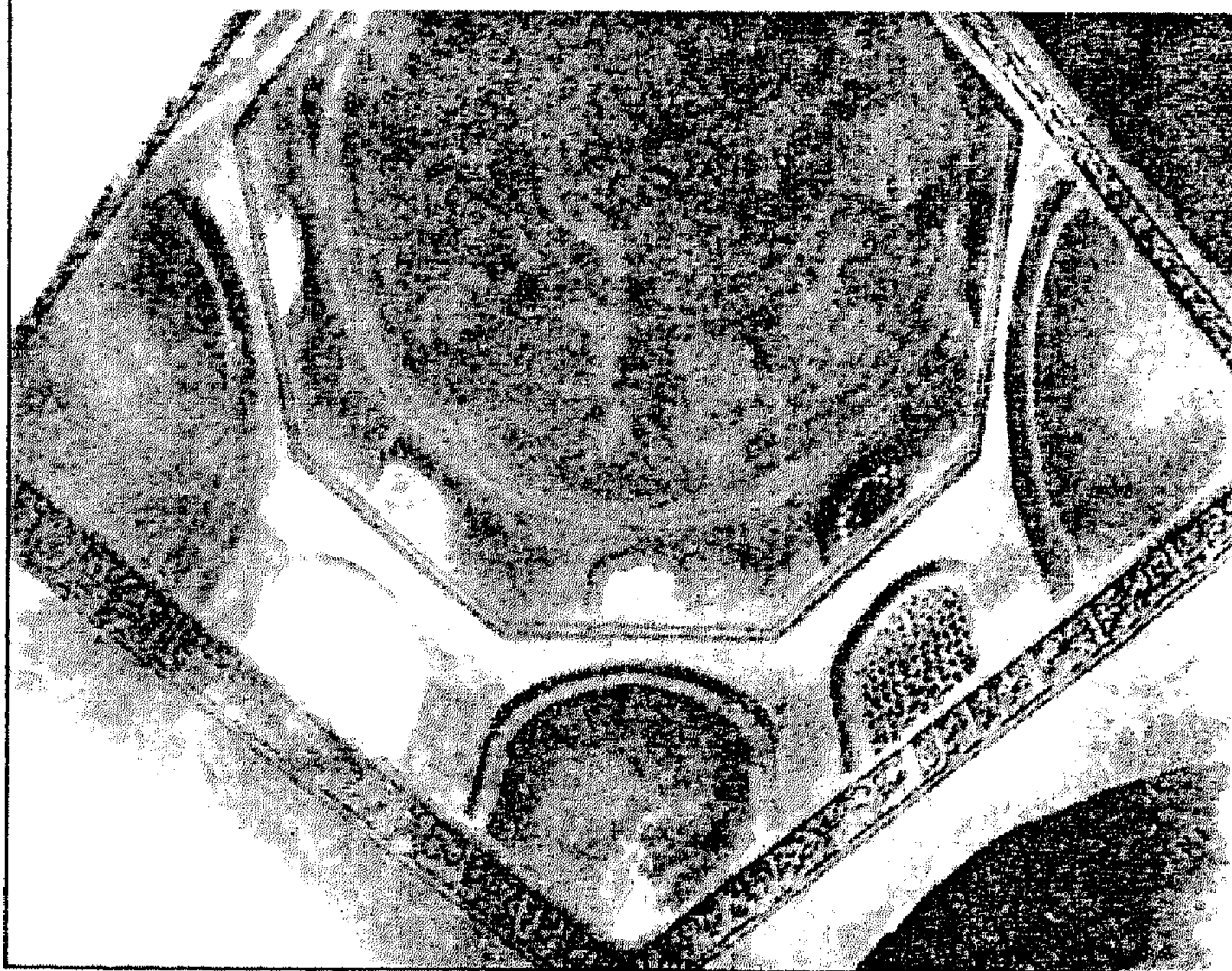


مسجد الحاكم (أ) بقايا قبعة أسكوب

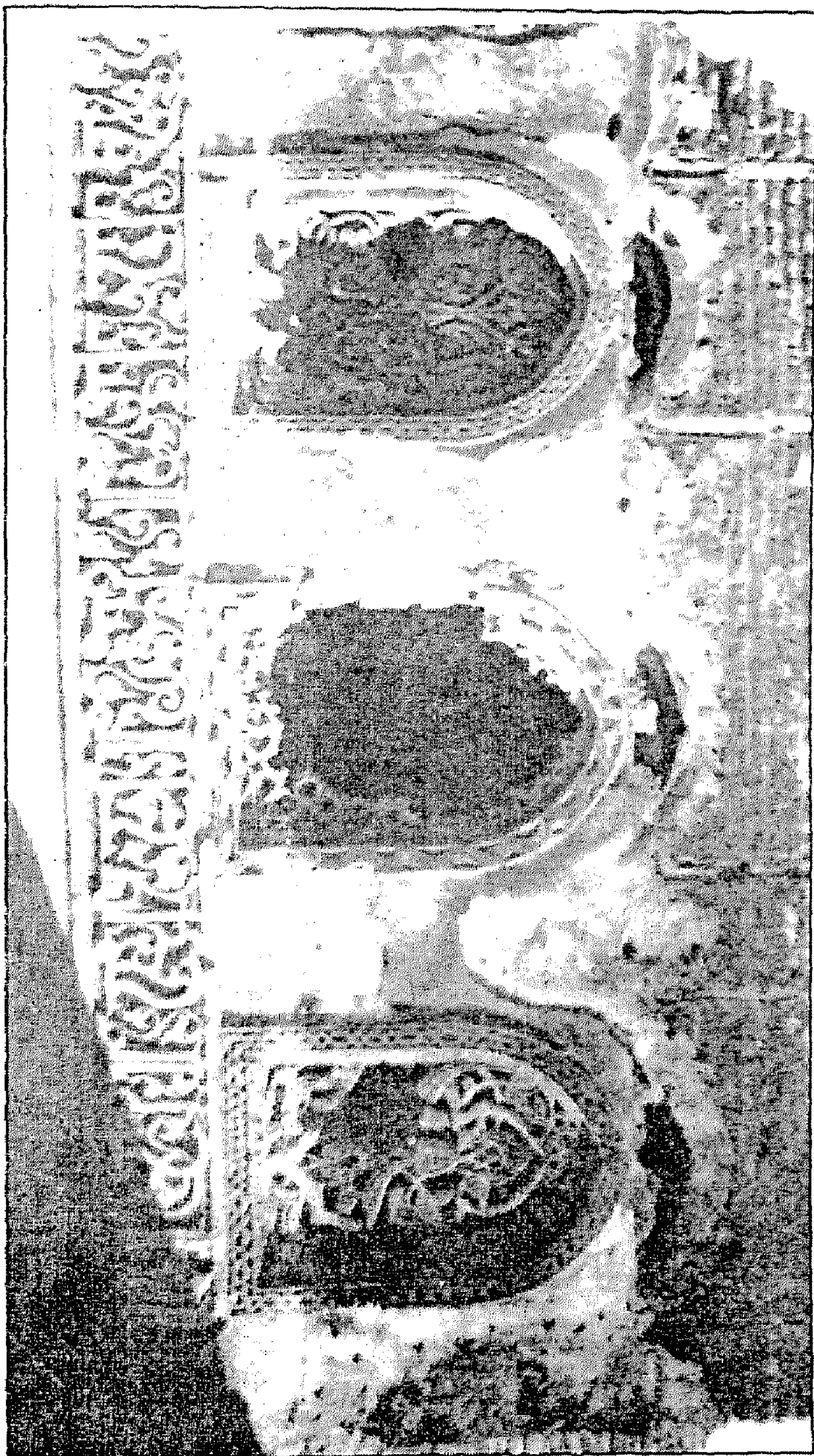




مسجد الحاكم (أ) قبة المحراب من الخارج

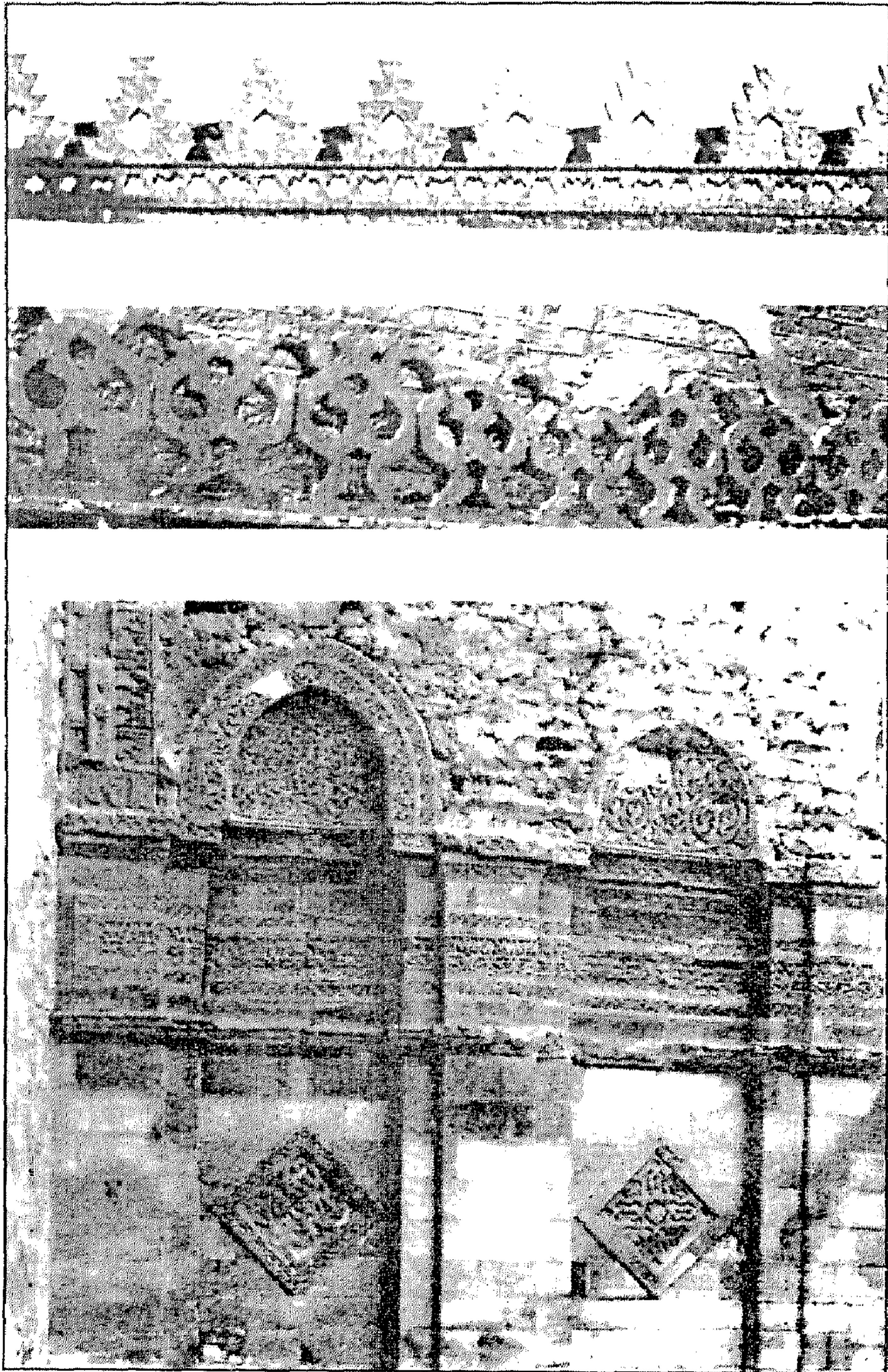


مسجد الحاكم (ب) قبة المحراب من الداخل

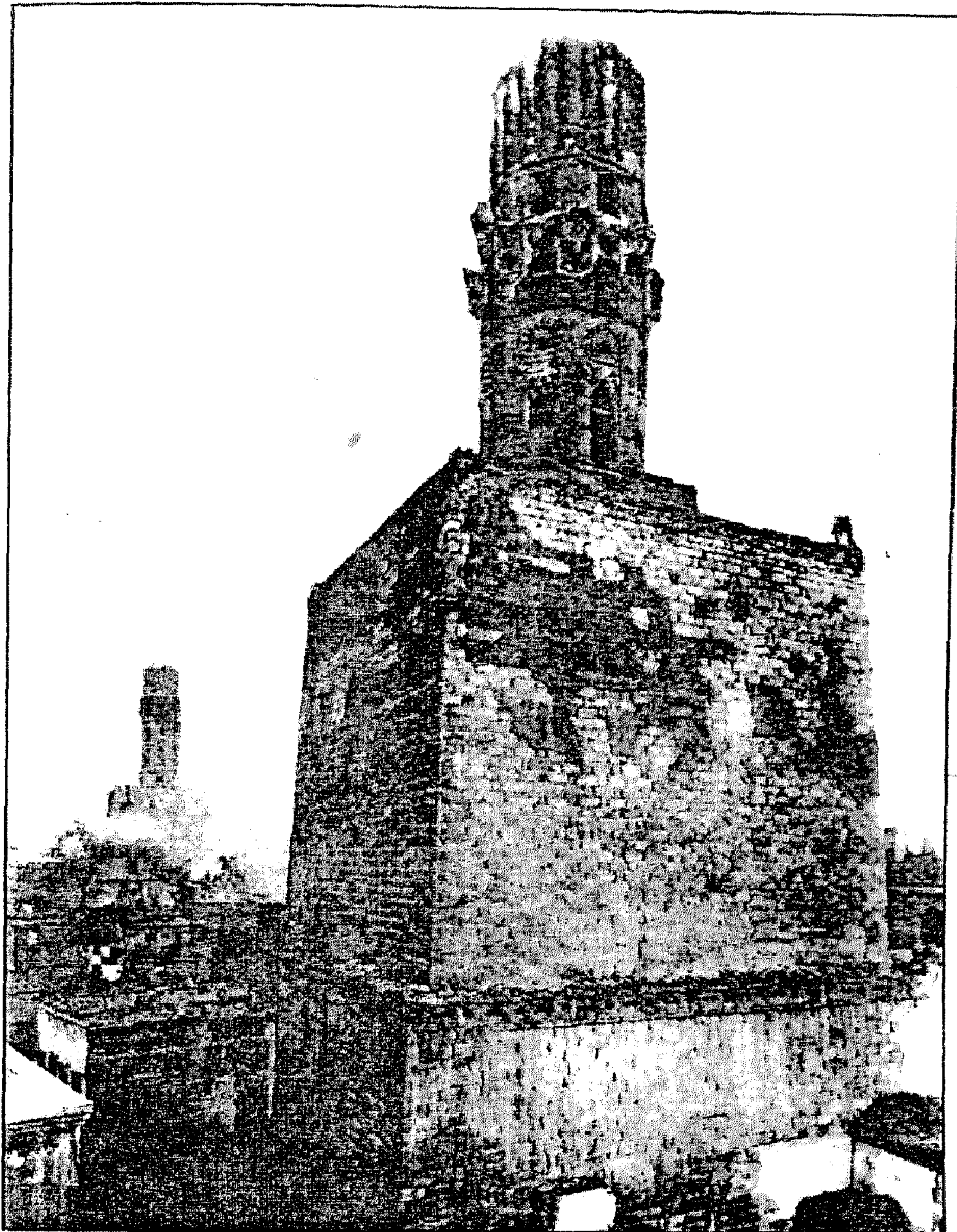


مسجد الحاكم — نوافذ القبة المطلية على بلاطة المحراب وطاقتها

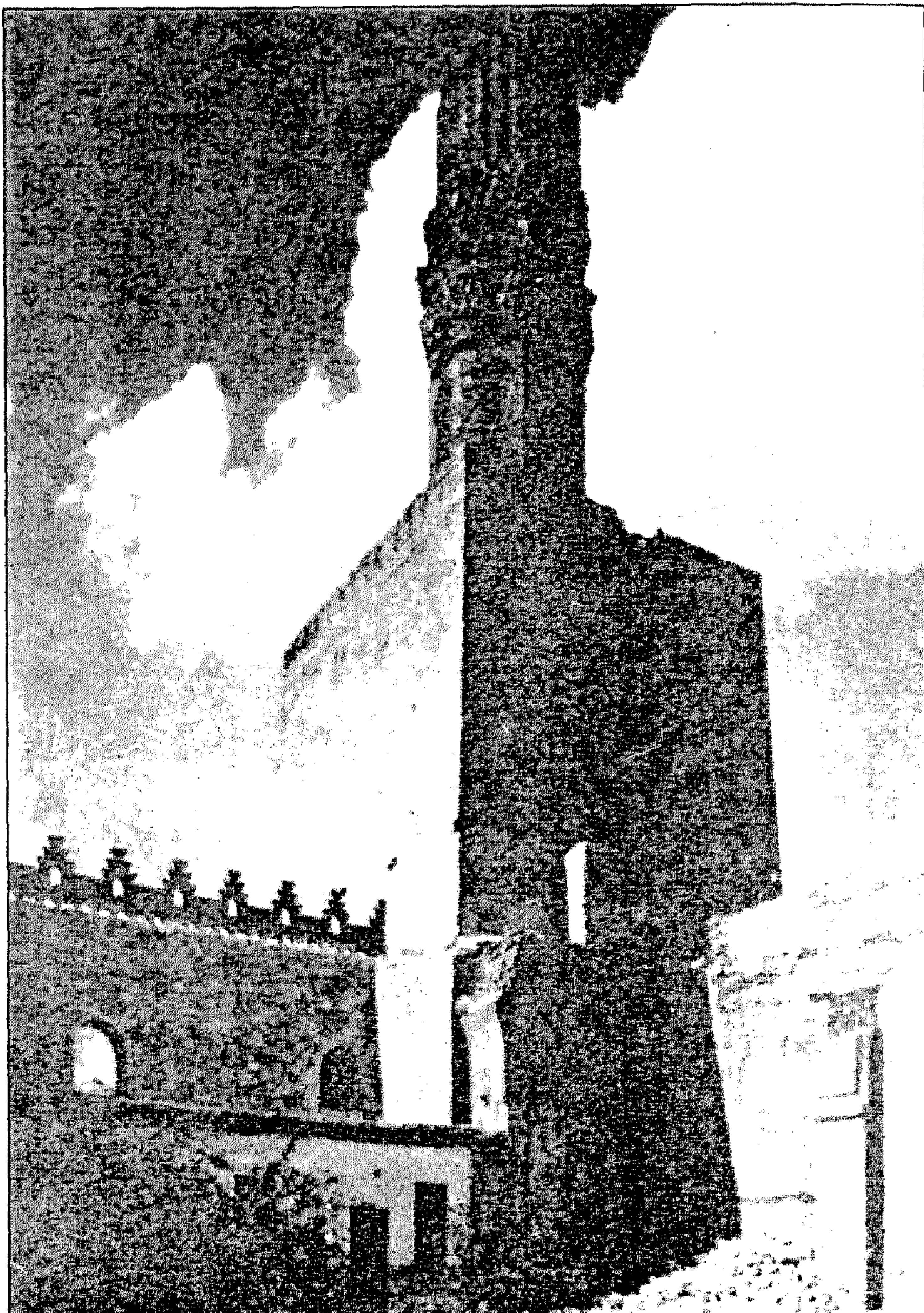
لوحة رقم (٣٠)



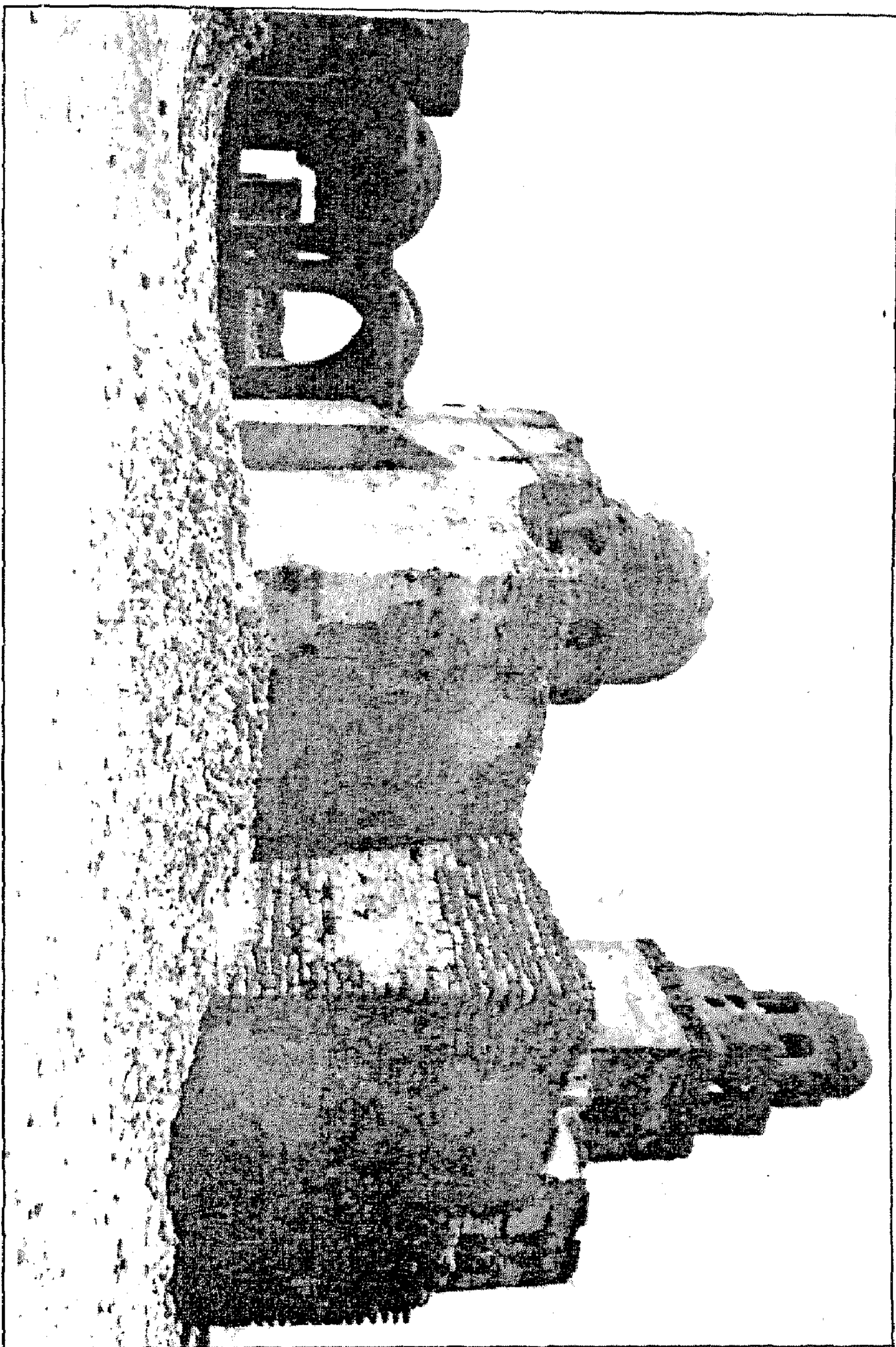
مسجد الحاكم (أ - ب) شرفات. (ج) الجانب الشرقي من البوابة



مسجد الحاكم - المنقطة الغربية



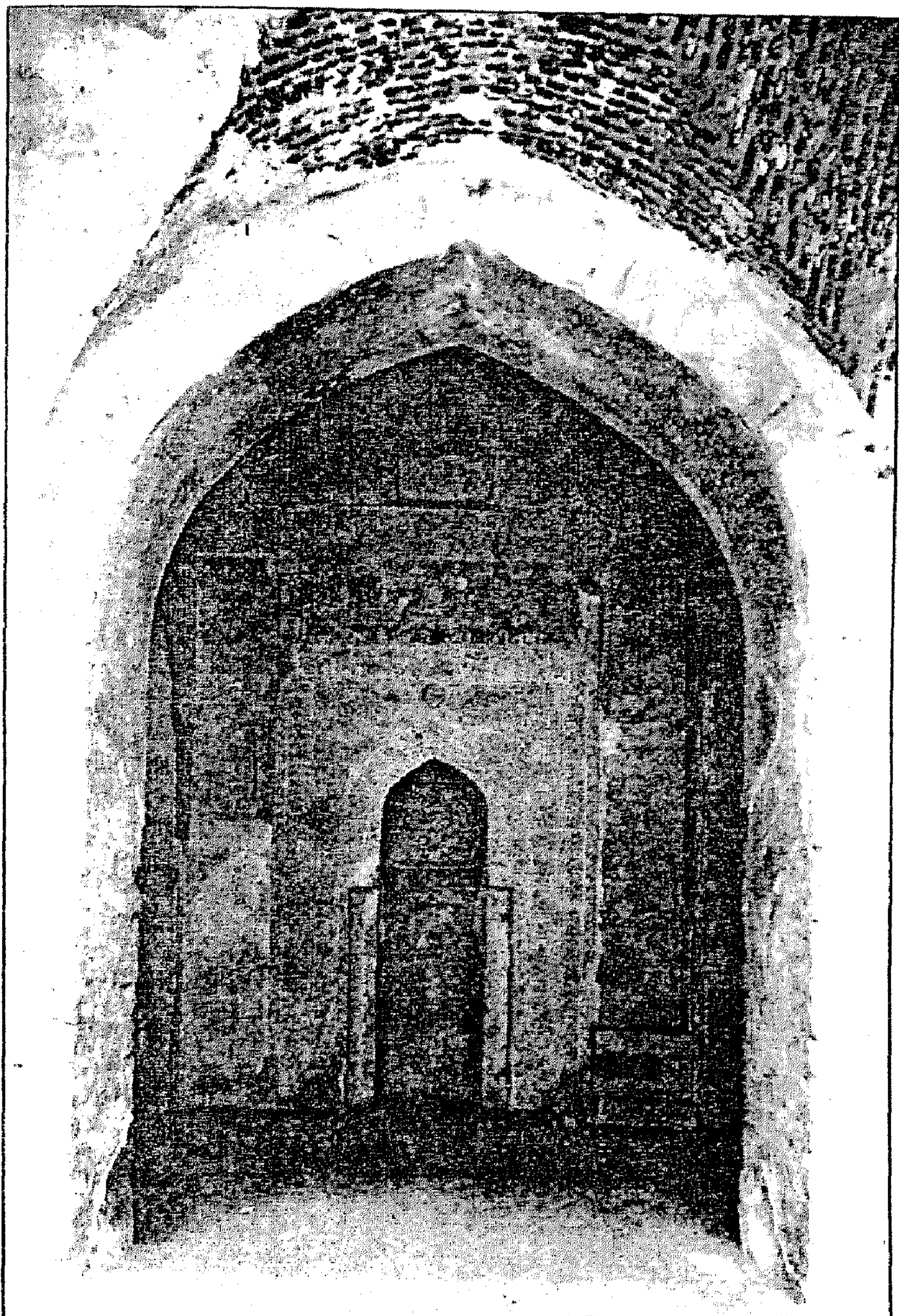
مسجد الحاكم — المئذنة الشمالية



منظر عام لمسجد الجيوشي

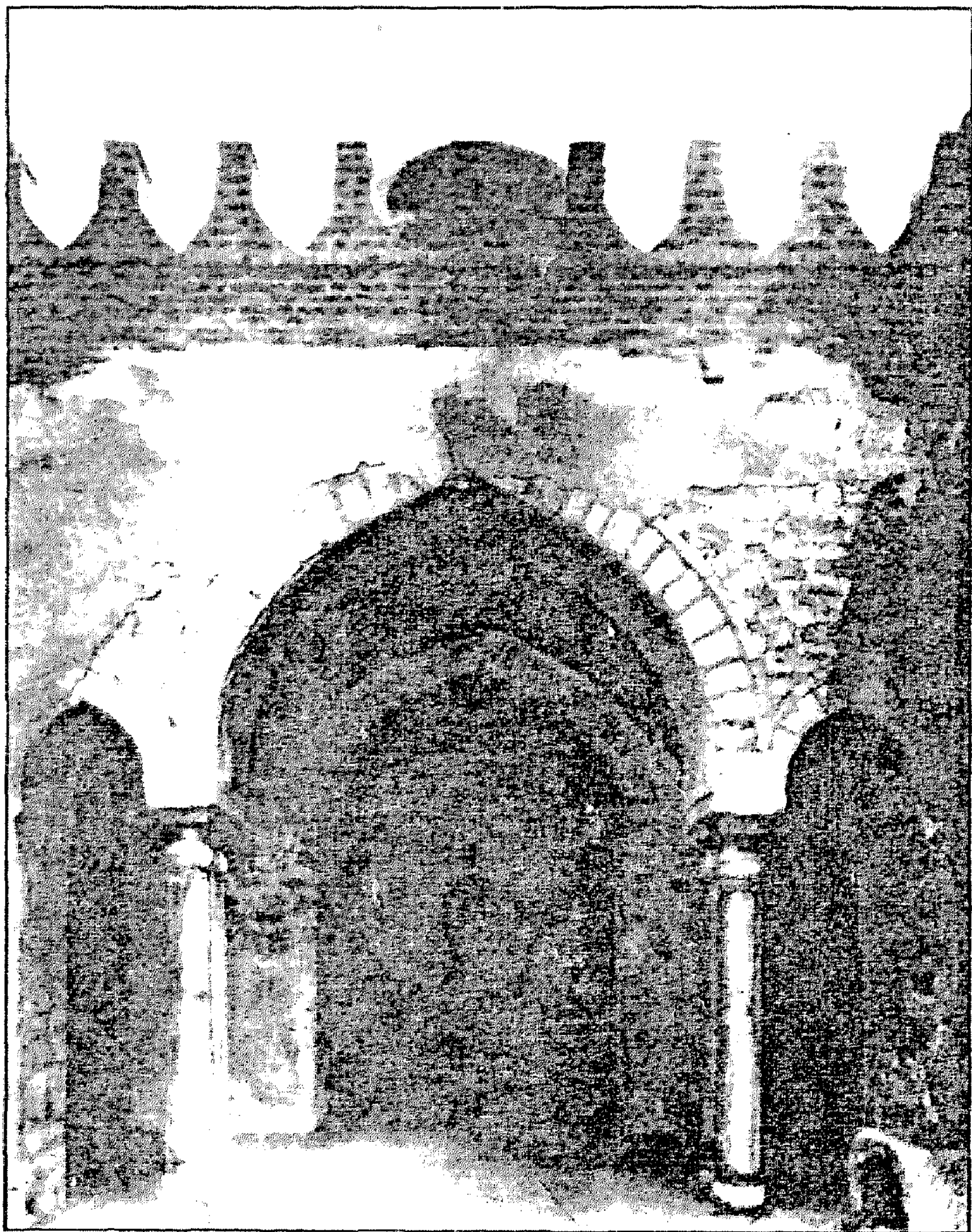


مسجد الجيوشي - المحراب والقبة



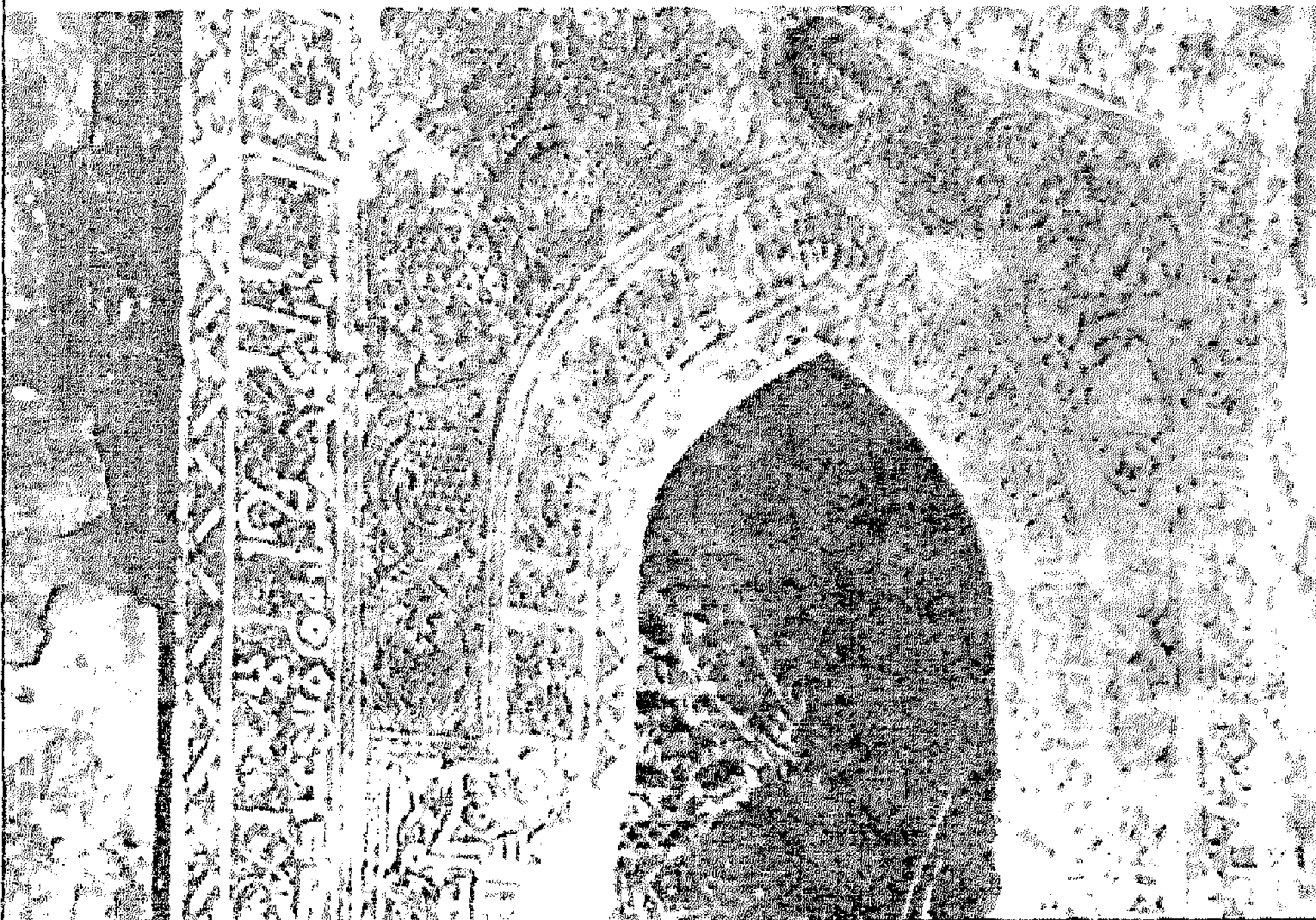
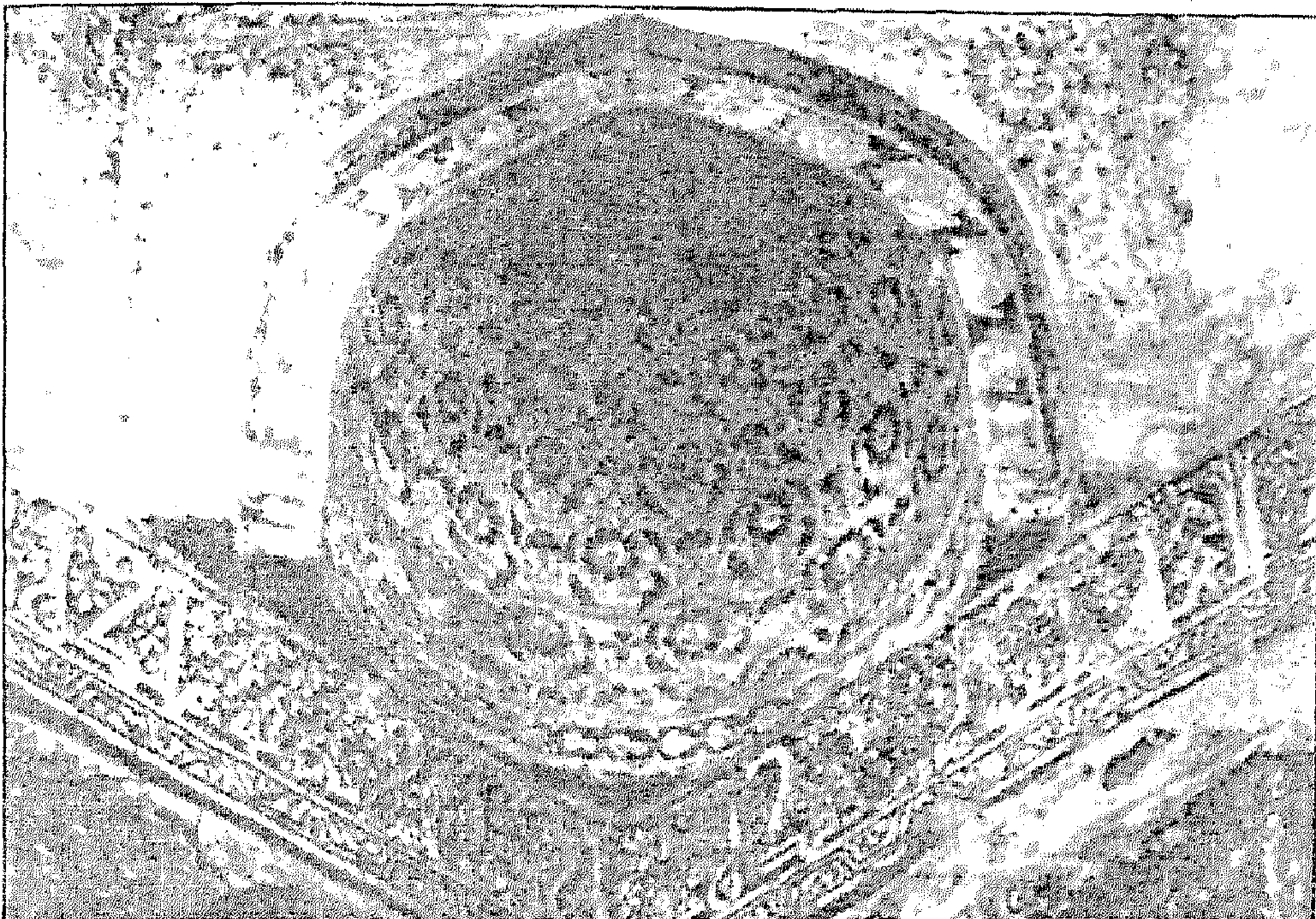
مسجد الجيوشي - المحراب وعقد يطل على الأسكوب الثاني

لوحة رقم (٣٦)



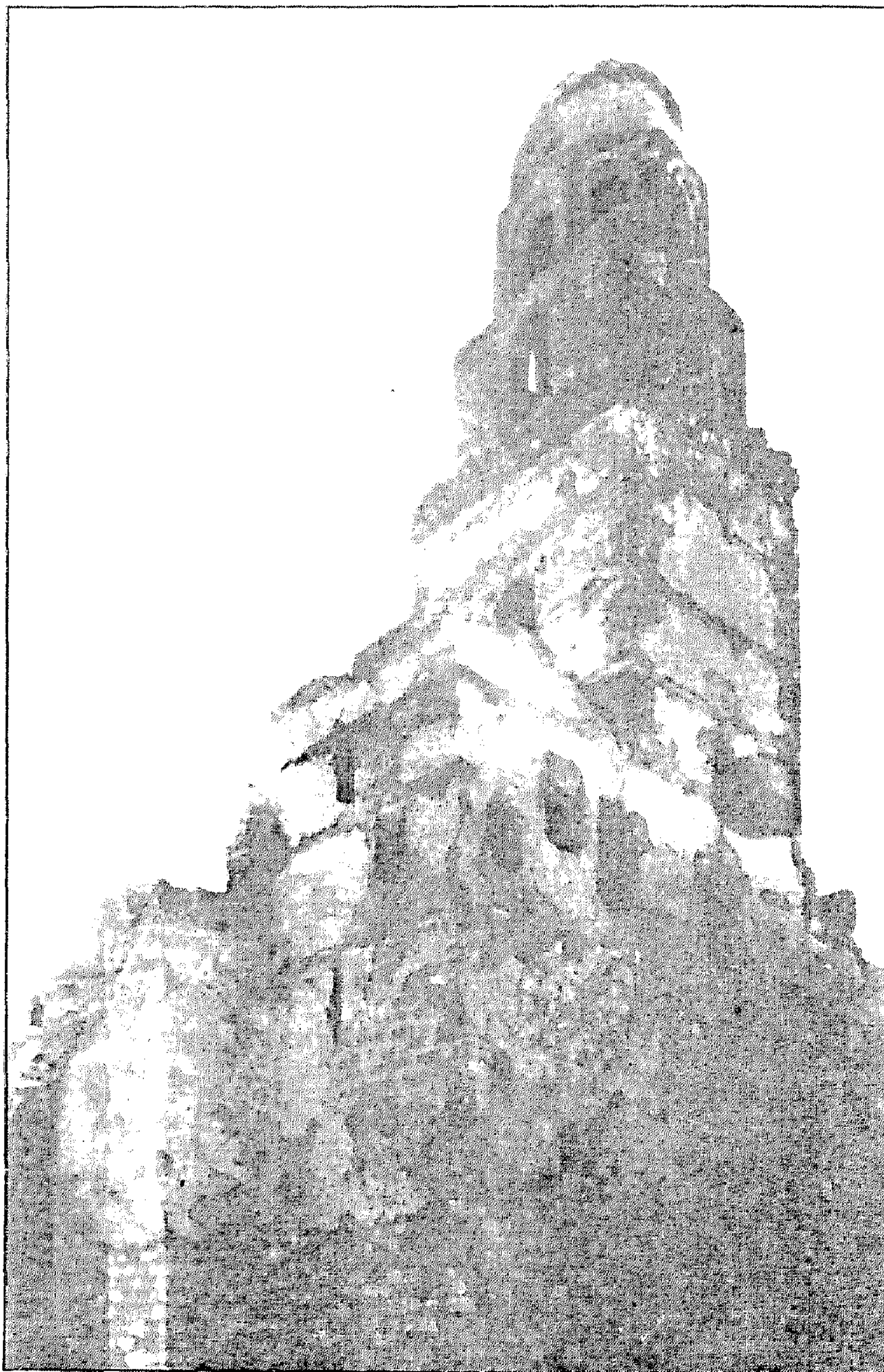
مسجد الجيوشي - الصحن

لوحة رقم (٣٧)



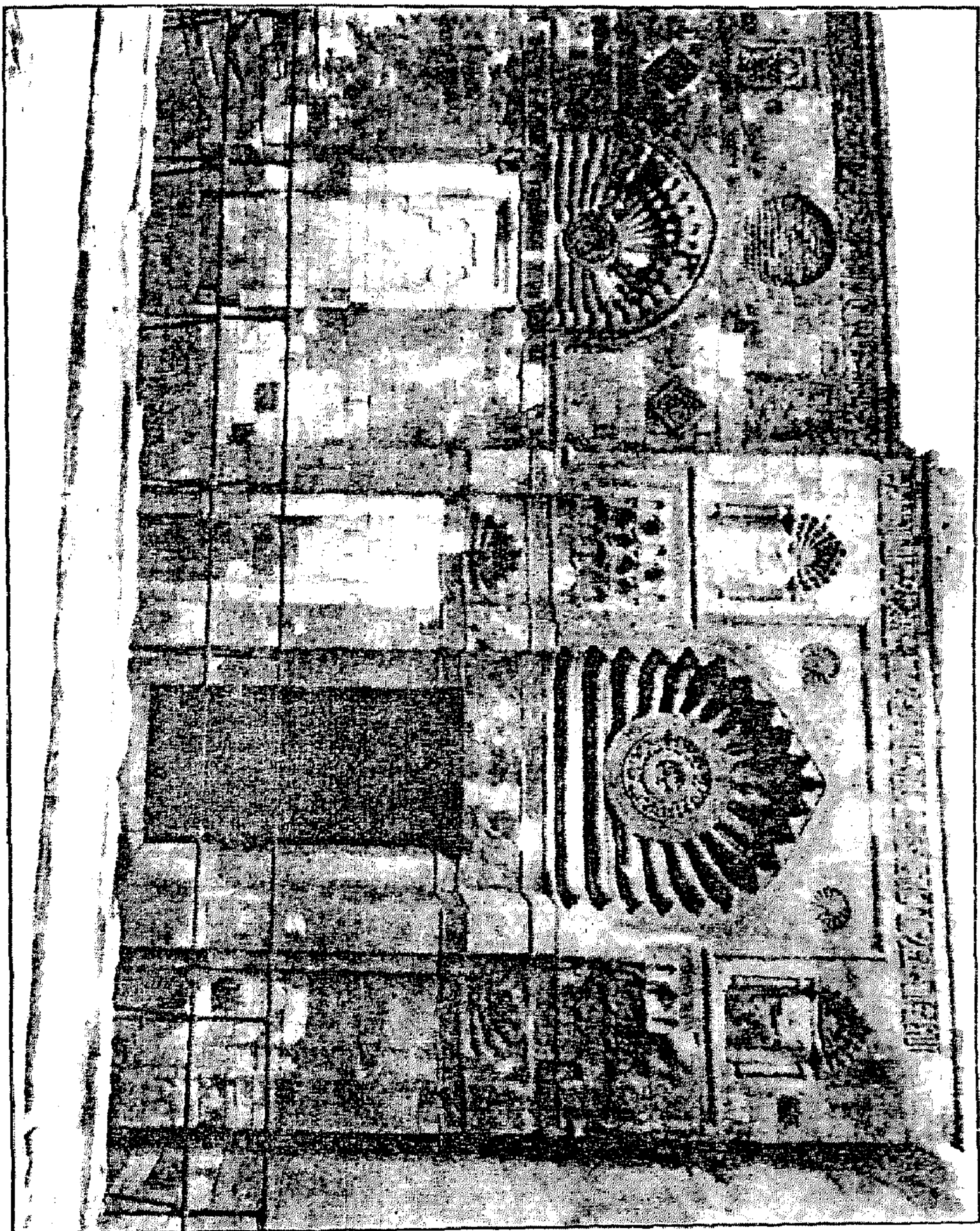
مسجد الجيوشي (أ) مقرنص القبة. (ب) واجهة المحراب

لوحة رقم (٣٨)

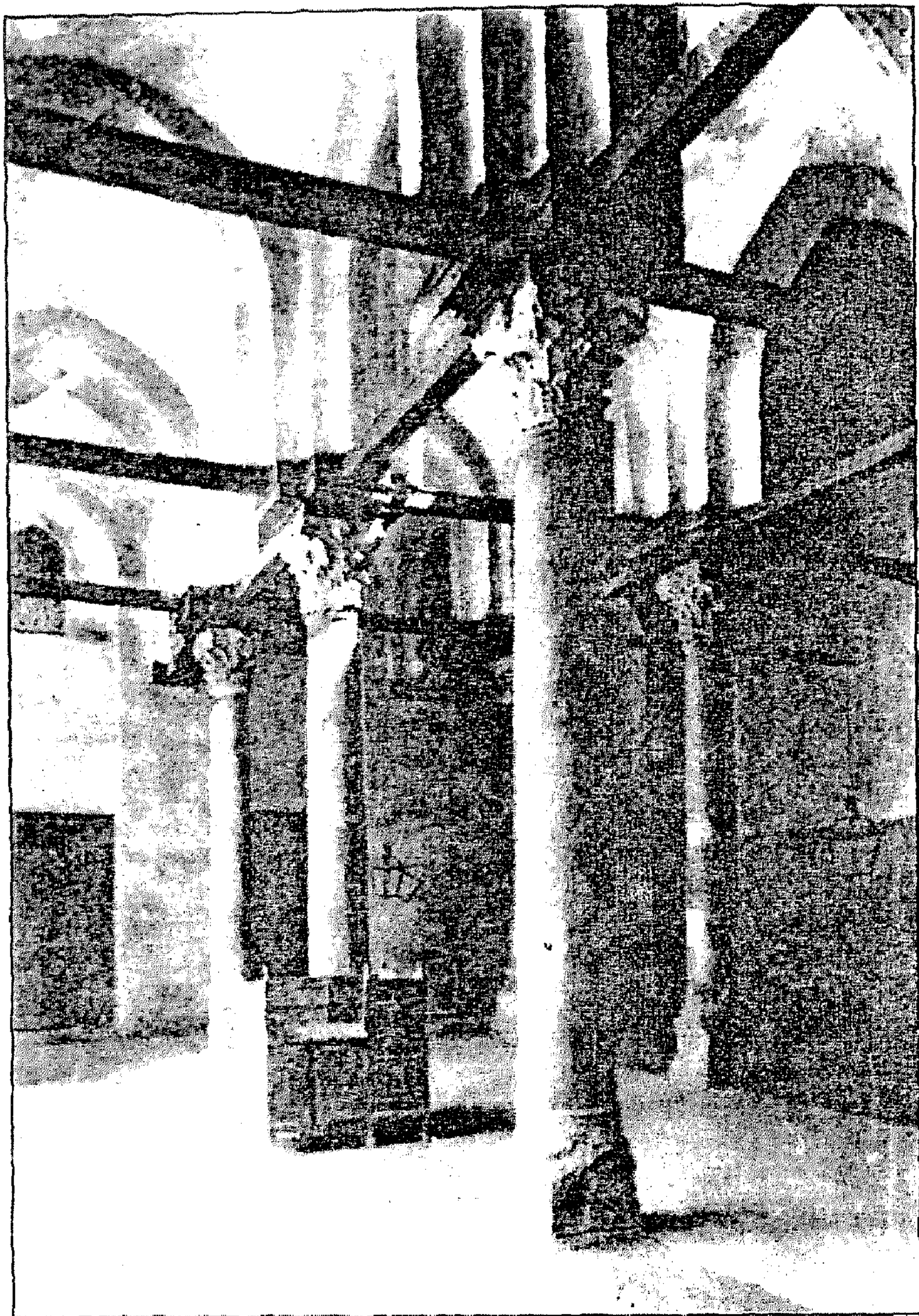


منذنة مسجد الجيوشي

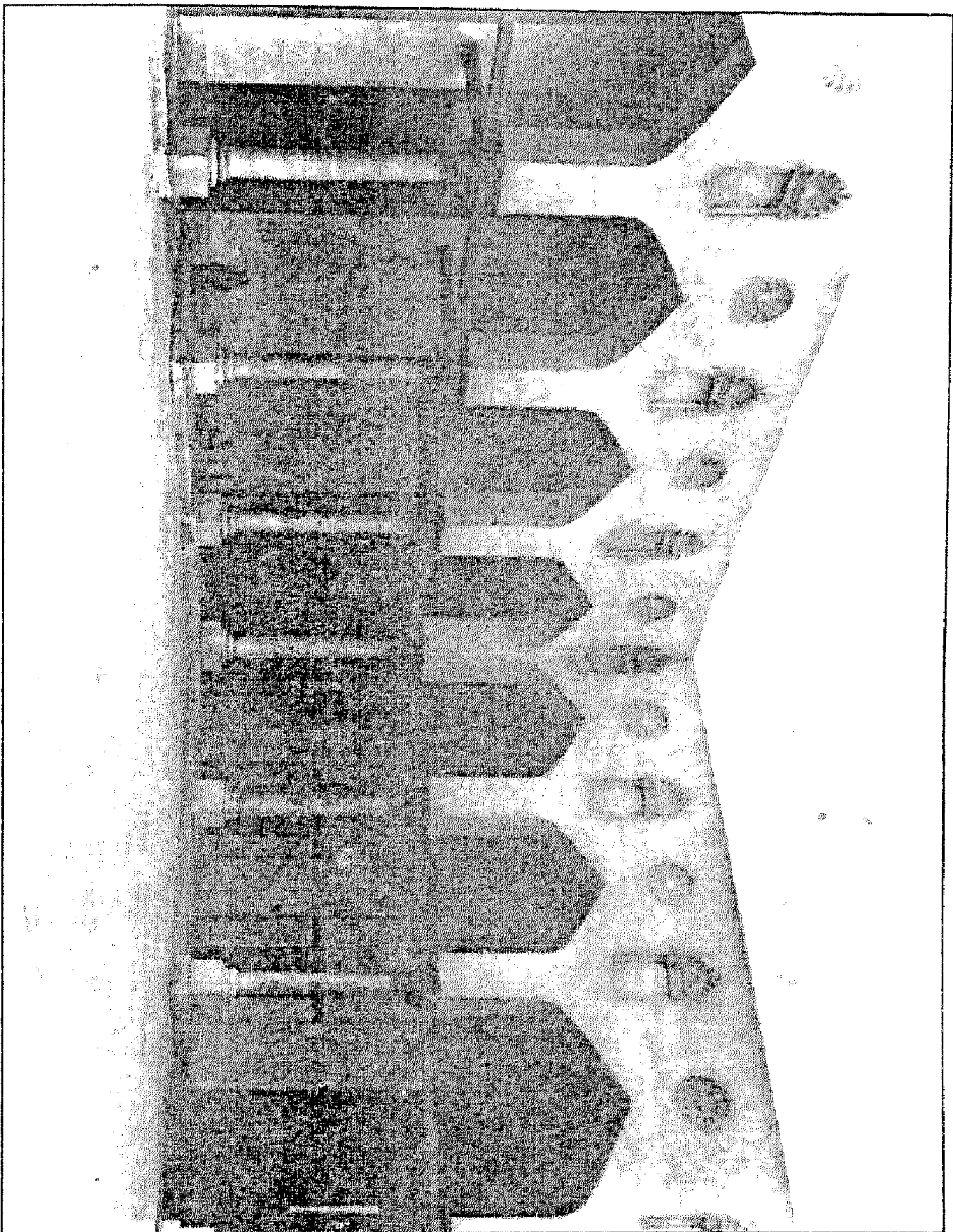
لوحة رقم (٣٩)



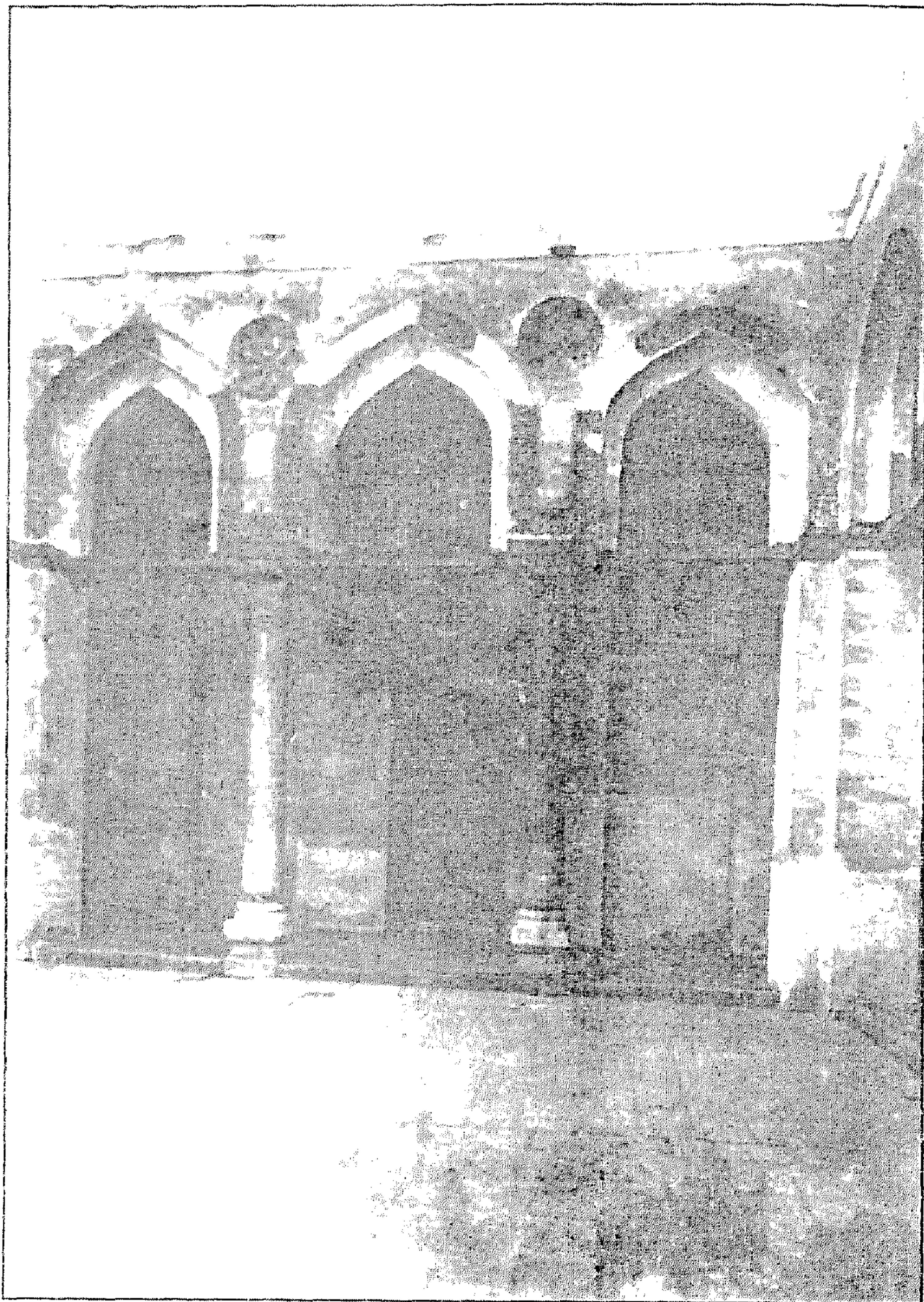
واجهة مسجد الأقصر



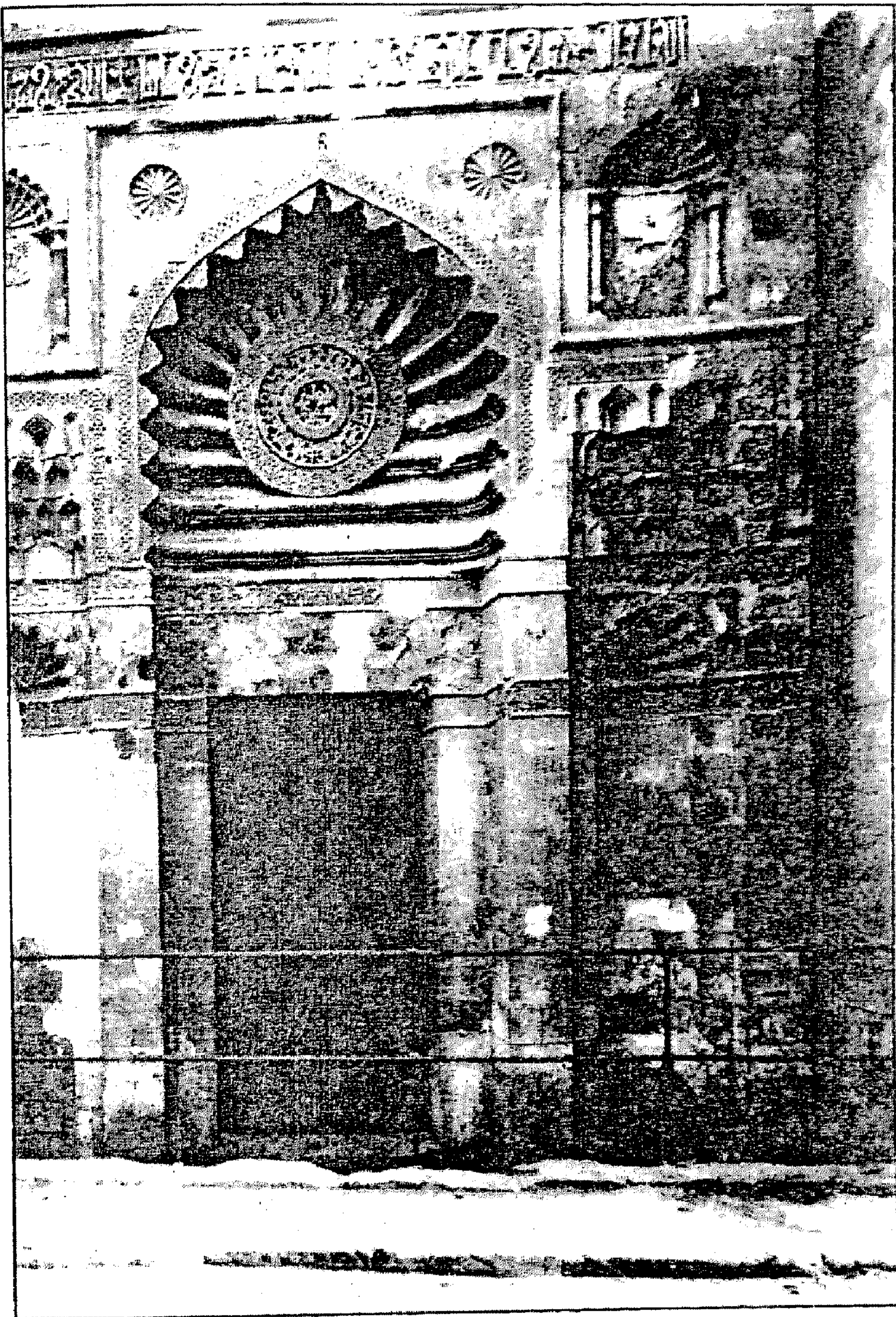
مسجد الأقمر - بيت الصلاة



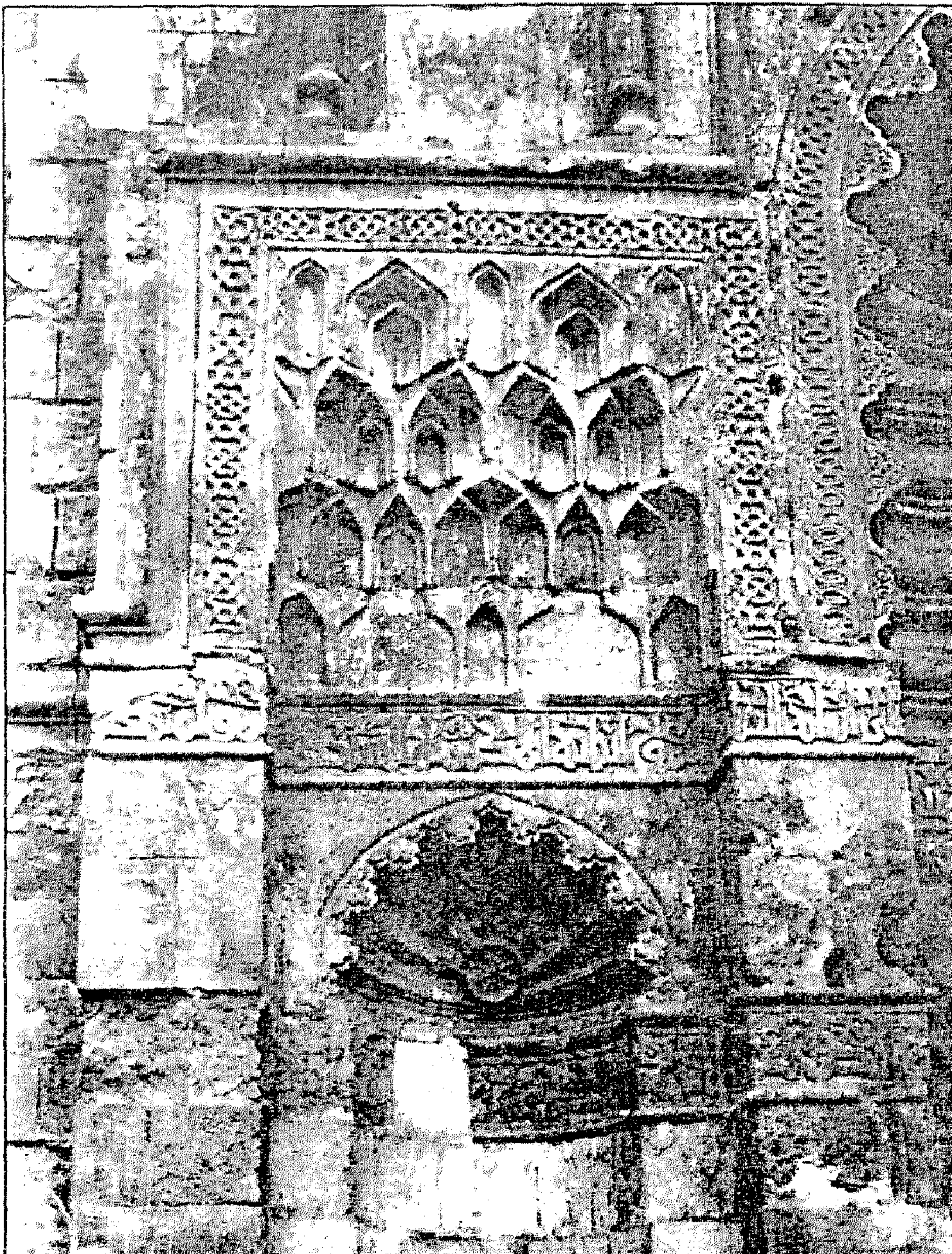
منظر لمبنى مسجد الصالح طلائع بعد تجديده (المؤخر والمجنيبة الغربية)



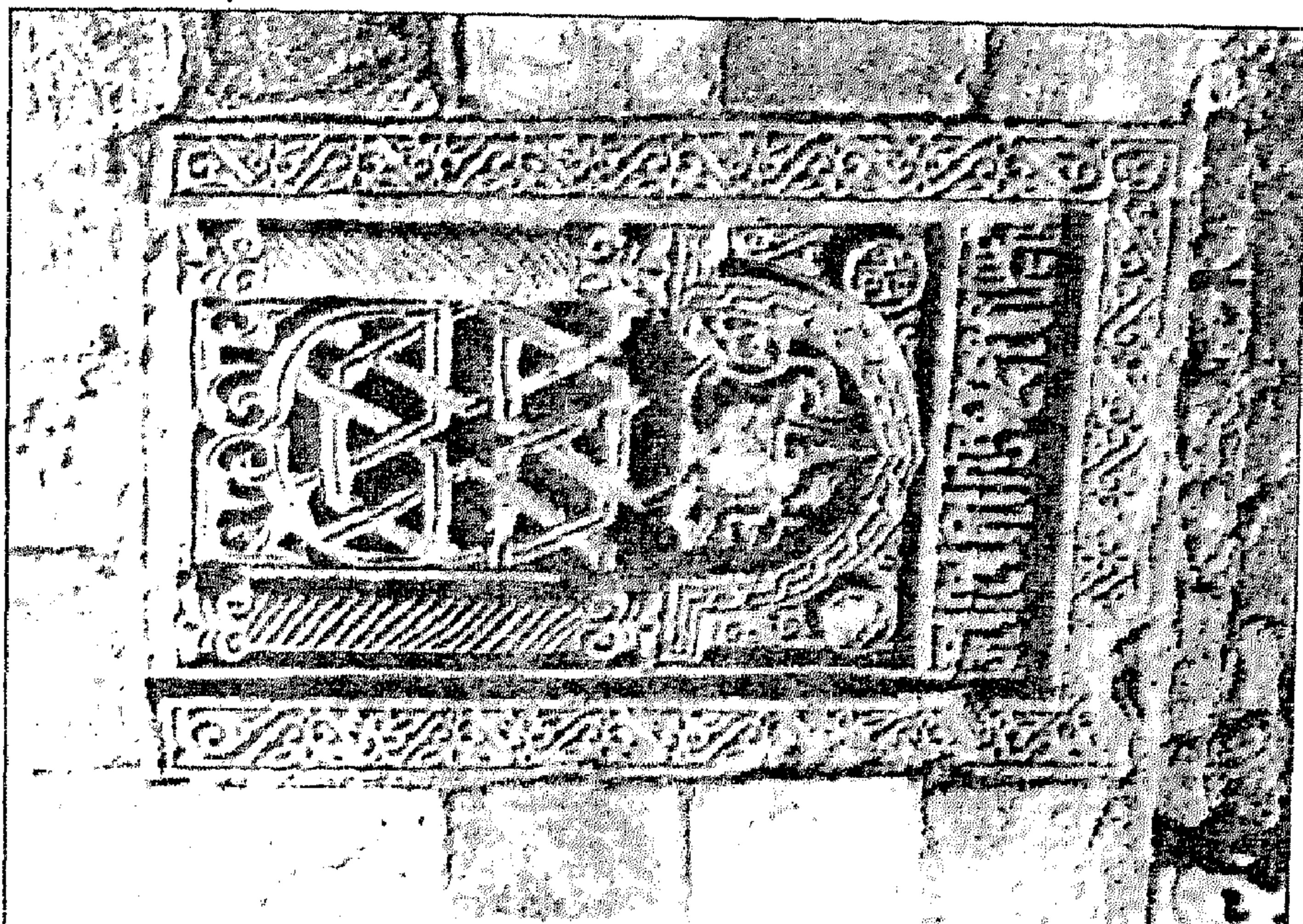
مسجد الأقصر - مؤخر المسجد



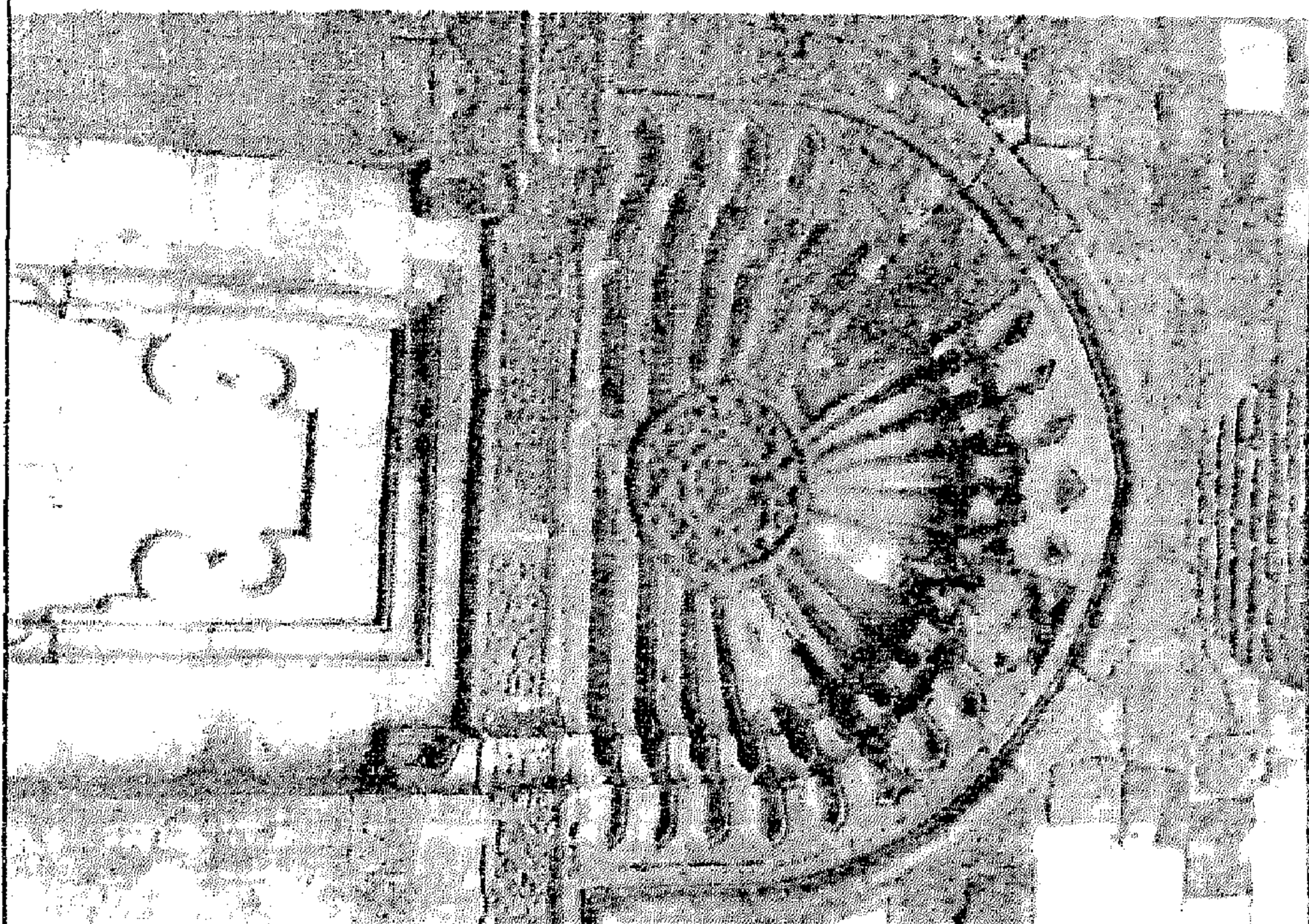
مسجد الأقمر - البوابة



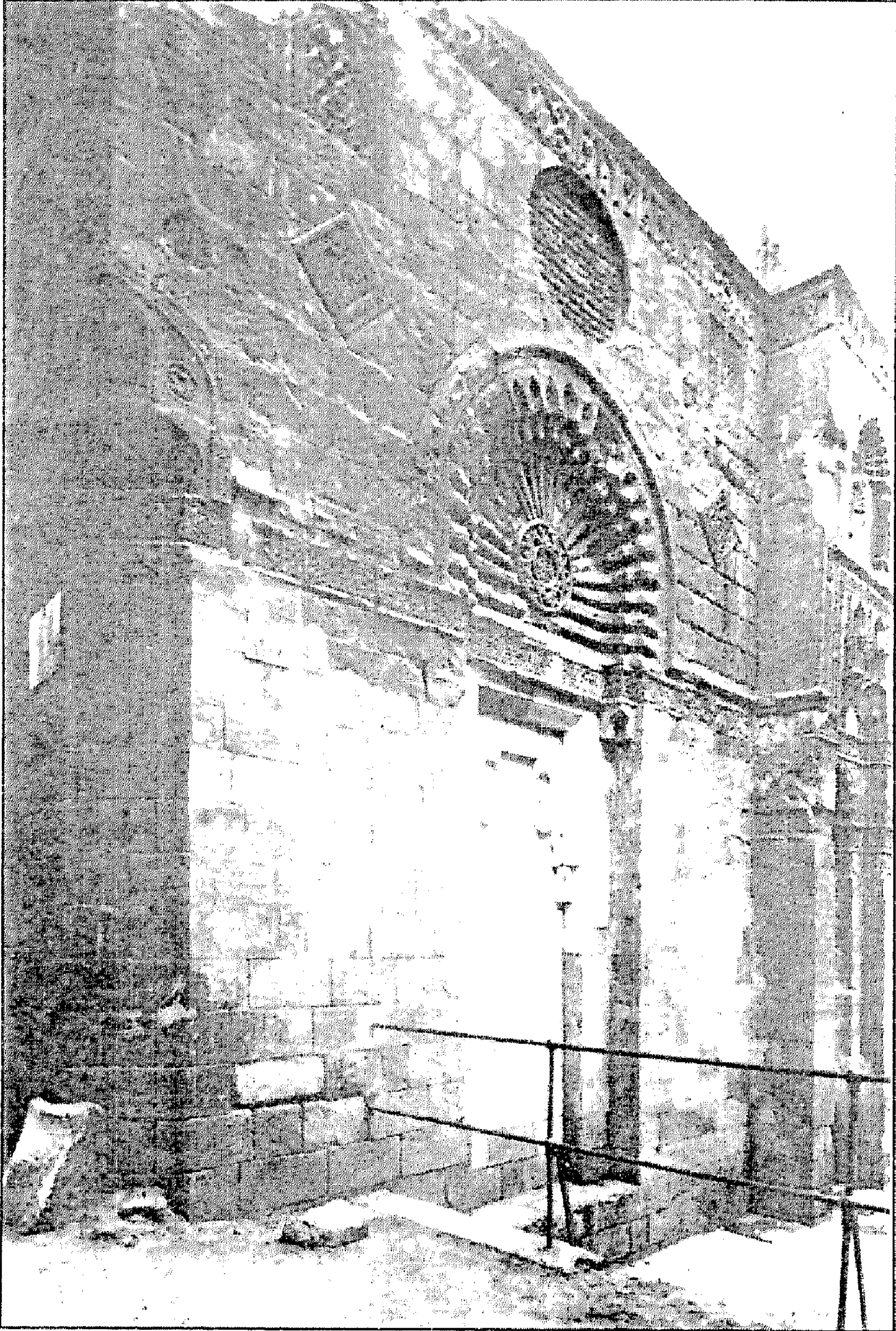
مسجد الأقصى - تفصيل من زخارف الواجهة



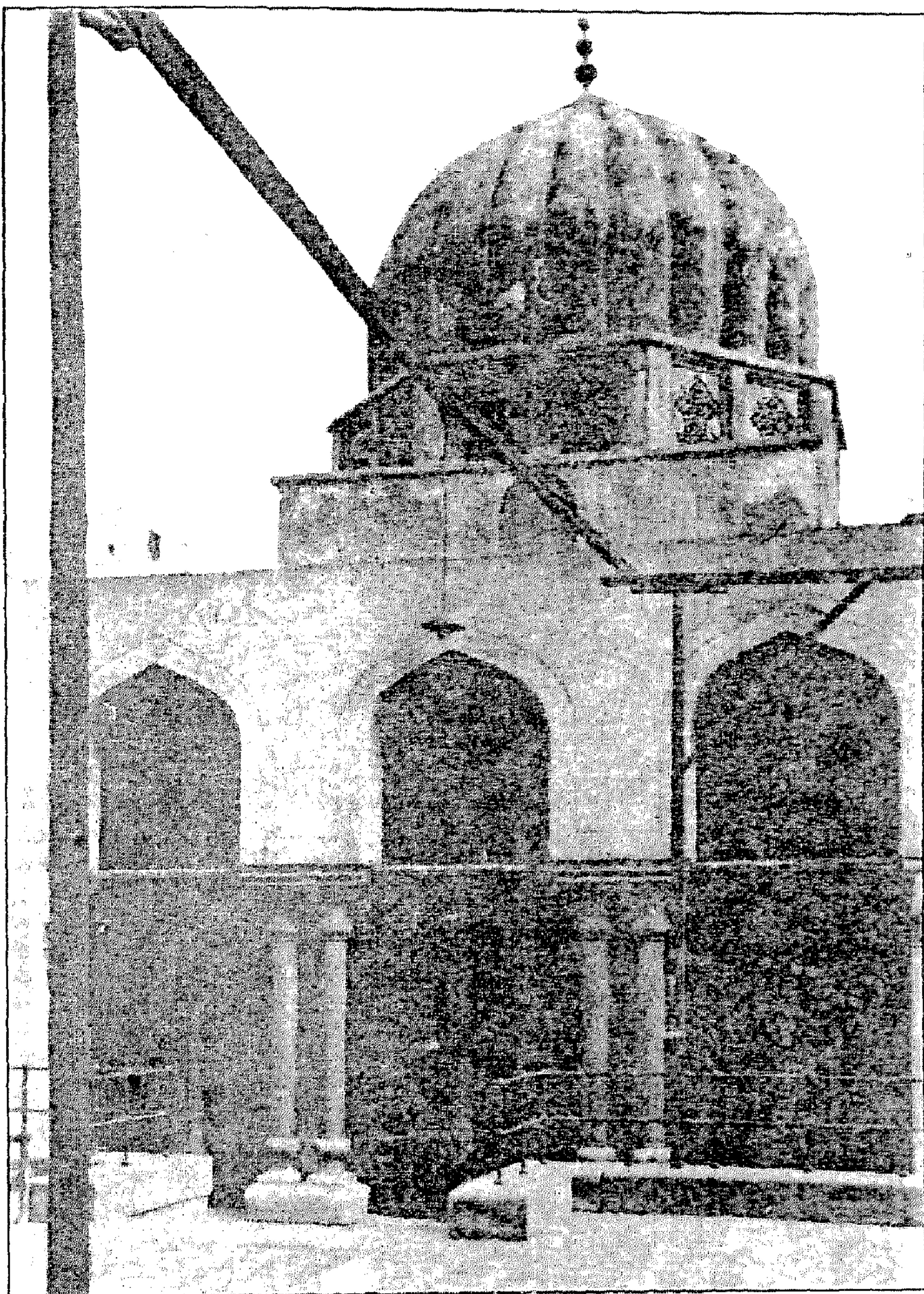
مسجد الأقمر (ب) مشكاة على الواجهة



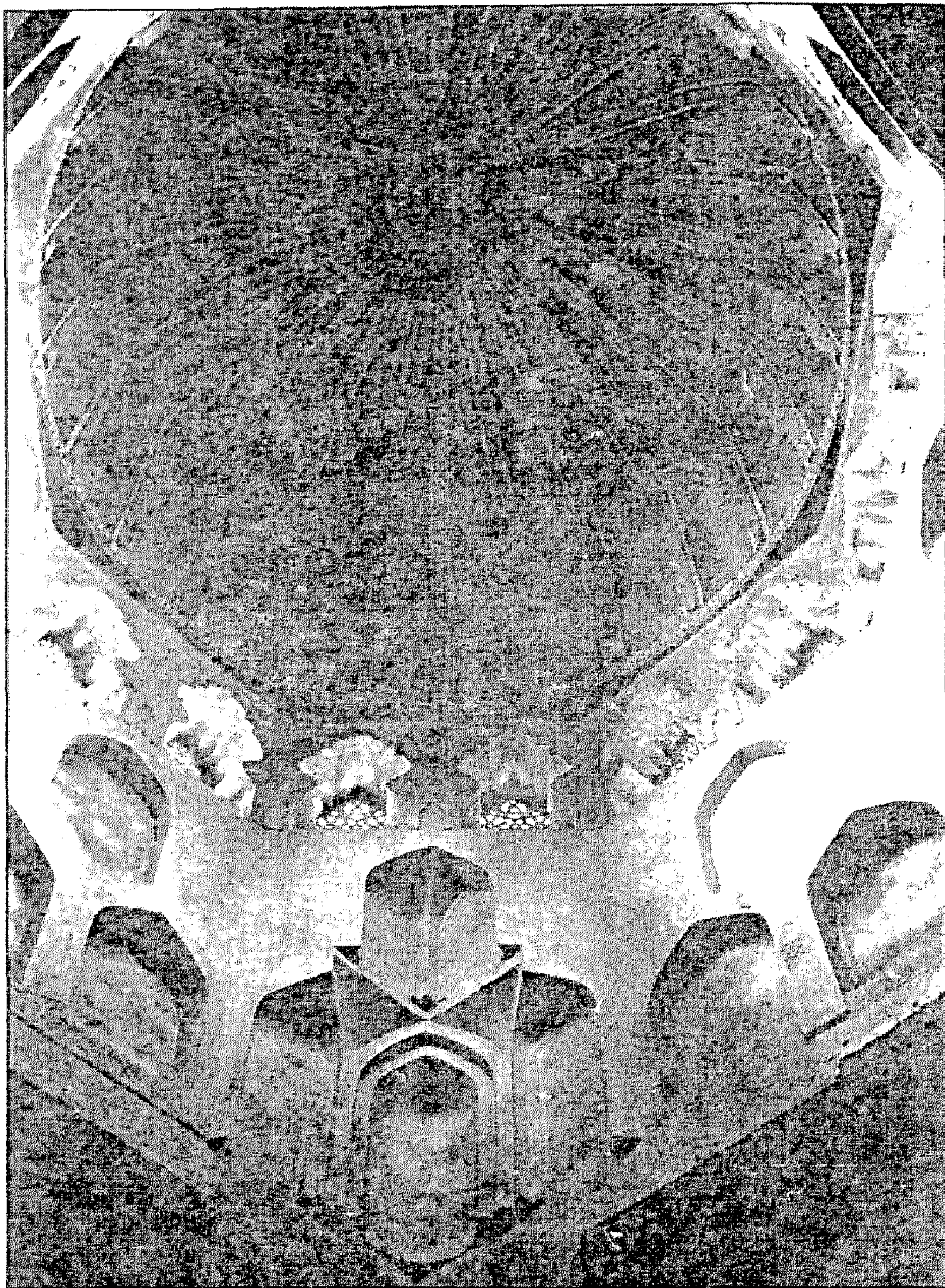
مسجد الأقمر (أ) تفصيل من زخارف الواجهة



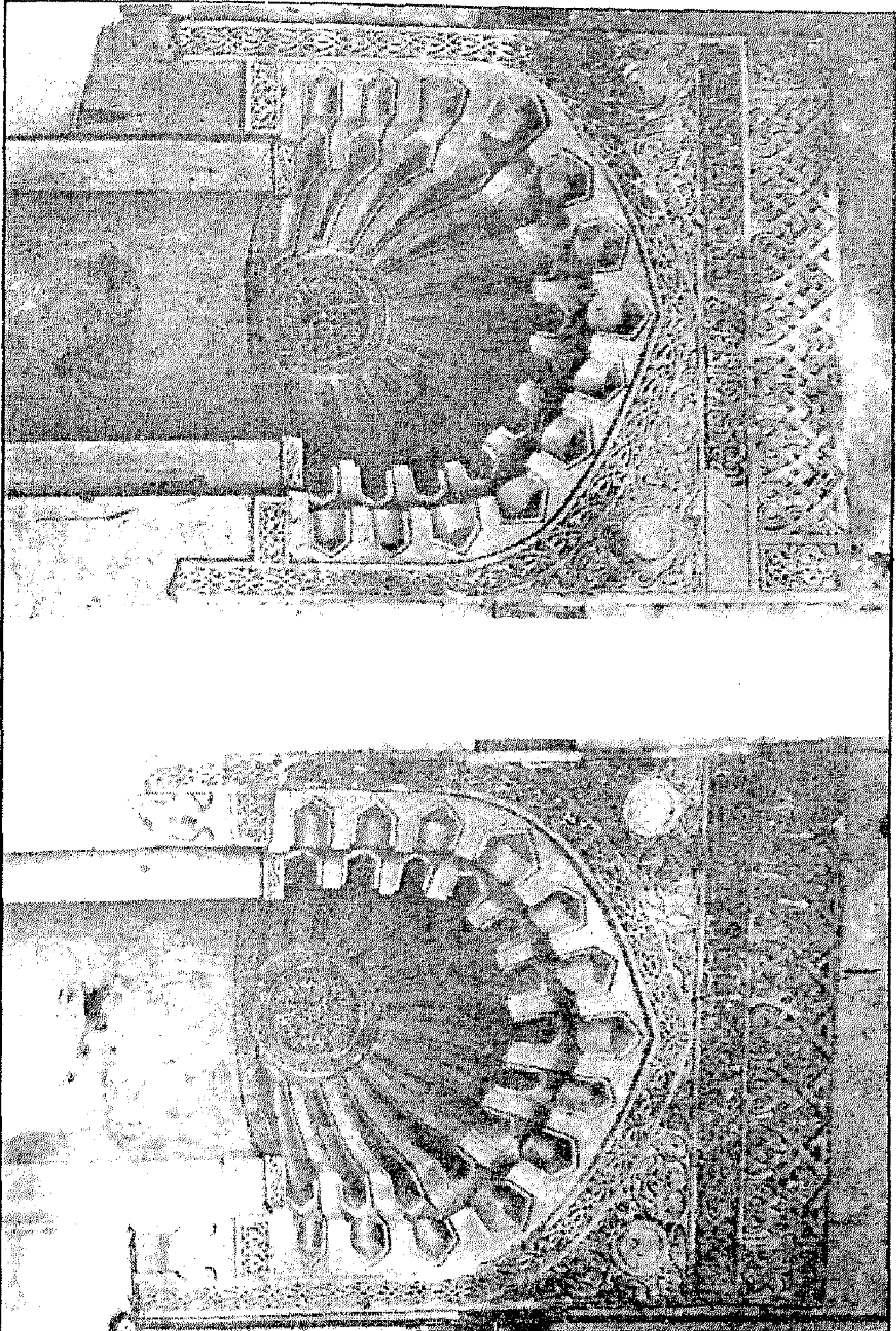
مسجد الأقمر - مقرنص الركن بين الواجهتين الشرقية والشمالية



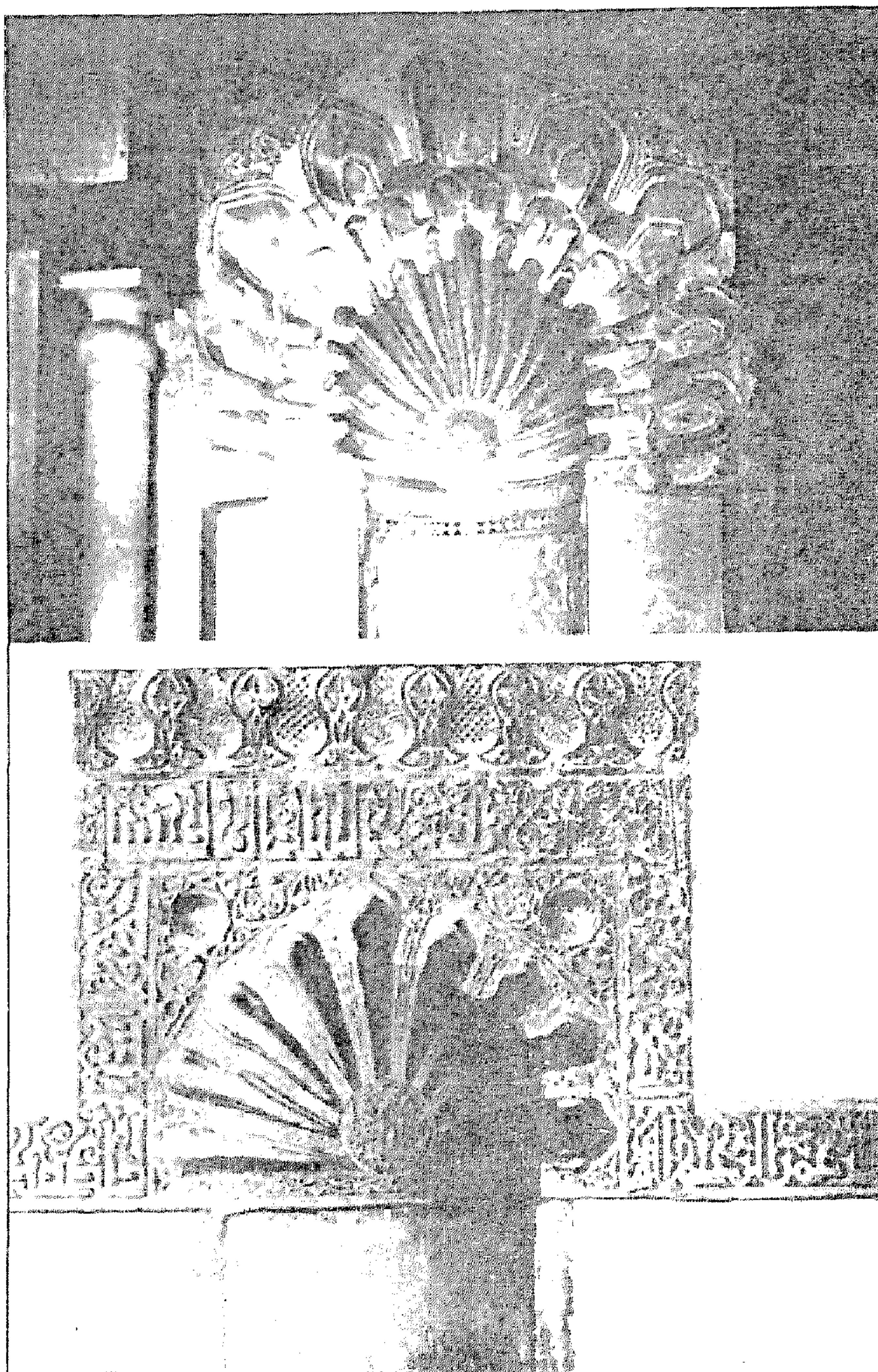
مسجد السيدة رقية - منظر عام للصحن والقبلة



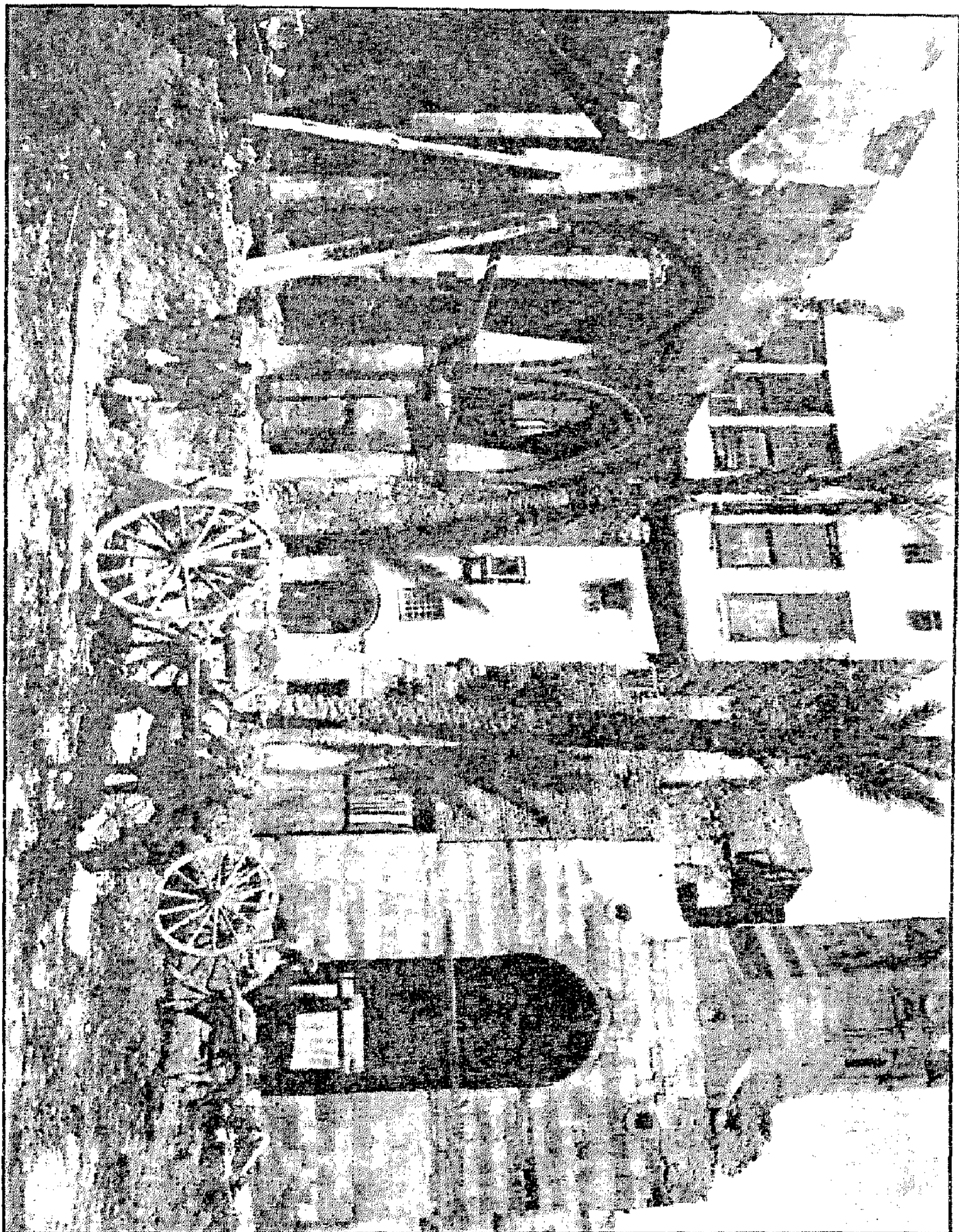
مسجد السيدة رقية - منظر للقبة من الداخل



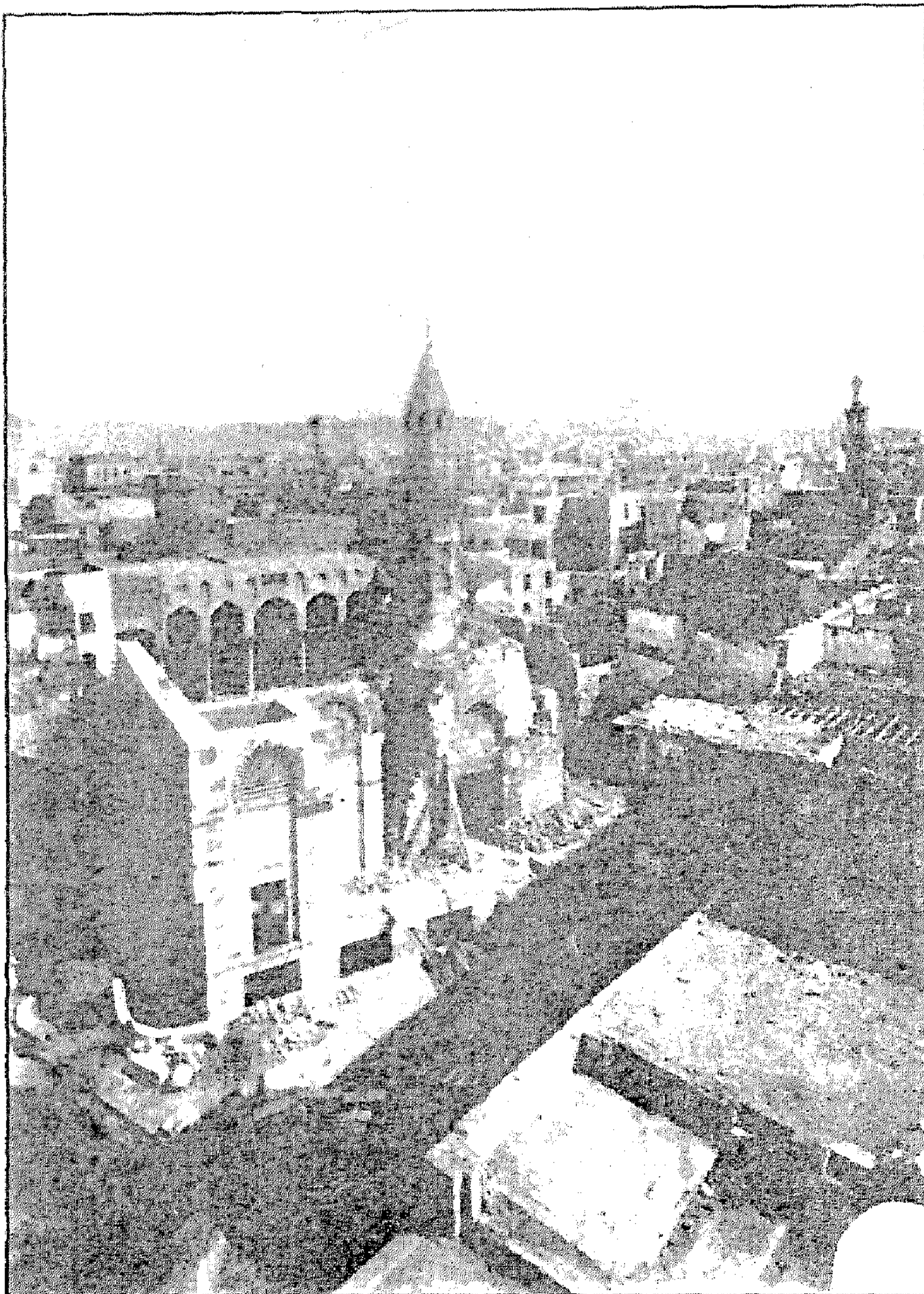
المحراب اليميني من رواق الصحن في مسجد السيدة رقية والمحراب اليساري



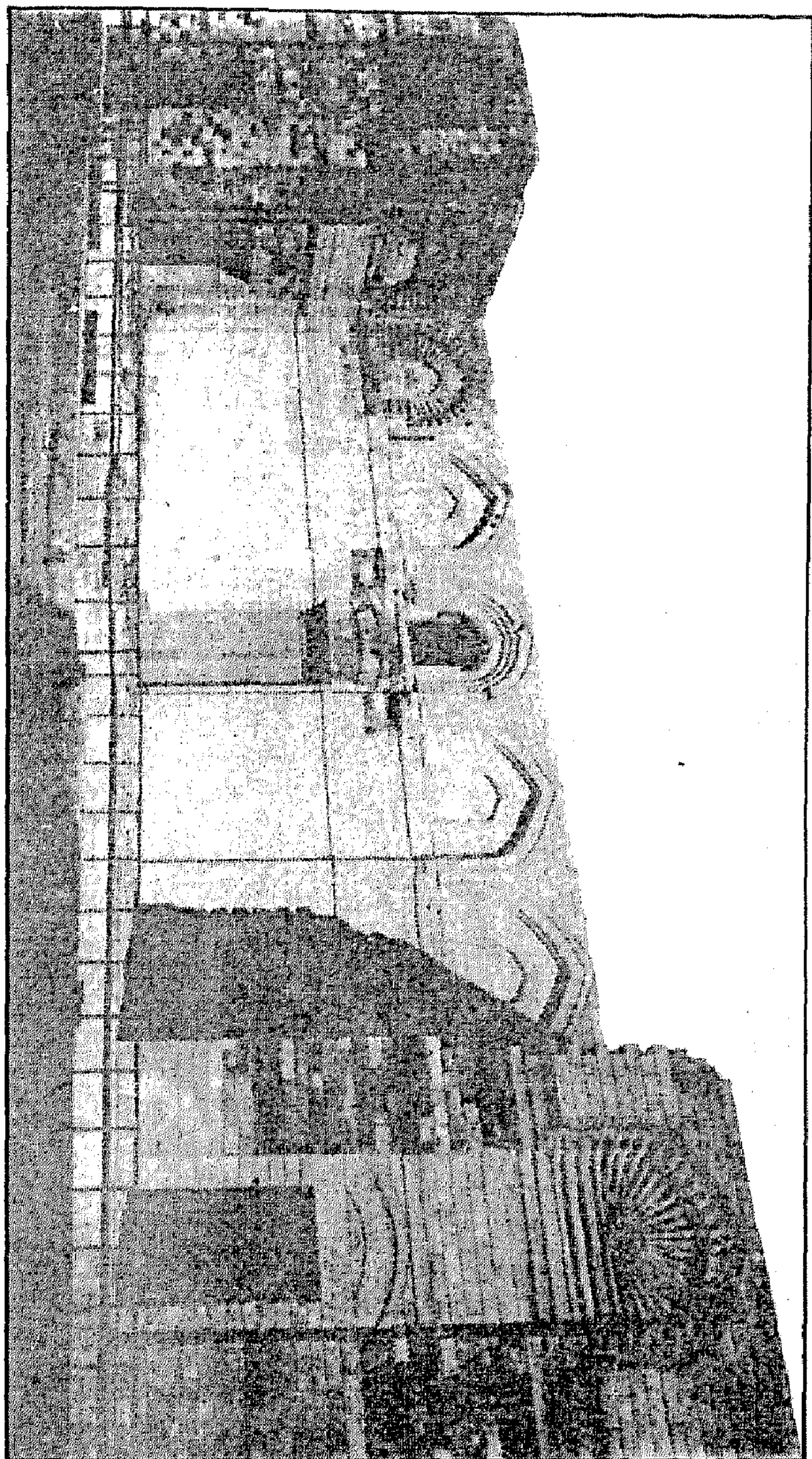
مسجد السيدة رقية (أ) المحراب الأوسط (ب) محراب جانبي في بيت الصلاة



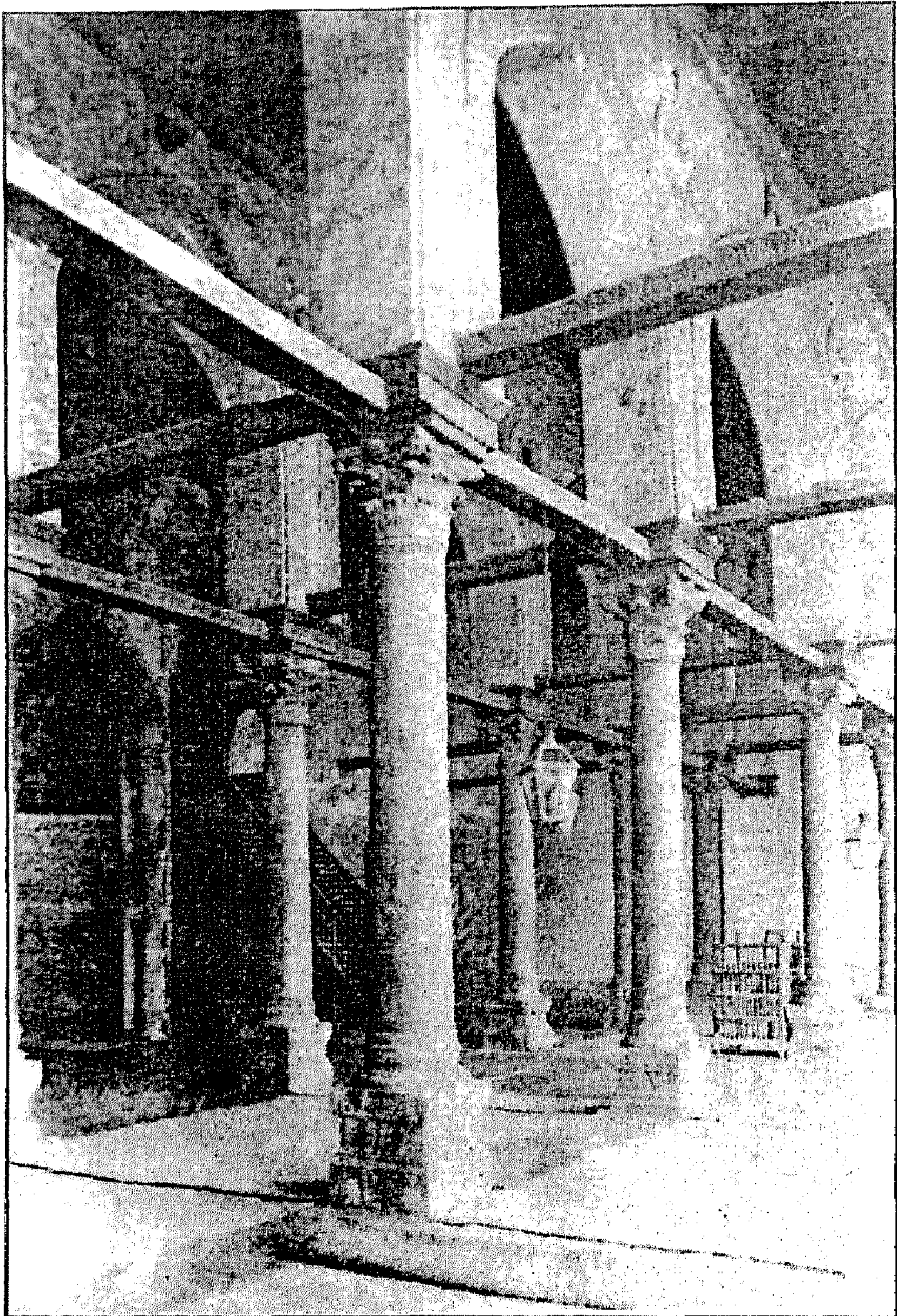
مسجد الصالح طلائع - عقود الصحن قبل تجديدها



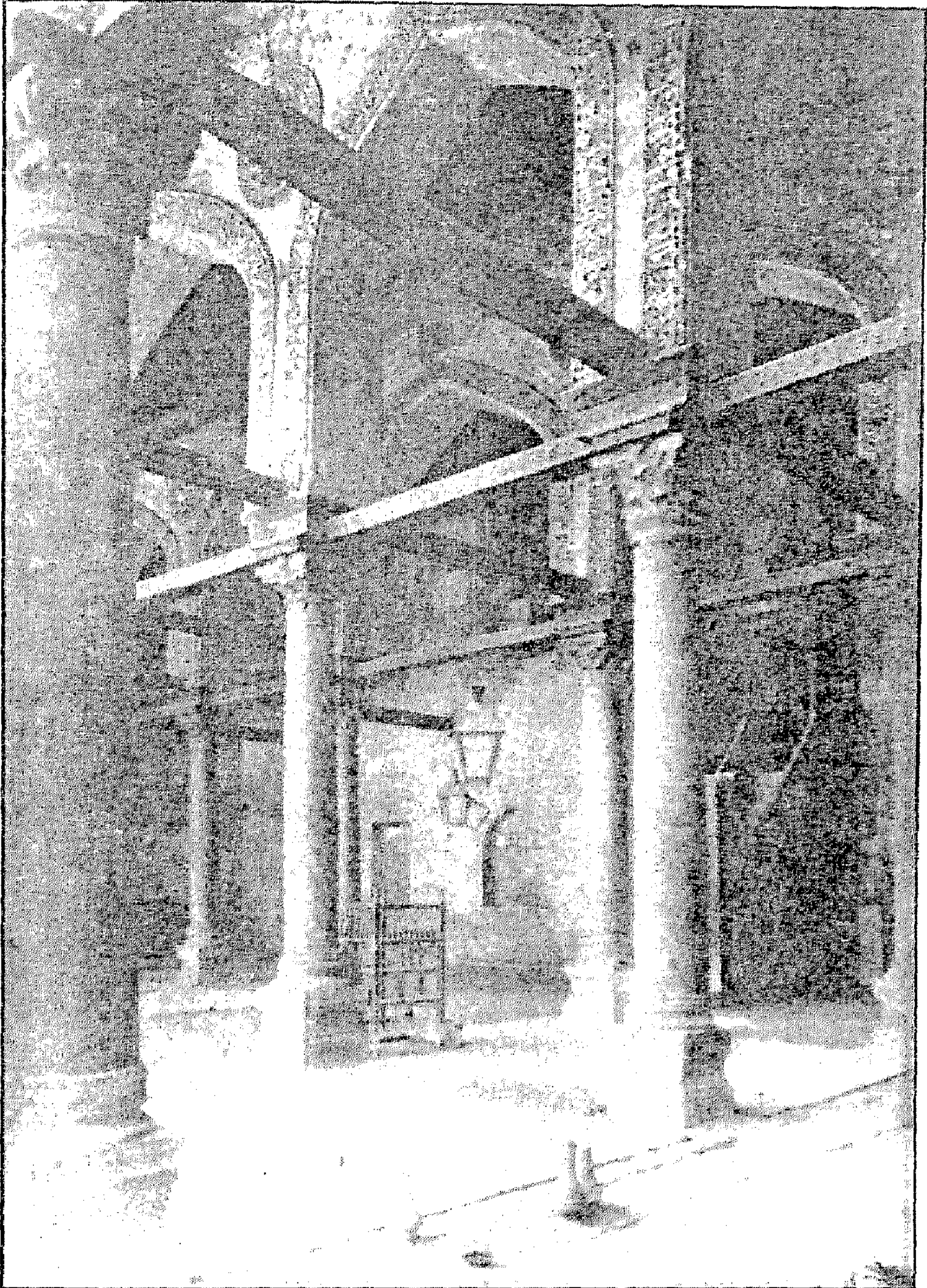
مسجد الصالح طلائع - منظر عام قبل تجديده



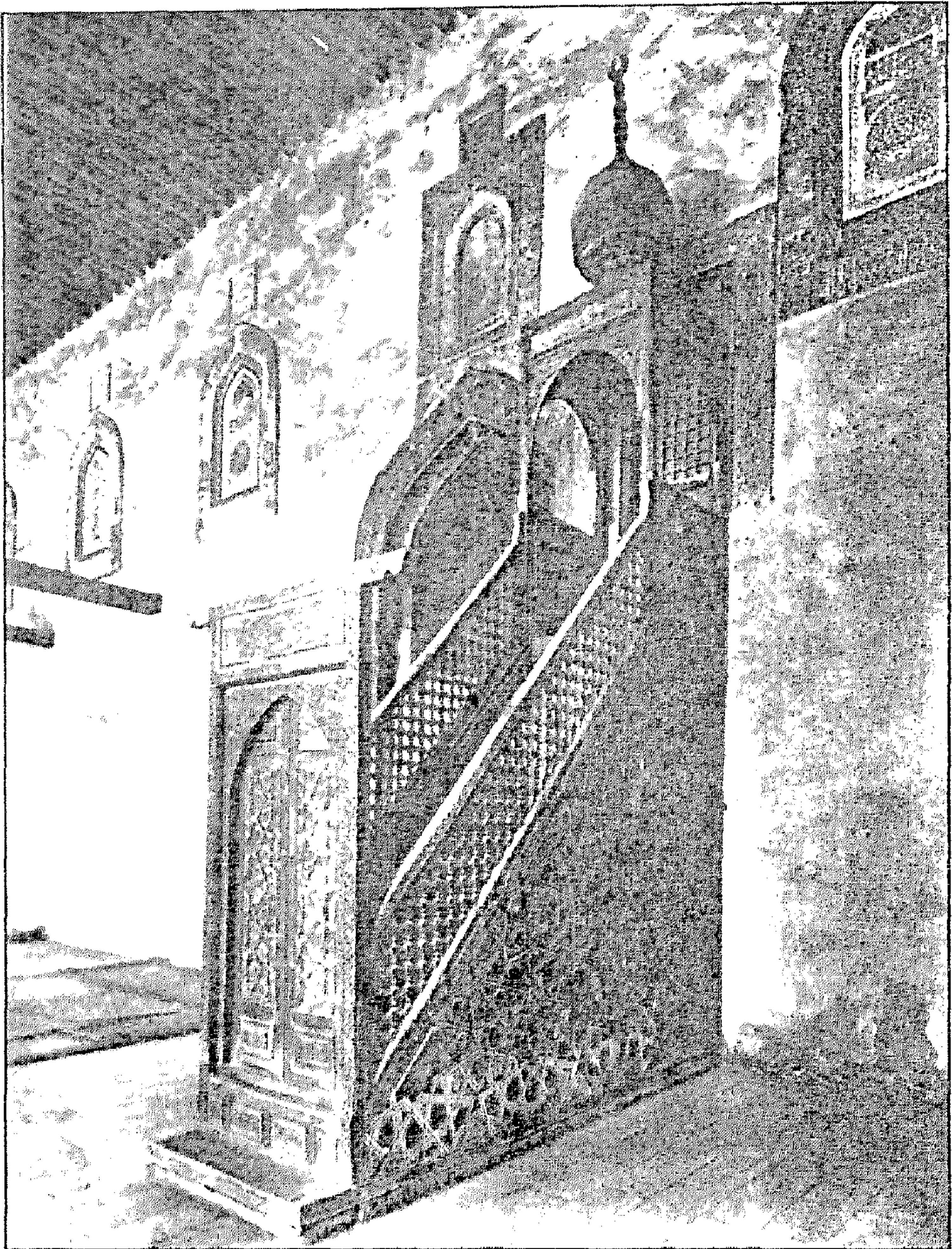
مسجد الصالح طلائع — قسم من الواجهة قبل إتمام تجديدها



مسجد الصالح طلائع - بيت الصلاة

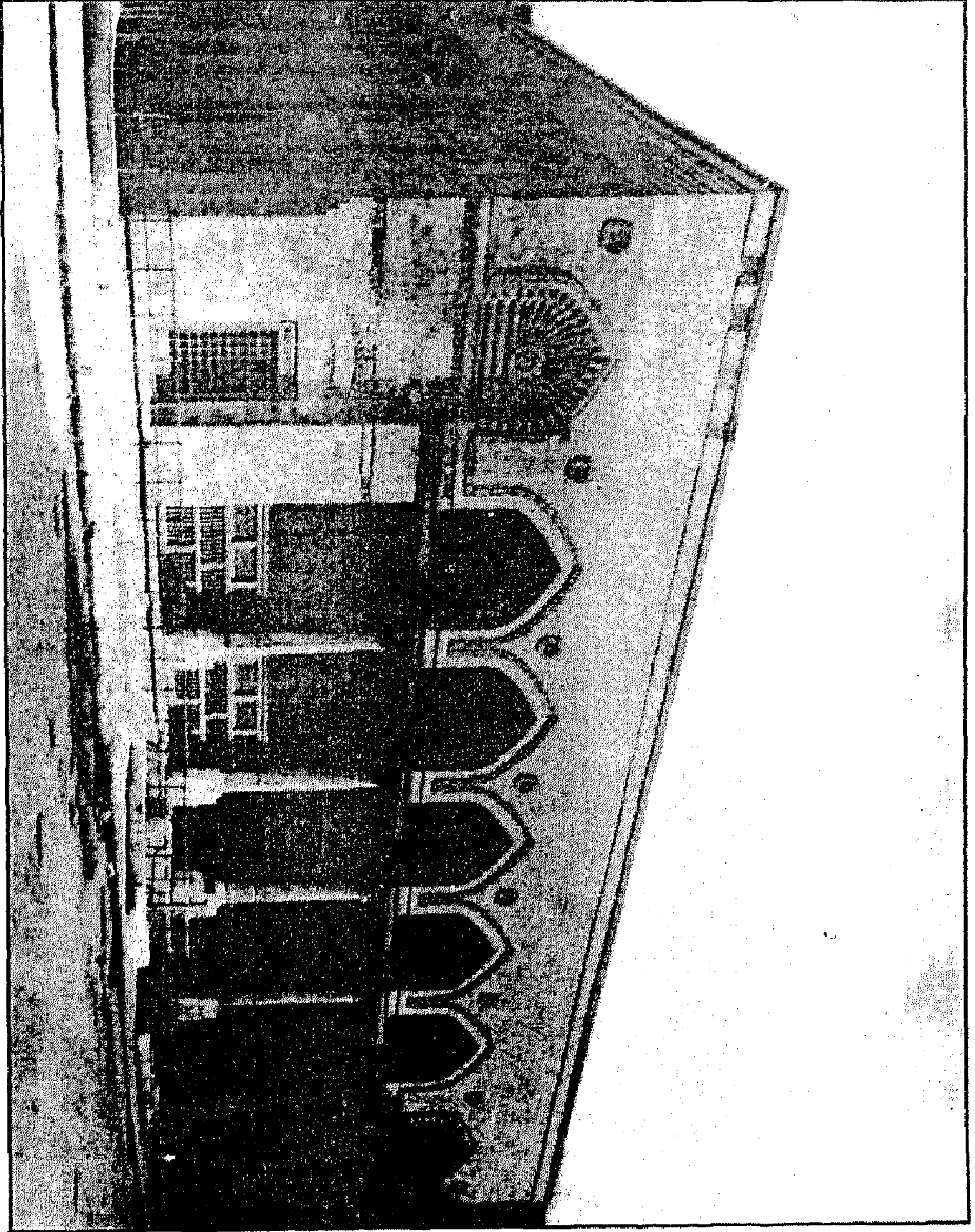


مسجد الصالح طلائع - منظر ثان لبيت الصلاة

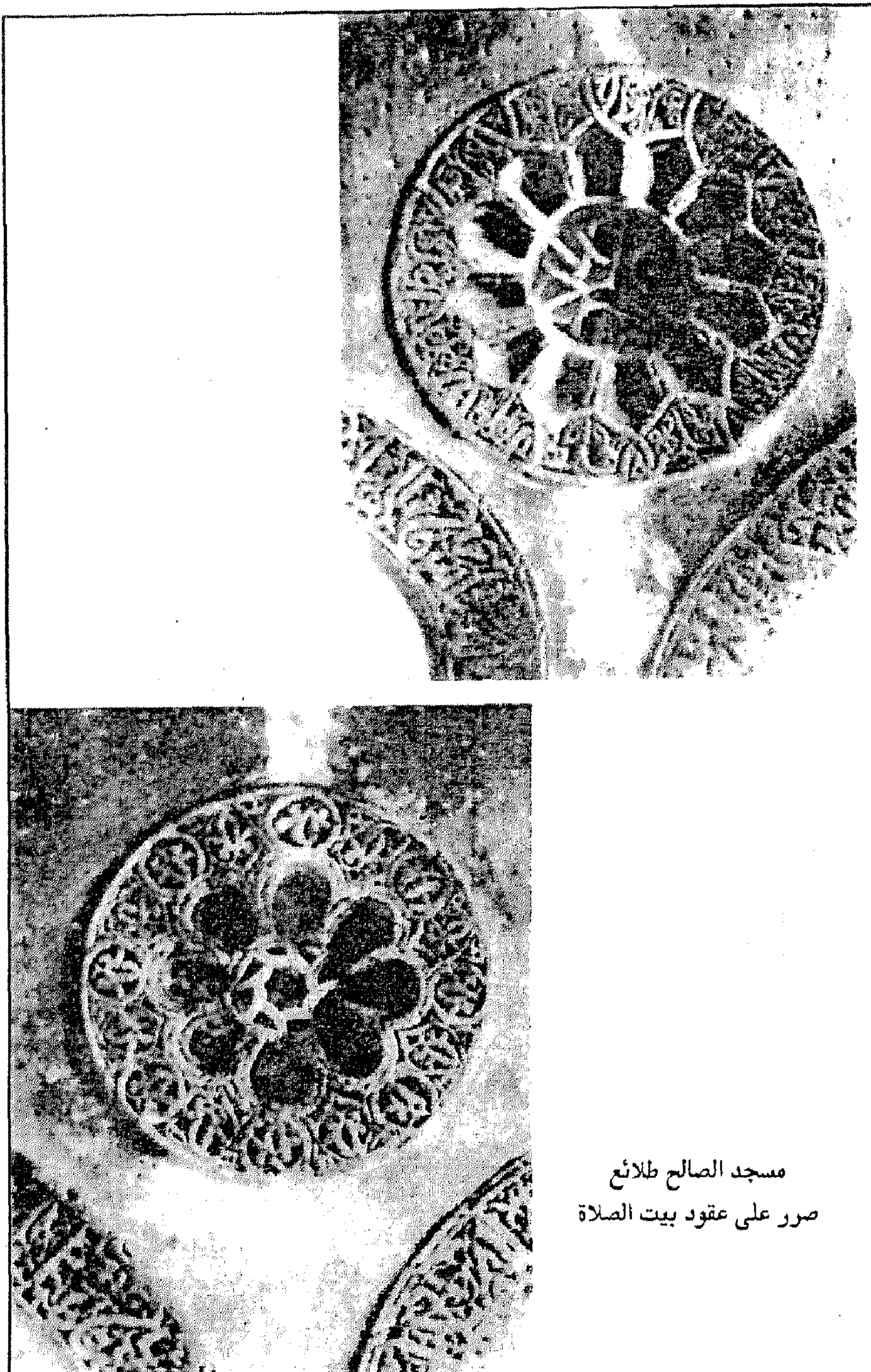


مسجد الصالح طلائع - المحراب

لوحة رقم (٥٧)

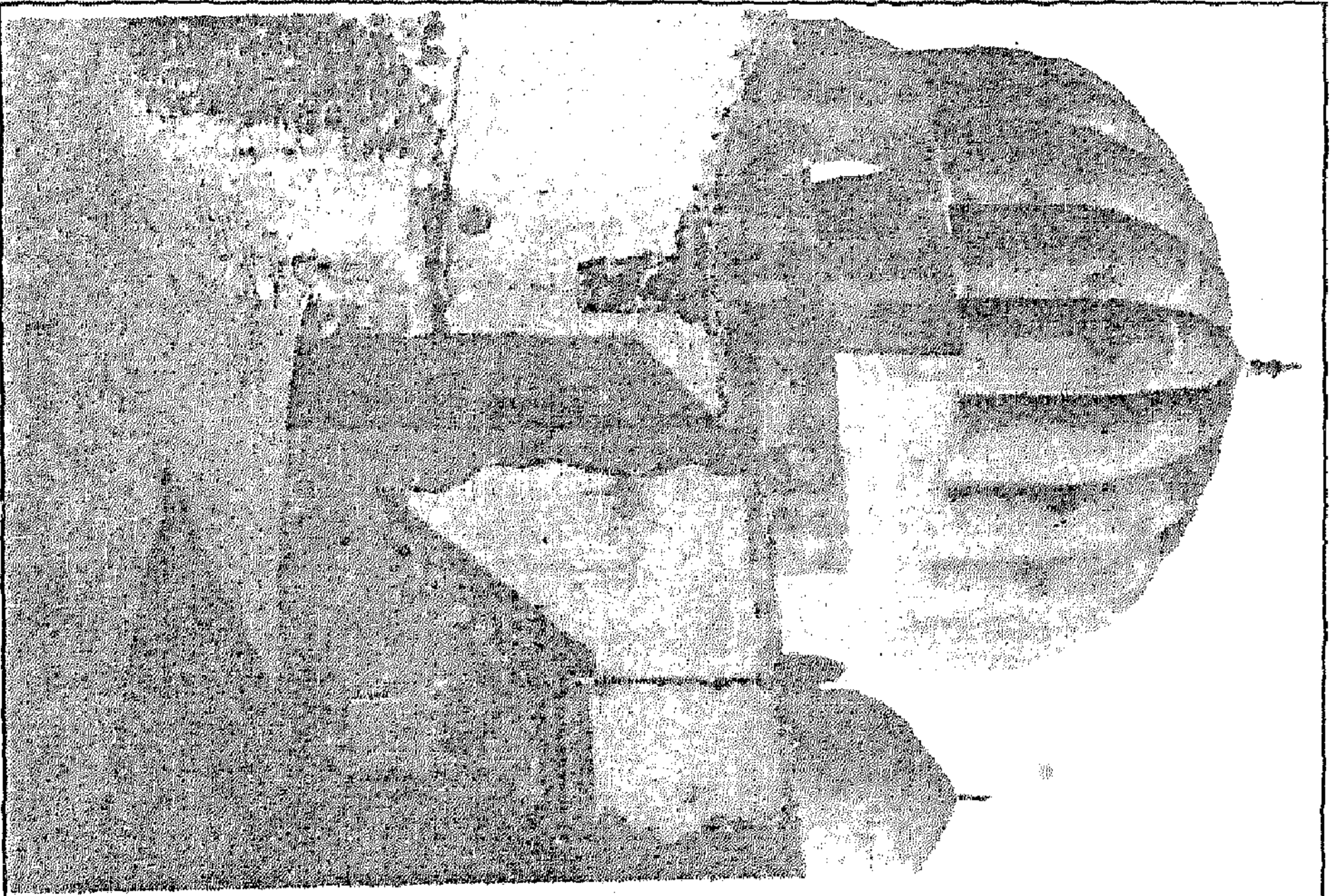


مسجد الصالح طلائع - الواجهة بعد إعادة بنائها

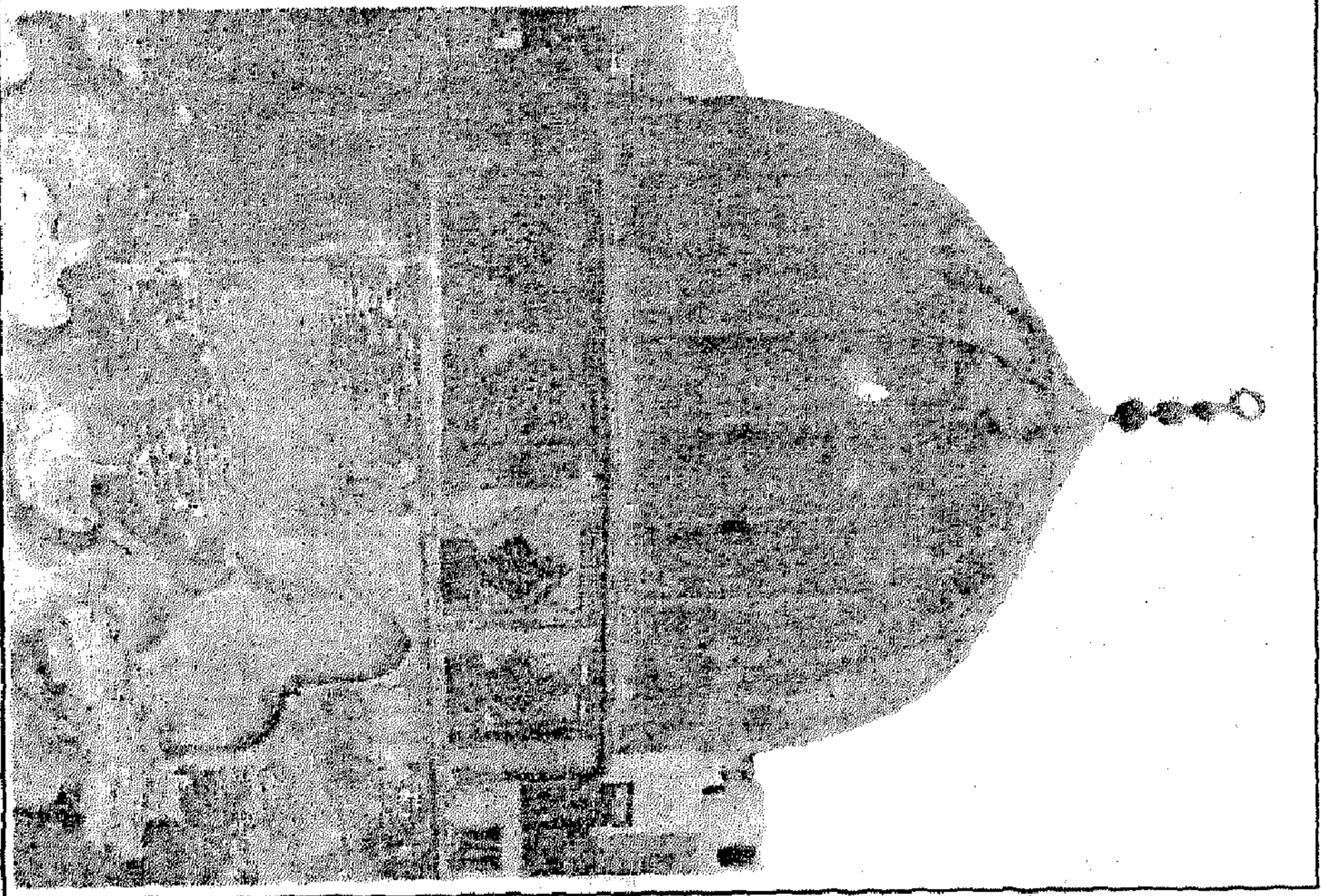


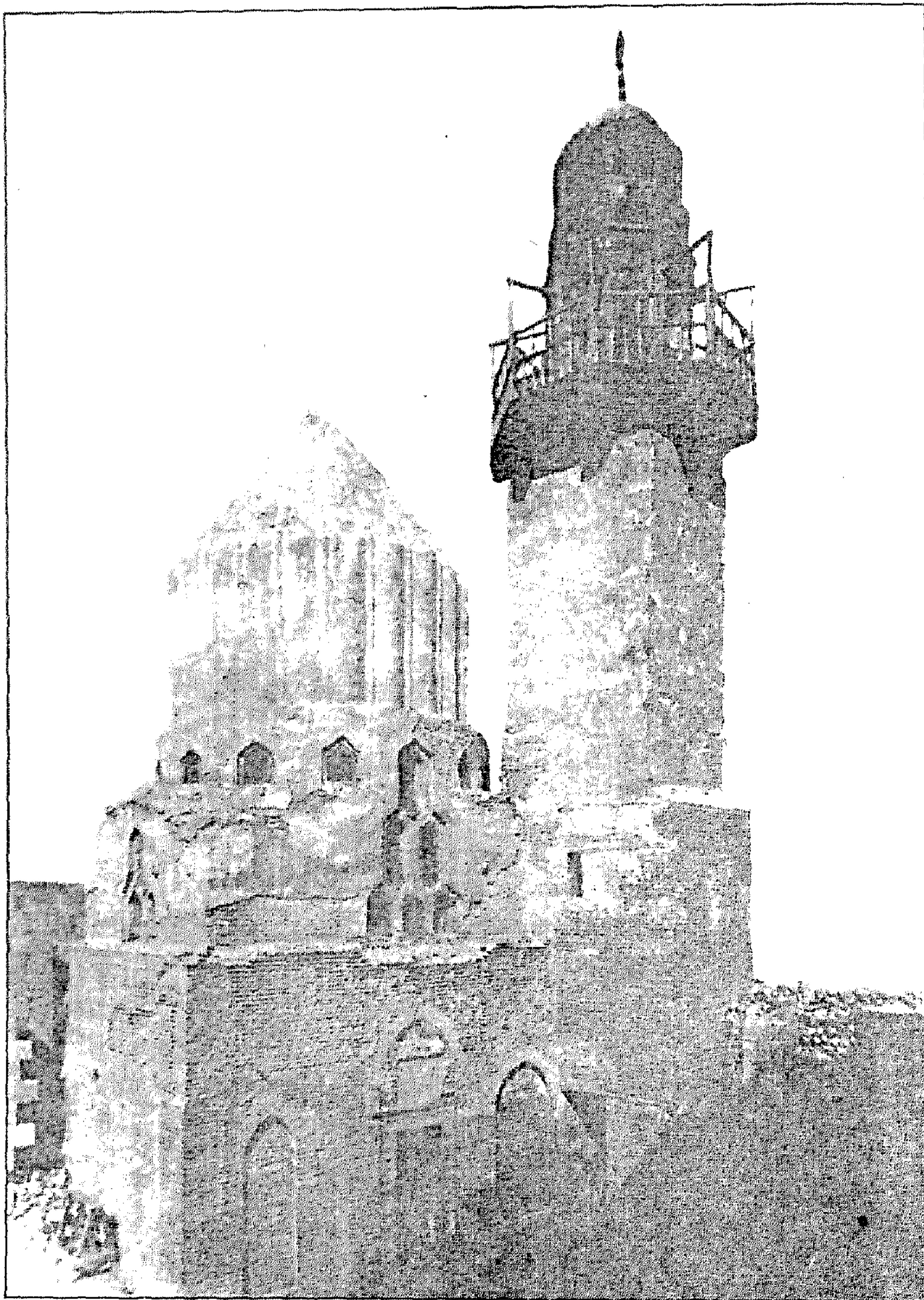
مسجد الصالح طلائع
صرر على عقود بيت الصلاة

(ب) قبلة مشهود بحيني الشيبه

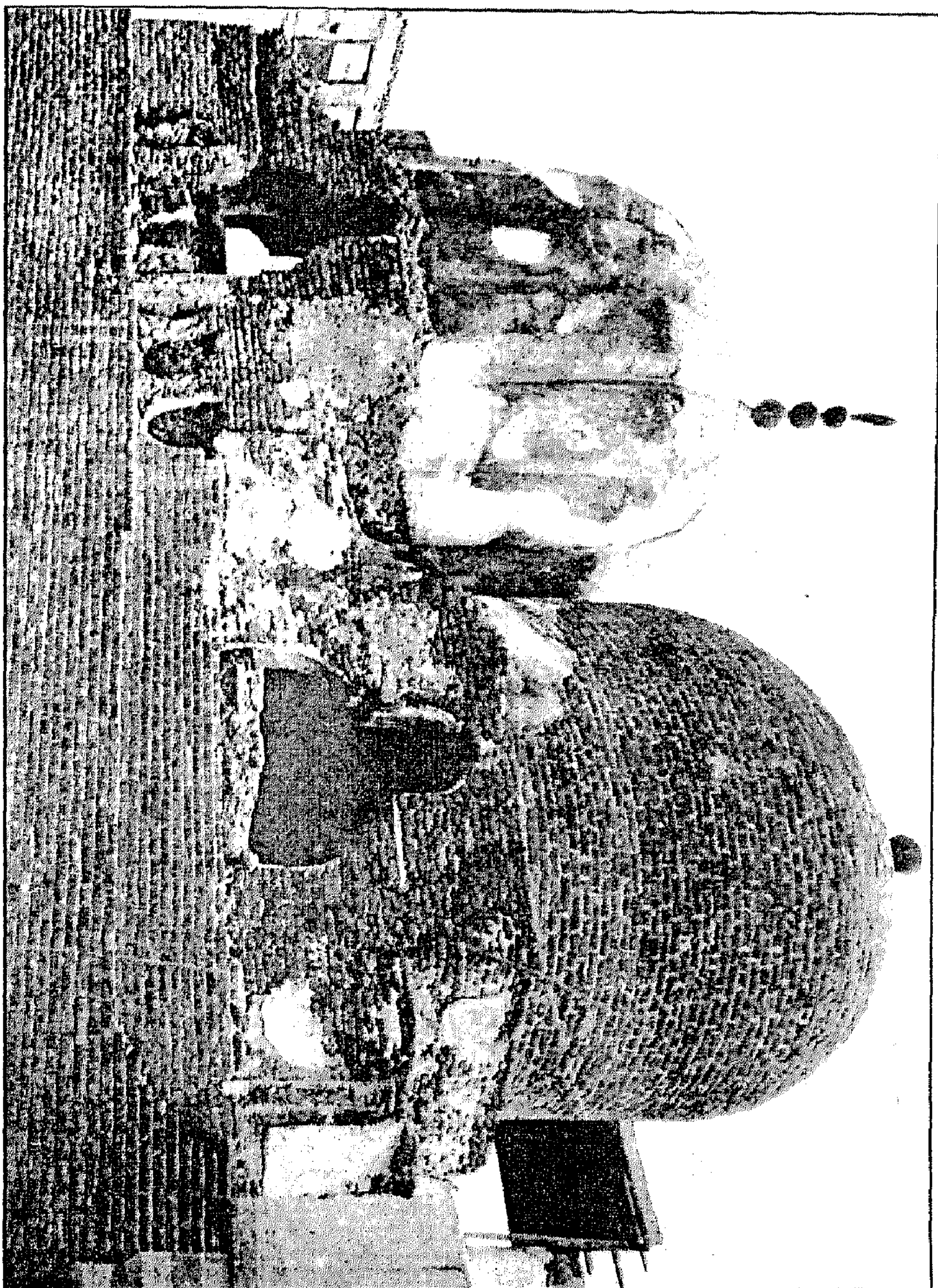


(أ) قبلة السيدة رقية

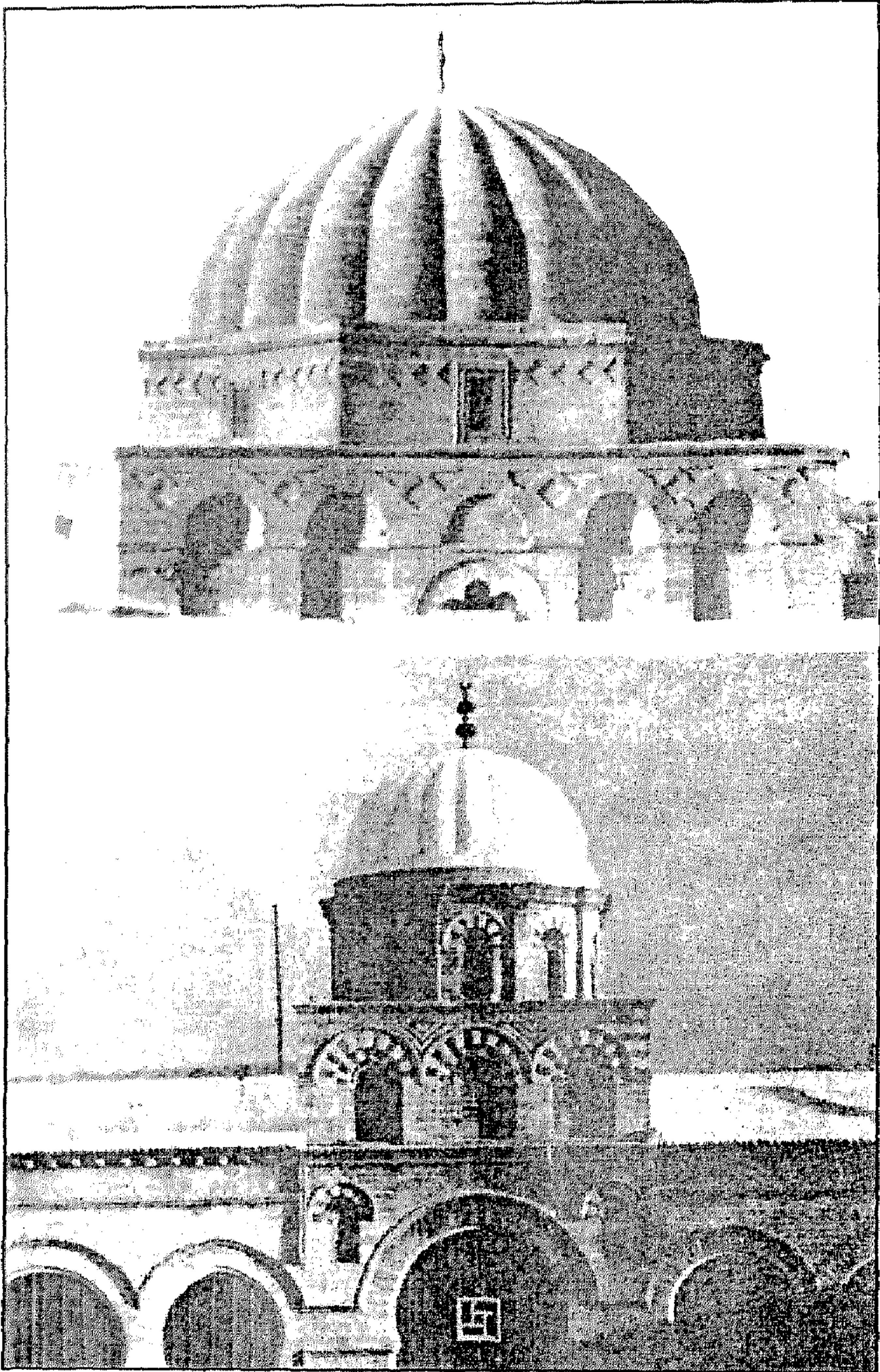




قبة مشهد أبي الغضنفر (سیدی معاذ)

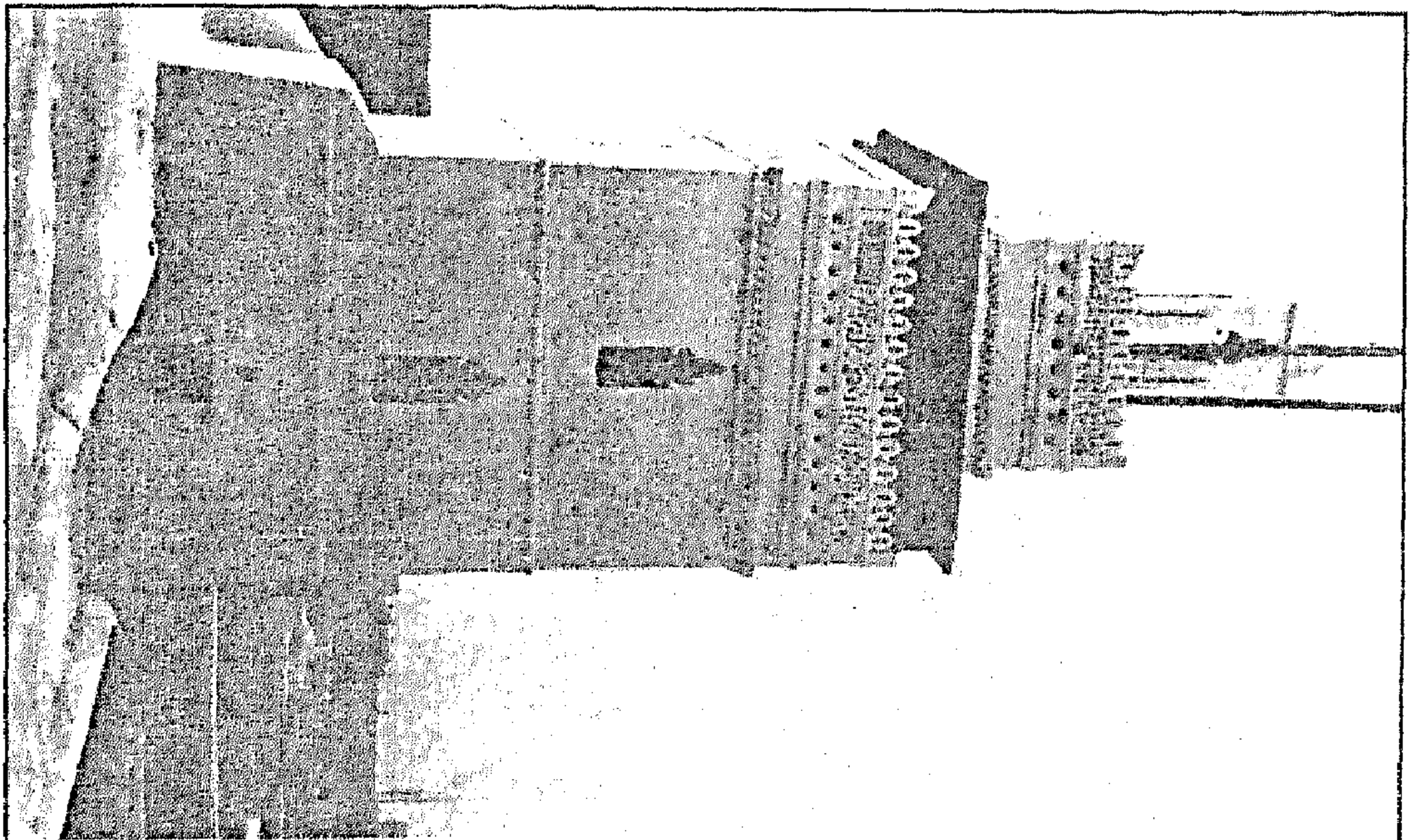


قبتا مشيدى عاتكة وجعفر

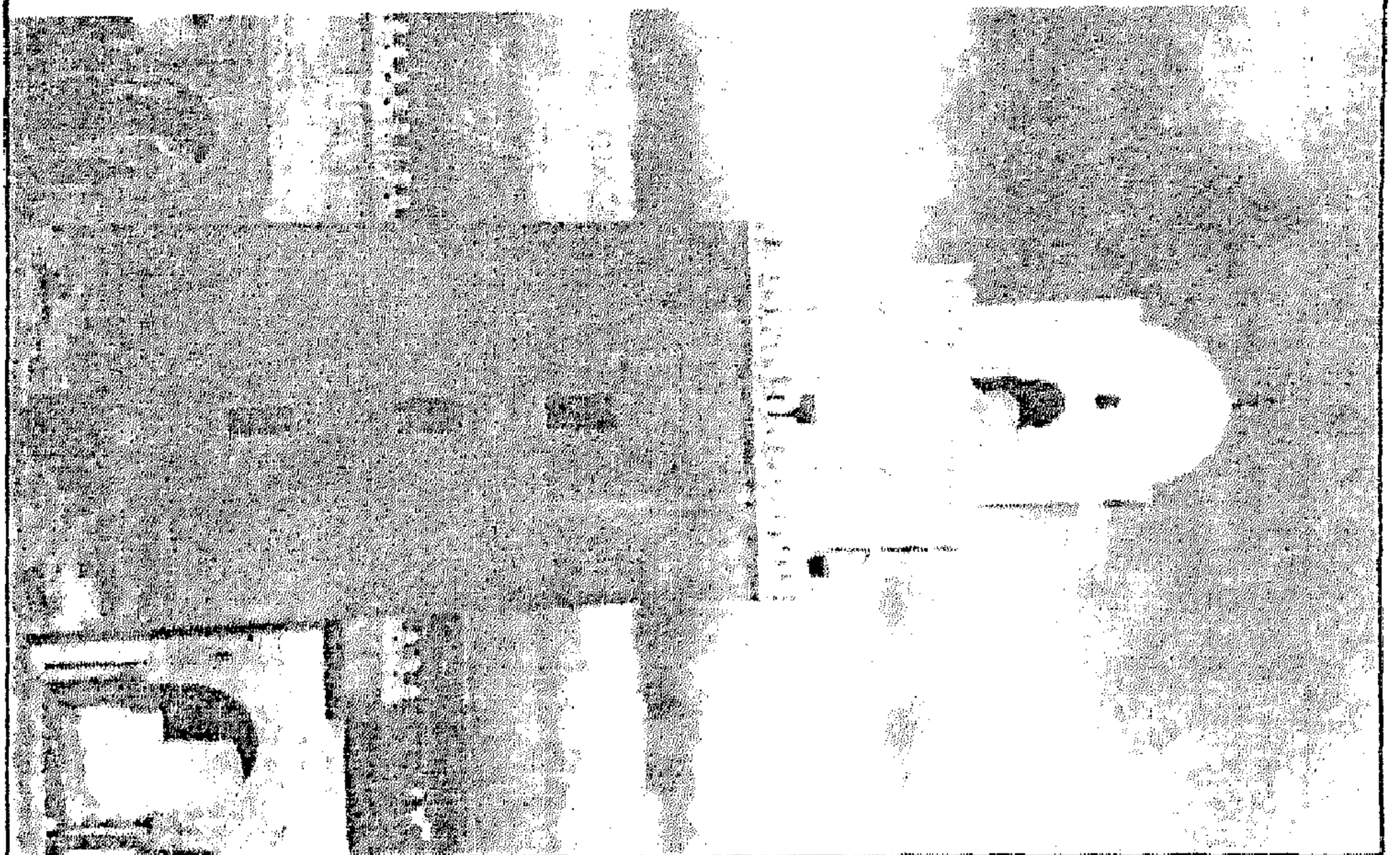


(أ) قبة المحراب في مسجد القيروان. (ب) قبة البهو في مسجد الزيتونة بتونس

لوحة رقم (٦٣)

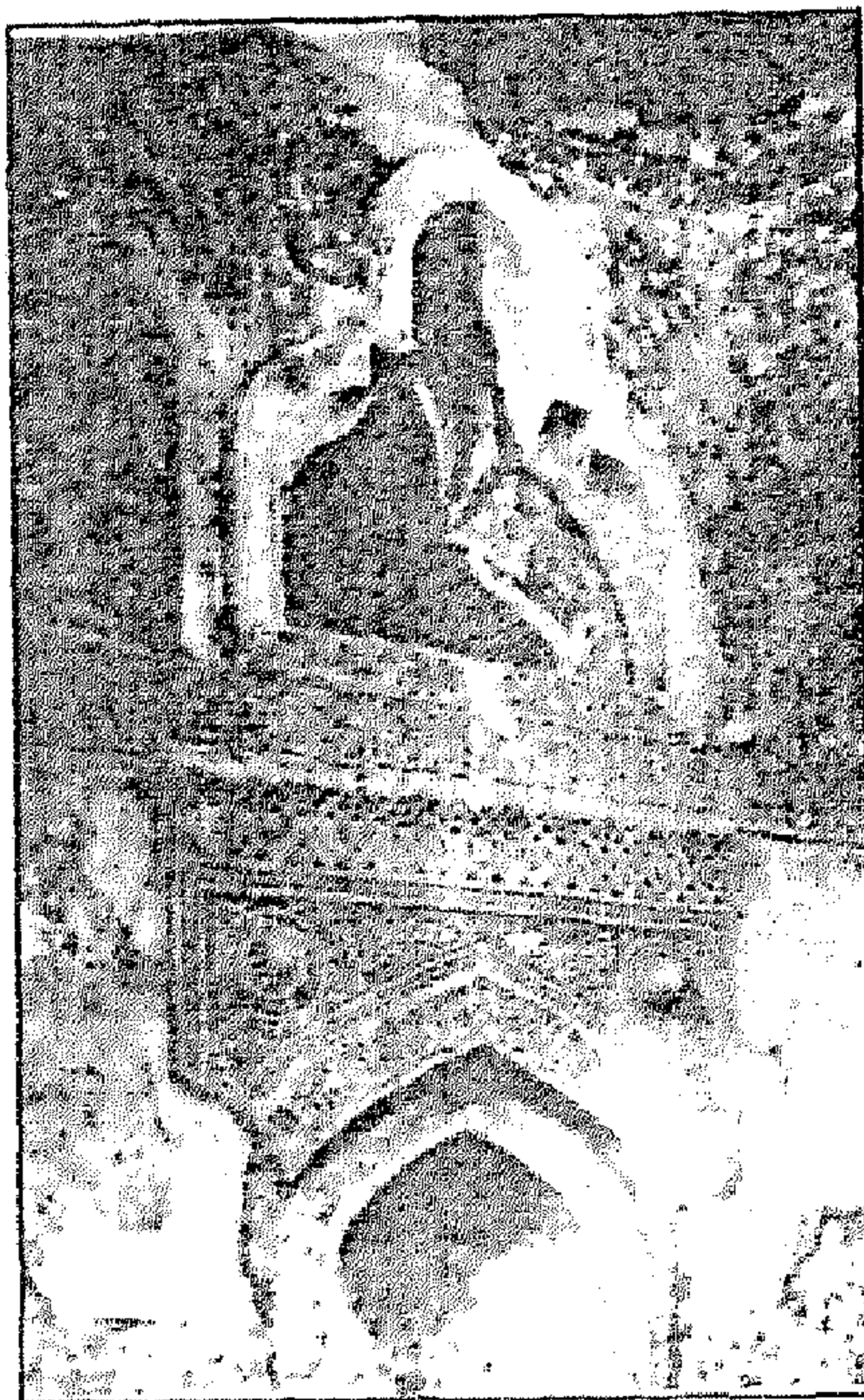


(ب) مئذنة ومسجد سفاقيس بكويتس

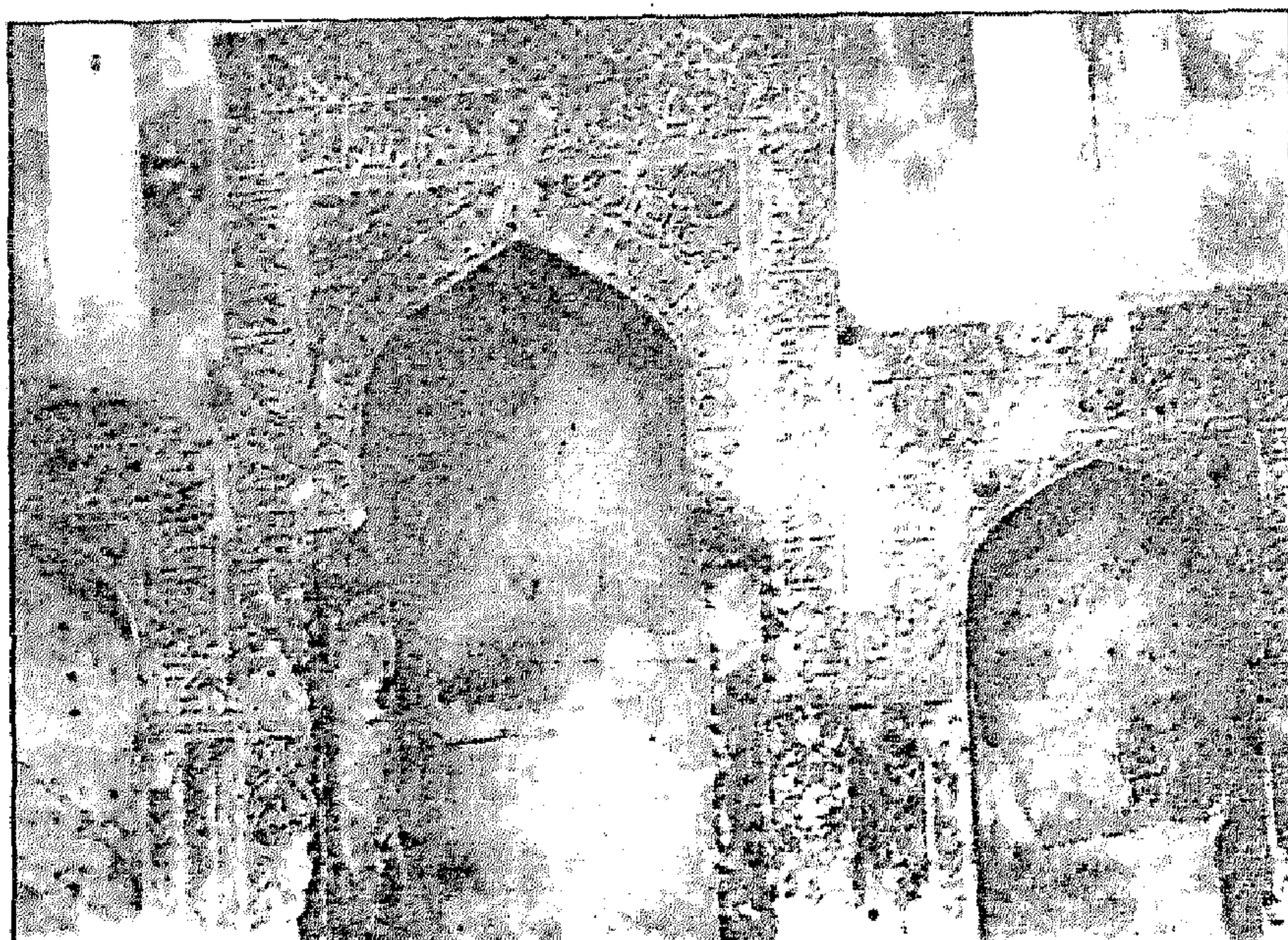


(أ) مئذنة ومسجد القيروان

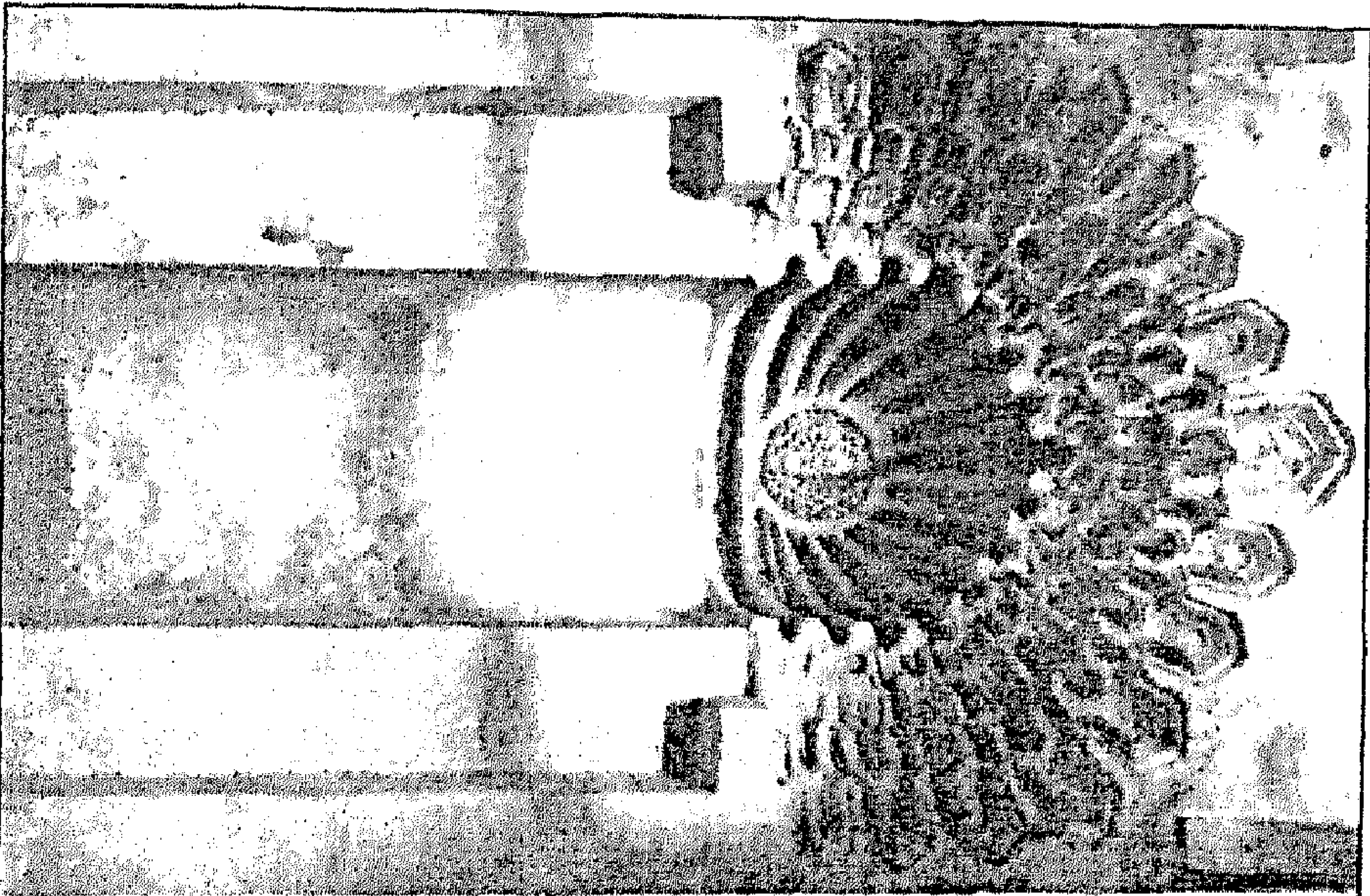
لوحة رقم (٦٤)



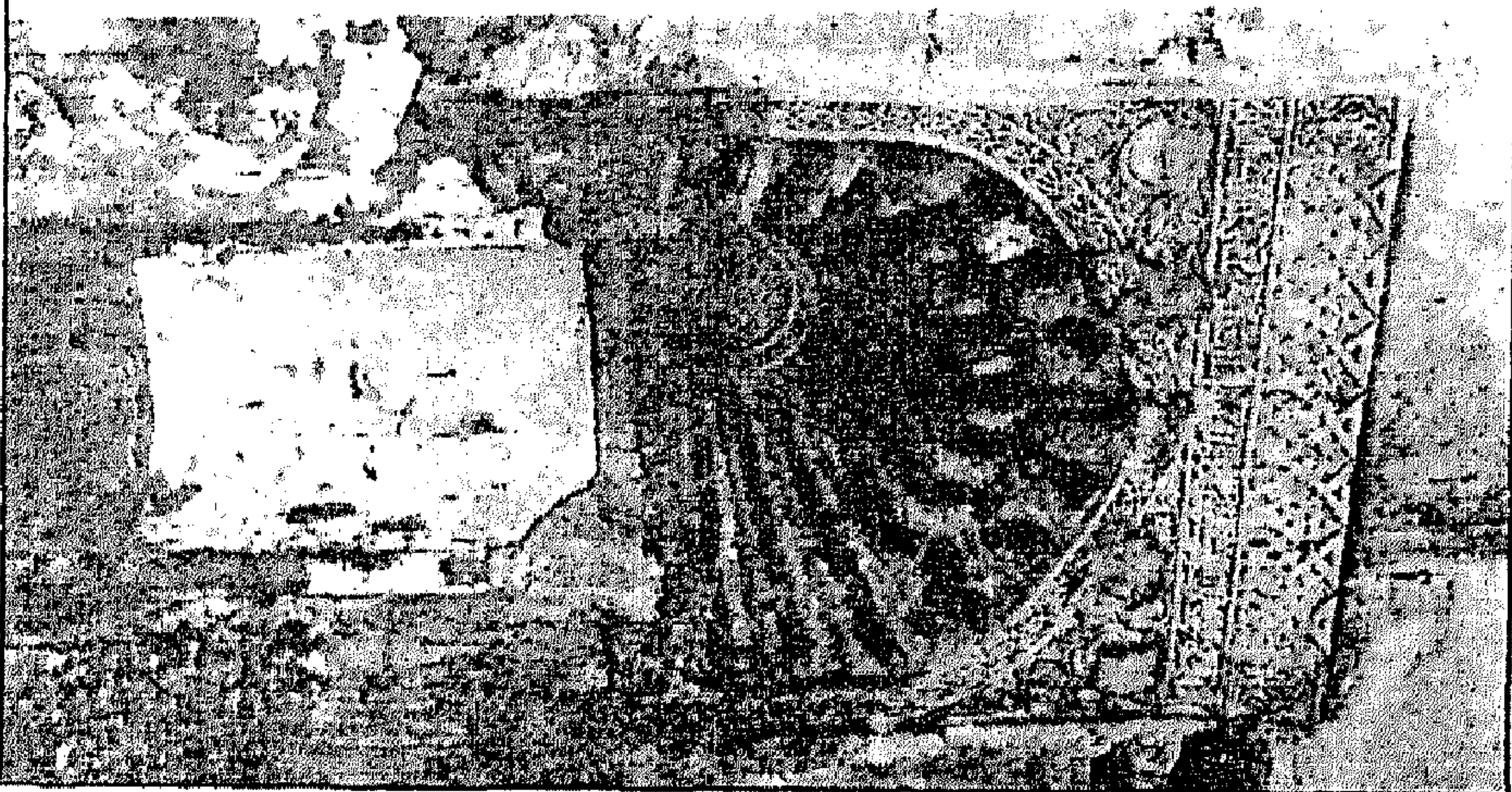
(أ) محراب مشهد عاتكة



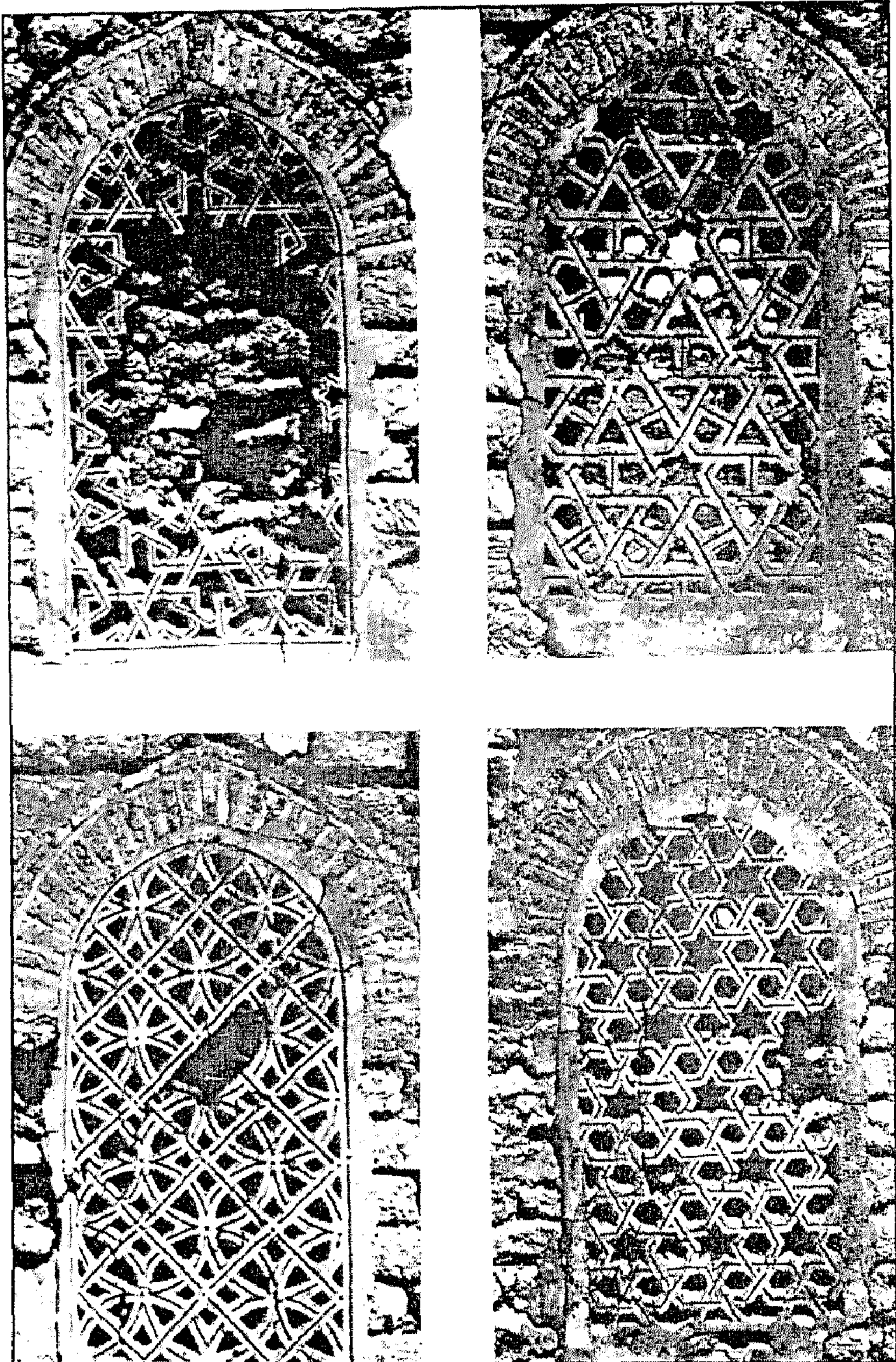
(ب) محراب مشهد إخوة يوسف



(ب) محراب مشهد يحيى الشيبه

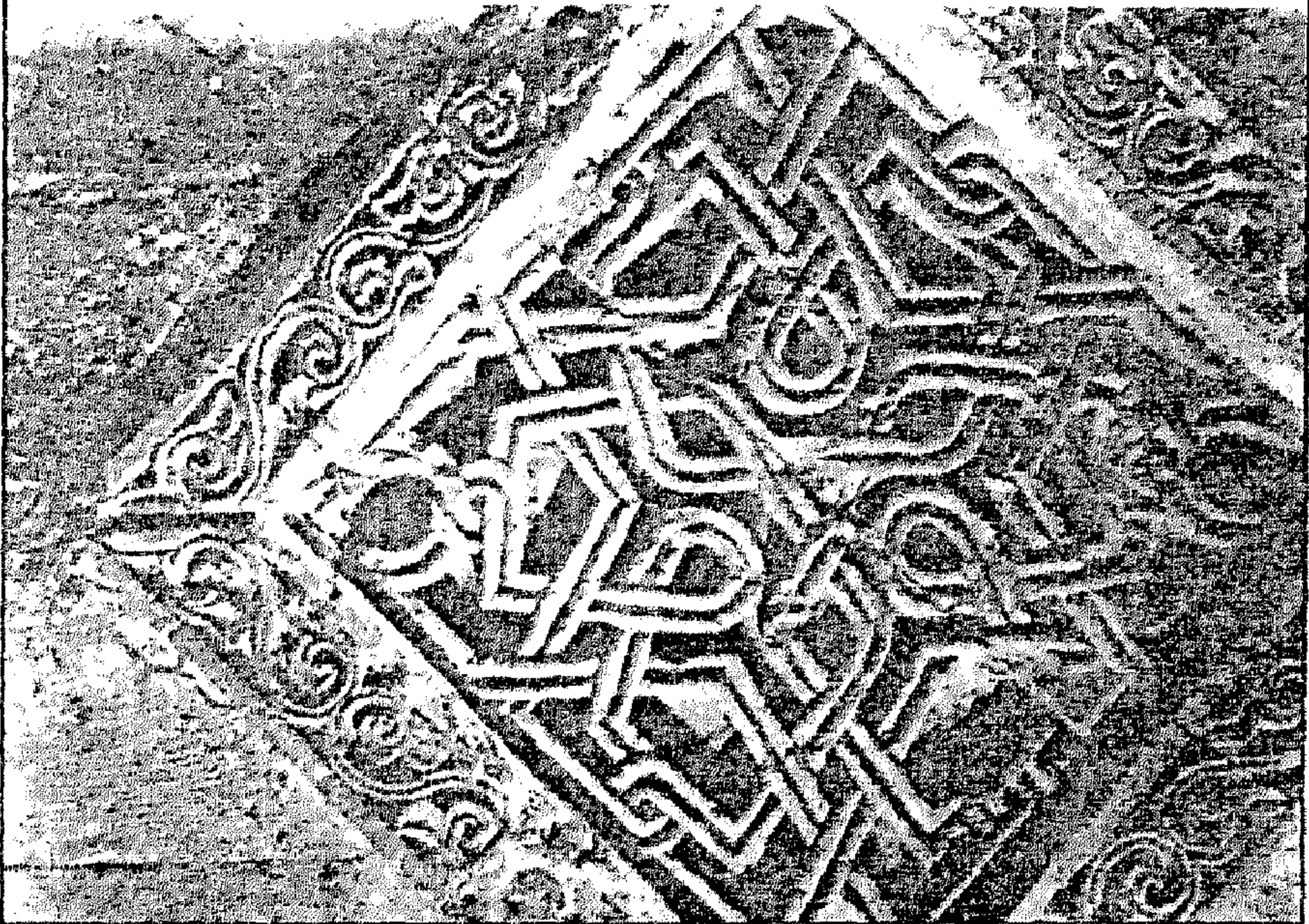
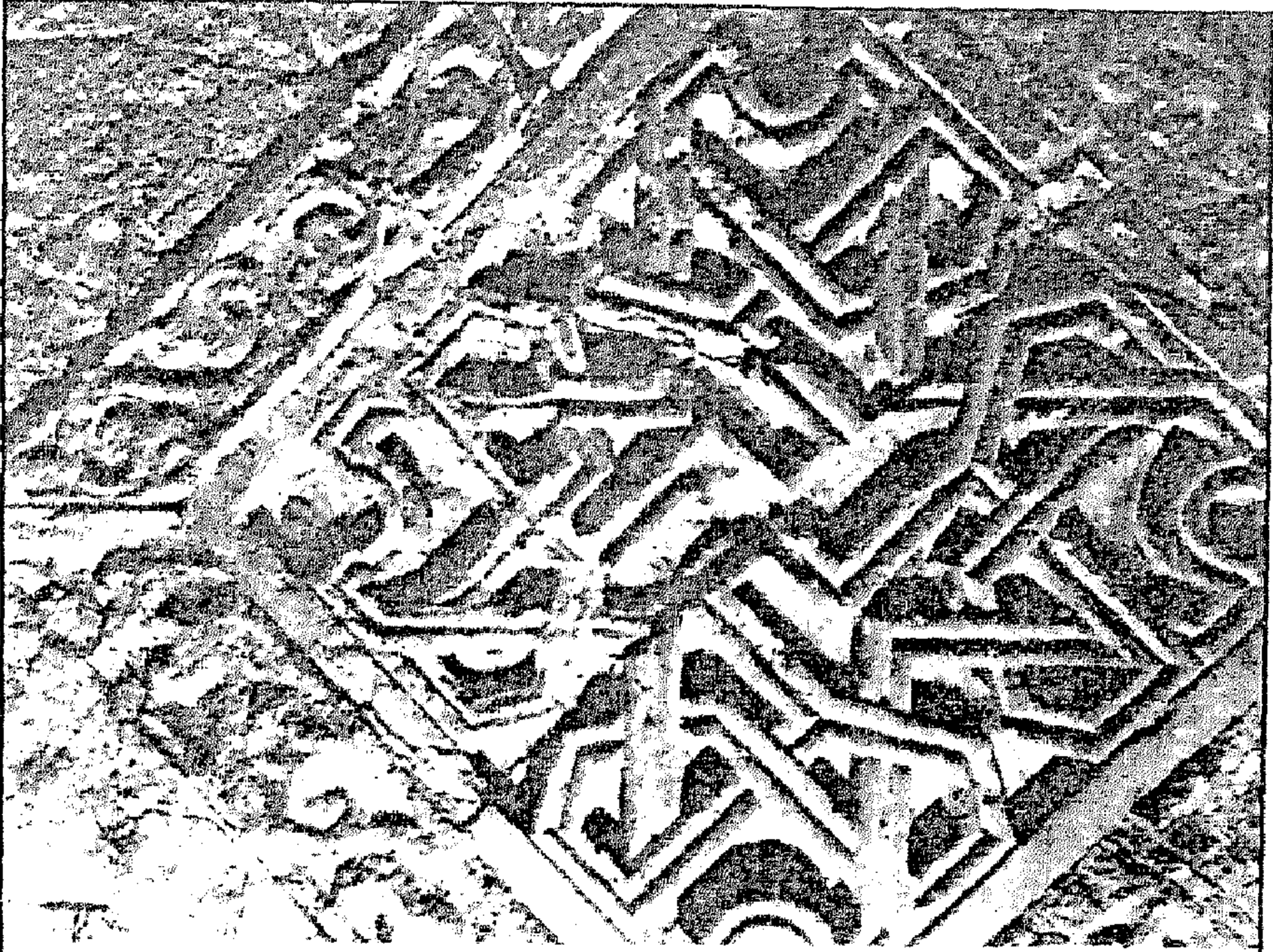


(أ) محراب مشهد الجعفرى



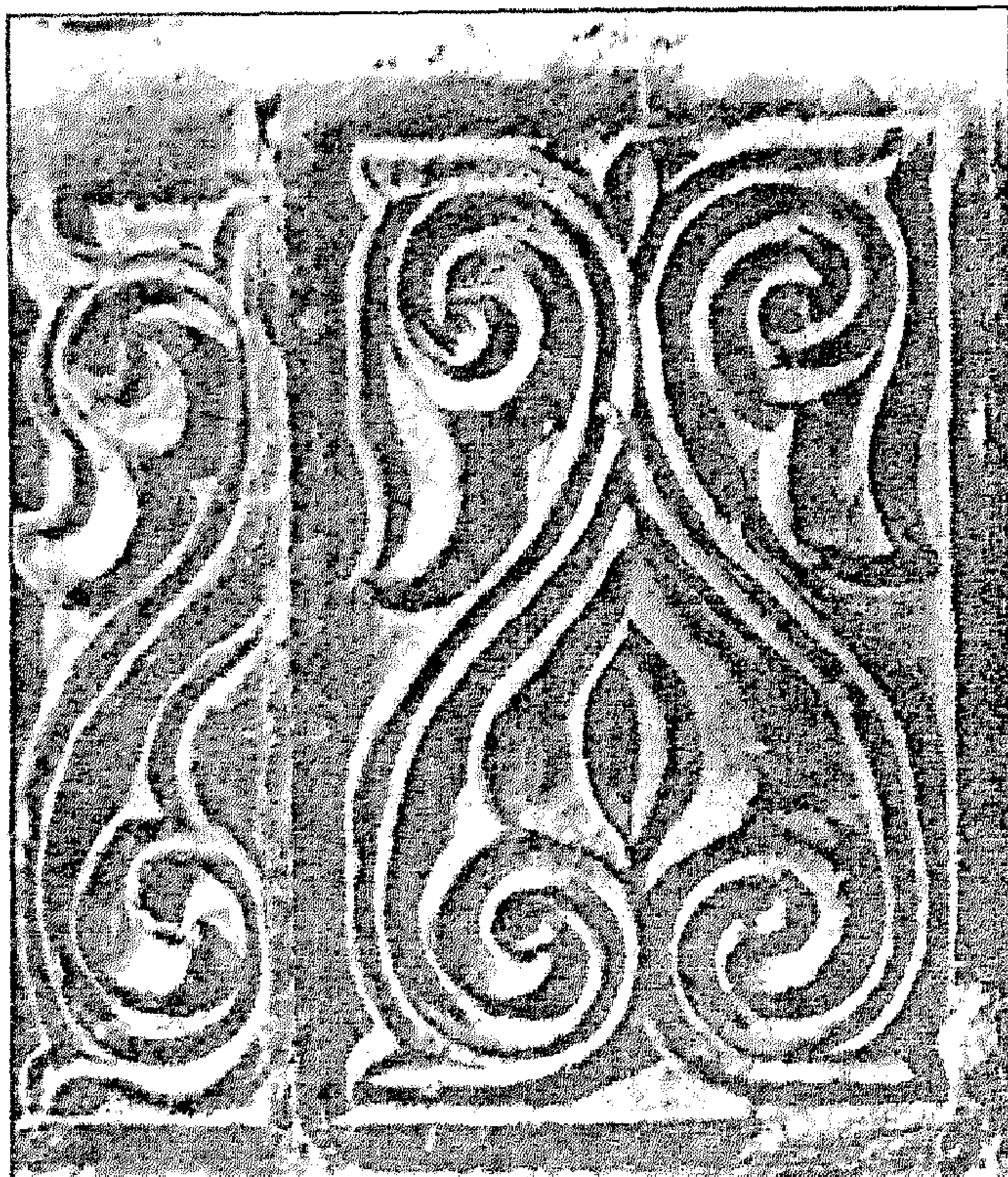
زخارف جصية على أربع نوافذ في مسجد الحاكم

لوحة رقم (٦٧)

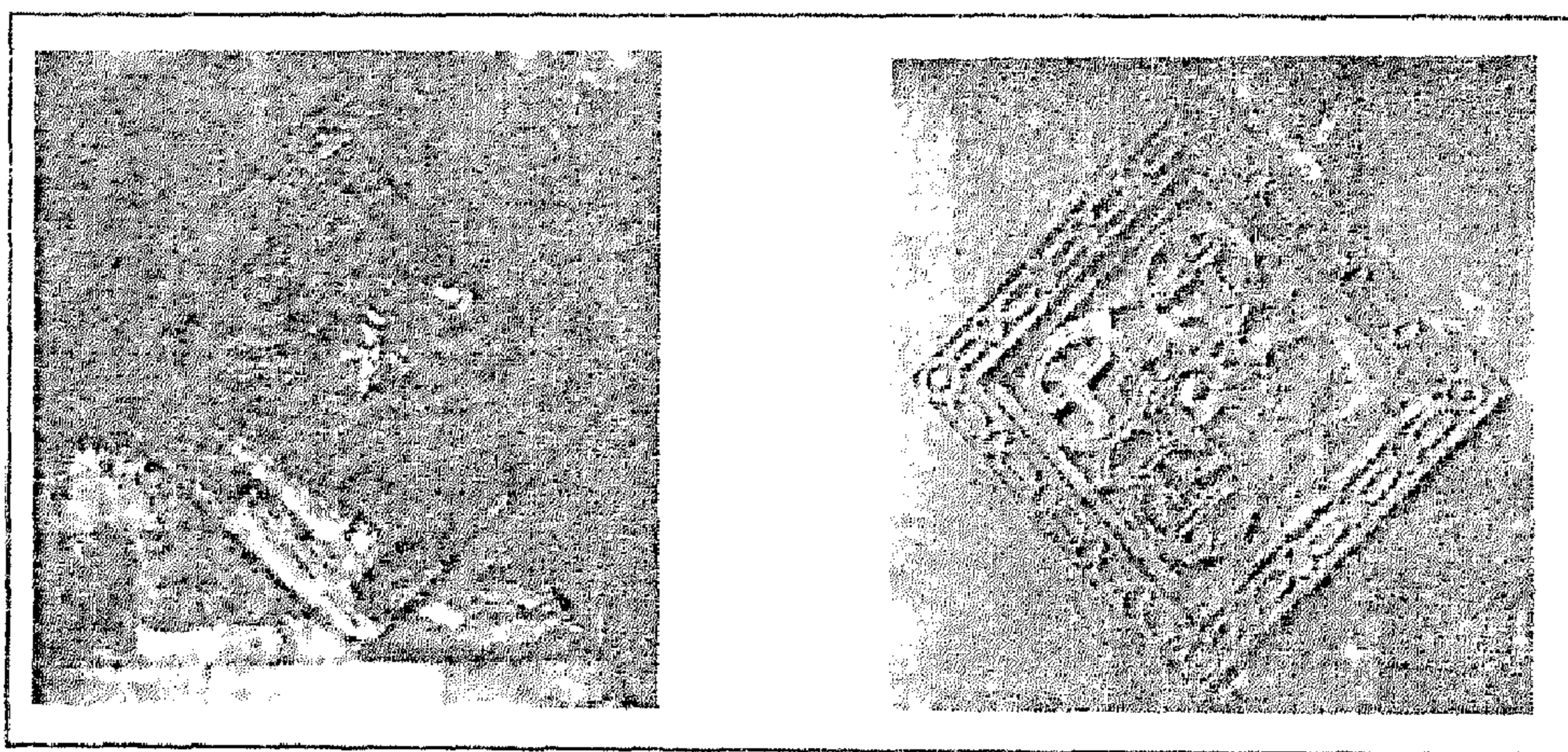


زخارف في المئذنة الغربية بمسجد الحاكم

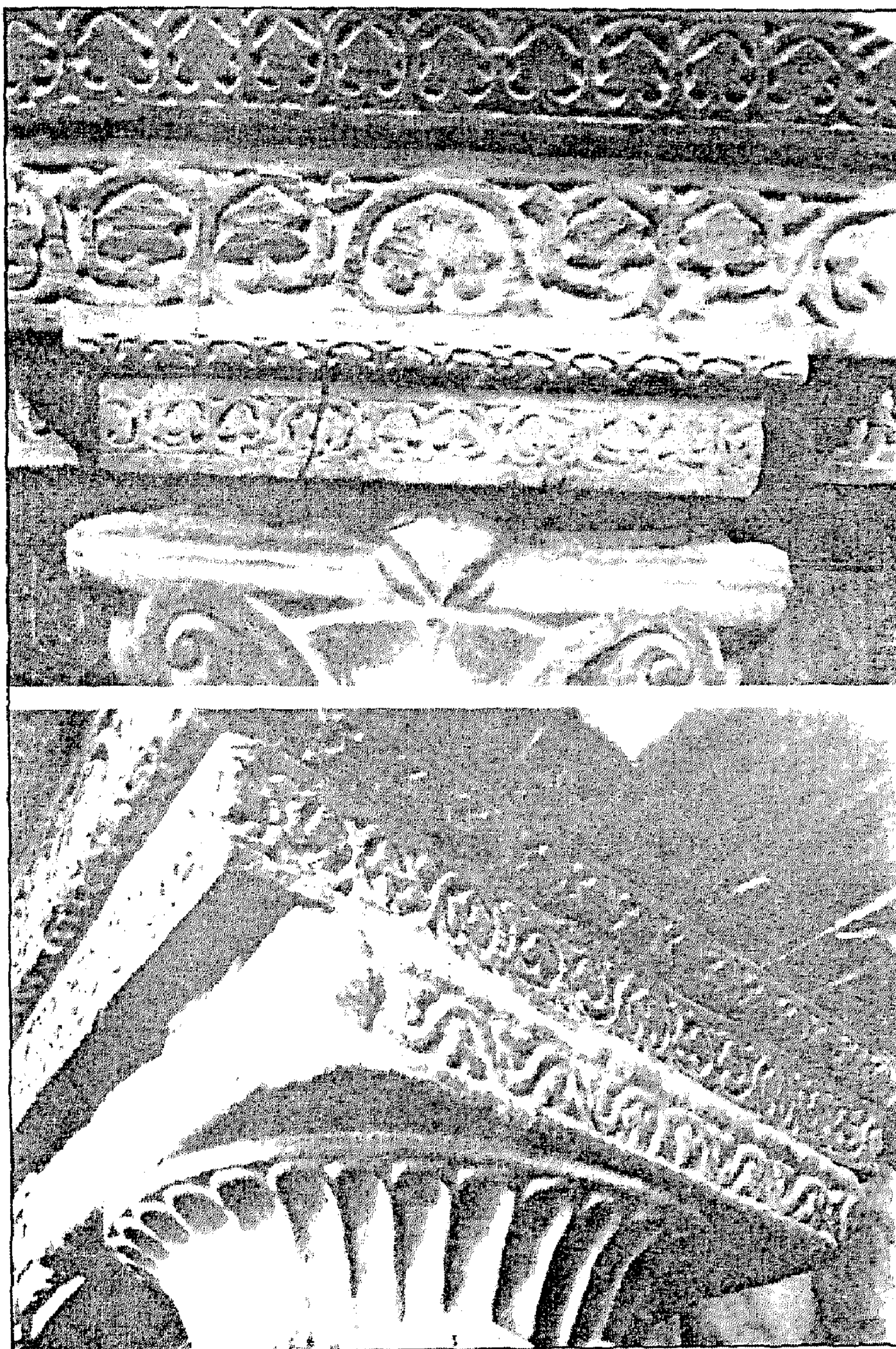
لوحة رقم (٦٨)



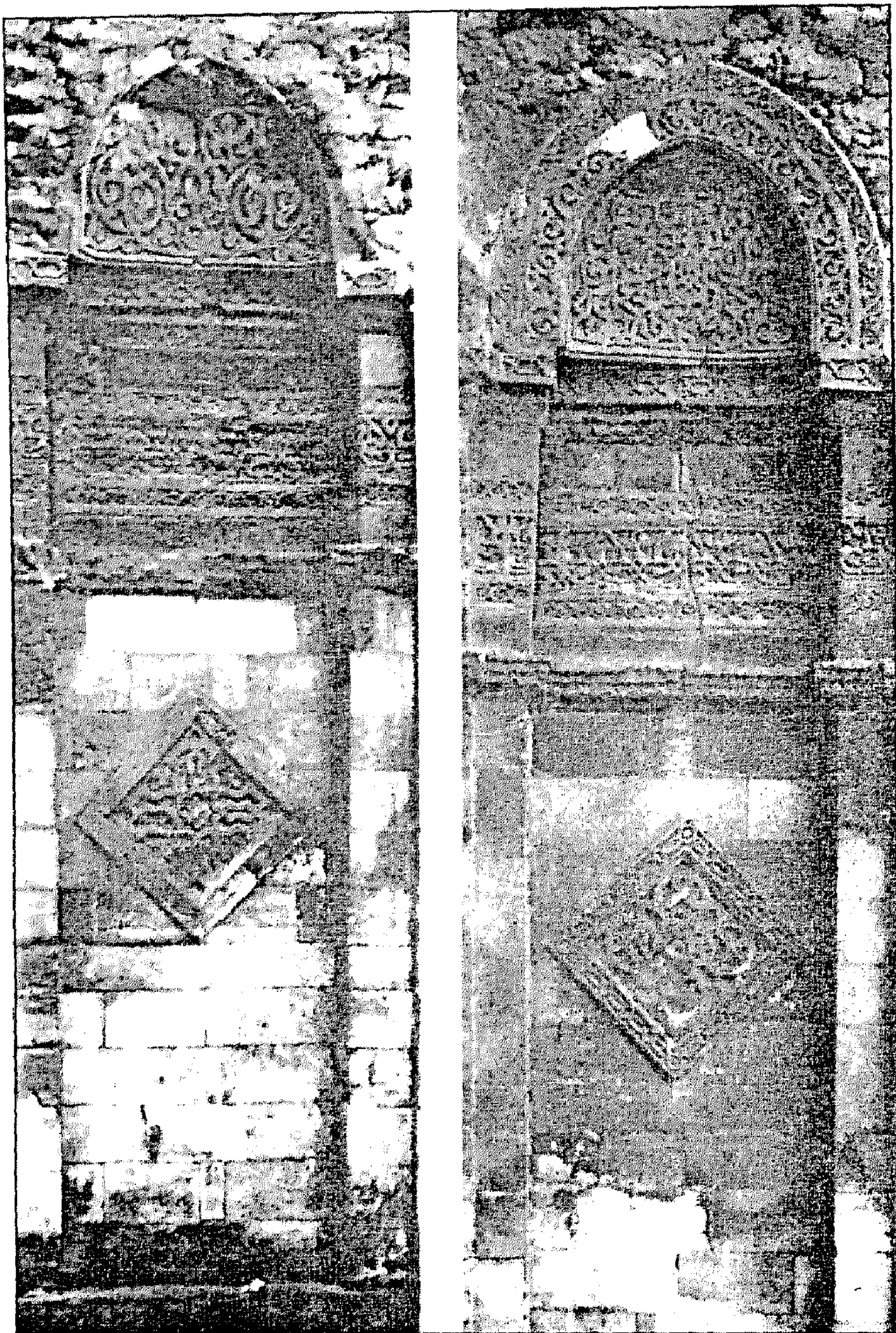
(أ) مسجد الحاكم — زخرفة من المنذنة الغربية



(ب، ج) مسجد الحاكم — زخارف من البوابة

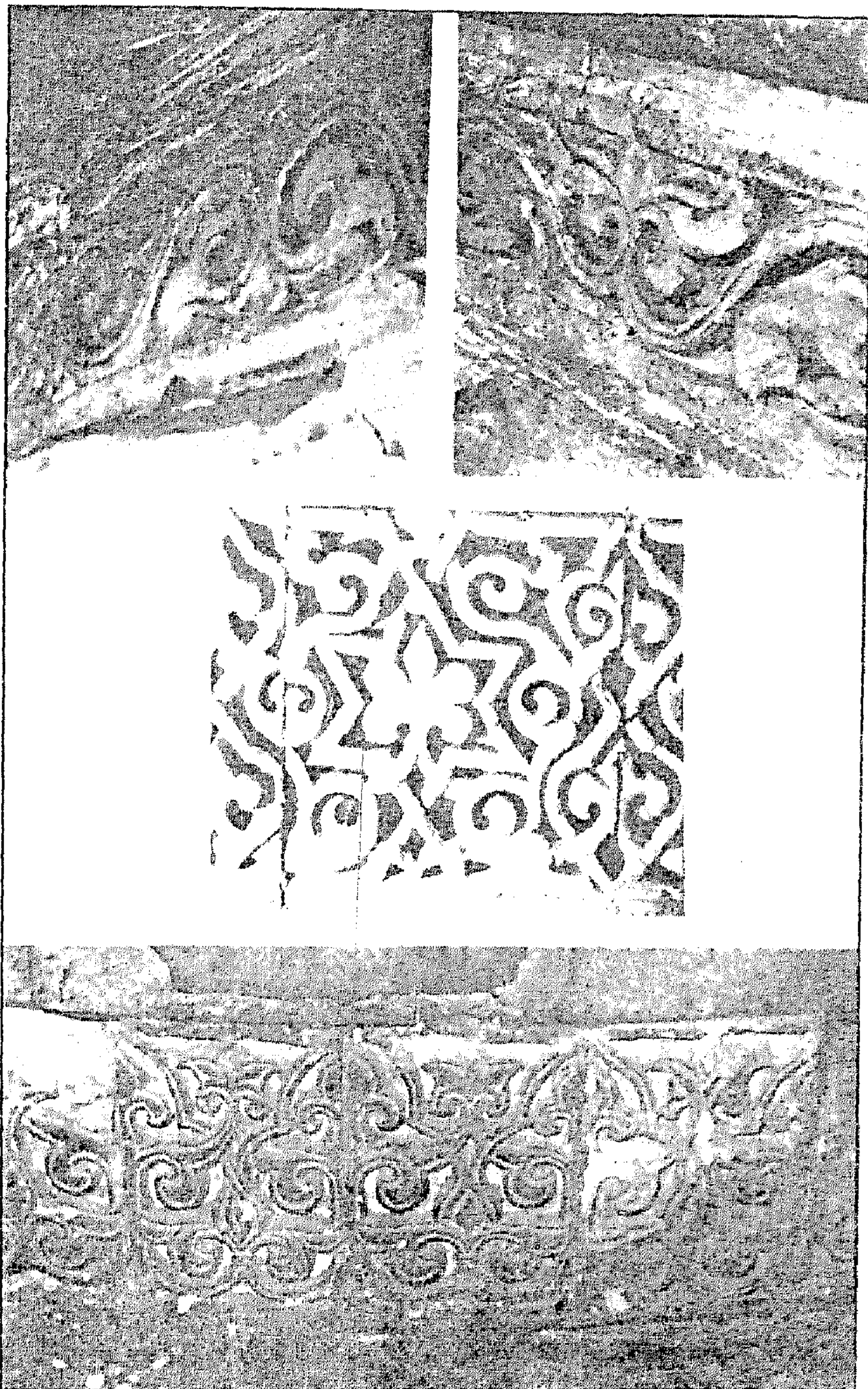


مسجد الصالح طلائع - زخارف حدارات في بيت الصلاة



مسجد الحاكم - قسما الواجهة الشرقية للبوابة

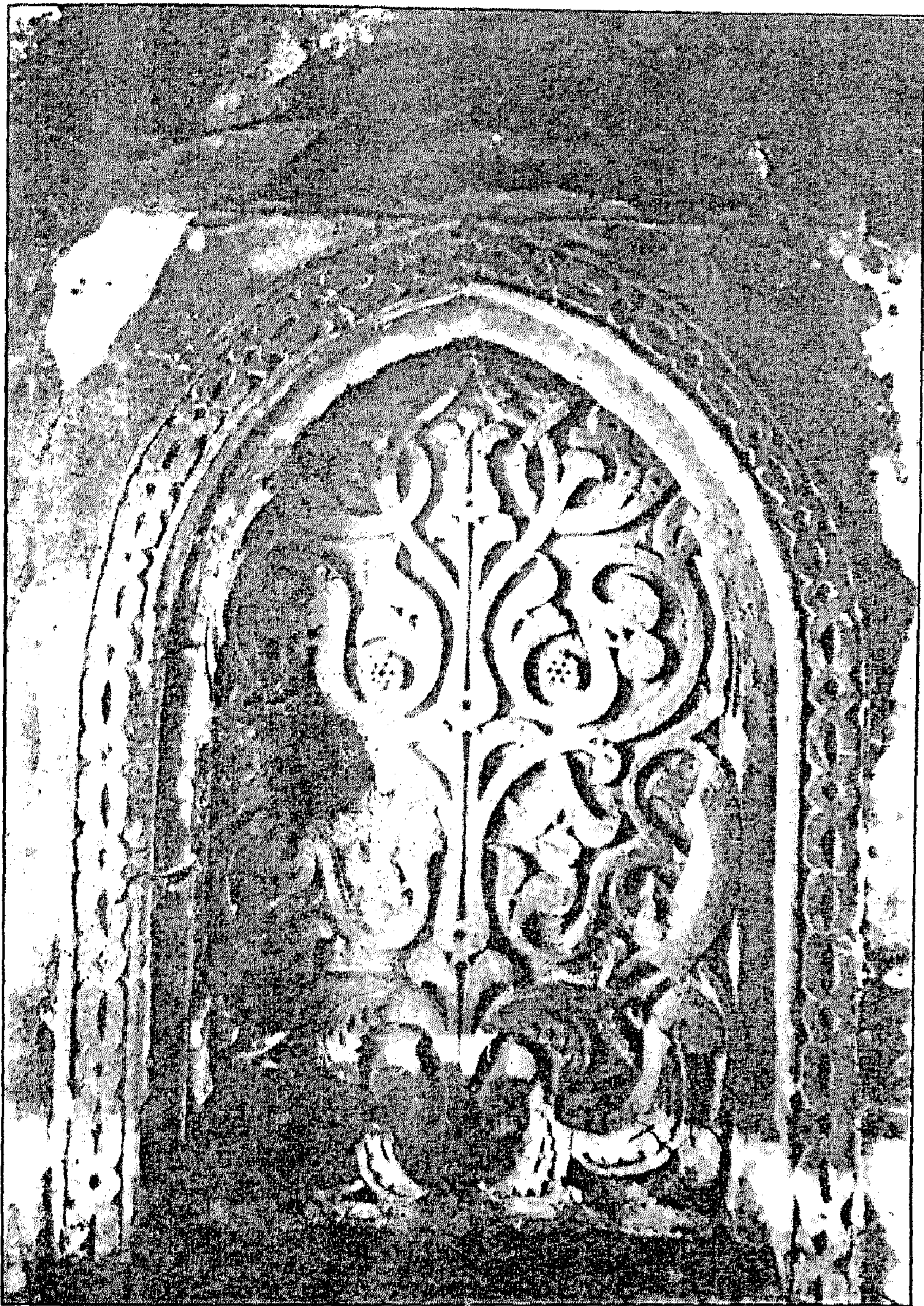
لوحة رقم (٧١)



مسجد الحاكم — زخارف من المتذنتين



مسجد الحاكم - زخارف من المذنتين

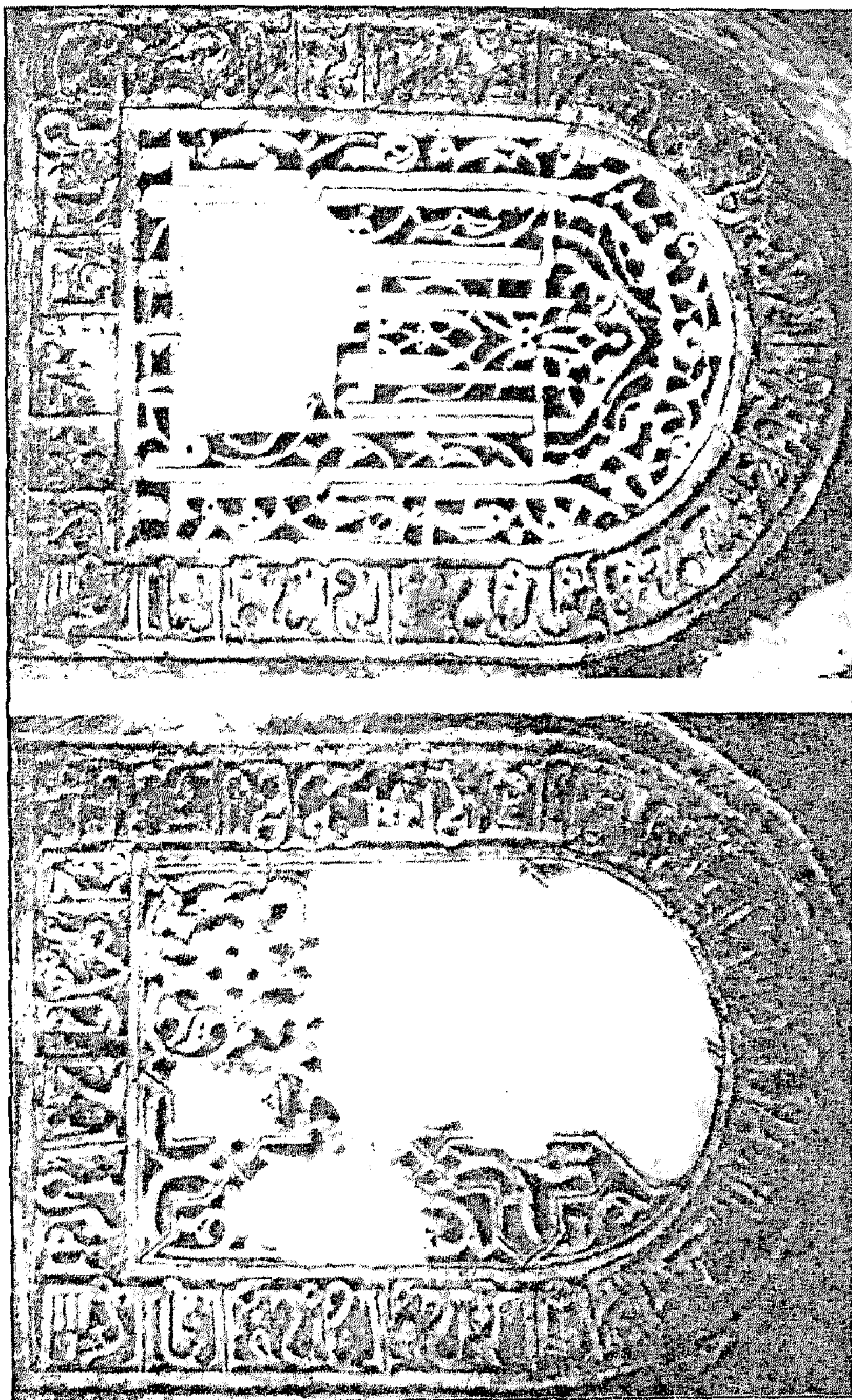


مسجد الحاكم - زخارف طاقة من قبة المحراب

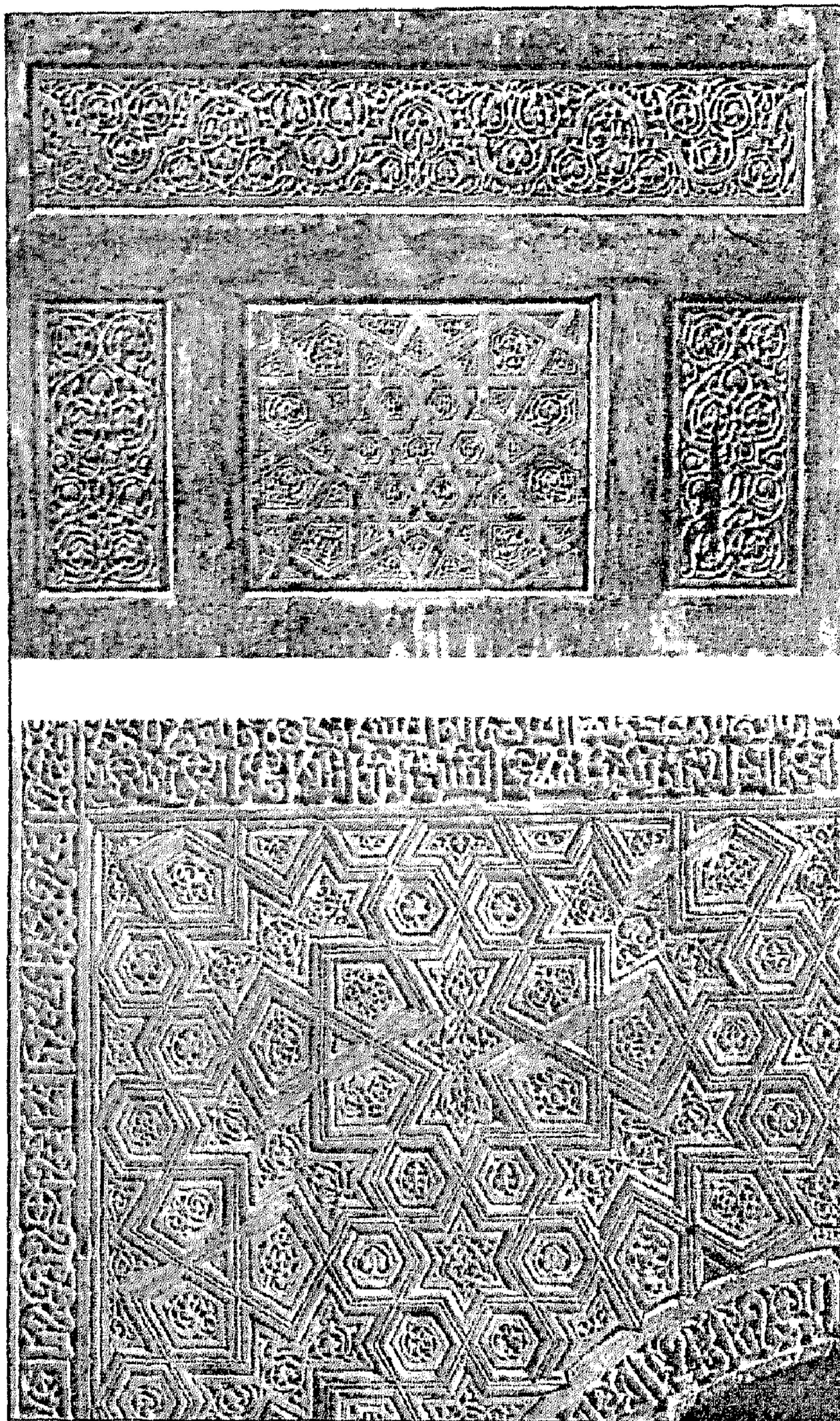


مسجد الحاكم - زخارف طاقة من قبة المحراب

مسجد الحاكم - زخارف نافذتين في جدار أسكوب البحري



لوحة رقم (٧٦)



تفاصيل زخرفية من محراب السيدة رقية بمتحف الفن الإسلامي

لوحة رقم (٧٧)



مسجد الحاكم — تفاصيل من نقوش قرآنية بالخط الكوفي



مسجد الحاكم - شرائط من نقوش قرآنية بالخط الكوفي

(ب) الفئنة الشمالية



(أ) الفئنة الغربية — تفاصيل من النقوش الكوفية في مسجد الحاكم



لوحة رقم (٨٠)



مسجد الحاكم - تفاصيل من الخط الكوفي

محتويات الكتاب

الصفحة	اسم الموضوع
٢	تصدير
٥	الفصل الأول: القاهرة الفاطمية
٧	١- إنشاء القاهرة وبنائها
١١	٢- ازدهار القاهرة في العصر الفاطمي
٢١	الفصل الثاني : آثار القاهرة الفاطمية
٢٣	١- آثار القاهرة الفاطمية
٢٠	٢- المشاهد
٣٩	الفصل الثالث : مسجد الأزهر الجامع
٤١	١- تاريخ مسجد الأزهر
٤٧	٢- تخطيط المسجد الفاطمي
٥٠	٣- عناصر المسجد الفاطمي المعمارية
٥٢	٤- العناصر الزخرفية العتيقة
٥٩	الفصل الرابع : مسجد الحاكم الجامع
٦١	١- تاريخ مسجد الحاكم وتخطيطه
٦٦	٢- عمارة المسجد الفاطمية
٧٥	٣- زخرفة المسجد العتيقة
٨١	الفصل الخامس : أربعة مساجد من العصر الفاطمي
٨٢	١- مسجد الجيوشي
٨٨	٢- مسجد الأقمر
٩٥	٣- مسجد السيدة رقية
١٠١	٤- مسجد الصالح طلائع
١١١	الفصل السادس : مميزات التخطيط المعماري في العصر الفاطمي

١١٣	١- تخطيط المساجد وبلاطة المحراب
١٢٦	٢- قبة البهو والعنزة
١٢٨	٣- المداخل الرئيسية والبوابات- المشاهد- تعدد المحاريب
١٣١	الفصل السابع : العناصر المعمارية وخصائصها
١٣٣	١- استعمال الحجارة واستخدا الروافع
١٣٨	٢- العقود
١٤٣	٣- المحاريب
١٤٥	٤- القبوات والقباب والمقرنصات
١٥٠	٥- المآذن والمحافظ
١٥٢	الفصل الثامن : مميزات الزخارف المعمارية
١٥٦	١- وسائل الإخراج الفني
١٥٩	٢- الأسلوب الفني وأشكال التوريق والتوشيح
١٧١	٣- الكتابة الكوفية والخط المزهر
١٨٠	٤- الأشكال المعمارية
١٨٧	خاتمة
١٨٩	الكشاف العام
٢٠٥	الكشاف التاريخي
٢٢٣	بيان مفصل بأسماء الكتب والبحوث المشار إليها فى صفحات الجزء الأول
٢٣١	بيان الأشكال
٢٣٣	بيان اللوحات
٢٣٧	اللوحيات
٢١٩	فهرس الكتاب

دراسات عن تطور نظم المساجد فى العصر الفاطمى
من حيث التخطيط والعمارة والزخرفة ، اقتضت تحليل
العناصر لاستخراج أحكامها ، ومراجعة المصادر
للكشف عن الخصائص التى تمتاز بها عمارة ذلك العصر
وزخارفها ، ومناقشة آراء العلماء والمستشرقين لتحديد
أوجه الحق أو الباطل فيها .

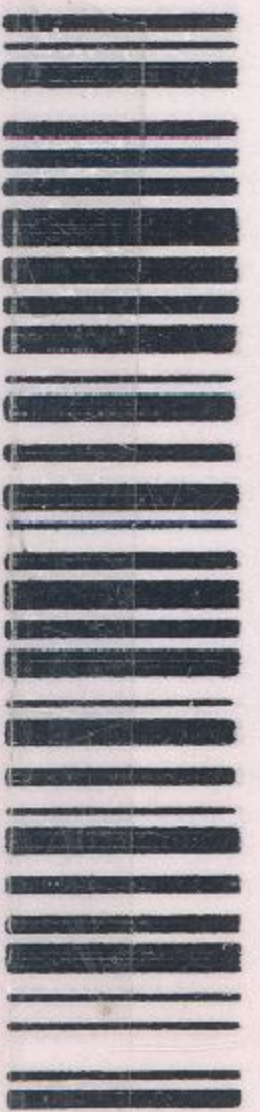


دارالمعارف

٠١٧٥١٨/٠١



Bibliotheca Alexandrina



0667367